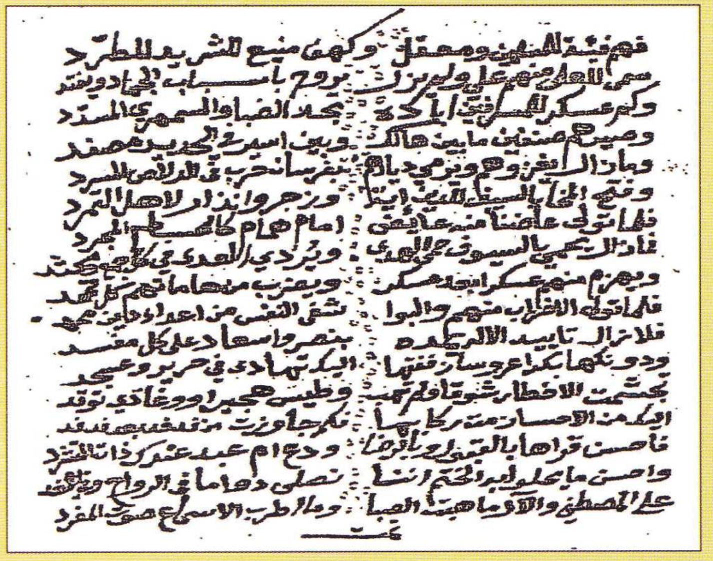
٣٠٧

سلسلة الرسائل الجامعية - ٤٤

أحمد بن مشرف

حياته وشعره


فهم فتية للمعتفين ومعقل ... وكهف منيع للشريد المطرد
سمي للعلى منهم علي ولم يزل ... يروح بأسباب الجهاد ويغتدي
وكم عسكر للمشركين أبادهم ... بحد الظبا والسمهري المسدد
وصيرهم صنفين ما بين هالك ... وبين أسير في الحديد مصفد
وباد الرافض وهم [illegible] ... [illegible]
وفتح إلينا بالسنان [illegible] ... وزجر وإنذار لأهل التمرد
فلما تولى عاضنا منه عن بقي ... إمام همام كالحسام المجرد
[illegible] بالسيوف [illegible] ... ويردي العدى في كل جمع محشد
ويهزم منهم عسكرا بعد عسكر ... ويضرب منهم هاما ثم كل مهند
فلما تولى الأعراب منهم وأقبلوا ... تشفي النفس من أعدائه [illegible]
فلا زال تأييد الإله يمده ... بنصر وإسعاد على كل مفسد
ودونكها بكرا عروسا زففتها ... إليك تهادى في حرير وعسجد
تجشمت الأخطار شوقا فلم تهب ... وطيس هجير أو وغى ذي توقد
إليك من الأحساء [illegible] ركابها ... فكم جاوزت من فدفد بعد فدفد
فأحسن قراها بالقبول [illegible] ... [illegible]
وأحسن ما يحلو به الختم إننا ... نصلي [illegible]
على المصطفى والآل ما هبت الصبا ... وما طرب الأسماع صوت المغرد
تمت

ليلى بنت سعد المغنم

أحمد بن مشرف

حياته وشعره

أحمد بن مشرف

حياته وشعره

ليلى بنت سعد المغنم

دارة الملك عبد العزيز

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المغنم، ليلى بنت سعد

أحمد بن مشرف: حياته وشعره / ليلى بنت سعد المغنم.

الرياض ١٤٣٤هـ

٧٢٤ص؛ ١٧ × ٢٤سم

ردمك: ٥ - ٢٧ - ٨١٢٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- ابن مشرف، أحمد بن علي بن حسين، ت ١٢٥٨هـ

٢- الشعر العربي - نقد - السعودية   أ. العنوان

ديوي: ٨١١,٩٥٣١٠٠٩   ١٤٣٤ / ٩٥٢٧

رقم الإيداع: ٩٥٢٧ / ١٤٣٤

ردمك: ٥ - ٢٧ - ٨١٢٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨

المؤلف: ليلى بنت سعد المغنم

وزارة التربية والتعليم - الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فإنّ للشعر أثراً كبيراً في دعم القضايا الإسلامية والدِّفاع عن قيمها الأصيلة وأخلاقها النبيلة، بدءاً من عصر النبوَّة الزاهر، حين برز الصحابيان حسَّان بن ثابت وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهما، وغيرهما ممن حمل لواء الشعر دفاعاً عن المبادئ الإسلامية، وتنويهاً بمحاسنها، مقارعاً خصومها الحجة بالحجة، ذابًّا عن حياضها بأبلغ بيان وأفصح عبارة.

وعندما قامت الدولة السعودية المباركة حاملةً لواء الإصلاح والتوحيد في الجزيرة العربية، وقف إلى جانبها كثير من الشعراء الذين عرفوا حقيقة ما تدعو إليه، فنافحوا عنها، وردُّوا على خصومها، وكان لمنابرهم الشعرية أثرٌ كبير في دعم هذه الدولة الخيِّرة وما تدعو إليه من مبادئ سامية ترتكز على الكتاب الحكيم والسنة النبوية المطهرة.

ومن هؤلاء الشعراء الذين وقفوا إلى جانب الدولة السعودية والدعوة الإصلاحية الشاعر أحمد بن مشرف الذي ولد في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، حيث سخر الشاعر موهبته الفطرية في الثناء على هذه الدولة

ومبادئها المرتكزة على الدين الإسلامي الحنيف، وحكمة أئمتها من آل سعود، وعلمائها الأفذاذ الذين سخروا علمهم في الدعوة إلى الحق وإيضاح منهاج الإسلام الصحيح، وبيان ما انتشر في المجتمع من البدع والخرافات التي ليست منه.

ويتناول هذا الكتاب الذي نقدم له حياة هذا الشاعر أحمد بن مشرف؛ دارساً أصول ديوانه الذي طبع سبع مرات، متتبعاً الأبيات التي سقطت منه، ذاكراً الاختلاف بين المطبوع والمخطوط من ديوانه، مشيراً إلى موضوعات شعره التي غلب عليها الطابع الديني من خلال الدفاع عن العقيدة الإسلامية والدعوة الإصلاحية.

كما يتحدَّث هذا الكتاب عن مصادر أفكار الشاعر في شعره التي استمدت من الكتاب والسنة، ويعدِّد ما امتاز به شعره من السهولة ووضوح المعاني، ويختم الكتاب بعقد موازنة بين ابن مشرف والشاعر سليمان بن سحمان.

وقد رأت دارة الملك عبدالعزيز طباعة هذا الكتاب ونشره لما له من أهمية في إلقاء الضوء على أحد الشعراء الذين ارتبطوا بتاريخ الدولة السعودية المباركة، وكان لهم إسهام بارز في الدفاع عن الدعوة الإصلاحية، وإبراز محاسنها التي ارتكزت على الكتاب والسنة.

دارة الملك عبدالعزيز

المحتويات

المقدمة (*)

أهمية الموضوع:

الحمد لله على ما من به علينا من فضله وتوفيقه وتيسيره، الذي وفقنا لإتمام هذا العمل الذي نرجو به وجهه الكريم فعسى أن يتقبله منا قبولاً حسناً. وله الثناء الجميل العطر، والصلاة على خير الأنام، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

ففي القرن الثالث عشر الهجري عرف في الأحساء شاعر مجيد. ظهر في شعره ثقافة عصره، حيث كانت الدعوة السلفية الإصلاحية، التي نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونشرها الحكام من آل سعود، هي السمع والبصر أمام طلاب المعرفة في أقاليم البلاد السعودية.. وابن مشرّف ممن رزق موهبة الشعر، وصقلها بملازمة أستاذه الشاعر حسين بن غنام، ونماها بالاطلاع على آثار من سبقه من الشعراء، وبالدراسة في حلقات العلماء، فنال من علوم الدين واللغة العربية ما أهله إلى بلوغ منزلة رفيعة في مجتمعه.. ففي

(*) أصل هذا الكتاب رسالة علمية مقدمة إلى قسم الأدب بكلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م نالت بها الباحثة درجة الماجستير في الأدب بإشراف الأستاذ الدكتور النبوي عبدالواحد شعلان.

مجال الأدب أصبح شاعر الإمام فيصل بن تركي، وزاد شعره على ثلاثة آلاف بيت، صور في موضوعاتها واقع عصره، حيث دار شعره حول الإمام فيصل بن تركي في أكثر من عشرين قصيدة؛ لجهوده في خدمة دينه وأمته ووطنه. وبهذا عرف عند الناس بشاعر الإمام فيصل، وطّبق من جاء من حكام الدولة السعودية بعد الإمام فيصل بن تركي طريقته في تقريب الشعراء؛ لتوجيههم الفاعل كما هو واقع محمد بن عثيمين، وأحمد الغزاوي في معية الملك عبدالعزيز، فكان شعر هذا الرجل سجلاً أدبياً لأحداث الدولة السعودية الثانية، وليس هذا فحسب، فقد دافع عن الدعوة السلفية، فكان من المناصرين لها وكان شعره شرحاً ودفاعاً عن الدعوة، ومناقضاً للخرافات والخزعبلات التي كانت موجودة في تلك الحقبة، فاصطبغ شعره بالروح الإسلامية في كل إنتاجه الأدبي.

كما اعتمد في معالجته القضايا والمشكلات التي تنبع من المجتمع وتفد إليه على القرآن الكريم، وجعل الآيات والأحاديث النبوية الشريفة مصدراً مهماً لتوجيهه وإرشاده واقتراحاته، وآرائه.

كما استلهم ابن مشرّف التاريخ الإسلامي، وصوّر لنا سيرة الرسول ﷺ العطرة والخلفاء الراشدين، وغيرهم، كما أنشد في الشعر الوجداني من غزل ورثاء، وغيرهما، فشعره لم يدرس دراسة علمية موثقة في ظل الجامعات وهذه أول دراسة علمية عنه، والله أعلم.

وأخلص من كل ما تقدم للتدليل على أهمية دراسة هذا الموضوع الذي لم تفرد له دراسة مستقلة من قبل، وإن وردت إشارات إليه في بعض الكتب المتقدمة، وفي بعض الكتب الأدبية التي تناولت أعلام الشعراء في القرن الثالث عشر الهجري.. وفي تصوري أن إقدامي على تقديم دراسة

جامعية عن حياة ابن مشرّف وشعره تحت إشراف أحد أساتذة الأدب تقوم على العرض والتحليل والتفسير والتقويم سوف تكون فيها إضافة جديدة إلى المكتبة السعودية بإذن الله.

الدراسات السابقة:

عندما رحنا نستقصي الدراسات السابقة عن ابن مشرّف أعيتنا السبل، وأضنانا الجهد، فهذا الموضوع بكر لم يطرقه الباحثون اللهم إلا ضمن الحديث عن الشعر في ظل دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، فقد زودتنا بأخبار متفاوتة الأهمية، مختلفة في طرقها لفصول حياة الشاعر وأخباره تبعاً لتفاوت الموضوعات التي تناولتها هذه الكتب، واختلافها في الغايات التي رمى إليها أصحابها في سردهم أخبار ابن مشرّف..ونجد كثيراً من المصادر التي استشهدت بشعر ابن مشرّف دون أن تتعرض لذكر شيء من أخباره، بل اكتفى أصحابها بمادة الشعر دون صاحبه، كما تعرضت بعض المراجع والكتب الحديثة التي مرت بشيء من أخبار ابن مشرّف وألوانه، ولكنها أخبار يعتريها النقص في جميع الجوانب؛ ولذا جاءت هذه الدراسة لتغطية عدة جوانب مهمة تكشف عن حلقة مفقودة في سيرة الشاعر والتعريف الصحيح الوافي بذلك الأديب الكبير، الذي لم يجد من ينصفه أو يوفيه حقه من العناية.

فاتجهت أخيراً إلى العناية بحياته، وأدبه، والكشف عن جميع جوانبه، واستجلاء ظواهره؛ ليأخذ مكانه من العناية والدراسة.

منهج البحث وخطته:

مما تقدم كان لا بد من خطة ومنهج يسار عليهما، فكانت أولى الخطوات القراءة الكثيرة المتأنية في شعر المدة السابقة والمدة التي أدرسها؛ لتكوين فكرة متكاملة قبل الولوج في الموضوع، وللسير في خطا ثابتة قبل إطلاق الأحكام، وإبداء الآراء ووجهات النظر؛ لذلك كان لا بد من أن يفتتح البحث بتمهيد يتضمن دراسة الحياة السياسية والاجتماعية دراسة واعية، كما اقتضت سلامة المنهج أيضاً إلماماً سريعاً بالنواحي الأدبية والثقافية للقرن الثالث عشر الهجري. واقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى خمسة فصول: يتناول الفصل الأول دراسة لحياة الشاعر ابن مشرّف ومراحل حياته، من ولادته وحتى وفاته، وقسمته إلى سبعة مباحث، هي: اسمه ونسبه، وأسرته، ومولده ونشأته ثقافته وشخصيته، وصلاته برجال عصره، ووفاته وآثاره، وقد وقفت على تاريخ ولادته ووفاته اللتين اختلف فيهما المؤرخون، وانتهيت من مناقشة الآراء المختلفة إلى الرأي الراجح بالأدلة والبراهين.

أما **الفصل الثاني**، فقد خصصته للحديث عن ديوانه من حيث أصول الديوان، فقد بذلت قصارى جهدي للحصول على أصول الديوان؛ إلا أنني لم أتمكن من الحصول على ديوان مخطوط بالكامل، وإنما عثرت على بعض القصائد المتفرقة، كما تحدثت عن طبعاته وفائته، وقارنت بين الطبعة الهندية وما عثرت عليه من أصول.

وإذا ما انتقلنا إلى **الفصل الثالث** فنجده يدرس موضوعات شعره وقسم إلى عدة مباحث مرتبة كالآتي: شعر المديح، والشعر الديني، والشعر السياسي، والرثاء والهجاء، وشعر الغزل، والشعر التعليمي. وهناك بعض الأغراض التي قلّت فيها عناية الشاعر، فجمعت تحت عنوان «أغراض أخرى».

وجاء **الفصل الرابع** بعنوان «الخصائص الفنية»، وقد قسمته إلى مبحثين:

الأول: خصائص المضمون، وينطوي تحته التجربة الشعرية، ثم العاطفة، ويلي العاطفة الأفكار، ويتناول هذا المبحث مصادر أفكاره، والأصالة والمعاصرة، والوضوح والغموض.

والثاني: خصائص الشكل، ويتناول خمسة مباحث، أولها: بناء القصيدة، والمبحث الثاني: الألفاظ والتراكيب، وثالث هذه المباحث مظاهر الطبع والصنعة، والرابع الصورة الشعرية، أما آخر مبحث في الشكل، وهو المبحث الخامس فهو الأوزان والقوافي، والقافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر.

أما **الفصل الخامس**، فكان بعنوان: موازنة وتقويم، ورأيت في هذا الفصل أن أعقد مقارنة وموازنة موضوعية وفنية بين الشاعر أحمد بن مشرّف والشاعر سليمان بن سحمان، كما عرضت فيه آراء النقاد في شعر أحمد بن مشرّف، وناقشت هذه الآراء النقدية. أما مكانته بين شعراء عصره التي تنبئ عنها تلك الآراء المجملة التي أوردها النقاد، فقد استأثر ببعض اللفتات التي تبين منزلته ومكانته الشعرية بين شعراء عصره،فكان من بينهم ابن سحمان، وابن عثيمين، وما يتمتع به شاعرنا من منزلة رفيعة ومكانة عالية لا تقل عن ابن سحمان وابن عثيمين كما سيتضح.

وأخيراً جاءت الخاتمة التي تضمنت أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج.

المصادر:

عندما اتجهت إلى جمع المادة العلمية لبحثي هذا؛ لم أكن أتوقع أن أجد صعوبة كبيرة في الحصول على المصادر والمراجع للمادة العلمية، فأخذت أطرق كل سبيل ممكن للحصول عليها؛ رغبة في إضافة معلومات

جديدة لم يتم كشف النقاب عنها، وفي الوقت نفسه الإلمام بالموضوع من جوانبه كافة.

فمن أهم المصادر التي اعتمدت عليها، وأمدت البحث بمادة كبيرة ومهمة كتاب عثمان بن بشر «عنوان المجد في تاريخ نجد» بجزأيه، وجاءت أهميته لكونه مؤرخاً عاصر حكم الإمام فيصل بن تركي، فكانت كتاباته تصويراً صادقاً لتاريخ تلك الحقبة، كما أنني اعتمدت على مجموعة كبيرة من الكتب، مثل كتاب: «عقد الدر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول القرن الرابع عشر» لإبراهيم بن صالح بن عيسى وكتاب «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد» لمحمد الأنصاري، وكتاب «تاريخ الدولة السعودية الثانية» لعبدالفتاح أبو علية، وغيرها كثير، وهي ذات أهمية كبيرة لأي باحث في تاريخ المملكة العربية السعودية.

كما أفاد البحث أيضاً من كتب السير والتراجم، مثل: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة، و«علماء نجد خلال ستة قرون» لابن بسام، و«نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار»، و«شعراء هجر وأعيان القرن الثالث عشر في الفكر» لعبدالفتاح الحلو، كما أفاد أيضاً من كتب الدين والعقيدة من مثل: «مختصر العلق»، و«تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، و«مجموع فتاوى ابن تيمية»، و«قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين»، و«فتح الباري في شرح صحيح البخاري»، و«معارج القبول» و«بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين».

وليس بفائتي أن أشير إلى ما تيسر من دواوين ومجاميع شعرية لكثير من الشعراء، مثل ديوان: «عقود الجواهر المنضدة الحسان»، و«ديوان عمرو بن قميئة»، و«ديوان ابن المقرب العيوني»، و«ديوان الإمام الشافعي».

وأفدت في دراسة الخصائص الفنية في البحث من عدد من المصادر في النقد والبلاغة من مثل: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة، و«نقد الشعر» لقدامة

ابن جعفر، و«الصناعتين» للعسكري، و«العمدة» لابن رشيق، و«المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» لابن الأثير.

كما استفدت استفادة كبيرة من الدراسات الجديدة للأدب، مثل كتاب: «الحركة الأدبية» لبكري شيخ أمين، و«الأدب الحديث» للدكتور سعد بن حسين، و«الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين» للدكتور عبدالله الحامد، وغيرها كثير مما لا يتسع المجال لذكرها هنا مما تناثرت الإشارات إليها في هوامش الكتاب.

كما قمت برحلات علمية خارج المملكة العربية السعودية توخيت منها الفائدة للحصول على وثائق ومصادر مكملة للموضوع؛ لذلك سافرت إلى مملكة البحرين، حيث زرت دار الوثائق التاريخية، وقد وجدت عند المسؤولين تعاوناً صادقاً، فقد تم تصوير بعض الوثائق، وإرسال بعضها عن طريق البريد.

ومن ثم كانت المحطة الثانية جمهورية مصر، حيث قمت بزيارة دار الكتب المصرية، وقمت بتصوير بعض الكتب منها. أما داخل المملكة، فقد زرت عدداً من المكتبات الخاصة والعامة، والمكتبات الجامعية في كل من: الرياض، جدة، والمنطقة الشرقية.

كما أجريت عدة مقابلات وزيارات لبعض الشخصيات العلمية في المنطقة الشرقية، ولكن يا للأسف لم أجد تعاوناً كبيراً منهم، فهذا جهد متواضع، أرجو أن يؤدي الغرض المطلوب.

وبعد فلا أملك إلا أن أقول: ما أنا إلا مجتهد حاول أن يقول شيئاً، ويقدم شيئاً، فإن وفقت في بعض ما قلت فذاك ما أملت، وإلا فحسبي نصيب المجتهد وأجره، ومن الله وحده نستمد العون والتوفيق، فهو نعم المولى ونعم المعين.

تمهيد

- الحياة السياسية والاجتماعية في عصر الشاعر
- الحياة الثقافية والأدبية في عصر الساعر
- بيئة الشاعر

-١-

الحياة السياسية والاجتماعية في عصر الشاعر

الحياة السياسية:

إن التاريخ السياسي لمنطقة الأحساء مر بحقب بارزة لا يمكن تجاهلها، ولكن هذه الحقب خدمها كثيراً أهل العلم، فرأيت أن ألقي الضوء على زمن استيلاء الدولة العثمانية على الأحساء وجاء اختياري هذه الحقبة بعدما رأيت التقارب والتلاحم الكبيرين بينهما وبين عصر شاعرنا أحمد بن مشرّف.

ففي نحو سنة ٩٥٨هـ- (١٥٥١م) تم استيلاء الأتراك على هذا الإقليم، ولكن لم تدم مدة حكم العثمانيين في الأحساء طويلاً، إذ ثارت عليهم قبيلة بني خالد بقيادة زعيمهم براك بن غرير بن حميد الخالدي الذي استطاع طرد العثمانيين من بلاده، وأعلن نفسه حاكماً على الأحساء والقطيف سنة ١٠٨١هـ- (١٦٧٠م)، واستطاع أبناؤه وأحفاده من بعده أن يؤسسوا دولة قوية في هذه البقاع استمرت إلى سنة ١٢١٠هـ، إلى أن ظهرت الدعوة السلفية على يد الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) في نجد[١].

وإذا رجعنا إلى القرن الثاني عشر الهجري، وقبل ظهور هذه الدعوة كان العرب في نجد، وفي الشطر الشرقي من شبه الجزيرة العربية منغمسين في عقائد وعبادات، أبعدت العرب - بادية وحاضرة -عن حقيقة الدين الكبرى،

---

(١) تاريخ الأحساء السياسي، ص٢٦.

وجوهر الوحي، أبعدتهم عن الإسلام الذي جاء يبطل عبادة الأوثان، وكل ما فيه من روح العبادة لغير الله، فعادوا إلى ما كانوا فيه من ضلال[١].

وعلى أية حال، فقد كانت المنطقة بحاجة إلى دعوة إصلاحية توضح للجهال من الناس ما كان خافياً عليهم، وتقضي على الوسائل التي تؤدي إلى ما يخل بعقائدهم، وتلزم في الوقت نفسه من كانوا لا يؤدون شعائر الإسلام من صلاة وصوم ونحوهما أداءها. في وسط هذا الجو ولد شيخ الإسلام، الإمام محمد بن عبدالوهاب[٢]، وكانت ولادته في سنة ١١١٥هـ (١٧٠٣م)، في العيينة[٣]. وتلقى تعليمه الأولي فيها[٤]. وتوفي بالدرعية سنة ١٢٠٦هـ (١٧٩١م). وهو ينتمي إلى أسرة تدعى آل مشرّف، وهي فرع من آل وهبة - أحد بطون قبيلة بني تميم - وكان مشرّف هو الجد التاسع للشيخ محمد، على حسب الروايات التاريخية الراجحة، فنسبه محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرّف[٥].

وكان عبدالوهاب بن سليمان - والد الشيخ محمد - على درجة علمية أهلته ليصبح قاضياً في بلدة العيينة، حيث كان القضاء وظيفة ذات دخل جيد، مما أتاح الفرصة لصغار أفرادها للتفرغ للعلم[٦].

وهكذا ولد الشيخ محمد في أسرة علمية بادية الثراء، فقد أظهر محمد رغبة عظيمة في التعليم منذ صغره. ويذكر ابن غنام أنه حفظ القرآن قبل

---

(١) أمين الريحاني. تاريخ نجد الحديث، ص٣٥.

(٢) الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، علماء بعد نجد خلال ستة قرون، ج١، ص٢٥.

(٣) أحمد حسن، مشاهداتي في جزيرة العرب، ص٢١٤.

(٤) عثمان الصالح الصوينع، حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر، ج١، ص٣٦.

(٥) عبدالله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره، ص٢٥.

(٦) المرجع السابق، ص٢٧.

بلوغه السنة العاشرة من عمره، وبعد أن انتهى من هذه المهمة شرع في دراسة العلوم الشرعية الأخرى، وبخاصة الفقه الحنبلي الذي أخذ يدرسه على يد أبيه عبدالوهاب[١].

ثم راح يطوف بالبلاد لتلقي العلم، فكانت خطوته الأولى إلى مكة المكرمة حيث حج للمرة الثانية، ثم سافر إلى المدينة المنورة وقرأ على يد العلامة الشيخ عبدالله بن سيف، ومحمد حياة السندي، وكان لهذين العالمين أثر كبير في الشيخ لتحصيلة العلمي، ولاتجاهه الإصلاحي أيضاً، ثم رجع إلى بلده العيينة حيث واصل قراءة الكتب العلمية المختلفة مركزاً في مؤلفات ابن تيمية. وقد تبلورت عنده فكرة المناداة بالإصلاح، وبعد مدة رحل إلى البصرة، وقرأ على الشيخ محمد المجموعي، ثم توجه إلى الأحساء، وقرأ على العلامة عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي، والشيخ محمد بن عفالق، ثم توجه إلى مدينة «حريملاء» وقد عين والده قاضياً فيها، فشرع في دعوة الناس، وانضم إليه جماعة من صلحاء المسلمين، وعندما توفي والده سنة ١١٥٣هـ (١٧٤٠م) همّ السفهاء والعبيد من أهل حريملاء بالفتك به، فخرج منها، وعاد إلى العيينة مسقط رأسه[٢].

أعلن الشيخ دعوته في العيينة بعد عودته إليها التي تتلخص في أنه لا نجاة للمسلمين إلا بالرجوع إلى الدين الحنيف، والأخذ بما أخذ به السلف الصالح، ثم انطلق أثر ذلك في نشر الدعوة متنقلاً من حريملاء ثم العيينة فالدرعية، حيث ناصره حاكمها محمد بن سعود، وتبايعا معاً على إعلاء كلمة الله، فيكون لمحمد بن سعود شؤون الحكم والسياسة، وللشيخ محمد بن عبدالوهاب شؤون الدين والقضاء والفتيا[٣]، ومنذ ذلك الحين أخذ شأن الدرعية يعلو، وأصبحت عاصمة دينية وسياسية.

---

(١) عبدالله الصالح العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره، ص ٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨.

(٣) الصوينع، حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر، ج١، ص٣٩.

بعد ذلك أمر الشيخ بمجاهدة كل من لا يتبع تعاليم الإسلام الحنيف، وكانت أول مواجهة عدائية لقيتها الدعوة بعد انتشارها في الدرعية، هو ما قام به دهام بن دواس - أمير الرياض - آنذاك في إظهار العداوة للدعوة السلفية وأصحابها، مما أدى إلى قيام عدد من الحروب والمعارك بين الطرفين استمرت منذ سنة ١١٥٨هـ حتى سنة ١١٨٧هـ (١٧٧٣م)، وانتهت الحروب بينهما في ذلك العام حين فرّ دهام من مدينة الرياض إلى مدينة الدِّلَم؛ وذلك في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود؛ وبفرار دهام تمكن الإمام عبدالعزيز من دخول الرياض وامتلاكها [1].

ونجد أن الدولة السعودية الأولى لم تكن قادرة في أول عهدها على شن غاراتها على الأحساء نفسها، بل اكتفت بصد هجمات بني خالد عليها، وعلى البلاد التابعة لها.

وبعد أن أخذ الضعف يدب في حكام بني خالد، أصبحت في حالة تساعدها على شن هجماتها على إقليم الأحساء نفسه خصوصاً بعد موت أمير الأحساء (عريعر بن دجين)، وتنازع أولاده أمراء بني خالد السلطة.

وقد انتهز آل سعود فرصة الضعف الذي آل إليه إقليم الأحساء وأمراؤه، فبدلت أسرة آل سعود سياستها العسكرية من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم [2].

وفي سنة ١١٩٨هـ بدأ قادة الدرعية جهودهم للسيطرة على الأحساء، وكانت أول غزوة يوجهها آل سعود للسيطرة على الإقليم تلك التي قادها سعود بن عبدالعزيز سنة ١١٩٨هـ، ونجح في الاستيلاء على كثير من المواشي والأمتعة.

---

(١) دلال السعيد، علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج، ص١٩،١٨.

(٢) مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، ص٣٢.

وفي سنة ١٢٠٢هـ وصلت القوات السعودية إلى الأحساء بقيادة سليمان بن عفيصان مرتين. هاجم في الأولى منها قرية الجشة، وهاجم في الثانية ميناء العقير.. وفي السنة التالية توجه سعود بن عبدالعزيز بقواته إلى الأحساء حيث وصل إلى بلدة المبرز، ثم تركها بعد مناوشات قصيرة، واتجه إلى قرية الفضول، ثم عاد إلى الدرعية.

وفي سنة ١٢٠٤هـ توجه سعود بن عبدالعزيز بقوات كبيرة إلى إقليم الأحساء لمحاربة بني خالد، وتمكن من هزيمة القوات الخالدية[١]. وبويع الأمير سعود نيابة عن والده على دين الله ورسوله ﷺ وعلى السمع والطاعة[٢]. وقد استمرت عمليات آل سعود العسكرية متواصلة لضم الأحساء حتى سنة ١٢٠٧هـ (١٧٩٢م) حيث وصلت إلى ماء اللصافة، فحاول أميرها براك بن عبدالمحسن أن يصد القوات السعودية، ولكن هزم في معركة «الشيط» شرق اللصافة.. وعلى أثر هذه الهزيمة لم يجد أمير الأحساء بداً من الدخول في طاعة آل سعود، والامتثال للدعوة السلفية؛ لذلك أرسل إلى الأمير سعود بن عبدالعزيز يدعوه للقدوم عليه ومبايعته. وفعلاً ذهب إليه ونزل قرب «عين نجم» حيث قاموا بمبايعته. ولكن ما كاد الأمير سعود يخرج من الأحساء عائداً في طريقه إلى الدرعية حتى وصلته الأنباء بأن أهل الأحساء ثاروا على ممثلي الدرعية لديهم، وقاموا بقتلهم، فما كان من الأمير سعود إلا أن قام بإعادة الكرة في العام التالي وشن غارة انتقامية ضخمة على الأحساء جزاء لهم على ما فعلوه وحتى يضع حداً لتمردهم[٣].

وتحت تأثير العمليات العسكرية التي قام بها جنود الدرعية، وشدتها أدرك أمراء الأحساء من بني خالد أنهم لا قبل لهم بقوات آل سعود، فتوجهوا

---

(١) العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص١١٩-١٢٠.

(٢) السعيد، علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج، ص٢٠.

(٣) مديحة. تاريخ الدولة السعودية، ص٣٣، ص٣٢.

إلى الإمام عبدالعزيز بالدرعية، وطلبوا منه الأمان، كما طلبوا منه أن يكف ابنه الأمير سعود عن بلادهم. فأجابهم الأمير عبدالعزيز إلى طلبهم، كما أمر بتعيين براك بن عبدالمحسن حاكماً على بني خالد من قبل آل سعود[١].

على أن بعض أعيان الأحساء لم يخلدوا إلى الراحة، فقد ثاروا على الحكم الجديد في عام ١٢١٠هـ، حيث اتجه إلى الأحساء سعود بن عبدالعزيز ومعه قوات كبيرة، وحين أخضعهم ولّى على البلاد أميراً من عامة الناس[٢].

وهكذا تمكن سعود في النهاية من هزيمة أهل الشرق، وإخضاع إقليم الأحساء إلى الدرعية، وتطبيق مبادئ الدعوة السلفية في جميع قرى هذه البلاد. ولم يبق أمام آل سعود إلا القطيف التي أرسل إليها الأمير عبدالعزيز إبراهيم بن عفيصان بجيش للاستيلاء عليها..وقد استطاع إبراهيم هزيمة جيش القطيف والاستيلاء على قراها، وعلى قلعتي القطيف، وتاروت، ثم كرّ راجعاً إلى الدرعية[٣]. وهكذا دخلت الأحساء في ملك السعوديين في العصر الأول للدولة السعودية في عهد عبدالعزيز بن محمد بن سعود على يد ابنه سعود الكبير سنة ١٢١٦هـ (١٨٠١م)[٤].

وفي سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) الثاني عشر من رجب اغتيل الإمام عبدالعزيز، وهو يؤدي صلاة العصر في مسجد (الطريف) بالدرعية[٥]. ويقول خالد الفرج: «مات الإمام عبدالعزيز وحدود مملكته من مشارف الشام في الشمال إلى مجاهل الربع الخالي في الجنوب، ومن ساحل البحر الأحمر في

(١) مديحة، تاريخ الدولة السعودية، ص٣٢، ٣٣، ٣٤.
(٢) العثيمين. تاريخ المملكة العربية السعودية، ص١٢٢.
(٣) مديحة، تاريخ الدولة السعودية، ص٣٥.
(٤) محمد إبراهيم لامو. أضواء حول الإستراتيجية العسكرية، ص٩٩.
(٥) عبدالمنعم الغلامي. الملك الراشد، ص١٢.

الغرب إلى ضفاف الخليج في الشرق»[١]. وتمت البيعة بالإمامة لسعود سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) عقب وفاة والده، وقاد بنفسه عدة معارك حالفه الظفر فيها، فتكاثرت جنوده، واتسعت فتوحاته، ووصلت جنوده إلى اليمن[٢]. ويقول ابن بشر: «لم تهزم له راية»[٣].

وفي سنة ١٢٢٩هـ (١٨١٤م) توفي الإمام قائد الجنود الذي اجتمعت له السيادة والسعود سعود بن عبدالعزيز[٤]، وهو من أعظم رجال هذا البيت شجاعة وحصافة. بويع بعده ابنه الإمام عبدالله بن سعود بايعه جميع الرعايا البادية والحاضرة[٥]، وتعددت المعارك في عهده، ففي السنة نفسها سار الإمام بجيش كثيف، وقصد جهة القصيم، ثم الحجاز حيث أغار على الأعراب الخارجين عن طاعته، وفي سنة ١٢٣٠هـ أرسل الإمام عبدالله أخاه فيصلاً إلى بلده «تربة» في عدد كبير من المجاهدين، علم بذلك محمد علي، فقاد ما لديه من قوات تركية ومصرية إلى «تربة» والتقى الجمعان، ودرات معركة اختلّ فيها توازن القوات السعودية، وسرت فيهم الهزيمة، وتوجه فيصل بن سعود بمن معه إلى «رنية» واحتلها، ثم توجه إلى «الدرعية». ولما بلغ الإمام عبدالله ابن سعود الخبر استنفر أعوانه، وخرج من الدرعية، وسار إلى «المذنب»، ثم «الرويضة»، ووقعت بينهم وبين القوات المصرية مناوشات قتل فيها عدد كثير من القوات المصرية، ثم رحل عبدالله بن سعود، وتوجه إلى «عنيزة»، ومن «عنيزة» نزل «الحجناوي» الماء المعروف بين عنيزة والرس، وبقي القتال مدة شهرين حتى تم الصلح بين الإمام عبدالله وابن طوسون.

---

(١) الزركلي. شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج١، ص٣٨، ٣٧.

(٢) عبدالمنعم الغلامي. الملك الراشد، ص١٦.

(٣) الزركلي. شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ص٣٩.

(٤) عثمان بن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، ص١٦٧.

(٥) المرجع السابق، ص١٧٨.

وفي سنة ١٢٣١هـ سار الإمام عبدالله بجموع من المسلمين، وقصد ناحية القصيم، ونزل قرية «الخبراء»، وهدم سورها، وسور «البكيرية» عقوبة لهم بسبب دخولهم في طاعة القائد المصري. بلغ الأمر محمد علي، فجهز جيشاً بقيادة إبراهيم باشا، وتوجه إلى المدينة المنورة، واستولى عليها وعلى ما حولها من القرى، ثم سار إلى «الحناكية» فانحازت إليه.

دخلت سنة ١٢٣٢هـ فسار إبراهيم باشا من «الحناكية» إلى «الرس»، فحاصرها حصاراً شديداً، ولما طال الحصار طلبوا المصالحة، فتم الصلح، وسلمت له كذلك عنيزة وبريدة، ثم توجه إلى «شقراء»، فجرى بينهم قتال شديد دام مدة أسبوع، وعقدوا بعد ذلك الصلح حقناً للدماء[1].

وفي سنة ١٢٣٣هـ توجه إبراهيم باشا إلى «الدرعية»، فاشتعلت الحرب الطاحنة بين العساكر المصريين وأهل الدرعية استمرت ستة أشهر، وتم الصلح، ثم توجه الجيش المصري إلى محاربة الإمام عبدالله، فاستسلم، وحمل وبصحبته ثلاثة من أقربائه إلى مصر، فالأستانة حيث شنقوا في ميدان أيا صوفيا سنة ١٢٣٤هـ (١٨١٨م).

وفي سنة ١٢٣٥هـ (١٨٢٠م) حكم مشاري أخو الإمام عبدالله، فكان أول من حكم الدرعية من آل سعود بعد النكبة، فلم يسع ابن معمر إلا مبايعته.

ولكن أمره لم يطل، فإن محمد بن معمر خرج من الدرعية، وجمع جيشاً، ودخلها بغتة، فقبض على مشاري بن سعود في قصره، وثار على ابن معمر، في السنة نفسها ١٢٣٥هـ أمير آخر من آل سعود هو تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، فدهم ابن معمر في قصره بالدرعية، وقبض عليه.

وفي سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م) تمكن الإمام تركي من دخول الرياض.. بعد ذلك توافد إليه أمراء معظم البلدان النجدية لمبايعته على السمع والطاعة والولاء له.

(١) تحفة المستفيد، ص٢٤٤ إلى ص٢٥١.

وما إن أقبلت سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٥م) حتى أصبحت بلدان نجد كافة تدين بالولاء للإمام تركي، ما عدا إقليم الأحساء وما يليه ثم بعد ذلك اتجه بنظره إلى الأحساء الخاضعة لحكم بني خالد آنذاك. وكان أول الاشتباكات بين الإمام تركي وحاكم الأحساء «ماجد بن عريعر» وقعت خلال سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٩م) دون أن يكون لها نتيجة حاسمة.

وفي سنة ١٢٤٥هـ (١٨٢٩م) أخذ بنو خالد زمام المبادرة حين خرج ماجد بن عريعر - أمير الأحساء - بجنود كثيرة لقتال الإمام تركي، فخرج عليهم ابنه فيصل، واشتبك معه في معركة قوية، وصادف أن مات ماجد بن عريعر في ذلك الوقت؛ مما شجع الإمام تركي على الإقدام بنفسه على أرض المعركة، وذلك في شهر رمضان سنة ١٢٤٥هـ (١٨٣٠م)، واشتبكت القوتان في معركة فاصلة عرفت بوقعة «السبية» لكثرة ما سبي فيها من الأموال والحلي والأثاث والماشية، وانتهت بهزيمة جيوش بني خالد وانسحابهم فدخلها الإمام، واجتمع إليه أهلها يبايعونه على السمع والطاعة، كما قدم عليه رؤساء القطيف وبايعوه(١). واستمرت دولته تنعم بالأمن والرخاء والتوسع حتى مقتله(٢) على يد مشاري بن عبدالرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود(٣) في يوم الجمعة آخر شهر ذي الحجة سنة ١٢٤٩هـ (مايو/ أيار ١٨٣٤م) ويعدّ بحق المؤسس الأول للدولة السعودية الثانية (٤)، وبويع من بعده ابنه فيصل في قصر الرياض، في أوائل سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م)(٥).

ثم شغل الإمام بتوطيد الأمن في البلاد، وبخاصة المناطق الشرقية من شبه الجزيرة العربية التي شهدت خروج بعض سكانها على طاعة الدولة

---

(١) السعيد. علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج، ص٥٣، ٥٤، ٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص٦١.

(٣) الزركلي. شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ص٤٤.

(٤) السعيد. علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج، ص٤٤.

(٥) الزركلي. شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ص٤٥.

السعودية، ولهذا فحين استقرت له الأمور في نجد رأى ضرورة العمل لإنهاء الخلاف في الإقليم الشرقي فبعث في شهر ربيع الآخر من سنة ١٢٥١هـ (١٨٣٥م)، حملة إلى القطيف نجحت في تثبيت حكمه هناك، ثم قدم ابن أمير القطيف، وأمير سيهات على الإمام فيصل، وبايعاه على السمع والطاعة، وأعلنا التبعية والولاء له[١].

واستتب له الأمر سنوات بعد مقتل أبيه، غير أن الدولة العثمانية ما كانت لتترك فيصلاً هذا وشأنه، بل أوعزت إلى والي مصر أن يوجه عساكر كثيرة إلى نجد، فسير الوالي هذه العساكر بقيادة إسماعيل باشا مصحوباً بأحد أبناء سعود بن عبدالعزيز، وكان يدعى خالد بن سعود سنة ١٢٥٢هـ، واستمرت العساكر في زحفها، فوصلت إلى الرياض، ولم يقدر فيصل أن يقاومها، لأن بادية أهل نجد انقلبت عليه، فرأى فيصل أن من الحكمة مغادرة الرياض والذهاب إلى جهة الأحساء[٢].

احتلت العساكر الرياض في سنة ١٢٥٣هـ، ونصب خالد بن سعود أميراً عليها من قبل المصريين، وعندما علم الإمام فيصل بهزيمة خالد في غزوة الحلوة قام بتجميع القبائل، وضمهم إليه[٣]، وحاصر الرياض، إلا أن بعض القبائل أقبلوا بأتباعهم لمساعدة خالد بن سعود، ففكّ فيصل الحصار، فاشتدّ ساعد خالد، وقويت معنوياته، فخرج لقتال فيصل حيث تحصن في الدِّلَم، وبعد قتال شديد، ومناوشات كثيرة، ووقائع وخسائر في الأرواح والعتاد بين الطرفين أُضْطُرّ فيصل إلى التسليم بلا قيد ولا شرط، إلا أن يعفو القائد إسماعيل عن جميع الأهالي الذين تبعوا فيصلاً، وأن يؤمنوا على الروح والمال، واستسلم فيصل وأبناؤه محمد وعبدالله، وأخوه جلوي سنة

---

(١) السعيد. علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج، ص٦٨.

(٢) سعود بن هذلول. تاريخ ملوك آل سعود، ج١، ص٢٠.

(٣) المرجع السابق. ج١، ص٢١.

١٢٥٤هـ، وحمل إلى مصر، وهناك اعتقل في سجن القلعة(١).

وفي سنة ١٢٥٧هـ خرج عبدالله بن ثنيان على خالد بن سعود، ونازعه الحكم، وبدأت الحرب بينهما، وانتصر فيها عبدالله وتسلّم الحكم في نجد، وفي سنة ١٢٥٩هـ كان أمر نجد لعبدالله بن ثنيان، فلما بلغ الخبر فيصل بن تركي صار يدبر أمر هربه، لينتزع الملك من ابن ثنيان، فسهل الله له ذلك(٢)، إذ استطاع الانفلات من معتقله في مصر هارباً، فجاء إلى حائل، وبمساعدة عبدالله بن رشيد استطاع أن يجمع القبائل، وقام معه أهل عنيزة وسار إلى الرياض، وحاصر عبدالله بن ثنيان في قصر الرياض إلى أن ظفر به، وحبسه، فمات في الحبس بعد منتصف السنة نفسها(٣). وكما كان متوقعاً بعد دخول نجد تحت طاعته اتجه إلى المنطقة الشرقية من البلاد، فبعث عبدالله بن بتال المطيري إلى الأحساء ليتولى مقاليد الأمور. ومن الواضح أن السكان كانوا مستعدين للانضمام إلى الإمام الجديد، إذ لم يجد ابن بتال أية معارضة منهم. وإذا كان سكان كل من نجد والأحساء قد رحبوا، بصفة عامة، بالإمام فيصل وحكمه، فإن بعض القبائل لم تحبذ الخضوع للسلطة(٤). فخرجت عليه سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٢م) عشيرة المناصير التي تقيم في المناطق الشرقية الساحلية على الخليج العربي، وكذلك بعض قبائل بني المرة وبني هاجر.

سار فيصل بقواته إلى الأحساء والقطيف، واستطاع أن يعيد الأمن إليها(٥). وهكذا أصبحت بلاد الأحساء كلها جزءاً من دولته. وقبل أن يعود

---

(١) سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ج١، ص٢٣.

(٢) منير العجلاني. تاريخ البلاد العربية السعودية، ص١٠٢.

(٣) الزركلي. شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج١، ص٤٥.

(٤) العثيمين. تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص٢٦٥، ٢٦٦.

(٥) عبدالفتاح حسن أبو علية. تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص ١٠٤، ١٠٥.

منها إلى الرياض عين أحمد بن محمد السديري أميراً للأحساء، وعبدالله بن سعد المداوي أميراً للقطيف[١].

عاد بعدها فيصل إلى الرياض في بداية صيف سنة ١٢٦١هـ (١٨٤٤م)[٢]. ومن كرم الله سبحانه وتعالى على الإمام فيصل بن تركي أن مدة حكمه الثانية شهدت خلو منطقة نجد من قوات محمد علي - الوالي العثماني على مصر - وجنده، وكما هو معروف، فقد ساهمت اتفاقية لندن سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) في انسحاب تلك القوات من وسط شبه الجزيرة العربية وشرقها، وعلى هذا النحو لم تكن هناك قوات أجنبية تزعج الإمام فيصل داخل دولته. كذلك فإن عدم تعرض دولة الإمام فيصل لأي هجوم خارجي كان من العوامل التي مكنته من إخضاع القسم الأكبر من بلدان شبه الجزيرة العربية، وساعده على ذلك التفاف السكان والأهالي وأمراء المدن ورؤساء القبائل حوله، ورغبتهم في الانضمام تحت قيادته الحكيمة، ودولته المترابطة[٣].

تولى الإمام فيصل الحكم في الرياض بعد مقتل والده، وكان فيصل آنذاك في الإقليم الشرقي للدولة السعودية، وعندما علم بمقتل والده، نزل قريباً من الرياض، حيث أخذ يعد العدة، ويخطط للقبض على مشاري بن عبدالرحمن.. وحين أقبل الصبح دخل فيصل المدينة، وكان ذلك في ليلة الخميس الحادي عشر من شهر صفر سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م)، وبعد ذلك تمكن جند الإمام فيصل من دخول قصر الرياض، والقبض على مشاري بن عبدالرحمن، وقتله ومعه ستة من رجاله[٤].

---

(١) العثيمين. تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) عبدالفتاح. تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص١٠٥.

(٣) السعيد. علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج، ص١٠٨.

(٤) المرجع السابق، ص٦٦.

يقول أحمد بن مشرّف:

حتى إذا حدق الخميس بمن بغى ... حنقاً وجدّبه الذي لم يهزلِ
عض على طرف البنان، وقال من ... فرط الأسى: يا ليتني لم أفعلِ
فهناك أيقن أن أنجم سعده ... أفلت وطالع نحسه لم يأفلِ
وهناك أسلمه الحكيم إلى البلى ... لما طغى وأطاع كل مضلّلِ[(١)]

إلى قوله:

فأتاه بأس الله داخل حصنه ... مع صاحبيه فلم يروا من موئلِ
فغدوا حصيداً للسيوف وللقنا ... صرعاء بين مجرح ومجندلِ
وسقى بهاأسقت يداه حميمة ... كأساً أمر مذاقه من حنظلِ[(٢)]

بذلك تسلم فيصل الإمامة.. وبعد أن استقر له الأمر في مدينة الرياض، أقبل أهل القرى المجاورة، وبايعوه[(٣)]، فقال أيضاً:

جمع الإله له القلوب فأجمعت ... كل النفوس على إمامة فيصلِ
وانقاد كل المسلمين لأمره ... طوعاً وتلك مواهب المتفضلِ[(٤)]

وفي سنة ١٢٦٧هـ سار الإمام فيصل بجيشه، ومعه علماء وقضاة، إلى الأحساء، ونزل على (حليوين) الماء المعروف. وكان يقصد بمسيره(البحرين)؛ لأنه بلغه عنهم بعض المخالفة، وقطع شيء من الخراج الموضوع عليهم، فلما وصل هذا الماء أرسلوا إليه يطلبون المصالحة والمسامحة، فلم يقبل منهم[(٥)].

(١) الديوان، ص٨٧.
(٢) الديوان، ص ٨٧.
(٣) السعيد. علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج، ص ٦٧.
(٤) الديوان، ص٨٧.
(٥) منير العجلاني. تاريخ البلاد العربية السعودية، الدولة السعودية الثانية، ص١١٧.

وفي سنة ١٢٧٩هـ استعمل الإمام فيصل، محمد بن أحمد السديري أميراً على بريدة، وعلى سائر القصيم، وكان قبل ذلك أميراً للأحساء[١].

وفي سنة ١٢٨٠هـ طلب أهل الأحساء من فيصل إعادة السديري إليهم، ففعل فيصل، وعين على بريدة سليمان الرشيد، ثم عزله، وأمر مهنا الصالح أبا الخيل، فباشر أعمال الدولة ابنه عبدالله يعاونه ابنه الثاني محمد، وهو - أي الإمام فيصل - المرجع الأعلى فيها، إلى أن توفي في الرياض سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) وقد خلف أربعة أولاد: عبدالله، ومحمد، وسعود، وعبدالرحمن[٢].

وقال ابن مشرّف يرثي الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ:

على فيصل بحر الندى والمكارم ... بكينا بدمع مثل صوب الغمائمِ
إمام نفى أهل الضلالة والخنا ... بسمر القنا والمرهفات الصوارمِ
تغمده المولى الكريم برحمة ... وأسكنه الفردوس معْ كلّ ناعمِ[٣]

وقال أيضاً سنة ١٢٨٣هـ:

وقائلةٍ أقصرْ فما بعد فيصلٍ ... لذي أدب حظٌ فماذا تحاولُهْ
أترغب في نظم القريض وجسمه ... مواريً بقبر غيبته جنادلُهْ
فقلت: دعيني إن يكن مات فيصل ... فخالقه حي وما مات نائلُهْ[٤]

وبعد وفاة الإمام فيصل بن تركي، تولى الإمامة كبير أبنائه عبدالله بن فيصل، سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م)[٥]. ومن ذلك قول الشاعر ابن مشرّف

---

(١) منير العجلاني. تاريخ البلاد العربية السعودية، الدولة السعودية الثانية، ، ص١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص١١٧.

(٣) الديوان، ص١٠٠.

(٤) الديوان، ص٩٠.

(٥) خير الدين الزركلي. شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، ص٤٧.

في سنة ١٢٨٣هـ:

فقد ورَّث المجدَ المؤَثَّلَ والندى لنجلٍ زكت أخلاقه وشمائلُهْ
أبو النجم عبدالله حامي حمى الهدى بغرته بشر الندى ومخايلُهْ(١)

وفي عهده كان الخلاف الذي جَرَّ إلى تحكم آل رشيد في البلاد، وإلى انبساط يدَ الترك فيما نسميه اليوم المنطقة الشرقية: الأحساء، والقطيف، حيث خرج عليه أخوه سعود، وترك الرياض ناقماً، سنة ١٢٨٣هـ، وأغار على الأحساء فقاتله أهلها والأمير عليها من قبل عبدالله، أحمد بن محمد السديري، فظفر سعود، وحصرهم في الهفوف، وعلم أن أخاه عبدالله وجه لقتاله جيشاً يقوده محمد أيضاً. فترك الهفوف (ويقال لها: الهفهوف) وتصدى لأخيه محمد، فتلاقيا على (ماء جودة) في غرب الأحساء على نحو ١١٥ كيلاً من الهفوف.. وفي٢٧رمضان سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) انهزم جيش محمد، وقتل منه نحو ألفين، ووقع محمد في أسر أخيه سعود، فسجنه في القطيف، وتم له الاستيلاء على الأحساء، وعلم عبدالله، في الرياض، بما حدث في الأحساء، فارتاع، وخرج من الرياض بأهله وخاصته، وخيم على ماء يدعى (البعيثة) في شمال هجرة «قبة»، وبلغ منه الهلع أن أرسل أحد رجاله (عبدالعزيز بن عبدالله أبابطين) برسائل وهدايا إلى والي بغداد مدحت باشا، ومتصرف البصرة، ومحمد النقيب(٢) يستنصرهم على أخيه سعود (٣).

---

(١) الديوان، ص٩١.

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبدالرحمن شمس الدين بن النقيب، ولد سنة ٦٦١هـ (١٢٦٣م)، مفسر من قضاة الشافعية دمشقي، ولي الحكم بحمص وطرابلس، ثم بحلب، ودرس بدمشق. له «عمدة السالك وعدة الناسك» و«مقدمة في التفسير». توفي في دمشق سنة ٧٤٥هـ (١٣٤٤م).

(٣) خير الدين الزركي، شبه الجزيرة، ص٤٨.

وقد استغلت السلطات العثمانية فرصة استنجاد الإمام عبدالله بن فيصل بها ضد أخيه سعود، فأرسلت حملة عسكرية تمكنت من الاستيلاء على إقليم الأحساء، والقطيف، وذلك سنة ١٢٨٨هـ. وظلت المنطقة تحت حكم العثمانيين حتى انتزعها منهم الملك عبدالعزيز سنة ١٣٣١هـ. وقد تعاقب على حكمها خلال تلك المدة كثير من المتصرفين، بعضهم من أصول عربية، وبعضهم من أصول غير عربية[١].

وفي سنة ١٣٣١هـ وفي شهر ربيع الأول غادر عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل بجيشه بلدة الرياض، متوجهاً إلى الأحساء، ولما نزل على بعض المياه القريبة منها، جاءت النذر إلى متصرف الأحساء، فأخبرته أن عبدالعزيز قد وصل بجيوشه إلى قرب الأحساء، فأرسل المتصرف رسولاً يسأل عبدالعزيز عما يريد من هذه الناحية، فقال: إني أريد أن أغزو قوماً معادين من جهة الكويت، وأريد أن أشتري الطعام من الأحساء لتموين الجيش، وفعلاً قام عبدالعزيز بإرسال قافلة لشراء ما يحتاجون إليه من مؤونة.. وفي ليلة الخامس من جمادى الأولى، سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة، أحاطت جنوده بالرقيقة، وسار هو مع ستمئة رجل من أهل الرياض والخرج، واتجهوا إلى الكوت من الناحية الغربية، وتسور السور وتبعه الجند، وكان حرس السور نائمين، ثم اتجهوا بعد نزولهم إلى الكوت إلى الباب الشرقي الذي يلي السوق، وفتحوه والناس يغطون في نومهم، ثم أمر من كان معه أن يصعدوا إلى الأبراج التي في السور، وينزلوا من كان فيها من الحرس، ففعلوا ما أمرهم به، ولما ملك السور والبرج، ولم يبق إلا الحصون، أمر منادياً بأعلى صوته: إن الملك لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، فاستيقظ الناس على صوت البنادق المتبادلة بين الجنود السعوديين والجنود العثمانيين القابعين في الحصون، واتجه الملك عبدالعزيز إلى بيت الشيخ عبداللطيف الملا، ولما علم الناس

(١) عبدالله الصالح العثيمين. تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص٤٢.

بحقيقة الأمر سارعوا في آخر ليلهم إلى عبدالعزيز يهنئونه بالفتح، ويبايعونه على السمع والطاعة على كتاب الله وسنة رسوله، ولم يمض ذلك اليوم حتى تمت البيعة من جميع سكان الأحساء، وكتب الشيخ العلامة عبدالله بن الشيخ علي آل عبدالقادر ساكن بلد المبرز لعبدالعزيز كتاباً تهنئة بالفتح وضمنه هذه الأبيات:

وفت السعود بوعدها المضمون ... وترادفت بالطائر الميمونِ
وعلا لواء المسلمين وعاينوا ... تحقيق آمال لهم وظنون
تهنيك يا هذا الإمام سعادة ... بالنصر والإعزاز والتمكين
فقت الملوك بسالة وسياسة ... هيهات ما من مشبه وقرين
قرت بك الأحساء عيناً إنها ... ترجو صلاح أمورها والدين[1]

الحياة الاجتماعية:

تعد واحة الأحساء من أقدم مراكز الاستقرار البشري والحضاري في العالم؛ فهي مستقر مجتمع عربي مسلم له مميزاته وعيوبه؛ إلا أن هناك خصائص ينفرد بها كل جزء من أجزاء المجتمع الإسلامي، وسمات تتسم بها كل ناحية من النواحي، إلا أنه ليست هناك فروقات حادة تبعد كل جزء عن الآخر لسبب واحد هو أن المجتمع العربي الإسلامي تجمعه وحدة اللغة، ووحدة الديانة.

لذلك تجد أن المجتمع الأحسائي لا يخرج عن هذا النطاق؛ لأنه عربي معتز بعروبته، ومسلم متمسك بعقيدته[2].

وليس ثمة من ينكر أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يدين به أهل الأحساء، فجميع السكان مسلمون[3].

---

(١) الأنصاري. تحفة المستفيد، القسم الأول، من ص٢٠٧ إلى ص٢١٠، ط١.
(٢) عبدالله شباط. صفحات من تاريخ الأحساء، ص١٦٦.
(٣) أبو علية. الإصلاح الاجتماعي، ص٤٧.

وإذا قمنا بجولة سريعة في منطقة الأحساء للتعرف إلى السكان وجدنا أنهم ينقسمون إلى قسمين، هما: الحضر والبدو، والحضر مستقرون في المدن والقرى. أما البدو فيقطنون في البادية.. وأهم القبائل العجمان، وآل مرة، وبنو خالد[١].

ويزاول كل منهما أنشطة تتأثر بالبيئة التي تسكنها كل مجموعة سكانية.

ففي البادية يحتل الرعي الدرجة الأولى، حيث تقوم به القبائل البدوية في البادية والصحراء، فينتقلون من مكان إلى آخر لرعي إبلهم وأغنامهم وتأمين الغذاء الضروري لحياتهم الصحراوية بواسطتها[٢].

أما البيئة الاقتصادية الثانية[٣]؛ فهي البيئة الزراعية، فأرض هجر قد اختصها الله بأمور امتازت بها على جل أقطار الجزيرة من الخصب ووفرة المياه[٤] فلا تكاد أراضيها تشكو الظمأ مطلقاً[٥].

وليس هذا فحسب، بل تنبت بها الأشجار والنباتات في وقت قياسي وبخاصة أشجار النخيل؛ فالمحصول الرئيس هو التمر، وتتعدد أنواعه، ولكن أفضلها المعروف بالخلاص، ويزرع إلى جانب ذلك أيضاً الحنطة والشعير والفواكه، وأشهرها الأترج، والليمون، والخوخ، والمشمش، والرمان، والعنب، والتين[٦]. وكانوا يقومون ببعض الأعمال التجارية مع سكان المدن، كبيع جمالهم وأغنامهم، وسمنهم وأقطهم في أسواقها، وشراء ما يحتاجون

---

(١) ناصر بن سليمان الصمعاني. سليمان بن سحمان، حياته وشعره، رسالة ماجستير، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م)، ص٢٧.

(٢) أبو علية. الإصلاح الاجتماعي، ص ٥٢ -٥٣.

(٣) المبارك. أدب النثر المعاصر، ص٣٠.

(٤) حمد الجاسر. المعجم الجغرافي، ص٤٨.

(٥) حافظ وهبة. جزيرة العرب، ص٤٩.

(٦) المرجع السابق، ص٦٩.

إليه منها في حياتهم اليومية العادية[١].

أما في المدن فيتوزع السكان بين عدة نشاطات تتصدرها التجارة، التي كانت محصورة في استيراد احتياجات السكان من الهند ودول أخرى، كالعراق، والكويت، وعمان، وإيران، وفي تصدير التمور، وغيرها عن طريق ميناء العقير[٢].

وبما أن الأحساء مدينة قريبة من ميناء العقير،فقد اشتهرت أيضاً بتجارة اللؤلؤ؛ فمياه الخليج أغنى بقاع العالم بأصداف اللؤلؤ الطبيعي؛ لذلك أدى هذا المورد دوراً مهماً في الازدهار الاقتصادي والاجتماعي[٣]؛ إذ كانت تقوم في مدن الشواطئ حركة تجارية نشيطة تمتد إلى أسواق مدن الإقليم كالهفوف، والقطيف نتيجة للهجرات السكانية الآتية من الداخل[٤].

وتعدّ اللآلئ الخليجية من أجود أنواع اللآلئ.. ويقول حافظ وهبة في صيد اللؤلؤ: «إن الغوص يشبه الرعي، فنجد مئات السفن في جهة، بينما لا نراها في جهة أخرى، والسفن تنتقل وراء اللؤلؤ، وهناك تجار يدعون «بالطواويش» يشترون اللؤلؤ[٥]؛ إلا أن هذه التجارة كتب لها الكساد؛ وذلك بظهور عهد اللؤلؤ الصناعي الياباني؛ وهذا ما جعل المنطقة تمر بنكسة اقتصادية شديدة[٦].

أما النشاط الاقتصادي الآخر: فهو الصناعة، وقد كانت صناعات بدائية يدوية بسيطة تمثلت في دلال القهوة، والهاونات، وصناعة الحلي الفضية

---

(١) أبو علية. الإصلاح الإجتماعي، ص٥٣.

(٢) الشعر في الإحساء، ص٢٦.

(٣) عبدالله المبارك. أدب النثر، ص٣٠.

(٤) عبدالفتاح أبو علية. الإصلاح الاجتماعي، ص٦٠.

(٥) المرجع السابق، ص٦٠.

(٦) مصطفى عبدالقادر. تاريخ الخليج العربي، ص١٦٧.

والذهبية، إلى جانب صناعة الغزل والنسيج، كما يصنعون البسط والعباءات ذات الألوان المختلة [١].

وبعد النكسة الاقتصادية التي مرت بها المنطقة؛ وذلك بعد ظهور اللؤلؤ الصناعي ما لبثت أن استيقظت من محنتها لتقفز في مدى قصير إلى الصدارة، وذلك بعد اكتشاف النفط، فتطورت بذلك أساليب اكتساب الرزق، واتسعت مجالاته [٢].

أما العملة المتداولة، فقد عرفت شعوب الجزيرة العربية قبل عهد الملك عبدالعزيز كلاً من الجنيه الجورج الإنجليزي الذهبي الخالص في معاملاتها الرسمية والشعبية، والقرش العثماني الذهبي.. وكانت هناك وحدات نقد أخرى، ولكنها غير رسمية، من أهمها ريال الملكة ماريا تريزا الفضي شبه الخالص، وهو نمساوي، ويطلق عليه خطأ الريال الفرنساوي [٣]. وكذلك هناك الطويلة، ويذكر فضيلة الشيخ يوسف بن راشد المبارك - من أهالي الهفوف ووجهائها وعلمائها - أن أقدم طويلة عثر عليها في مسجد الرقيقة بالهفوف تشير إلى أن سَكَّها كان في سنة ٧٥٧هـ(١٣٥٦م)، وكذلك الروبية الهندية [٤].

ثم أصدر الملك عبدالعزيز أول مسكوكات له تحمل اسمه وذلك في سنة ١٣٤٣هـ؛ إلا أنها لم تحمل اسم المملكة، وكانت عبارة عن مسكوكات للدولة تحمل اسم مملكة الحجاز وسلطنة نجد، وصدر الريال العربي سنة ١٣٤٦هـ [٥].

---

(١) الإصلاح الاجتماعي، ص٦٠.
(٢) الشعر في الأحساء، ص٢٧.
(٣) ناصر الصمعاني.سليمان بن سحمان. حياته وشعره، ص٢٥.
(٤) أبو علية. دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ص٣٧٦.
(٥) سليمان بن سحمان - حياته وشعره، ص٢٥.

أما المجتمع الأحسائي فمثله مثل أي مجتمع عربي إسلامي يقوم على الأسرة التي يكون فيها الأب هو الراعي الأول لأفراد الأسرة.. فهو ذو كلمة مسموعة، ورأي نافذ، له حق التوجيه والإشراف على النواحي الاقتصادية والاجتماعية داخل المنزل، ويأتي بعده ابنه الأكبر، أو أخوه إن لم يكن له أبناء، فهو المسؤول عن شؤون الأسرة ورعايتها، وتصريف شؤونها[١]. ولا يشارك الرجل مطلقاً في أعمال المنزل الداخلية، إذ إن أعمال المنزل كلها منوطة بالمرأة[٢].

وكانت المرأة تلتزم الحجاب الكامل، حيث تلبس العباءة وغطاء الوجه[٣].

وتشيع في المجتمع الأحسائي أخلاق إسلامية عالية من سماحة ووفاء وصدق في اللهجة، وحلم وتواضع جم، ويمتازون بالهدوء والسكينة، ومن عاداتهم الكرم والشجاعة والثبات والإقدام والنخوة والإباء[٤].

(١) عبدالله شباط. صفحات من تاريخ الأحساء، ص ١٦٦، وما بعدها.

(٢) خالد الحليبي. الشعر في الأحساء، ص ٢٢،٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٢.

(٤) سليمان الدخيل، تحفة الألباء، ص٥٦.

-٢-

الحياة الثقافية والأدبية في عصر الشاعر

يحفل تاريخ الأحساء الثقافي الطويل بسجل مجيد من الإبداعات العلمية والثقافية والتاريخية؛ فمن يبحث في تاريخها يجد أنها حاضرة العلوم، والأدب، والتاريخ منذ القدم،فهي دولة تعليمية لا يكاد ينفصل فيها جانب الجهاد عن جانب التعليم ونشر الدعوة. ونستدل على ذلك بما روى البخاري، ومسلم، من أن الرسول ﷺ بُشر بوفدها فقال: «غداً يأتيكم وفد خير أهل المشرق»[١] وحين قدومهم عليه ﷺ لإعلان إسلامهم، وتلقي الدعوة المحمدية بصدر رحب مؤمنين بالله ورسوله رحب بهم رسول الله ﷺ فقال: «مرحباً بالوفد غير خزايا، ولا ندامى» وأقاموا عنده ما شاء الله، ثم توجهوا إلى بلدهم بعد أن نهلوا من المعين العذب من هادي البشر.. وبعد رجوعهم أقاموا مسجدهم في قرية «جواثى»[٢]. بعد عودتهم مباشرة، وأديت

---

(١) المقصود بهم «وفد عبدالقيس عندما قدموا على الرسول ﷺ، وهي قبيلة كبيرة يسكنون بالبحرين». والبحرين تشمل: البحرين وهجر والأحساء.

(٢) جُواثي، بضم الجيم وبين الألفين ثاء مثلثة يمد ويقصر: مدينة لعبدالقيس بهجر كثيرة الزروع والنخيل قال أبو تمام:

زالت بعينيك الحمول كأنها ... نخل مواقر من نخيل جواثى

ولما أسلم عبدالقيس بنوا فيها مسجداً وصلوا فيه الجمعة وهو أول مسجد صليت فيه الجمعة بعد مسجد رسول الله، وبذلك يفتخر بنو عبدالقيس فيقول شاعرهم:

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا ... المنبران وفصل القول في الخطب

أيام لا مسجد للناس نعرفه ... إلا بطيبة والمحجوج ذو الحجب =

فيه ثاني جمعة في الإسلام.

والتاريخ على اختلاف عصوره حافل بالأدلة والقرائن التي تؤكد صحة إيماننا بمكانة الأحساء العلمية سابقاً من خلال تقليب كتب التاريخ التي كتبت عن المنطقة أنها مرت بعصور وصلت بها الثقافة إلى أوجها، وينقلنا بها هذا إلى استعراض سريع للأحوال التعليمية والثقافية في تلك الحقبة الزمنية.

ففي القرون الأربعة الماضية الحادي عشر، والثاني عشر،والثالث عشر، والرابع عشر، شهدت الأحساء نهضة علمية مباركة بدأت منذ أواخر القرن العاشر الهجري، واستمرت في النمو والازدهار حتى بلغت أوجها في النصف الأول من القرن الرابع عشر، إذ كانت مركز الثقافة والعلم في الخليج وشرق الجزيرة، وامتد أثرها إلى نجد.

وعلى الرغم من قوة هذه الحركة العلمية؛ إلا أن الأحساء لم تستطع أن توصل صوتها إلى المراكز العلمية الكبرى في مصر والشام، وذلك بسبب صعوبة الاتصالات الثقافية بين أجزاء الوطن العربي في تلك الحقبة، إلى جانب إهمال علماء الأحساء طبع تآليفهم ونشرها، فأدى ذلك إلى عدم شهرتهم(١).

ولكن لموقع الأحساء وتاريخه، واختلاط سكانه بالأجناس البشرية الأخرى أثر كبير في التعليم والثقافة في الإقليم.. ومن الملاحظ أن النظام والأسلوب التعليمي في الإقليم لم يخرجا عن كونهما أنظمة وأساليب قديمة هي امتداد للطريقة الإسلامية القديمة(٢). فقد انتشر في الإقليم نظام تربوي متوارث، وهو نظام ذو ثلاث شعب:

= ولم يبق من آثار هذا المسجد سوى أطلال وفوهة العين، وقد تراكمت في الموضع الرمال، حتى أخفت معالم القرية، ويقع شرق قرية الكلابية.

(١) محمد العبدالقادر الأنصاري. «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد» ط٢، ص٦٢.

(٢) خالد الحليبي. الشعر في الأحساء في القرن الرابع عشر الهجري، ص٣١.

أولها: المدارس «الكتاتيب»:

وكانت تتركز في مدن الدولة وبلدانها، فقد وجدت في الأحساء مجموعة من كتاتيب القراءة والكتابة، وبعض الكتاتيب العليا الخاصة بتدريس العلوم الدينية والاجتماعية واللغوية.

ويذكر السيد محمود شكري الآلوسي[١]. أنه كان يوجد في الأحساء عشرون مكتباً تعلم الصبيان حفظ القرآن، والقراءات والتجويد، بجانب بعض العلوم العصرية كالحساب، كما يوجد فيها ثلاثون مدرسة أخرى تدرس العلوم العربية والدينية[٢].

وكان يطلق على معلم الصبيان في الكتاتيب المطوّع أو «المُلّا»، وقد كان الطلبة يدفعون لهؤلاء المطاوعة مبالغ شهرية مقابل تعلم القرآن، فإذا أتم أحدهم حفظ القرآن كاملاً، وهو ما يُسمى «ختمة» أشعر الأستاذ طلابه بأنه سيجري احتفالاً بتخريج الطالب فلان، حيث يزف من الكتاب إلى منزله بين زملائه.. يرتدي ثوباً جديداً، ويتقلد سيفاً مذهباً.. فإذا وصلوا إلى منزل المحتفى به يستقبلهم الأهل بالزغاريد، والبخور، ويقدمون لهم الطعام والحلوى، وتكون الهدية من نصيب المعلم[٣]. فيكون لهذه الحفلة مردود نفسي واجتماعي كبيران يعودان على التلميذ، وعلى أقرانه، حيث يشعرون بأهمية تلقي العلم، كما يثير التنافس بينهم للوصول إلى ما وصل إليه أقرانهم، فهذه صورة مشرقة تعكس اهتمام المجتمع بالعلم، والحث عليه والاحتفاء

---

(١) أبو علية. تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص٢٩، وعبدالله المبارك. أدب النثر المعاصر في شرق الجزيرة العربية، ص٥٧.

(٢) الإصلاح الاجتماعي. ص٦٣، الآلوسي. تاريخ نجد، ص٤٠.

(٣) عبدالله شباط. صفحات من تاريخ الأحساء، ص١٦٨، وعبدالله المبارك. أدب النثر المعاصر في شرق الجزيرة، ج١، السبيعي. العصور، ج٢، م٣،ص٢٩٣.

به، والتشجيع عليه[١].. إلى جانب ذلك فقد فتح العثمانيون ثلاث مدارس حكومية في الهفوف، ولكنها لم تترك أي أثر إلا بعض الانتشار للغة التركية، ولكن التعليم في الإقليم سادت فيه فكرة المذهب «إذ كان لكل جماعة.. مدارسها الخاصة، ومساجدها القريبة من مساكنها التي يغلب عليها التجمع في ضاحية واحدة من ضواحي المدينة، فكانت في الإقليم مدارس شافعية، وهي من أقدم المدارس، وهناك المدارس المالكية[٢]. وتذكر الإحصاءات التركية أن عدد التلاميذ في الأحساء كان ٣٥٤٠ تلميذاً مع العلم أن سكان المنطقة كانوا نحو ٢٥٠,٠٠٠ نسمة[٣]. أي أن نسبة المتعلمين لا تتجاوز ١,٥٪[٤].

الشعبة الثانية: أروقة المساجد:

فقد كان للمساجد دور رائد في نشر الثقافة الدينية والوعظ والإرشاد، وليس هذا فحسب، فالأحساء بمنزلة مركز إشعاع فكري مضيء. أما سمة الدراسة في المساجد فتتميز باقتصارها على العلوم الدينية وبخاصة الحديث، والتفسير، والفقه، وعقد الندوات الدينية التي يستمع إليها جموع المصلين بعد انقضاء الصلاة، وكان يطلق على من يتولى التدريس والوعظ شيخ، وكثيراً ما كان الشيخ يقوم مقام المدرس في وقتنا الحاضر،حيث يجتمع التلاميذ حول المدرس في المسجد، ويعلمهم القراءة والكتابة، وقراءة القرآن، والأمور الدينية، وكان في الهفوف نحو أربعين مسجداً تنتشر في أنحاء المدينة[٥].

---

(١) خالد الحليبي. الشعر في الأحساء في القرن الرابع عشر، ص٣٤.

(٢) أبو رأس «الملك عبدالعزيز والتعليم، ص٨١».

(٣) الإصلاح الاجتماعي، ص٦٤.

(٤) أبو علية. تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص٢٩.

(٥) الإصلاح الاجتماعي، ص٦٤. أدب النثر المعاصر في شرق الجزيرة العربية، ص٥٧، الشعر في الأحساء في القرن الرابع عشر الهجري، ص٣٧، مجلة العصور، م٣، ج٣، ص١٠٣.

ومن أشهر المساجد التي تميزت بالدروس الدينية، وحلقات المذاكرة والوعظ مسجد آل بداح[١] في حي الرفعة بمدينة الهفوف، وكذلك مسجد الإمام فيصل بن تركي في حي النعاثل[٢]. الذي اختطه الإمام سعود، ثم قام ببنائه الإمام فيصل، وعرف باسمه[٣].

أما ثالث هذه الشعب:

فهي المجالس أو الديوانيات. وهي اجتماعات منظمة للرجال تنعقد في بيوت طلاب العلم ومريديه، فقد كان شائعاً إلى عهد شهده الجيل الماضي في شرق الجزيرة، فكان بعض طلاب العلم ومريديه يجعل من مجلسه مجمعاً علمياً، وأدبياً، واجتماعياً، وسياسياً، له مواعيد يومية محددة،ولكن هذه المجالس لا تقوم بالتعليم الديني المدني المؤهل كالمكاتب، وإنما تطرح فيها مناقشات حرة في عدة مجالات، منها الدين والأدب والتاريخ، وتثار فيها المسائل المهمة لكشف ضباب الجهل والتخلف[٤].

وكثيراً ما كان يتصدى لمثل هذه الدروس العامة نخبة من رجال العلم والثقافة في البلاد، وزائرون وعلماء في الدين والتاريخ واللغة. والحق أنه كان لهذه المجالس آثار عميقة في النهضة الفكرية والأدبية لشرق الجزيرة[٥].

---

(١) هي المحلة الثالثة في بلد الهفوف، وهي في الجهة الشرقية مما يلي سوق المدينة.

(٢) محلة الهفوف منسوبة إلى بطن من بني عقيل يسمون النعاثل، وهي الزاوية الجنوبية الغربية من مدينة الهفوف، وتشمل هذه المحلة مع محلة الرقيقة على ما يزيد على خمسة آلاف دار، والعدد يزيد كل يوم لامتداد العمارة ووفرة السكان. فيها سبعة وأربعون مسجداً تقام الجمعة في مسجدين: أحدهما المسجد الكبير الذي أسسه الإمام فيصل بن تركي آل سعود سنة اثنتين وسبعين ومئتين وألف، رحمه الله تعالى، وجدد بناؤه سنة أربع وخمسين وثلاثمئة وألف، وفي هذه المحلة أسست أول مدرسة أبتدائية، وتم بناؤها سنة ١٣٦٠هـ.

(٣) مجلة العصور، م ٣، ج٢، ص٣٠٢.

(٤) الشعر في الأحساء في القرن الرابع عشر الهجري، ص٣٨.

(٥) أدب النثر في شرقي الجزيرة العربية، ص٥٧، ٥٨، والشعر في الأحساء في القرن الرابع عشر الهجري.

وفي الختام نخرج بانطباع عام عن التعليم والثقافة والفكر، بأنه كان يتميز بالتركيز في دراسة العلوم الدينية، واللغة العربية وآدابها، وفقاً للظروف التقليدية المتبعة، بالإضافة إلى ذلك فقد أخرج هذا الإقليم عدداً من العلماء والأدباء، والقضاة وكبار الدعاة الذين حافظوا على التراث السلفي والدعوة السلفية، التي كان لهم أثر واضح في نشر دعوتها التعليمية، ولكنها بصورة نسبية، ولا تتعدى نطاق مجتمعها[١].

الحياة الأدبية:

في جزيرة العرب ولد الشعر العربي، ثم نما وازدهر، وبلغ ذروة الاكتمال في العصر الجاهلي، إذ كانت له الصدارة، فإذا ما تتبعنا الحياة الأدبية والفكرية في منطقة الأحساء منذ العصر الجاهلي وجدناها حياة أدبية متقدمة، فقد أنشئت المدارس الأدبية التي تقام فيها أصول الأدب، وتطبق فيها قواعده النقدية.. ولقد تخرج في هذه المدارس عدد كبير من الشعراء والنقاد والأدباء البارزين أمثال الجارود العبدي[٢]. صاحب الفلسفة في الطب والحكمة والأدب[٣].

نجد شعراء وأدباء يكونون صورة لهذا العصر، وهذه الثقافة العميقة الجذور، فمن الشعراء الذين يشار إليهم بالبنان: طرفة بن العبد[٤]. صاحب

---

(١) بدر الدين الديب أبو رأس: الملك عبدالعزيز والتعليم، ص٨١.

(٢) الجارود بن المعلى بن حنش بن المعلى العبدي. كان نصرانياً حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها، عالماً بسير الفرس وأقاويلها، بصيراً بالفلسفة والطب، ظاهر الدهاء والأدب، كامل الجمال، ذا ثروة ومال.

(٣) تحفة المستفيد، ج٢، ص٢٩٥.

(٤) طرفة بن العبدبن سفيان بن سعد البكري الوائلي، أبو عمرو. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. ولد سنة ٨٦ قبل الهجرة في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد، واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله من ندمائه – ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر شاباً/ في هجر وهو ابن عشرين عاماً، وقيل: ابن ستة وعشرين عاماً سنة ٦٠ قبل الهجرة.

المعلقة المشهورة التي مطلعها[1].

لخولــة أطــلال ببــرقـة ثهمــدِ
تلـوح كباقي الوشــم في ظاهر اليــدِ

وها هو ذا الشاعر عمرو بن قميئة[2] من شعراء الجاهلية يذكر الأحساء ويتغنى بها فيقول: [3]

ثــم كان الحســاء منهــم مصيفاً
ضــاربات الخــدور[4] تحت الهــدالِ[5]

فكانت هذه المنطقة منذ قديم الزمان مجالاً كبيراً لصراع فكري وأدبي، كما انتشرت الأسواق التي تقام في مواسم مختلفة ومتعددة في تلك المنطقة، ومن أعظم هذه الأسواق:

١- سوق هجر في ربيع الآخر.
٢- سوق المشقر وتقام في أول يوم من جمادى الآخرة.
٣- سوق الزارة وتقام في أول يوم من المحرم.
٤- سوق الجرعاء وتقام في يوم العشرين من شعبان.
٥- سوق دارين وتقام في شهر رجب، وإلى ذلك يشير الشاعر.

---

(١) الإمام الخطيب أبو زكريا يحيى علي التبريزي. شرح القصائد العشر، ص٧٤.

(٢) عمرو بن قيمئة: هو عمرو بن قميئة بن ذريع بن سعد بن مالك الثعلبي البكري الوائلي النزاري. شاعر جاهلي مقدم. نشأ يتيماً، وأقام في الحيرة مدة، وصحب حجراً (أبا امرئ القيس الشاعر) وخرج مع امرئ القيس في توجهه إلى قيصر، فمات في الطريق، فكان يقال له: «الضائع »وكان واسع الخيال في شعره. وفيه يقول امرؤ القيس: «بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه.. إلخ. له ديوان شعر مطبوع.

(٣) خليل إبراهيم العطية. «ديوان عمرو بن قميئة» ص٤٤.

(٤) الخدور: جمع خدر وهو الستر الممدود في ناحية البيت، وسواه.

(٥) الهدال: ما تهدل الأغصان، وبه سمي شجر بالحجاز له ورق عراض ينبت مع أشجار السلع والسمر.

يمـــرون بالدهنـــا خفـــافاً عيابهـــم ... ويرجعـــن من داريـن بُجــرَ الحقائب
على حين ألهى الناس جـــلّ معاشهم ... فنـدلاً زُريقُ المـــالَ ندلَ الثعـــالبِ

وكانت هذه الأسواق بمنزلة مؤتمرات اجتماعية، ومعارض اقتصادية وأدبية مكنت من نشر العلم والثقافة [١].

وإذا ما انتقلنا إلى القرن السابع الهجري نجد أكثر من لهج بذكر الأحساء هو متنبي ذلك العصر جمال الدين علي بن المقرب العيوني[٢]، فلا تخلو قصيدة من قصائده من أيام الأحساء يتغني بها في كل مناسبة، ويشير إليها عند كل تعبير، ومن ذلك قوله [٣]:

هــمُ الناسُ كل النـاسِ والناسُ فضلة ... إذا نـاب أمـرٌ أطَّ مِـن حمله الصُّلبُ
بِهـم يُـدرَك الشَّـأْو البعيـدُ وعندهـم ... لمُلتمَسِ المعروفِ ذو مربَعٍ خِصْبُ

وقوله أيضاً[٤]:

إذا أنـت ألقيـت العِصِـيَّ مخيِّمـاً ... بالاحسـا وجـاورت الملـوكَ الأطايبا
فيَمِّـمْ لجرعـاء الشـمال فـإنّ لـي ... بهـا خُلَّـةً أشـتاقُها وملاعبـا

ويقول[٥]:

يـا حبـذا وادي الحسـاء فإنـه ... لـو سـاءني وادٍ إلـي مُحبـبُ
يـا حبـذا دربُ السـليم وحبـذا ... ذاك القطيـن بـه وذاك الملعـب

---

(١) حسين الحليبي. الأدب القديم، ص٨.

(٢) هو علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز ضبار الربعي العيوني جمال الدين، أبوعبدالله. شـاعر مجيد، من بيت إمارة، نسبته إلى العيون (موضع بالبحرين)، وهو من أهل الأحساء (غرب الخليج).. ولد سنة ٥٧٢هـ. له ديوان شعر مطبوع.

(٣) ديوان ابن المقرب، ص٢٩.

(٤) ديوان ابن المقرب، ص٣٨.

(٥) المرجع السابق، ص٨٥.

كما يجد الباحث صعوبة بالغة في محاولة رصد الحركة الشعرية في المدة التي تلت وفاة الشاعر ابن المقرب العيوني (سنة ٦٣٠هـ) حتى أواخر القرن العاشر الهجري، ولعل السبب يعود إلى اضطراب الحياة السياسية، وضعف الحياة العلمية والأدبية حتى انبلجت أنوار الفجر العلمي في الأحساء، فتحركت مياه الأدب الراكدة[١] في القرن الثاني عشر الهجري حيث تغير اتجاه الشعر، وذلك بظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب الذي شغل عصره بفكره ورأيه، ومسلكه بدعوته المباركة، حيث تركت بصماتها على كل ما مرت عليه[٢]. فكان من الطبيعي أن تؤثر الدعوة في أدب معاصريها، فهي ليست بدعاً في محيطهم الفكري والعقائدي السليم، وإنما كانت تجديداً لما اندرس من تعاليم ديننا الحنيف، فكان أثرها واضحاً في سيطرة الموضوعات، والأغراض الدينية على الأدب، ولا سيما في زمن قيامها، وذلك في منتصف القرن الثاني عشر الهجري إلى مطلع النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

ومن أقدم الشعراء العلماء الذين تركت الدعوة أثرها واضحاً في شعرهم[٣]:

الشيخ حسين بن غنام[٤]، فقد حمل شعره خصائص شعر القرن الذي ولد فيه، وصبغها بألوانه، التي اكتسبها من مناصرته دعوة الشيخ محمد بن

(١) الشعر في الأحساء في القرن الرابع عشر، ص٧١.

(٢) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص٤٢.

(٣) الأدب الحديث. تاريخ ودراسات، ص٤٠ - ٤٣.

(٤) هو حسين بن غنام النجدي الأحسائي. مؤرخ مالكي المذهب. شاعر فحل كان عالم الأحساء في عصره. ولد ونشأ في المبرز (بالأحساء) وأقام بالدرعية عاصمة «آل سعود» الأولى، وتوفي بها.
له مصنفات منها «العقد الثمين في شرح أصول الدين» صغير ألفه للأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود، و «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام»، مطبوع جزآن في مجلد، يقف في حوادث سنة ١٢١٣هـ، ويسمى أيضاً «تاريخ نجد» مطبوع.

عبدالوهاب[١].

كما ظهر أثر الدعوة واضحاً وجلياً في شعر الحفظيين من أمثال الشيخ محمد بن أحمد الحفظي[٢]، فله أشعار كثيرة يعلن فيها ابتهاجه وتأييده للدعوة، وغيره كثير.

وحين مات الشيخ محمد بن عبدالوهاب نزل إلى ميدان هذا الأدب شاعر أحسائي يدعى «ابن مشرّف» فسار على نهج ابن غنام في الدفاع عن الدعوة ورجالها ومبادئها في وقت سكت فيه الشعراء كافة[٣]. فاعتلى شاعرنا المنبر الشعري للدعوة السلفية، بعد أن هبط منه شيخه ابن غنام، وجعل جل ديوانه دعوة إلى الله، ودفاعاً عن دعاته، والوعظ والنصح ومدح المصطفى بقصيدة رائعة[٤]. يقول فيها[٥]:

هو خير الخلق طراً وبه	للنّبيين جرى ختم وفتحُ
فبه قد بُدئوا واختتموا	فَهْو كالمسك له في الختم نفح

وحين أسلم هذا الشاعر الروح إلى بارئها تسلم الراية شاعران، أولهما: صاحب القدح المعلى الشيخ سليمان بن سحمان[٦] الذي وقف لجميع

(١) الشعر في الأحساء في القرن الرابع عشر الهجري، ص٧٨.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفظي. مؤرخ أديب من أهل عسير (في المملكة العربية السعودية). له كتب لا تزال مخطوطة، منها «تكملة الظل الممدود في الحوادث والوقائع في عهد آل سعود» و «النفحات العنبرية في الخطب المنبرية» و «درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين». ولد سنة ١١٧٨هـ وتوفي سنة ١٢٣٧هـ.

(٣) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص٦٠.

(٤) المرجع السابق، ص٨٢.

(٥) الديوان، ص٤٩، ٥٠.

(٦) هو سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان النجدي الدوسري. ولد سنة ١٢٦٨هـ. كاتب فقيه. له نظم فيه جودة. من علماء نجد. ولد في قرية (السقا) من أعمال أبها في عسير، وانتقل مع أبيه إلى الرياض، أيام فيصل بن تركي، فتلقى عن علمائها التوحيد =

الشعراء بالمرصاد، فلم يقف قلمه في ذلك عند حد النظم، بل جاوزه إلى النثر[١]. ومن ذلك قوله في حكم نفي صفة الاستواء[٢]:

ونفي استواء الرب من فوق عرشه ... فكفر وتعطيل لمن برأ البشر

أما ثانيهما: فهو صاحب القلم النظيف، واللسان العفيف، ابن عثيمين[٣] ومن ذلك:

فمن يعتصم منه بحبل وذمة ... وإلا من الدين الحنيف يمرّقُ
فإن مات كانت ميتة جاهلية ... وإن عاش فهو المارق المتزندق

فكان شعراء الأحساء قد انقادوا لتأثير الدعوة في عهد الدولة السعودية الأولى، حتى نبذوا في أشعارهم كل ما يخالف الفكر الإسلامي النزيه، فقد استأثرت كتب الفقه، الحديث واللغة العربية والأخلاق باهتماماتهم أكثر، على الرغم من إجادة معظم علماء الأحساء وأدبائها جميع فنون الشعر،

= والفقه واللغة، وتولى الكتابة للإمام عبدالله بن فيصل برهة من الزمن، ثم تفرغ للعلم. صنف كتباً ورسائل منها «الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق»، و «الهدية السنية» ديوان شعر سماه «عقود الجواهر المنضدة الحسان» وغيرها، كف بصره في آخر حياته. توفي في الرياض سنة ١٣٤٩هـ.

(١) الحركة الأدبية، ص٨٢.

(٢) ديوان ابن سحمان، ص ١١٦.

(٣) هو محمد بن عبدالله بن سعيد بن عثيمين. ولد في السلمية سنة ١٢٧٠هـ (١٨٥٤م) في جنوب الرياض، وفيها نشأ يتيماً عند أخواله، أما موطنه وموطن آبائه فهو «حوطة بني تميم» وفي الخرج تعلم مبادئ القراءة والكتابة وشيئاً من العلم الديني. تنقل في أنحاء نجد الجنوبية، اتصل بحاكم قطر الشيخ قاسم بن ثاني، ثم أقام حيناً بالبحرين، واتصل بحكامها آل خليفة، ولما فتح الملك عبدالعزيز آل سعود الأحساء سنة ١٣٣١ هـ قصده ابن عثيمين ومدحه، فكانت بدء الصلة بآل سعود، والاقتصار على مدحهم، فاستقر في الحوطة، يفد على الملك كل عام، ويعود بعطاياه.. ولما بلغ الثمانين من عمره اعتكف في منزله، وتوفي سنة ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) وله ديوان سماه «العقد الثمين في شعر ابن عثمين».

وولعهم بنظمه وتبادله، وحفظه وكونه فاكهة لقاءاتهم ومسامراتهم ونزهاتهم وخلواتهم ومناسباتهم الاجتماعية؛ إلا أن عنايتهم بتدوينه ونشره كانت قليلة، ولعل عدم احتفائهم بذلك سببه عدّ معظمه شعر مناسبات، وإخوانيات له طابع الخصوصية، إضافة إلى زهدهم في الشهرة، وضعف وسائل النشر، والإقبال على هذا النوع من التأليف.

فمن الذين طرقوا باب علوم الدين: حسين بن أبي بكر بن غنام، في كتابه «العقد الثمين في شرح أصول الدين» وأحمد بن علي بن مشرّف، وكتابه «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية» فهذه الكتب تظهر ثقافة علماء الأحساء ومشايخها المتميزة في مجال العلوم الدينية.

وممن برع في التأليف في علوم اللغة العربية وآدابها محمد بن سعيد العمير(١) إذ نظم منظومة في النحو بلغت أبياتها نحو سبع مئة بيت، كما أن للشيخ عبدالعزيز العلجي كتاباً(٢) في الصرف اسمه «مباسم الغواني في تقريب غربة الزنجاني»(٣).

---

(١) هو الشيخ محمد بن سعيد بن عبدالله بن الشيخ محمد الدولة آل عمير. من قبيلة سبيع. ولد في قلعة الكوت في الأحساء سنة ١١٦٠هـ. أخذ الشيخ زاده الثقافي عن أبيه، فقد تربى في كنفه، وتعلم على يديه.. شغل الشيخ منصب القضاء في الأحساء مدة ثلاث سنين من سنة ١٢٠١هـ إلى سنة ١٢٠٣هـ، ثم استقال من القضاء، وتفرغ للعبادة والتأليف والتدريس، ونظم ألفية في علم اللغة العربية ولقد ضاع أكثر التراث العلمي والشعري للشيخ، ولم يعرف تاريخ وفاته.

(٢) هو الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي. ولد في آخر القرن الثالث عشر. حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، وقرأ فقه الإمام مالك على الشيخ إبراهيم عبداللطيف المبارك. عين قاضياً في الأحساء. نظم في علم الصرف منظومة سماها «مباسم الغواني في نظم الزنجاني» وله أشعار كثيرة. توفي سنة ١٣٦١هـ.

(٣) السبيعي «مجلة العصور»، ص ٢٨٦، ٢٨٧.

وخصص أدباء الأحساء جزءاً كبيراً من اهتماماتهم، وإنتاجهم للأخلاق والآداب والسلوك؛ إذ دون الشيخ أبو بكر الملا[١] منظومة في الأخلاق والآداب أسماها «منهاج السلاك» جمع فيها شرائع الإسلام ومكارم الأخلاق، وأخرى سماها «العقد الثمين في الصلوات على الرسول الأمين» رصد فيها فضائل الرسول ﷺ ومعجزاته[٢].

وخلاصة ما سبق: أن الحركة الثقافية والأدبية انتعشت في تلك الحقبة الزمنية، وبرز علماء عظماء على مر العصور الإسلامية، وكثيراً ما أخذت الأحساء مكانة بارزة بين البلاد الإسلامية جميعها، حيث انتشر علماؤها ووعاظها للتدريس والإرشاد في شرق الجزيرة، وشبه القارة الهندية، وليس هذا مستغرباً، فمن الطبيعي أن البلد الذي يكون قريباً من الماء والخضرة، والبحر يرق أهله، ويتهذب وجدانهم، وتلين طبائعهم، وتتلطف مشاعرهم؛ ذلك الأمر الذي نراه، ونجده متمثلاً في شعراء وأدباء هذه المنطقة منذ أبعد القرون[٣].

---

(١) هو الشيخ أبو بكر بن محمد بن الشيخ عمر الملا الحنفي مذهباً. ولد بالأحساء في اليوم الثاني من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومئة وألف. توفي والده وهو صغير، وتربى في حجر والدته، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، وتفقه على عمه الشيخ عبدالرحمن والشيخ أحمد ابني عمر الملا، وأجازه كثير من المشايخ في العلوم التي تلقاها منهم، من تفسير وحديث، وأصول وفروع، وله مؤلفات كثيرة، وأكثرها مختصرات منها: «إتحاف النواظر بمختصر الزواجر» و «الأزهار الناضرة بتلخيص كتاب التذكرة» وله منظومة «منهاج السلاك»، وغيرها كثير: توفي – رحمة الله – ليلة التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١٢٧٠هـ.

(٢) الشعر في الأحساء في القرن الرابع عشر، ص٩١، السبيعي. مجلة العصور، ص٢٨٦، ٢٨٧.

(٣) الأدب القديم، ص١٣.

- ٣ -

بيئة الشاعر

ولد الشاعر أحمد بن مشرّف في الأحساء، وفيها نشأ وشب وترعرع، فهي بيئته التي تربى على أرضها، وتركت في نفسه من الأثر والتوجيه ما يمكن أن تتركه البيئة عادة في نفس أبنائها، ومن أجل ذلك كنا محتاجين إلى وقفة عاجلة نجوس خلالها الأحساء، ونتعرّف بعض الملامح والمعالم والسمات.

فالأحساء ضمن ما يعرف بالبحرين، كان أول من بناها وحصنها، وجعلها قصبة هجر أبو طاهر الحسن بن أبي سعيد الجنابي القرمطي على أنقاض مدينة هجر سنة سبع عشرة وثلاثمئة من الهجرة[١].

والأَحساء، بفتح الألف، وإسكان الحاء المهملة، وفتح السين المهملة، بعدها ألف ممدودة: اسم كان إلى عهدنا يطلق على ما يعرف الآن باسم المنطقة الشرقية، ويقال: الحَساء - بفتح الحاء - والكلمة فصيحة - والمعنى اللغوي لكلمة الأحساء قد أوضحه صاحب «معجم البلدان» بقوله: الأحساء، بالفتح والمد، جمع حِسْي بكسر الحاء وسكون السين، وهو الماء الذي تنشفه الأرض من الرمل فإذا صار إلى صلابة أمسكته، فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه[٢].

---

(١) «تحفة المستفيد»، ص٤.

(٢) حمد الجاسر. المعجم الجغرافي، ص١٢٠، والغريب. منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ، ص٢٤. وأحمد المغلوص. المجلة العربية، ص٣٣، شوال ١٤٠٥هـ.

يقال حسا الماء يحسوه إذا تناوله من الأرض شيئاً فشيئاً، والأحساء جمع حِسْي، وهو كل ما يلعق أو يشرب ببطء[(١)]، والحسوة اللعقة الواحدة من الأكل.. ويقال: الحسوة: العين العميقة الكثيرة للماء، ومنها سميت الأحساء لكثرة عيونها ومياهها[(٢)].

والحَساء يطلق على المقاطعة الشرقية، ويحدها غرباً عقبة الفَروق[(٣)] كصَبور وشمالاً القطيف[(٤)]، وجودة[(٥)]، وشرقاً رمال العقير[(٦)]، وهو الميناء الوحيد في المنطقة، وجنوباً رمال يبرين[(٧)]، وقاعدتها في الوقت الحاضر مدينة الهفوف، فهي العاصمة الطبيعية والعسكرية، وهي مركز الإدارة، وتقع في الطرف الجنوبي الشرقي للواحة[(٨)].

---

(١) سليمان الدخيل. تحفة الألباء في تاريخ الأحساء، ص٦.

(٢) الأدب القديم، ص٦.

(٣) الفروق، يفتح الفاء: عقبة بين هجر ومهب الشمال في الجهة الغربية، وكان فيه يوم من أيام العرب لما وقعت الحرب بين عبس وذبيان، وارتحلت عبس، ونزلوا ببني سعد بن زيد مناة فمكثوا زماناً.

(٤) القطيف: اسم لكورة بالبحرين، وهي التي يطلق عليها اسم الخط على سيف البحر، وتقع في آخر الزاوية الشمالية الشرقية عن الأحساء، بينهما بسير الدواب ثلاثة أيام، وقاعدتها الفرضة، وأشهر مدنها دارين، وتاروت سميت باسم صنم كان يعبدبها في زمن الجاهلية، وصفوى وسيهات، والجارودية، والزور، وسنابس، والخويلدية، والعوامية، والقديح، وأم الساهك، وعنك، وفي هذه الكورة عيون جارية، ونخيل وأشجار الفاكهة، وفيهم شعراء مجيدون وكتاب بارزون قديماً وحديثاً.

(٥) جودة: ماء معروف في حدود الأحساء الشمالية.

(٦) العقير: سيرد ذكره.

(٧) يبرين: قال ياقوت: بالفتح والسكون وكسر الراء، وياء بعدها نون، قال نصر: يبرين من أصقاع البحرين به منبران. قلت: هو صقيع يقع جنوباً من الأحساء، وفيه عيون ونخيل يسكنه قليل من البادية في أيام الأرطاب، وفيه كثبان ناعمة، وقد تغنى بها الشعراء.

(٨) صفحات من تاريخ الأحساء، ص٨١.

والأحساء في مجموعها أرض منبسطة قليلة الارتفاع، إذ يراوح ارتفاعها بين ثلاثين متراً وثلاثمئة متر، تميل ميلاً خفيفاً نحو الشرق، ويمكن أن يستدل على ذلك من اتجاه الينابيع، والقسم الأكبر من الأحساء سهل صحراوي، ويوجد فيها كثير من التلال المتقطعة تستخدم كحدود للمناطق، والمنطقة الساحلية سبخة، وفيها عدد عظيم من الآبار، وماؤها قريب من سطح البحر. أما أرض الأحساء بوجه عام فخصبة، وتكاد تغص بالعيون، وهي ذات بساتين وأنهار[1].

فهذا يدل على أن الهفوف كانت مدينة عامرة قبل ذلك الوقت بزمن طويل، وقد قيل: إنها سميت الهفوف لتهافت الناس عليها، ورغبتهم في سكناها، والإقامة بها منذ القدم بسبب توافر الظروف المعيشية الملائمة[2].

وتنقسم الهفوف إلى ثلاثة أحياء رئيسة، هي: الكوت، والرفعة، والنعاثل[3]، ويكوِّن حي الكوت الركن الشمالي الغربي للمدينة، وهو مقر الإمارة؛ محصن بسور عظيم يبلغ طوله ستمئة ياردة، مشيد عليه عدة أبراج، ويوجد بحي الكوت القلعة الرئيسة المعروفة باسم كوت الحصار وحصنان صغيران هما قصر القبة أو قصر إبراهيم[4]، وقصر العبيد الذي يستعمل للسجن[5].

ويكوِّن حي النعاثل الجهتين الجنوبية والغربية للمدينة ويفصله عن حي الكوت بساتين من النخيل.. ويوجد المسجد الجامع في حي النعاثل، وهو

---

(١) أحمد بن موسى الخطيب. «شعر علي بن المقرب العيوني.. دراسة فنية»، ص٢٩.

(٢) صفحات من تاريخ الأحساء، ص٥٥.

(٣) واحة الأحساء، ص١٠٩، وصفحات من تاريخ الأحساء، ص٨١.

(٤) وهو منسوب إلى إبراهيم بن عفيصان لكونه المشرف على بنائه، بناه حين استولى الإمام سعود بن عبدالعزيز على الأحساء، في أول القرن الثالث عشر، وهو مقر عسكر الدفاع والذخيرة، والسلاح وعتاد الحرب.

(٥) صفحات من تاريخ الأحساء، ص٨١.

أكبر مسجد في شرق الجزيرة العربية، كما تقطن به الطبقات الفقيرة، وتضم أكبر مسجد للشيعة[١].

ويكوّن حي الرفعة كل الجهة الشرقية للمدينة، وهو أفضل من الأحياء الأخرى من الناحية الصحية لارتفاعه، وتقيم به الأسر الغنية وهو الحي الذي ولد فيه شاعرنا، ومعظم مساكن الهفوف مكونة من طابق واحد وأغلبها مبني من الحجر والطين، مطلي بمونة الجبس، وبعض المباني أنيقة، وبها أقواس، ويوجد بكل منزل بئر تقريباً، وحائط مرتفع لحمايته، وطرق الأحياء كلها ضيقة ماعدا شارعين محاطين بالأشجار[٢].

ويوجد خارج البلدة من جهة الشمال سوق الخميس، وهو مكان يجلب إليه أهل البلد، والبدو حاصلاتهم ومصنوعاتهم، حيث تعرض فيه يوم الخميس، وهو موجود إلى الآن[٣].

أما المبرز: فهي المدينة الثانية في الأحساء من حيث الأهمية، وتقع في جانبها الغربي صحراء، وتحيط بها الزراعة من الجوانب الثلاثة، والطريق الذي يربط المدينة بالهفوف.. يعد أرضاً جيدة للري يحيط بها عدد من العيون، وينابيع المياه الفوارة.. وأهم هذه العيون عين أم سبعة[٤]، وعين نجم[٥]، ومن

(١) صفحات من تاريخ الأحساء، ص ٨١.

(٢) المرجع سابق، ص٨١.

(٣) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٧٠.

(٤) عين أم سبعة: تقع شمال المبرز، وماؤها في غاية الصفاء والعذوبة. تحف بها كثبان الرمال، ويجري ماؤها في سبعة أنهر هي: الغدير، ونهيضة، والحار، ومروان، والبارد، والخولاني، وأم شيبان، وهي منتجع الأهالي، وموطن الاحتفالات، ومغتسل العرسان.

(٥) عين نجم تقع غرب المبرز تمتاز بمياهها الكبريتية الحارة،مما جعلها مقصداً للمرضى المصابين بأمراض المفاصل، كما أنها مقصد لطلاب النزهة، ومقر لانطلاق قوافل الحج. وقد بنى الأتراك عليها قبة مستديرة الشكل على صورة القباب التي تغطي بها الحمامات البخارية في مصر والعراق، ولا يمكن الغوص إلى أعماقها لشدة الحرارة.

ذلك قول شاعرنا ابن مشرّف[١].

يا أيها العين كم تبكيك من عين ... هذا بذنب جرى أم نظرة العينِ

ونبع «الحارة»[٢]، ويلاصق ركنها الجنوبي الشرقي نبعًا «مرجان»[٣] و«الناصرية» والمظهر العسكري الوحيد هو «قصر صاهود»[٤] في الجانب الغربي خارج المدينة[٥].

أما ميناء الأحساء فهو العقير، ويقع في الجهة الساحلية المعروفة ببير العقير الذي يمتد على البحرين[٦].

وجعل منه قصر منيع يحفظ به التجار أموالهم ريثما ترد القوافل فتحمل الأموال إلى الأحساء والبلاد الأخرى إلى نجد، ولو أن تلك البلاد توفقت لشيء من التقدم لكان العقير اليوم يضاهي الموانئ الأخرى عماراً ونفوساً وإدارة[٧].

---

(١) الديوان، ص٣٥.

(٢) الحارة: تقع في الجهة الشمالية من المبرز.. وتسقي نخيل البطالية والشعبة والمبرز.. وماؤها حار شتاء، بارد صيفاً.. في غاية العذوبة والصفاء.. تبلغ مساحتها العلوية ٥٠ متراً.. وقطر فوهة العين أربعة أمتار.. وهي تجري في مجرى واحد رئيس يتجه شمالاً، ثم ينقسم إلى قسمين في منطقة تسمى (المفترق)، وهناك بعض الينابيع المحيطة بالأحساء، مثل: عين مرجان الناصرية.

(٣) عين مرجان: جنوب المبرز على بعد ميل واحد.

(٤) قصر صاهود، يبلغ ارتفاعه أكثر من تسعة أمتار، وعرض السور نحو سبعة أمتار، وفي كل ركن من أركانه برج شبه مستدير، وكذلك بين كل ركنين برج ما عدا الواجهة الشرقية، فقد حل المدخل محل البرج.. وكان القصر محاطاً بخندق كانوا في زمن الحرب يملؤونه بالمياه للحيلولة دون الوصول إلى القصر.

(٥) صفحات من تاريخ الأحساء، ص٨٢.

(٦) المرجع السابق، ص٨٣.

(٧) تحفة الألباء، ص٣٤.

أما صفتها فقد ذكر صاحب تقويم البلدان: أنها بليدة ذات نخيل كثيرة، ومياه جارية، ومنابعها حارة شديدة الحرارة، ونخيلها بقدر غوطة دمشق مستدير عليها، وإذا أردنا أن نصفها للقارئ، فليتصور أنه في أرض ذات رمال كثيرة، وبين هذه الرمال بلدة واسعة كثيرة القرى، والنخيل، والعيون، والأشجار وطقسها شديد الحرارة، فيحدث في أيام الصيف هواء ساخناً فيه شيء من اللزوجة. ساكنها يكون دائماً معرضاً للحميات والأمراض[1].

فمنطقة الأحساء مشهورة بمياهها الكثيرة في المناطق المزروعة، وعيونها الكثيرة الدافئة والحارة، وجميع المنطقة تكاد تغص بالعيون، والأرض لا تكاد تشكو الظمأ من كثرة المياه. والطرق تمتد على شواطئ العيون، والأشجار والخضرة أينما سار الإنسان[2].

فإذا تجولت في حقولها، فهناك تجد الأنهار الجارية بين البساتين المكتسية حللاً سندسية من الأشجار، والنبات الذي امتد عليه ظلال النخيل الوارف[3]فيصدق عليها قول الشاعر[4]:

وقانا لفحــــةَ الرمضـــــاءِ واد	وقـاه مضاعـف الغيـث العميـمِ
نزلنـا دوحــــة فحنـا علينـا	حنـو المرضعـات علـى الفطيـمِ
يصـد الشمـس أنـى واجهتنـا	فيحجبهـــا ويـــأذن للنســـيمِ

وفيها من أنواع النخيل الخلاص، وهو أبيض اللون إذا كان رطباً، وأصفر اللون إذا كان تمراً، وهو لذيذ الطعم، وأشهر الأنواع وأفضلها، وفيه

(١) تحفة الألباء، ص١١. (نص).

(٢) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٦٩.

(٣) تحفة المستفيد، ص٥١.

(٤) المرجع السابق، ص٥١.

يقول العلامة الشيخ عبدالله بن الشيخ علي العبدالقادر[١].

وغـانيـة عصيـت اللـوم فيهـا فمـا لـي مـن هواهـا مـن منـاص
فكـم أجنـي لذيـذاً مـن جناهـا أحـب إلـيَّ مـن رطـب الخـلاص

ومن أنواع التمور الرزيز، والشيشي، والحاتمي، والشبيبي[٢]، وأشهر الفواكه: الأترج، والليمون، والخوخ، والمشمش، والرمان، والعنب، والتين، وفيها كثير من الخيل العربية، وأفضل أنواع الحمير والبقر، وأنواعٌ من الأسماك الصغيرة، كما يعلفون بعض الحيوانات التمر القديم[٣].

---

(١) هو الشيخ عبدالله بن الشيخ علي بن الشيخ محمد بن عبدالقادر بن محمد بن حمد بن علي البخاري الخزرجي، من ذرية أبي أيوب الأنصاري – الشافعي. ولد سنة ١٢٧٠هـ في بلدة المبرز من الأحساء، وحفظ القرآن عن ظهر قلب وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وأخذ عن جده ووالده علم التفسير والحديث والفقه وقواعد العربية، ثم اشتغل بالإقراء والتدريس. كان والده يشغل منصب القضاء في المبرز حِسْبَة، وفي السنة التاسعة عشرة بعد الثلاثمائة توفي والده فقام بوظيفة القضاء حسبة، واستمر على ذلك طوال حياته.
وقد طرق الشاعر كثيراً من الموضوعات، وأجاد في فن المراسلة والمدح أيما إجادة، وللغزل باع واسع وشأو بعيد لدى شاعرنا، كما أنه يجيد الرثاء ويتقنه. توفي رحمه الله في الليلة الرابعة من جمادى الأولى، سنة ١٣٤٤هـ.

(٢) تحفة المستفيد، ص٥١، وتحفة الألباء، ص٢٧.

(٣) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٦٩، وتحفة الألباء، ص٣٠.

الفصل الأول

حياة ابن مشرف

١- اسمه ونسبه.

٢- أسرته.

٣- مولده ونشأته.

٤- ثقافته وشخصيته.

٥- علاقته برجال عصره.

٦- وفاته.

٧- آثاره.

- ١ -

اسمه ونسبه

هو الأديب، الشاعر المجود، العالم العلامة الفقيه، المحدث، المتفنن الأثري: أحمد بن علي بن حسين بن مشرّف الوهيبي[(١)] التميمي نسباً[(٢)] حيث يقول الشاعر[(٣)]:

فلما علا رأسي البياض تباعدت ... وذو الشيب عند الغانيات مشوم
فأصبحت مأسور الفؤاد بحبها ... وما ذاك من كيد النساء عظيمُ
فما بالها تصبو إلى كل يافع ... وتهجر شيخاً والداه تميم

والأحسائي وطناً، المالكي مذهباً، والسلفي معتقداً[(٤)].

التميمي نسبة إلى بني تميم القبيلة المضرية العدنانية العظيمة التي تغني شهرتها عن الحديث عنها. انتشرت بطونها وأسرها[(٥)] في حاضرة نجد وجبل شمر، وفي العراق وبعض البلدان والدساكر النجدية[(٦)] وقد احتلت أوسع

---

(١) الديوان . مكتبة الفلاح، ص٧.

(٢) جمع عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن درهم. نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار، ص٩١٨.

(٣) الديوان: ص٩٤.

(٤) ابن درهم . نزهة الأبصار، ص٩١٨.

(٥) عثمان الصالح العلي الصوينع .حركات التجديد، ص٦٣.

(٦) حمد الحقيل . كنز الأنساب ومجمع الآداب، ص٩٨.

رقعة في الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام... وامتازت تلك القبيلة بمجدها القديم، وعزها الطريف، وسطوتها بين قبائل العرب[١]، وقد قيل تميم نصف العرب[٢]، حيث قال: الشاعر[٣]:

يعد الناسبون إلى (تميم)	بيوت المجد أربعة كبارا
يعدون (الرباب) و (آل سعد)	(وعمرا) ثم (حنظلة) الخيارا

ومن أشهر فروعهم الوهبة، وبعض الناسبين يقولون: إن الوهبة من بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم[٤].

والوهبة يجمعهم محمد بن علوي بن وهيب، وكان له ولدان هما: زاخر ومحمد، فزاخر بن محمد بن علوي هو جد آل مشرّف[٥]. والمشارفة هم أولاد مشرّف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر، وفي مقدمتهم بل نبراسهم الشيخ المجدد، محمد بن عبدالوهاب، الذي وصف دعوته الإسلامية المنصفة بقوله[٦]:

ولم يزل يدعو إلى دين النبي	ليس إلى دين دعي أو مذهب
أو ذهبا أو مذهباً يريد	وإنما مطلوبه التوحيد
في ذلة وقلة في يده	مهفة تغنيه عن مهنده

ومنهم العلامة السلفي أحمد بن مشرّف الأحسائي[٧].

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية، رمضان ١٣٨٩هـ، ص١٦٠.
(٢) الصوينع . حركات التجديد، ص٦٣.
(٣) الحقيل . كنز الأنساب، ص٩٩.
(٤) إبراهيم بن عيسى .تاريخ بعض الحوادث، ص٢١٠.
(٥) زهر الأدب في معرفة أنساب ومفاخر العرب، ص٥٦.
(٦) الحقيل . كنز الأنساب، ص٩٩.
(٧) زهر الآداب في معرفة كنز ومفاخر العرب، ص٥٦.

وقد ورد ذكر اسمه في صدر الطبعة الهندية كما يلي: «هذا ديوان أحكام[١]الفضلاء، همام الأدباء، شمس الفصاحة، قمر برج البلاغة، نقّاد جواهر التحقيق، غواص بحار التدقيق، مزيّن العقلاء، كيّس الأذكياء، البليغ المشهور في البلاد والأمصار، الإمام العالم العلامة أحمد بن علي بن مشرّف، رحمه الله تعالى بمنه، آمين[٢] قال الشيخ الأديب الأريب البليغ الماهر اللبيب أحمد بن علي بن مشرّف رحمه الله تعالى»[٣].

وإذا نظرنا إلى جميع طبعات الديوان، فإننا نلاحظ أنه قد اتفق على اسمه، ولم يكن هناك أدنى شك على أنه أحمد بن علي بن مشرّف. فجاء مطابقاً لما ذكر في الطبعة الهندية، وهي أولى طبعاته، وقد دون ذلك مشافهة بخط أحد تلامذته، وهو محمد بن إبراهيم بالغنيم -كما سيرد ذكره- فهذا دليل على صحة ما نقل إلينا؛ لأن محمد بن إبراهيم بالغنيم قد عاصر الشاعر، وكان أحد تلامذته وكتابه.

---

(١) الديوان . الطبعة الهندية، المقدمة، هكذا في النسخة ولعلها أحكم.

(٢) المرجع السابق، هكذا في النسخة المقدمة .

(٣) المرجع السابق، ص٢.

- ٢ -

أسرته

لا تسعفنا المصادر بشيء عن أسرة الشيخ أحمد بن مشرّف؛ لأنه لم يحظ بعناية واهتمام من لدن مؤرخي عصره، وشهوده.. ومن استقراء الديوان لم أقف على بيت شعري يتحدث عن أسرته مطلقاً، فقد اجتهدت لمعرفة بعض التفاصيل والمعلومات عن أسرته، ولكني لم أوفق في ذلك؛ لأنها كانت معلومات ضحلة وضئيلة.

فوالده هو الشيخ علي بن حسين بن علي بن مشرّف التميمي. عاش في الزبارة؛ لأنه كان يعمل في التجارة، ثم انتقل إلى الأحساء سنة ١١٨٢هـ واستوطن بها، وكان من ذوي الثراء والصلاح، محباً للعلم والعلماء، يدل على ذلك ما أوقفه من كتب دينية على أهل العلم، حيث أوقف جملتين من كتب العلم على أهل الأحساء والمدرسين فيها، فمنهم الشيخ أحمد بن محمد بن شلهوب الحنفي النجدي[١] حيث أوقف عليه الجزء الأول من شرح العضدية لابن الحاجب، وكما كان له مماليك -عبيد- منهم آل عبدالحي، وقد أعتق شاعرهم وأديبهم سليم، كان رجلاً ذا علم، ولكن لحالته المادية وصعوبة

(١) هو الشيخ أحمد بن محمد بن شلهوب الحنفي الأحسائي. عالم فاضل جليل. تتلمذ له عدد من علماء الأحساء في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، وفي حي الكوت من الهفوف مدرسة قديمة تعرف بالشلهوبية، فكان أحمد أول مدرس للعلوم الشرعية فيها، فنسبت إليه، مطلع البدرين، ج١،ص٢٤٨.

العيش لم تتح له الفرصة ليكون عالماً[١].

ولم يصلنا شيء عن مكانته وعلاقته بالأمراء، سواء في الزبارة أم في الأحساء. أما أولاد شاعرنا، فلم يرزق إلا بابن واحد هو عبدالرحمن، فقد حظي من والده بتربية حسنة، ورعاية جيدة، وتعلم على يديه العلوم الدينية والعربية، وتزوج عبدالرحمن، ولكنه لم ينجب سوى بنات، لذلك انقطع عقبه، والله أعلم[٢].

(١) الأستاذ عبدالعزيز العصفور . مدرس في إحدى مدارس الحرس الوطني بمنطقة الأحساء، وهو أحد الباحثين في تاريخ الأحساء لقاء يوم الجمعة الموافق ١٧/ ١/ ١٤٢٠هـ.

(٢) لقاء مع الأستاذ عبدالعزيز العصفور، يوم الجمعة الموافق، ١٧/ ١/ ١٤٢٠هـ.

- ٣ -

مولده ونشأته

أقدم ما ورد ذكره في مولد ابن مشرّف أنه ولد في أوائل القرن الثالث عشر الهجري[(١)]، وهناك من يحدد هذا التاريخ بقوله: إنه ولد في سنة ١٢٠٢هـ[(٢)]، ولكن الدكتور شوقي ضيف يقول في كتابه: ولا يعرف تاريخ مولده[(٣)].

ومن المرجح أنه ولد في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، فقد تعلم على يد الشيخ حسين بن غنام[(٤)]. الذي ولد في منتصف القرن الثاني عشر الهجري سنة ١١٥٢هـ[(٥)]، وتوفي سنة ١٢٢٥هـ[(٦)]، تفقه على مذهب الإمام مالك، وبرع فيه، فكان علامة زمانه، واتصلت أسبابه بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فكان سلفي العقيدة، فهذا دليل على أنه ولد في أوائل هذا القرن، فتأثر بالشيخ ابن غنام، وأخذ عنه جميع العلوم، حيث نحا نفس منحاه تجاه الدعوة، ومن ذلك قوله[(٧)]:

---

(١) الساسي، الموسوعة، ج١، ص٢٨٢، محمد بن سعد بن حسين، من شعراء الإسلام، ص١١٥.

(٢) علي جواد الطاهر . معجم المطبوعات العربية في المملكة، ج١، ص٤٠٥.

(٣) شوقي ضيف . عصر الدول، ص١٨٤.

(٤) الطاهر، معجم المطبوعات، ص٤٤٩.

(٥) الساسي، الموسوعة، ج٢، ص١٠٣.

(٦) الديوان، ص١٦.

(٧) شوقي ضيف . عصر الدول والإمارات، ص١٨٤.

وحـــق أن نـــشرع المقـــال[١]
فـــي واجـــب التوحيـــد بالأفعـــال

وإذا نظرنا إلى شعر ابن مشرّف وجدنا أن قصائده مؤرخه على السنوات، وهي تمتد من سنة ١٢٤٥هـ (١٨٢٩م)[٢]حيث قال - رحمه الله تعالى - في الإمام فيصل بن تركي سنة خمس وأربعين ومئتين وألف[٣].

أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا — ولا تطـع فـي سبيل الجـود عـذالا
فالمنفقـون لهـم مـن ربهـم خلـف — ورب شـح إلـى الإتـلاف قـد آلا
مـن جـاد جـاد عليـه الله واسـتترت — عيوبـه وكفـى بالجـود سـربالا

إلى سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م)[٤]حيث قال أيضاً - عفا الله عنه - بعد وفاة الإمام فيصل رحمه الله سنة ١٢٨٣هـ[٥]:

أتقبـل عـذر الصـب، أم أنـت عاذله — بذكـرى حبيـب عنه شـطت منازله؟
أترغـب في نظـم القريض وجسـمه — مـوارًى بقبـر غيبتـه جنادلـه؟
فقلـت: دعينـي إن يكن مـات فيصل — فخالقـه حـي ومـا مـات نائلـهْ

إذاً أجمع المؤرخون على أنه ولد في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة. وذكر في التحفة، أنه ولد بالأحساء، وأخذ العلم عن جماعة من علمائها[٦] كما تشير بعض المصادر إلى أنه ولد في قرية الزبارة[٧] من قطر، وقضى فيها

---

(١) كذا ورد في الديوان.
(٢) الديوان، ص٨٤.
(٣) الديوان، ص٨٤.
(٤) شوقي ضيف، عصر الدول، ص٨٤.
(٥) الديوان، ص٩٠.
(٦) تحفة المستفيد، ص٤٠١.
(٧) بلدة على الشاطئ الغربي من شبه جزيرة قطر قبالة جزيرة البحرين. كانت في الماضي من البلدان العربية العامرة.تجارتها الكبرى اللؤلؤ، وسكانها من آل ابن علي والجلاهمة، =

مدة من الزمن ثم هاجر إلى الأحساء. وذكر في انتخاب الدرر أنه ولد في قرية الزبارة -أيضاً- وسكنها مدة من الزمن، ثم عاد إلى الأحساء[1]. ويذكر لنا ابن عصفور أنه ولد في الأحساء في حي الرفعة[2].

أما مكان ولادته، فمن المرجح أنه ولد في الأحساء؛ وذلك لأن والده الشيخ علي بن حسين بن مشرّف انتقل سنة ١١٨٢هـ من بلدة الزبارة إلى الأحساء، واستوطن هناك؛ لأنها بيئة علم حيث ولد الشيخ أحمد بعد استيطان والده في المنطقة في أواخر القرن الثاني عشر، وولد أحمد في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة، وكان والده محباً للعلم والعلماء [3].

أما نشأة شاعرنا، فقد نشأ وتعلم في الأحساء، وكان ذلك في عهد ازدهار العلم في ربوع الجزيرة العربية، وبزوغ شمس التوحيد بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله[4]، وبدأ منذ نعومة أظفاره بحفظ القرآن الكريم على شاكلة لداته، ثم أخذ يختلف إلى حلقات العلماء في موطنه[5] -الأحساء- خصوصاً حسين بن غنام المالكي، حيث درس المذهب المالكي حتى نبع فيه، وفي علوم عصره الدينية والعربية وبخاصة الفقه والحديث[6]، حتى بلغ درجة الأستاذية، فدرس بالأحساء، وأفاد،

= وهم من عرب العتوب، أي بني عتبة.

١- أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت، ج١، القسم الأول، ص١٣١.

٢-أمين الريحاني، ملوك العرب، ج١، ص٧٤٠.

(١) انتخاب الدرر من شعراء قطر. عني بطبعه ومراجعته عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، ص٦٥.

(٢) لقاء مع الأستاذ عبدالعزيز العصفور ١٨/ ١٢/ ١٤٢٠هـ.

(٣) لقاء مع الأستاذ عبدالعزيز العصفور، يوم الجمعة الموافق ١٧/ ١/ ١٤٢١هـ.

(٤) الساسي، الموسوعة الأدبية،ج١، ص٢٨٢.

(٥) شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص١٨٤.

(٦) الحامد، الشعر في ظلال حركة الإمام، ص٦٥.

وعلم الناس[(١)]، وكان له تلاميذ من بينهم: ابنه الشيخ عبدالرحمن بن أحمد بن مشرّف، وسليم عبدالحي، ويعدّ من موالي المشرّف، وقد أعتقه الشيخ أحمد بن مشرّف لفضله وأدبه، والشيخ عيسى بن عبدالله بن عكاس، والشيخ إبراهيم بن طوق، ومحمد بن إبراهيم بالغنيم الذي اهتم بطبع ديوان شيخه وجمعه، وإبراهيم بن ربيع، وعبدالعزيز وعبدالرحمن ابنا محمد الحميد من أهل المبرز، وغيرهم كثير[(٢)]. ولكننا لا نعلم شيئاً عن تفاصيل حياته، سواء في طفولته أم في شبابه؛ لأنه لم يحظ باهتمام الباحثين، وليس في ديوانه ما ينبئنا عن أحواله في فواتح حياته، أو شبابه المبكر.. ثم يمم شطر نجد يتعلم ويدرس، وعاد إلى الأحساء، وتولى قضاءها في آواخر عهد الإمام فيصل بن تركي وأول أيام ابنه عبدالله[(٣)]. ويرى آخرون أنه تولى القضاء قبل ذلك بمدة طويلة، فقد تولى القضاء أيام الإمام تركي بن عبدالله، ولدينا وثائق تثبت ذلك من بينها وثيقة حررت بتاريخ ١٢٤٧هـ، كما سيرد ذكرها[(٤)].

وتفيد المصادر أنه كان أعمى غير أننا لا ندري أكان عماه منذ ولد أم أنه حادث لمرض الجدري أو غيره[(٥)]. وقد ذكر في انتخاب الدرر أنه مكفوف البصر[(٦)].

ومن خلال اطلاعنا على الوثائق الصادرة عنه، وهو في مهنة القضاء يتضح لنا أن الشيخ كان أعمى بالفعل، حيث كان له كاتب لتحرير الوثائق - أي: أن الشيخ يملي عليه- فكان يكتب اسم شيخه على كل وثيقة، وإذا أمعنا النظر

---

(١) الساسي، الموسوعة، ج١، ص٢٨٢.

(٢) مشافهة عن الأستاذ عبدالعزيز العصفور.

(٣) الحامد، الشعر في ظلال حركة الإمام، ص٦٥.

(٤) لقاء مع عبدالعزيز العصفور، أستاذ وباحث.

(٥) الحامد. الشعر في ظلال حركة الإمام، ص٦٦.

(٦) انتخاب الدرر من شعراء قطر، ص٤.

وجدنا هناك بعض الأخطاء الكتابية فيها، ومثال ذلك الوثيقة التي حررت في رجب سنة ١٢٨٤هـ، حيث كتب عليها: «وأنا الفقير إلى الله أحمد ابن علي ابن مشرّف سامحه الله وجميع المسلمين»(١) فنلاحظ إثبات ألف «ابن» في جميع الوثائق، وهذا لا يصح إذا كانت واقعة بين علمين، فلا يعقل أن يكون الشيخ هو من حرر تلك الوثائق، وهو عالم متضلع من علوم اللغة العربية، وليس من الممكن أن يقر مثل هذا الخطأ؛ لأن القضاة المبصرين دقيقون جداً في تحرير وثائقهم، فلا يمكن أن يمر عليهم مثل هذا الخطأ دون ملاحظته أو تصحيحه، فهذا الخطأ يدركه كل من يمارس صناعة الكتابة. وكذلك اختلاف العبارة المستخدمة لدى ابن مشرّف في تصديره للوثيقة، وهذا مثبت من خلال الوثائق المرفقة لدينا. فلو قارنا بين الوثائق التي حررت باسم ابن مشرّف، والوثائق المحررة قديماً من القضاة المبصرين، لوجدنا عدم إثبات الألف في «ابن» كذلك نلاحظ أن كل قاض له عبارة يستخدمها في تصدير جميع وثائقه.. ومما يدل على ذلك، وثائق عبداللطيف بن نعيم حيث يصدر وثائقه بعبارة واحدة فيقول: «ثبت الحمد لله لديّ ما ذكر فصح وحررته وأنا أفقر الورى إلى الله عبداللطيف بن نعيم لطف الله به والمسلمين بحمده وكرمه آمين» سواء في الوثيقة التي حررت يوم الثالث عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٥٠هـ، أم الوثيقة الثانية التي حررت يوم الخامس من ربيع الأول سنة ١٢٥٠ من الهجرة - وهي مرفقة لدينا - فهذه الأدلة جميعها تثبت أن ابن مشرّف كان مكفوف البصر، فهو - إن شاء الله - معذور في هذه الحالة(٢).

---

(١) هكذا وردت في الوثائق التي سنعرضها .

(٢) لقاء مع الأستاذ عبدالعزيز بن أحمد العصفور، في سنة ١٤٢١هـ.

سبحانه
فبسم الله الرحمن الرحيم

اقر وعترف عندي احمد ابن عبد الله
ابن احمد ابن مطلق بما تضمنته
هذه نسخة مما
نقلنا ما المذكور
ما حلقته قاله احمد
ابن علي ابن مشرف

وجه تحرير هذه الاحرف هو انه قد حضر احمد بن عبد الله آل مطلق
وهو صحيح البدن كامل العقل نافذ التصرف في ماله وعليه
واقر بان جميع ما يستحق في ذمة محمد بن احمد آل مطلق من
قبل ابيه عبد الله من ثالث باسه وصلى وان ليس في ذمة عمه له حق
ولا يستحق بانه بريء الذمة منها سيما مال الاغنى المسلمين فان
حدث من عليه دعوى في شيء عليه من دعوى باطل لا يلتفت
اليها واذا انقضا بجميع احوال المذكور بان جميع مواشي من احمد
طرفه وطرف عمه المذكور وانه بريء الذمة حين ذلك في اليوم
السابع عشر من ربيع الثاني سنة ١٢٤٧ من الهجرة النبوية
وسبع مطلق وشهد على ذلك عبد العزيز بن محمد بن
وديك ومحمد بن عبد الرحمن بن وديك والشيخ عبد العزيز بن مبارك
وعبد الله بن علي بن جعفر وكفى بالله شهيدا وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله
ثبت لدي ما ذكر من البيع وقبض الثمن بإقرار البائع
بحضور جماعة من المسلمين خاطبته وأنا الفقير إلى الله
أحمد بن علي بن مشرف سامحه الله وجميع
المسلمين

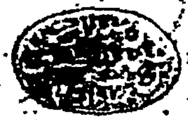


بسم الله الرحمن الرحيم

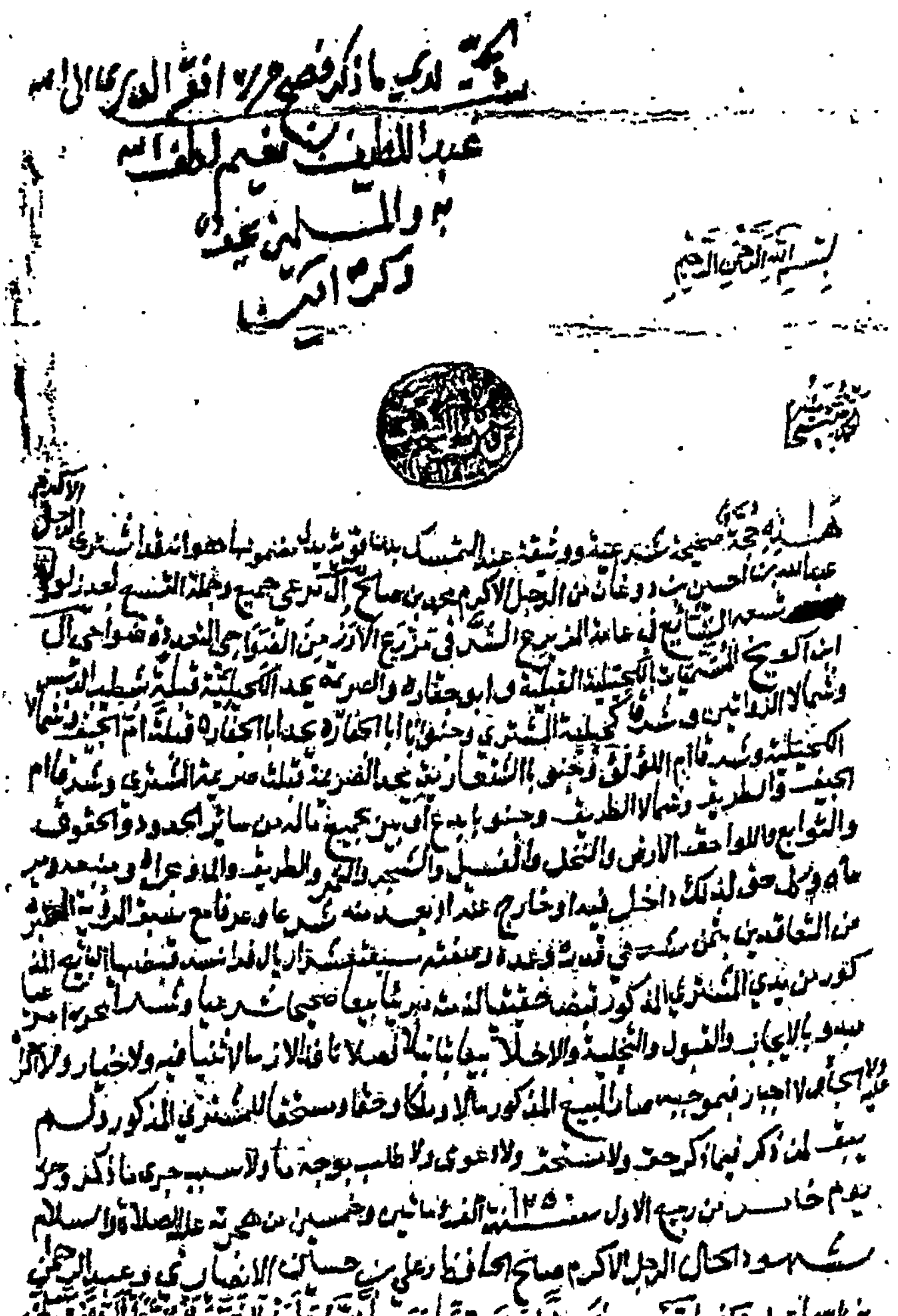
الموجب لذلك هو أنه قد اشترى الرجل محمد بن علي بن فريدان بنفسه لنفسه من جناب
الرجل محمد بن علي بن سلمان البائع أصالة عن نفسه وذلك جميع وجملة ما هو في ملك
البائع المذكور وتحت تصرفه حين البيع وهو الشطيب الأوسط المعروف بالغوافلة من
الشملية الكائنة في طرف شراع المقابل على ساقية القنطرة يحده الشطيب المذكور
قبلة شطيب بو محمد وشمالا ملك السراك وشرقا ملك عيال بنت ثويني
وجنوبا الطريق بما لذلك من الحدود والحقوق والتوابع واللواحق من الأرض والنخل
والفسيل والشجر والثمر والطريق والمركب والماء ومجراه ومنبعه ومرقاه وكل
حد وحق لذلك داخل فيه أو خارج عنه أو مضاف إليه أو معه من شرعا وعرفا عموما
وإطلاقا مع العلم بذلك من الرؤية المعتبرة شرعا من المتعاقدين له بثمن
قدره وعدده أربعة آلاف فضة فرانسة قبضه البائع من يد المشتري قبضا
حقيقيا الذمة المشتري مبرئا البائع ... قبض واستيفاء
بيعا صحيحا بإيجاب وقبول وتخلية وإطلاق بيعا تاما فصلا قطعيا
لا ثنيا فيه ولا خيار ولا غبن ولا حيف ولا رد ولا إقالة ... ذلك
بالطوع والرضى والاختيار من غير إكراه ولا إجبار ... ذكر
في رجب الحرام سنة ١٢٨٤ الرابع والثمانين بعد المائتين والألف هجرية
شهد بذلك محمد بن عبد الرحمن بن مطلق وأحمد بن عيسى المطلق وكفى بالله شهيدا
ووكيلا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الحمد لله ثبت لدي ما ذكر فيه وجرى وأنا أفقر الورى
إلى الله عبد اللطيف بن عبد الرحيم لطف الله
به والمسلمين بجوده
وكرمه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم



وجه تحرير هذه الحجة الصحيحة الشرعية هو انه قد وقع الصلح والتراضي بعد التخاصم والتداعي بين
الرجل سعيد بن اسماعيل آل حلم بوكالته الشرعية عن عبد الرحمن بن محمد بن خالد وعن ورثة ابراهيم بن خالد
وهم عبد الله وخولة وطرفة وبيان ونورة وسارة والجوهرة عيال ابراهيم بن خالد وعن لطيفة بنت عبد الله السا..
بشهادة عبد الله المذكور وعثمان بن محمد آل حلم ومحمد بن حسن آل حلم وبين حسين بن صالح الجبيلي بوكالته
عن ورثة احمد بن عباد اهل التيمية وذلك فيما يدعيه موكلي سعيد المذكورين على موكلي حسين في العقارين
المسميين بالمويسية والبديعة الكائنين بطرف المزادي ساقيته كليسوه الغنيين بالشهرة عن التحديد
فصالح سعيد المذكور بوكالته عن موكليه المذكورين عن ما يدعيه على موكليه وعن جميع الدعاوي بمائة ريال
وستون ريال قبضها سعيد لموكليه من يد حسين من مال موكليه بمجلس الصلح قبضا حقيقيا برئت به ذمة
حسين وذمة موكليه البراءة الشرعية صلحا صحيحا شرعيا مشتملا على كل معتبر شرعا فيه بموجب ما ذكر لم يبق
في ذمة موكلي حسين المذكور لموكلي سعيد المزبور في العقارين ولا في شيء من ثمارها ولا فيما يسمى مالا
او يئل بمال حق ولا مستحق ولا دعوى ولا طلب بوجه ولا سبب وقد اسقط سعيد بوكالته عن موكليه
المذكورين عن موكلي حسين جميع الدعاوي والبينات والايمان والمطالبات من جميع الجهات فكل دعوى تصدر
من موكلي سعيد المذكورين او من يقوم مقامهم على موكلي حسين او من يقوم مقامهم فيما يسمى مالا او يقال
بمال من ذهب وفضة وتمر وعيش وحب وغير ذلك فهي دعوى زور وبهتان باطلة لا يلتفت اليها
ولا يعول في الشرع الشريف عليها وسجل ما جرى حفظا للحال وصيانة عن القيل والقال وشهد
جرى ذلك يوم ثالث وعشرين جمادى الاولى سنة الخمسين بعد المائتين والالف
ومحمد المذكوران اعلاه وابراهيم بن حجي اهل التويثير واحمد بن محسن اهل القارة واحمد بن محمد بن عثمان
واحمد بن عبد المحسن بن سلام وعثمان بن حسن بن عكاس وحرره الحقير الى ربه محمد بن نجار غفر الله
له ولوالديه وللمسلمين بجوده وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم


بسم الله الرحمن الرحيم

هذه حجة صحيحة [illegible] الرجل الأكرم عبد الله بن الحسين [illegible] من الرجل الأكرم محمد بن صالح [illegible] جميع [illegible]

[illegible] الأرض من [illegible]

[illegible] ملكاً وحقاً [illegible] للمشتري المذكور ولم يبق لمن ذكر فيما ذكر حق ولا [illegible] ولا دعوى ولا طلب بوجه ما ولا بسبب [illegible]

يوم خامس من ربيع الأول سنة ١٢٥٠ ألف ومائتين وخمسين من هجرته عليه الصلاة والسلام

شهد [illegible] الرجل الأكرم [illegible] وعبد الرحمن بن إسماعيل وكفى بالله شهيداً [illegible] وصلى الله على من لا نبي بعده [illegible]

كذلك إذا استقرأنا ديوان ابن مشرّف فإننا نلاحظ أنه يذكر العمى في أبياته في عدة مواضع من ديوانه، ومن ذلك قوله[١]:

هــدى وشفــاء للقلــوب ورحمــة

مــن الله يشفــى ذو العمــى بشفــائه

وقوله[٢]:

وألّـف فـي التوحيـد أوجـز نبـذة بها قد هـدى الرحمن للحق من هدي

نصوصاً من القرآن تشـفي من العمى وكـــل حـديـث للأئمــة مــسـندِ

فهنا يدعو للإنسان الأعمى بالشفاء من الله عز وجل، فهذا استشفاف، على أن شاعرنا كان مصاباً بهذا الداء فهو لم يذكر أي داء آخر في ديوانه، وليس هذا فحسب، بل أثبتنا ذلك من خلال الوثائق التي سبق ذكرها.

(١) الديوان، ص٣٧.

(٢) الديوان، ص٦٢.

- ٤ -

ثقافته وشخصيته

أحمد بن مشرّف شخصية علمية أدبية يعود ذلك إلى سبق أسرة آل مشرّف في مجال العلم والأدب، شأنها شأن الأسر العريقة ببلاد الأحساء آنذاك، فلا غرابة في أن تنمو شخصيته الأدبية على استقامة حسنة، وميولٍ أدبية خاضعة لمبادئ بنتها عبقريته المتطلعة، وحماسته المتوقدة[1]. ولكن الباحث لا يستطيع أن يتبين معالمها من خلال كلام المؤرخين؛ لأن ما وصل إلينا عن هذا الشاعر في كتب التراجم قليل جداً، وليس في هذا القليل ما يوضح معالم شخصيته، فكل ما وردنا إنما هو عبارة عن إشارات عابرة لبعض الصفات والخلال التي يمتاز بها شاعرنا،ومما لا شك فيه أن البيئة من أهم العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته في سنوات عمره المبكر[2]، فقد سيطرت الدعوة السلفية سيطرة كاملة على موضوعات الأدب منذ نشوئها، ولا سيما شاعرنا، فليس من الغريب أن ينطبع شعره بطابع تلك الأيام، فاصطبغت بصبغتها المشرقة، روحه الشاعرة، وتنفست بأنسامها العطرة نفسه المؤمنة، فجاء شعره ونظمه صورة لذلك الانطباع[3]. وسوف نلمس ذلك بأنفسنا عندما نستقرئ شعر ابن مشرّف، ونحاول معرفة المعالم البارزة في شخصيته، ورصد جوانب ثقافته لما لها من صلة قوية في بناء شخصيته، والتأثير في أخلاقه وصفاته.

---

(١) عبدالعزيز بن أحمد العصفور، لمحات أدبية لشباب الأحساب، ص٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص٦٣.

(٣) ابن حسين، الأدب الحديث في نجد، ص٢٣٦ - ٢٤٠.

إن المتتبع شعر ابن مشرّف يتضح له مدى إلمامه بعلوم اللغة والتاريخ وعلوم الدين، فهذا يدل على سعة اطلاعه، وشمول معارفه.

وإذا نظرنا في مقدمة هذه المعارف نجد ثقافته القرآنية حيث حفظ القرآن الكريم وتأثر به تأثراً ملموساً في شعره كقوله في الدنيا[١]:

وإيـاك والدنيـا الدنيــة إنهــا ... هـي السـحر فـي تخييلـه وافترائـه
متــاع غـرور لا يــدوم ســرورها ... وأضغــاث حلـم خــادع ببهــائـه

كذلك نلاحظ دعوته إلى تلاوة كتاب الله، ومن ذلك قوله[٢]:

فكـن تاليـاً آي الكتـاب مداويـاً ... بهـا كــل داء فهـي أرجـى دوائـه
فمنــه ينابيــع العلـوم تفجـرت ... ومـا فاض مـن علم فمن عـذب مائه

أو قوله مقتبساً بعض ألفاظ القرآن[٣]:

الحمــد للـه الإلــه الواحـــد ... المتعــالي شــأنه عـن والـــد
فلـم يلـد جــل ولـم يولــد ولا ... كفــواً لـه فجـل شــأناً وعــلا

فهناك اقتباس من سورة الإخلاص:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[٤].

وقوله[٥]:

زعمتـم بـأن اللـه ليـس بمســتو ... على عرشـه، والاسـتواء ليس يجهل
فقد جاء في الأخبـار في غير موضع ... بلفـظ «اسـتوى» لا غيـر يـا متـأول

---

(١) الديوان، ص٣٨.

(٢) الديوان، ص٣٦ - ٣٧ .

(٣) الديوان، ص٩.

(٤) سورة الإخلاص، الآيات من ١ إلى ٤.

(٥) الديوان، ص٢٤.

وقد جاء في إثباته عن نبينا ... من الخبر المأثور ما ليس يشكلُ
فصرح أن الله جل جلاله ... على عرشه منه الملائك تنزل
يخافونه من فوقهم وعروجهم ... إليه وهذا في الكتاب مفصل

إلماح وإشارة إلى قوله تعالى: من سورة المعارج، ونصها ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1] وغيرها كثير.

كما يدعو الشاعر إلى الأخذ بالحديث الشريف وتقديمه على الآراء، ومن ذلك قوله[2]:

وقدم أحاديث الرسول ونصه ... على كل قول قد أتى بإزائه
فإن جاء رأي للحديث معارض ... فللرأي فاطرح، واسترح من عنائه
فهل من وجود البحر يكفي تيمم ... لمن ليس معذوراً لدى فقهائه؟

وإذا قرأنا قوله[3]:

واغربة الدين فاعجب من تغربه ... عند المصدق فضلاً عن مكذبِهِ
ألا ترى الجهل بين الخافقين فشا ... والعلم أغرب من عنقاء مغربِهِ؟

نلاحظ اقتباس الشاعر من حديث الرسول ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»[4].

ومن الملاحظ أن معظم قصائد الديوان تغلب عليها الصبغة الدينية، وهذا عائد - بلا شك - إلى نوع ثقافة الشاعر، فابن مشرّف عالم ديني أكثر منه شاعراً مجيداً، ففي ديوانه ما لا يقل عن خمسة وعشرين قصيدة كلها دينية

(١) سورة المعارج، الآية ٤.
(٢) الديوان، ص٣٧.
(٣) الديوان، ص٤٤.
(٤) صحيح مسلم بن الحجاج، ج١، ص٩، كتاب الإيمان.

بحتة، كما أن هذا الميل الديني يلازمه أينما اتجه، فهو يمدح الإمام فيصلاً مثلاً، ويتخذ من مدحه وسيلة لتوجيهه وإرشاده إلى التمسك بمبادئ الدين الحنيف[١]. ومن ذلك قوله[٢]:

فقم واستعن بالله وانهض إلى العلا ... فكسب الثنا والأجر خير المكاسبِ
ولازم تقى الرحمن واسأله نصرة ... يمدك من إسعافه بالعجائبِ

كما تحدث عن قضية الاجتهاد والتقليد[٣]:

فواحرَّ قلبي من جهول مسود ... به يقتدى في جهله لشقائه
إذا قلت: قول المصطفى هو مذهبي ... متى صح عندي لم أقل بسوائه
يرى أنها دعوى اجتهاد صريحة ... فوا عجباً من جهله وجفائه

وتحدث عن القبور المطاف بها[٤]:

لم يسلكوا منهج التوحيد بل فتنوا ... بكل ذي جدث في اللحد مقبورِ
هذا يطوف وهذا في تقربه ... يأتي إليه بمنحور ومنذورِ
وذا به مستغيث في شدائده ... يرجو الإجابة في تيسير معسورِ

ونعى على الناس ذهابهم إلى (عين نجم) في جو تسوده الخرافة والأسطورة، وكثير من اللهو والخنا، وكانت عليه قبة[٥]، فيقول[٦]:

ألا فاتركا عيناً تضاف إلى نجم
فقبتها بالهدم أولى وبالرجم

كل ذلك يدلنا دلالة تامة على أنه عالم ورع يخشى الله، ويتقيه زاهداً في

---

(١) مجلة الإشعاع، عدد شعبان ١٣٧٥هـ، ص٨.
(٢) الديوان، ص ٤٤ – ٤٥.
(٣) الديوان، ص٣٧، ٣٨.
(٤) الديوان، ص٣١.
(٥) الشعر في ظلال حركة الإمام، ٧٠.
(٦) الديوان، ص٣٤.

دنياه يخافها، ويحذر شرورها(١).

ومن هذه المعارف أيضاً ثقافته التاريخية، ومن ذلك قصيدة اقتضب فيها سيرة الرسول ﷺ فيقول(٢):

هو خير الخلق طراً وبه ... للنبيين جرى ختم وفتحُ
فبه قد بدئوا واختتموا ... فهو كالمسك له في الختم نفح

وقال في تاريخ بعثة النبي ﷺ(٣):

وحين كمل سن الأربعين أتى ... إليه الوحي روح الله واختلفا
إليه بضعة عشر قبل هجرته ... من مكة ثم عشر بعدهن وفا

وقوله في الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم(٤):

وقام من بعده الصديق مقتدياً ... بهديه تابعاً للحق إذ خلفا
وفي ثلاثة عشر مات مجتهداً ... وقلد الأمر أقواهم بغير خفا
أعني به عمر الفاروق من فتحت ... به الفتوح وعز الدين وانتصفا

ثم انتقل إلى خلفاء بني أمية، حيث يقول(٥):

بنو أمية أملاك غطارفة ... حازوا الخلافة بعد السادة الخلفا
منهم معاوية صهر النبي ومن ... قد كان بالحلم والإنصاف متصفا

ولم يكتفِ بذلك فقد درس التاريخ بجميع حقبه الزمنية، فانتقل إلى خلفاء بني العباس، ومن ذلك قوله(٦):

(١) الإشعاع، ص٨ .
(٢) الديوان، ص٤٩، ٥٠.
(٣) الديوان، ص٧٧، ٧٨.
(٤) الديوان، ص٧٨.
(٥) الديوان، ص٧٨.
(٦) الديوان، ص٧٩.

ثم اقتفتهم بنو العباس تضربهم ... بالمشرّفية ضرباً مسرفاً عنفا
وقام جد بني العباس حين بدا ... من سعدهم طالع لا يعتريه خفا

كما نلاحظ اهتمام الشاعر وتتبعه للحركات السياسية، وتحركات الأمراء وحروبهم المختلفة في عصره حيث رصد ذلك بفرط الحب أو بفرط البغض ومن ذلك قصيدة رد بها شاعرنا على شاعر بصري يسمى عثمان بن سند البصري، شتم فيها نجداً وأهله وشيخه، فانبرى له الشاعر، وحمل عليه، ومن خلال هذه القصيدة تراءت حالة نجد ووضع حكامها وأعرابها[١]. فيقول[٢]:

أليل غشا الدنيا أم الأفق مسود ... أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو ؟
أم السرج النجدية الزهر أطفئت ... فأظلمت الآفاق إذ أظلمت نجد؟

أما ثقافته العربية وآدابها فواسعة تظهر في كل قصيدة من شعره، فهو متمكن من أسرارها ودقائقها ومفرداتها؛ وذلك لأنه درس علوم اللغة العربية على يد شيخه حسين بن غنام - كما سبق ذكره - ومن ذلك قوله[٣]:

فدونك من أصداف بحري لآلئاً
إلى نظمها لا يهتدي كل شاعرِ

ونلاحظ أنه على دراية واسعة بالآداب السابقة، ومن ذلك قوله[٤]:

تعودت بسط الكف طبعاً، وإنما
لكل امرئ من دهره ما تعودا

فالشطر الثاني أول بيت للمتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني، ونصه[٥]:

(١) بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية، ص٦٩.
(٢) الديوان، ص٥١.
(٣) الديوان، ص٦٩.
(٤) الديوان، ص ٥٤.
(٥) أبو البقاء العكبري، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، ج١، ص٢٨١ .

لكل امرئ من دهره ما تعودا
وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

وهو على معرفة ببعض العلوم العامة، ومن ذلك قوله[١]:

خفافيش أعشاها النهار بضوئه   فوافقها من ظلمة الليل غيهبُ
فظلت تحاكي الطير في ظلمة الدجا   وإن لاح ضوء الصبح للعش تهرب

ويطلق شاعرنا زفرات حرّى على العلم، لتفشي الجهل والأمية، فيقول في إحدى قصائده[٢]:

على العلم نبكي إذ قد اندرس العلمُ   ولم يبق فينا منه روح ولا جسم
ولكن بقي رسم من العلم دارس   وعما قليل سوف ينطمس الرسم

وكل ذلك يدل على سعة ثقافته الدينية، ودرايته بما يدور في عصره من أحداث تاريخية، وتبحره أيضاً في اللغة العربية، كل ذلك رصده لنا ابن مشرّف في ديوانه.

وإذا جوّلنا بين جنبات الديوان تتضح لنا بعض ملامح شخصية شاعرنا، فنلاحظ ولوعه بالقرآن وتأثره به:

فكن تالياً آي الكتاب مداوياً   بها كل داء فهي أرجى دوائه
فمنه ينابيع العلوم تفجرت   وما فاض من علم فمن عذب مائه
هدى وشفاء للقلوب ورحمة   من الله يشفى ذو العمى بشفائه

وقوله أيضاً[٣]:

نصوصاً من القرآن تشفي من العمى
وكل حديث للأئمة مسند

---

(١) الديوان، ص٣٣.
(٢) الديوان، ص٤٠.
(٣) الديوان، ص٦٢.

ونلاحظ أن ابن مشرّف قوي العقيدة، صادق الإيمان، فالتزم ذلك فكراً وسلوكاً، ومن ذلك قوله(١):

فيا رب عفواً منك عما اجترحته ... من الذنب عن علم وما كنت أجهل
فإني على نفسي مسيء ومسرف ... وظهري بأوزار الخطيئات مثقل
فهب لي ذنوبي واعف عنها تفضلاً ... عليّ فمن شأن الكريم التفضل

وهو عالم ورع يخشى الله، ويتقيه، زاهداً في دنياه يخافها، ويحذر من شرورها، ومن ذلك قوله(٢):

متاع غرور لا يدوم سرورها ... وأضغاث حلم خادع ببهائه
فمن أكرمت يوماً أهانت له غداً ... ومن أضحكت قد آذنت ببكائه
ومن تسقه كأساً من الشهد غدوة ... تجرعه كأس الردى في مسائه

كما نجده إنساناً غيوراً على دينه لا يرضى بأي زيف، ومن ذلك ما قاله في هجاء عين نجم(٣):

ومن يعتقد فيه الشفا لم يزل على ... شفا جرف الإشراك جهلاً بلا علم
وإن ظنها تشفي العليل بسرها ... فهذا اعتقاد المشركين بلا وهم
وإن قال من باب التداوي فلم يصب ... فما هي كالحمام في الضبط والحكم

وقال - رحمه الله تعالى - في قبة عين نجم بعد أن هدمت بأمر الإمام فيصل، رحمه الله(٤):

يا أيها العين كم تبكيك من عين ... هذا بذنب جرى أم نظرة العينِ؟

---

(١) الديوان، ص٢٨، ٢٩.
(٢) الديوان، ص٣٨.
(٣) الديوان، ص٣٥.
(٤) الديوان، ص٣٥.

ألـم تكونـي لأربـاب الفسـوق ومن ... أراد لهـواً ولعبـاً قـرة العيـنِ؟
فيـا خسـارة مـن بالمـال شـيدها ... الدمـع مـن عينه يجـري علـى العين

كان لابن مشرّف لسان قوي حاد لا يهاب، والدليل على ذلك قوله[١]:

إليك شـددت العيس أشكو ظلامتي ... فقـد رام خسـفي حاسـد وظلـومُ
وجـار علـيّ العاملـون بخرصهـم ... وظلم الـورى يـوم الحسـاب وخيمُ

ويدعو الحكام إلى الحزم، وأخذ الحيطة من الأعداء، وترك الهوادة واللين في معالجة أمور الأمة، حيث قال[٢]:

وأَنْشِـدْهُ إن أحسسـتَ منـه تثاقـلاً ... إذا لـم يسـالمك الزمـان فحـاربِ
ولا تحقـر الخصـم الضعيف لضعفه ... فكم خـرب الجرذان في سـد مأربِ

لقد كان ابن مشرّف شجاعاً لا يهاب الموت، ومن ذلك قوله[٣]:

نهضنـا للقتـال بـلا تـوان ... سـوى قـدر الترحـل للمقيـم
لنجمـع لأمـة للحـرب كنـا ... نداولهـا لذلـك مـن قديـم

ونلاحظ كذلك حبه للعدل والحث عليه[٤]:

والمـال يربـو لمـن ربـى رعيتـه ... بعدلـه ونفـى للظلـم أغـلالا
والطـرق أمنهـا بالعـدل فامتـلأت ... إنسـاً فـلا يرهـب السـلاك معتـالا

وقوله[٥]:

بعـدل ولاة الأمـر ترسـو دعائمـه ... وتأمـن فـي قفـر الفـلاة سـوائمه

(١) الديوان، ص٩٢.
(٢) الديوان، ص٤٧.
(٣) الديوان، ص١٠١.
(٤) الديوان، ص٨٥.
(٥) الديوان، ص٩٥.

وبالحزم والكتمان والجد والحجا ... ينال أخو العلياء ما هو رائمه

كما يدعو الشاعر إلى المحافظة على أواصر القربى، وعدم قطع الرحم؛ لأنها قطع عن الخيرات، ونهاية المسرات، وقد صورها الشاعر تصويراً بارعاً بما فيه من تحريك النفوس، ولذا استغرق في هذا التصوير أحد عشر بيتا، ومن ذلك قوله[1]:

قطع الذي أمر الإله بوصله ... فلأجل ذا أسبابه لم توصلِ

إلى قوله[2]:

بل مالك الملك الإله، وإنه ... جعل الخلافة في الإمام الأعدل

وفي نهاية القصيدة يستخلص الشاعر حكماً عن قطيعة الرحم حيث يقول[3]:

تنبيك أن الظلم أشأم طائر ... والبغي أسرع صارع ومخذلِ
وتريك شؤم قطيعة القربى، فمن ... يقطع حبال قريبه لم يمهلِ

كما كان يجاهر بطلب العطاء، فكان الإمام فيصل هو الألمعي الكريم الأصل المقصود في الحوائج[4]:

وساءلت: هل في دهرنا من مساعد ... على جبر مطلوب وإسعاف طالب؟
فلم أر إلا الألمعي أخا الندى ... إمام الهدى نسل الكرام الأطايب

(١) الديوان، ص٨٧.
(٢) الديوان، ص٨٧.
(٣) الديوان، ص٨٧.
(٤) الديوان، ص٤٥.

وقوله[١]:

تعودت بسط الكف طبعاً، وإنما (لكل امرئ من دهره ما تعودا)
لقد أوجفت قصداً إليك مطيتي وأعملت عيس اليعملات جواهدا
لأبلغ من جدواك ما قد رجوته كما أنت للعافين مأوى وموردا[٢]

وكان الشاعر ينظر إلى الحياة نظرة واقعية، فهي ممزوجة بالشوائب والمتاعب، فلا بد له من التجلد والصبر[٣]:

فلما دهتنا بالهموم وعسرها وصاح بنا الأعداء من كل جانب
لبست لها ثوب التجلد منشداً إذا لم يسالمك الزمان فحارب

وقوله[٤]:

لا تيأسن إذا الكروب ترادفت فلعلها ولعلها ولعلها
واصبر فإن الصبر يبلغك المنى حتى ترى قهر العدو أقلها
والزم تقى الله العظيم ففي التقى عز النفوس فلا يجامع ذلها

فهذه ملامح من شخصية ابن مشرّف، وهي شخصية مؤمنة داعية إلى الصلاح والتقوى، فالأبيات تظهر فيها المعاني الإسلامية بشكل واضح، سواء أفي روحها العامة أم في ألفاظها وعباراتها.

(١) الديوان، ص٥٤.
(٢) الأصل في عجز البيت: كما كنت للعافين مأوى وموردا، ولكنها طبعت خطأ في الديوان.
(٣) الديوان، ص٤٥.
(٤) الديوان، ص١٠٣.

- ٥ -

علاقته برجال عصره

إن لكل إنسان محبين وأعداء ولكن ابن مشرّف كان إنساناً مسالماً لم يكن يعادي من يعادي لذاته وشخصه، وإنما لفكره وآرائه على منهج أهل السنة والجماعة من العدل والإنصاف، وتحري ما كان عليه السلف الصالح من الأعمال والأقوال، وشعاره في ذلك قوله(١):

أقيموا لنا فيه الدليل فإننا ... نميل إلى الإنصاف والحق نطلب
فخير الأمور السالفات على الهدى ... وشر الأمور المحدثات فجنبوا

لذلك تعددت صلاته وعلاقاته، ونقسمها عدة علاقات، وهي كما يأتي:

١ - علاقاته بأمراء آل سعود:

إذا قلنا: إنه شاعر التوحيد، وشاعر آل سعود بحق في عصره لا نكون قد أغمضنا أعيننا عن الحقيقة، فهو بما كان يتمتع به من علم وافر، وعارضة قوية في الرد والمعارضة لم يفتأ ينازل ويخاصم عن التوحيد وأهله، ويذب عن حمى مذهب السلف كل انحراف وجهل، لا يقصد بذلك جاهاً ولا غرضاً؛ إذ لم يكن شعره في المديح للأمراء السعوديين متصنعاً لطلب نوال، وتحصيل رفد مع أن هذا متاح له ولغيره من الشعراء، لكن ما يجمعه بالأسرة السعودية وأسرة آل الشيخ أكبر من ذلك، فآل مشرّف من وهبة تميم، وهو الأصل الأعلى الذي يجتمع فيه الشاعر مع آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب المشرّف، هذا

(١) الديوان، ص٣٣.

فضلاً عن المحبة الصادقة والمنبثقة من عقيدة وولاء لا أهواء فيها ولا رياء.. فهم آل سعود الذين حموا ونصروا إمام التوحيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في قيامه بالدعوة الإصلاحية في نجد والجزيرة العربية حين جفاه وعاداه عثمان بن معمر - أمير العيينة - بطلب من الزعيم الخالدي؛ وذلك عندما أدرك ازدياد أتباع الشيخ محمد وأن دعوته قد تغير الوضع في المنطقة، وتهدد النفوذ الخالدي مستقبلاً، وهذا ما دفع بني خالد إلى الضغط على أمير العيينة ليتخلى عن تأييده للشيخ، فاستجاب عثمان بن معمر لذلك وطلب من الشيخ مغادرة بلدته [١]، وعلى غيره من الأمراء، فكان النصر حليف أهل التوحيد، وعلى يدهم تحقق أعظم إنجاز، وهو تطهير نجد والجزيرة العربية من الجهل والأوثان والبدع والمخالفات التي تساهل في أمرها الأمراء والعلماء؛ إذاً فليس غريباً أن ينطلق منافحاً عن أهل التوحيد، ويُسر بانتصاراتهم، ويشيد بها، وقد أدرك في الأحساء ما كانت تعانيه في الحكم الخالدي من ذل وظلم وظهور لأهل البدع، فكان انتصار أهل التوحيد نصراً وعلواً لأهل السنة والجماعة على من خالفهم؛ لظهور التوحيد، وإقامة السنن وأحكام الشرع والعدل بعد تحكيم الأهواء والظلم.. وفي ذلك يصف ابن مشرّف ابتهاج الناس ببيعتهم الإمام السعودي فيصل بن تركي لتحقيق ما يصبون إليه من عدل وأمانة وعزة وكرامة[٢]، وذلك بقوله[٣]:

وقال للناس إذ جاؤوا لبيعته ... يسعون كالنمل من باد وحضّار
أليس هذا الحميدي المهين لكم ... لما أتينا أخذنا منه بالثارِ
ألا فسيروا بهجر آمنين على ... دين الهدى بين جنات وأنهار
وأبشروا واشكروا لله أنعمه ... لما جلا الظلم والظلما بأنوار

---

(١) العثيمين الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره، ص٥٥ .
(٢) عبدالعزيز بن أحمد العصفور، جمع ٢٠/ ١١/ ١٤٢١هـ، يوم الأربعاء.
(٣) الديوان، ص٦٥.

فنجد شاعرنا يصف مبايعي الإمام بالنمل، وهذه صورة غير لائقة عندما قال في البيت السابق: يسعون كالنمل من باد وحضّار، حتى ولو أراد الكثرة، فقد أخفق الشاعر في استخدام هذه اللفظة، والأحسن أو من الممكن أن يقول: يسعون بالخيل: فيصفهم بأنهم فرسان أقوياء لا يشق لهم غبار أصحاب غنى وجاه.

فقد كان شاعرنا أكثر تعلقاً بالإمام،حيث أوقف ديوانه لتسجيل مدائحه وغزواته، فقد واكبه من البداية إلى وفاته فنظم فيه أكثر من ثلاثين قصيدة، وقد ذكرنا آنفاً أن ابن مشرّف كان يلاحق أخبار الإمام وانتصاراته ملاحقة المحب لنهجه وسيرته؛ لأنه رأى فيه الرجل الأمثل لقيادة الأمة والنجاة بها من حياة الفوضى والاضطراب بعد عهد الدولة السعودية الأولى، ومن فرط حبه للإمام فقد أحب كل ما يتعلق به، ومن ذلك ابنه عبدالله حيث حمل الراية بعد أبيه، وسارعلى نهجه نفسه، ومن ذلك قوله[1]:

فلما تولى خلف الملك بعده	لنجل خليق بالإمامة حازم
وشابه في الأخلاق والده الذي	رعيته مستيقظ غير نائم
فقام بعون الله بالأمر سائساً	فشا ذكره بالخير بين العوالمِ

٢- علاقته بعلماء الدعوة:

يعدّ - رحمه الله - من أبرز شعراء الدعوة في عصره، بل لا ينافسه في وعيه الديني ولا جديته إلا الشيخ عبداللطيف آل الشيخ الذي كانت بينهما صحبة قوية ومراسلة، ويحظى بوجاهة وتقدير وثقة علماء الدعوة، فهو العالم العامل، والشاعر الجريء والمنافح عن العقيدة الإسلامية والقائمين بالدعوة، وأصبح يسميه الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب المجدد الثاني للدعوة.

(١) الديوان، ص١٠٠.

فكثيراً ما سرهم بشعره ونظمه، وطلبوا الاستزادة منه في الرد على خصومهم الذين أظهروا عداوة الدعوة علانية، وخالفوا مبادئها بداية بالشيخ عثمان بن سند البصري(١)، الذي هجا إبراهيم باشا(٢) سنة ١٢٣٣هـ، في قصيدة مطلعه(٣):

لقد فُتِحت للدين أعينه الرمدُ
لدى لاح من بين السيوف له السعد

فرد عليها بقوله(٤):

أليل غشى الدنيا أم الأفق مسودُ
أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو

إلى أن قال(٥):

---

(١) هو عثمان بن سند النجدي الوائلي البصري، بدر الدين.مؤرخ وأديب، من نوابغ المتأخرين . أصله من عرب عنيزة . ولد بنجد سنة ١١٨٠هـ (١٧٦٦م)، وسكن البصرة، وتوفي ببغداد سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م). من كتبه «مطالع السعود بطبيب أخبار الوالي داود»، و «نظم مغنى اللبيب»، و «سبائك العسجد في أخبار أحمد»، «نجل رزق الأسعد»، وغيرها كثير، فكان شاعراً مكثراً يعلو شعره وينحط.

(٢) هو إبراهيم بن محمد علي باشا. قائد . بعيد المطامح، من ولاة مصر، وقدم مصر مع طوسون بن محمد علي، سنة ١٢٢٠هـ، فتعلم بها، وأرسله أبوه بحملة إلى الحجاز ونجد، ثم جعله قائدا للحملة المصرية في حرب المورة سنة ١٢٣٩هـ، وفي سنة ١٢٤٧م سيره بجيش إلى سورية، وانقادت له بلاد الشام، وتوغل في الأناضول، ثم عقدت معاهدة تقضي بضم سورية إلى مصر وتولية إبراهيم عليها . فعاد إلى سورية، وجعل عاصمته أنطاكية، ثم نقض الترك المعاهدة فقاتلوه، فظفر إبراهيم ثم أخرجوه في عهد السلطان عبدالمجيد، وعاد إلى مصر سنة ١٢٥٦هـ، وتوفي بها سنة ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م).

(٣) الديوان، ص٥١.

(٤) الديوان، ص٥١.

(٥) الديوان، ص٥٢.

وقـد أقـذع البصـري فـي ذم شـيخنا وأنصـاره تبـاً لمـا قالـه الوغـدُ
أيهجـو إمامـاً هاديـاً أرشـد الـورى إلـى منهـج التوحيـد فاتضح الرشـدُ

وانتهاء بالرد على الشيخ عثمان بن منصور النجدي الذي تأثر بالدعايات المغرضة التي بثها الشيخ داود بن جرجيس العراقي في ردوده على أئمة الدعوة، وأبدى ابن منصور تعاطفاً معها في أبيات له، فبادر علماء الدعوة إلى الرد عليه(١)، ومن بينهم ابن مشرّف حيث يقول رداً على ابن منصور(٢):

وقفـت على نظم لبعـض بني العصر
تضمـن أقـوالاً بقائلهـا تـزري

إلى أن قال(٣):

تصـدى لهـا حبـر الزمـان ونجلـه فـردا وهـدّا مـا بنـاه مـن القعـر
وقـد بينـا للنـاس مـا فـي كلامـه من الزيف والإفراط والحيف والنكر
بأوضـح برهـان وأقـوم حجـة لهـا قـرر الشـيخان بالنظـم والنثـر

وقال أيضا(٤):

وقل جزى الله شـيخ المسـلمين بما أبـدى، فجلّـى ظـلام الشـرك بالنور
بالعلـم بصّـر قومـاً قـد عمـوا فهدوا وأنقـذ اللـه منهـم كل مغـرور

٣ - علاقته بعلماء الأحساء:

امتازت علاقته بعلماء الأحساء بحسن الأدب وكمال الاحتساب، إذ كان يعرف لهم فضلهم وعلمهم، وإن بادر أحد برد فإنه - رحمه الله - لا

(١) العصفور، الأربعاء، ٢٠/ ١١/ ١٤٢١هـ.
(٢) الديوان، ص٢٩.
(٣) الديوان، ص٢٩.
(٤) الديوان، ص٣١.

يشهر به ولا يخاصمه، وإنما ينتقد أفكاره وآراءه على بساط البحث والمناقشة مع دوام الولاء والإخاء للمؤمنين؛ ولهذا كان - رحمه الله - وهو في سدة القضاء مثال الإنصاف والحق؛ إذ مكن له تولي القضاء في البلاد الاتصال بشرائح مجتمع الأحساء الخاصة والعامة، فجاءته المسائل والقضايا من كل مكان، وأصبح من أهل الحسبة؛ لأن القاضي في العهد السعودي يعدّ في المرتبة الأولى بعد الأمير، فكم، من حق رده لأصحابه، وأحكام أبرمها نال فيها التوفيق والصلاح مما جعل الناس والعلماء خاصة يحبونه ويعرفون قدره لتحريه الإنصاف والعدل، لا يظلم عنده صاحب حق، ولو زخرف المدعون دعواهم بالحجج الباطلة[1].

٤ - علاقته بأهل الأحساء:

كان - رحمه الله - ذا همة عالية، وعمل متواصل من السعي في مصلحة أهل الأحساء،لا يعرف الدعة ولا الخمول، ولا يرضى بالضيم ولا بالظلم لأهل الأحساء، ولا يقبله، ولو صدر من الحكام أو طارفتهم،فكم تعرضت الأحساء إلى وشايات الحاقدين التي طالت بظلمها حقوق أهلها، فكان أول المسارعين إلى الذب عنها وعن أهلها في جرأة وشجاعة وعلم وهذه نبذة من أعماله الاحتسابية والإصلاحية التي تؤكد وفاءه ومحبته للأحساء وأهلها[2].

أ . تمسكه بالأمير السديري لعدله وإنصافه:

تولى إمارة الأحساء للإمام فيصل بن تركي الشيخ أحمد بن محمد السديري، ثم ابناه محمد وتركي، فوجد أهل الأحساء فيهما العدل والإنصاف فأحبوهما، وحصل أن نقل الإمام فيصل بن تركي الأمير محمداً السديري إلى إمارة بريدة، فذهب وفد من أهل الأحساء، على رأسهم الشيخ أحمد بن

(١) العصفور، يوم الأربعاء ٢٠/ ١١/ ١٤٢١هـ.

(٢) ابن عصفور، يوم الأربعاء ٢٠/ ١١/ ١٤٢١هـ.

مشرّف إلى الإمام فيصل، وطلبوا منه إعادة أميرهم السديري، فأجابهم لذلك احتراماً وتقديراً للشيخ ابن مشرّف في أثناء وفادته على رأسهم[١].

ب . مشاركته في القتال:

رافق - رحمه الله - الأمير محمد بن أحمد السديري سنة ١٢٧٩هـ الذي أمره الإمام فيصل بن تركي بقتال الخارجين عليه وخرج معه بعض أهل الأحساء، وهذا ما سيتم ذكره في الفصل الآتي، فقال في قصيدة له[٢]:

خرجنا والأمير بنجم سعد
نقود الخيل بالإبل الرسيم

ج . الرد على وشاية حاقد مغرض:

وصلت إلى الإمام فيصل بن تركي وشاية حاقد مغرض مضمونها: أن أهل الأحساء خالط عقيدتهم الشرك، وكان الإمام رجلاً ذا صلاح ودين؛ ولذلك لم يتوان لحظة واحدة عن عقابهم؛ وذلك بإدخال نخيلهم بيت المال ـ أي: أمر بمصادرتها ـ فانبرى ـ رحمه الله ـ لتلك الوشاية مفنداً ومؤكداً بقاء الاستقامة لأهل الأحساء ،فعاهدوه عليها[٣] في قصيدة مؤثرة أولها[٤]:

تبكي الحساء بدمع سافح جاري
من أجل خطب جسيم حادث جاري

د . شكايته إلى الإمام جور عماله:

حصل في إحدى السنوات أن عمال الخرص للزكاة أساؤوا في عملهم ولكونهم طارفة للإمام، ولا أحد يستطيع اعتراضهم والوقوف أمامهم، ورُفِعَ

---

(١) العبدالقادر، تحفة المستفيد، ص١٦٥.

(٢) الديوان، ص١٠٠.

(٣) العصفور، الأربعاء ٢٠/ ١١/ ١٤٢١هـ.

(٤) الديوان، ص٦٦.

إلى الإمام أمرهم للأخذ على أيديهم، ولكنه وقع عليه ما وقع على غيره من الظلم والحيف، فعبر عن ذلك بقصيدة مطلعها[١]:

فيا أيها الوالي الذي لا يصده ... عن العدل ساع بالنميم أثيمُ
إليك شددت العيس أشكو ظلامتي ... فقد رام خسفي حاسد وظلوم
وجار عليّ العاملون بخرصهم ... وظلم الورى يوم الحساب وخيم
وإنك للمظلوم كهف ومعقل ... يلوذ به مستضعف ويتيم

هـ . حض الإمام على تأديب الأعراب وقتالهم والمواصلة في ذلك:

يعدّ قيامه بهذا العمل من أعماله الاحتسابية، حيث أكثر الأعراب من التعدي والظلم على أهل الأحساء، وتكرر ذلك عنهم عدة مرات؛ لهذا كتب إلى الإمام عدة قصائد ملتهبة يحرض على قتالهم وكسر شوكتهم، وفعلاً استجاب الإمام لذلك، فأشهر سيفه بكل قوة وشجاعة، ودفع أيضاً ابنه لتعقبهم وقتالهم، فابن مشرّف شاعر سياسي جريء صريح ليس بينه وبين الحاكم أي حواجز أو تكلف وبخاصة في الأمور المتعلقة بالعقيدة، فهو لا تأخذه في الله لومة لائم، ومن ذلك قوله[٢]:

ما هتف الورق وغنى الحمام ... أو غرد القمري جنح الظلامِ

إلى أن قال[٣]:

فثب وثوب الليث نحو العلا ... وبادر الخصم بسلّ الحسامِ
وجاز ذا الحسنى بإحسانه ... واسق الأعادي من كؤوس الحمام
وحكّم السيف بمن قد عتا ... ينقاد للحق ألدّ الخصام

(١) الديوان، ص٩٥.
(٢) الديوان، ص٩٨.
(٣) الديوان، ص٩٨.

- ٦ -

وفاته

توفي أحمد بن مشرّف بالأحساء، وقد اختلف في تاريخ وفاته، فقيل: سنة ١٢٨٥هـ[١] (١٨٢٦م)[٢]وقيل: سنة ١٢٦٢هـ[٣]. فهذا دليل على أن هناك شكاً في تاريخ وفاته. ويذكر خليل مردم بك: «وكانت وفاته بعد سنة ١٢٥٠هـ، رحمه الله تعالى[٤]. ويذكر الدكتور شوقي ضيف ذلك في قوله: وقصائده فيه مؤرخة ـ الديوان ـ على السنوات، وهي تمتد من سنة ١٢٤٥هـ (١٨٢٩م) إلى سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م)[٥]. وقد ذكر سعد أبو الرضا: «وقد كانت وفاته سنة ١٢٨٥هـ تقريباً[٦]، فتجد أن آخر قصيدة دونت في الديوان كانت سنة ١٢٨٣هـ (١٨٢٩م) في رثاء فيصل بن تركي حيث قال[٧]:

(١) الديوان: ص٨، شعراء العصر الحديث، ص٦٩٦، شعراء هجر، ص٨٨، الأعلام، ص١٨٣، وأعلام من الأحساء، ص٢١ والديوان، ص٨، ووقفات على الاتجاه الإسلامي، ص٧٧، وتحفة المستفيد، ص٣-٤، والموسوعة الأدبية، ج١، ص٢٨٢.

(٢) الشعر في ظل حركة الإمام، ص٦٥، والحركة الأدبية، ج١، ص٢٨٢.

(٣) انتخاب الدرر من شعراء قطر، ص٤.

(٤) خليل مردم بك . أعيان القرن الثالث عشر، ص١٨٤.

(٥) شوقي ضيف . عصر الدول والإمارات، ص١٨٤.

(٦) المرجع السابق، ص١٨٤.

(٧) الأدب الإسلامي قضية وبناء، ص٤٢، وخليل مردم بك: أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع، ص١٤.

وقائلة أقصر فما بعد فيصل … لذي أدب حظ فماذا تحاوله
أترغب في نظم القريض وجسمه … موارًى بقبر غيبته جنادله
فقلت: دعيني إن يكن مات فيصل … فخالقه حي وما مات نائلُهْ

ولم يصلنا أي بيت شعري منسوب إلى ابن مشرّف بعد سنة ١٢٨٣هـ، ومن المرجح أنه توفي سنة ١٢٨٥هـ، فهذا هو الذي اتفق عليه أكثر المؤرخين.

أما بالنسبة إلى مكان وفاته فقد اتفق أكثر المؤرخين على أنه قد توفي بالأحساء[1]، وقد سُمي بالأحسائي نسبة إلى مقر ولادته ووفاته[2]، ومن ذلك قوله في الأحساء[3]:

تمضي الملوك ومصر في تقلبها … كأنها كاعب في الخدر حسناء
فإنها بعدما بادوا بها وفنوا … مصر على العهد والأحساء أحساء

(١) شعراء العصر الحديث، ص ٦٩٦، وشعراء هجر، ص٩٩، والأعلام، ص١٨٣، وأعلام من الأحساء، ص٢١، والديوان، ص٨، ووقفات على الاتجاه الإسلامي، ص٧٧.
(٢) علي جواد الطاهر . معجم المطبوعات العربية، ص٧٧.
(٣) الديوان، ص٨٥.

- ٧ -

آثاره

لقد تعلق ابن مشرّف بآراء الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله- التي أخذها عن طريق أستاذه الشيخ حسين بن غنام، فكانت ثقافته ثقافة دينية حدودها تعاليم الشيخ من عقائد وتوحيد وحديث وفقه، بالإضافة إلى تأثره ببعض الوقائع التاريخية التي حدثت في عهده، وضم كل ذلك في ديوان واحد مطبوع يشتمل على عدد من المنظومات، منها: الهمزية، وجوهرة التوحيد، وغرر الفتاوى، والشهب المرمية في الرد على المعطلة والجهمية، ومنظومات في مدح الإمام فيصل بن تركي[١]، ومن ذلك قوله[٢]:

يا فيصـل المجد يا من للفخار حوى فاسـتوجب المدح تفصيلاً وإجمالا

أوضحـت للسـنة الغرا رسـوم هدى عفـت فأحييـت للإسـلام أطـلالا

وقصيدة في مدح النبي ﷺ جارى بها قصيدة الشيخ فتح الله بن النحاس الحلبي المتوفى سنة ١٠٥٢هـ وأخذ المصراع الأول من قصيدة ابن النحاس ولم يغير فيه سوى لفظة واحدة، ومطلع القصيدة[٣]:

بـات سـاجي الطـرف والشـوق يلح

والدجـى إنْ يمـض جنح يـأت جنح

---

(١) الزركلي، ص١٣٨.

(٢) الديوان، ص٨٥.

(٣) جواد بن الحاج حسين الرمضان، مطلع البدرين، ج ١، ص٢١٦.

فقال ابن مشرّف[١]:

بات ساهي الطرف والشوق يلح
ولبحر الدمع من عينيه سفح

كان نظم ابن أبي زيد القيرواني في فقه الإمام مالك - رحمه الله[٢]- نظما طريفاً يسهل على طالبيه حفظه، ومن ذلك قوله في البعث بعد الموت والجزاء[٣]:

وأن نفخة إسرافيل ثانية ... في الصور حقاً فيحيي كل من قبرا
كما بدا خلقهم ربي يعيدهم ... سبحان من أنشأ الأرواح والصورا
قال الإله: قفوهم للسؤال لكي ... يقتص مظلومهم ممن له قهرا

---

(١) الديوان، ص٤٩.

(٢) مطلع البدرين، ص٢١٥.

(٣) مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ص١٢.

الفَصْلُ الثَّاني

ديوانه

١ - أصول الديوان.

٢- طبعات الديوان.

٣- فائت الديوان.

- ١ -

أصول الديوان

إن المؤلفات التي يتركها العالم أو الأديب خلفه، لهي الدليل على ما يتمتع به من منزلة رفيعة، ومكانة عالية في الوسط الذي ينتمي إليه، وابن مشرّف أحد أولئك الذين أثروا المكتبة الأدبية بجهودهم وحصيلة ثقافتهم.

فإذا ما استقصينا أصول الديوان فنجدها متناثرة بين يدي أهل العلم، إذ إنني لم أستطع العثور على الأصول كاملة، وما تيسر لي منه (٥٠) صفحة زودتني بها دار الوثائق بالبحرين، وهي قصائد متفرقة من الديوان.

فكانت أولى تلك الأصول تسع صفحات بخط الشيخ عثمان بن محمد بن عمير، وقد فرغ منها سنة ١٢٦٣هـ، وهي محفوظة في مكتبة الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان بالكويت، وهي قصيدة في «رثاء العلم»، وتشمل ٦٣ بيتاً، وكذلك قصيدة «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية» وهي تشمل ٨١ بيتاً.

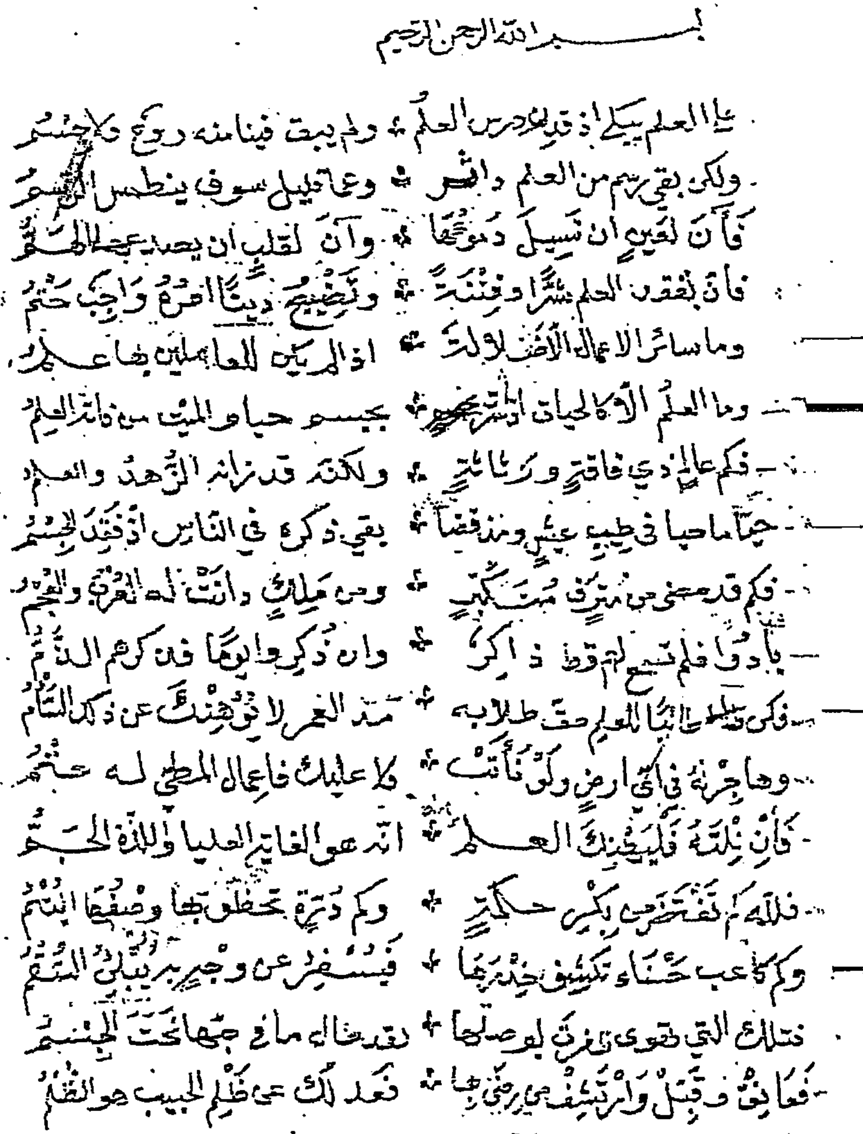
أما المخطوطة الثانية فهي قصيدة يرد فيها ابن مشرّف على قصيدة القاضي علي بن الحسين الحفظي في ثلاث صفحات وهي موجودة في آخر كتاب «ذم التأويل» لابن قدامة المقدسي المحفوظ في مكتبة الأوقاف ببغداد، وهي بخط الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم الحميد من تلاميذ الشيخ أحمد بن مشرّف وناسخ ذلك الكتاب المذكور، والله أعلم.

أما المخطوطة الثالثة فهي قطعة من ديوان ابن مشرّف وهي إحدى عشرة صفحة في مدح الإمام فيصل بن تركي وهي بقلم أحمد عزت العمري الموصلي المتصرف في الأحساء أيام الدولة العثمانية في دورها الأخير، وعليها تعليقات له نقدية للشاعر تعبِّر عن وجهة نظر الدولة العثمانية، وهي موجودة أيضاً في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد.

أما المخطوطة الرابعة فهي قصيدة «الشهب المرمية في الرد على المعطلة والجهمية» وهي (١٦) صفحة لم يدون عليها اسم الناسخ.

كما عثرت على نسخة خطية أخرى لقصيدة «الشهب المرمية في الرد على المعطلة والجهمية» وهي ثماني صفحات، وهي كسابقتها لم يدون عليها اسم الناسخ أيضاً.

وبما أننا لم نستطع العثور على نسخة كاملة مخطوطة للديوان، فإننا نعد الأصل الأول، وهو الطبعة الهندية التي قام بجمعها تلميذه محمد بن إبراهيم بالغنيم هي المخطوطة الأولى، ولكن لم تذكر سنة الطباعة عليها لكن من المحتمل أنها طبعت في أواخر حياة الشاعر أو بعد وفاته بمدة وجيزة؛ لأن الذي اعتنى بها أحد معاصريه وتلامذته ويحتوي الديوان على (١٥٨) صفحة ـ وكما ذكر آنفاً ـ أن الكتابة فيه واضحة ومقروءة، ولكنها لم تضبط، ولم تشرح، وظهرت طباعتها بشكل جيد، وسنستعرض بعض أصول الديوان.


بسم الله الرحمن الرحيم

على العلم يبكي إذ قد اندرس العلم * ولم يبق فينا منه روح ولا جسم
ولكن بقي رسم من العلم دارس * وعما قليل سوف ينطمس الرسم
فآن لعيني أن تسيل دموعها * وآن لقلبي أن يصدعه الهم
فإن بفقد العلم شرا وفتنة * وتضييع دين أمره واجب حتم
وما سائر الأعمال [illegible] * إذا لم يكن للعاملين بها علم
وما العلم إلا كالحياة إذا سرى * بجسم حيا والميت من فاته العلم
فكم عالم ذي فاقة ورثاثة * ولكنه قد زانه الزهد والعلم
حيا ماجدا في طيب عيش ومذ قضى * بقي ذكره في الناس إذ فقد الجسم
فكم قد مضى من مترف متكبر * ومن ملك دانت له العرب والعجم
بادوا فلم تسمع لهم قط ذاكرا * وإن ذكروا يوما فمن ذكرهم الذم
ولكن بطلاب العلم حق طلابه * مدى العمر لا توهنك عن ذلك [illegible]
وهاجر له في أي أرض ولو نأت * ولا عليك فإعمال المطي له حتم
فإن نلته فليهنك العلم إنه * هو الغاية العليا واللذة [illegible]
فلله كم تفتض بكر حكمة * وكم درة تحظى بها وصفها [illegible]
وكم كاعب حسناء تكشف خدرها * فيسفر عن وجه [illegible]
فتلك التي تهوى نفوس لوصلها * [illegible]
فعانق وقبل وارتشف من رضابها * فعد لك عن ظلم الحبيب هو الظلم

المخطوطة بخط عثمان بن محمد بن عمير للشيخ أحمد بن مشرف في رثاء العلم.

وجالس رواة العلم واسمع كلامهم ❊ فكم كلم منهم به يبرى الكلم

وان امروا فاسمع لهم واطع فهم ❊ اولو الامر لا من شانه الفتك والظلم

مجالسهم مثل الرياض انيقة ❊ لقد طاب منها اللون والريح والطعم

اتعتاض عن تلك الرياض وطيبها ❊ مجالس دنيا حشوها الزور والاثم

فما هي الا كالمزابل موضعا ❊ لكل اذاة لا تقي له شمم

وما العلم الا من كتاب وسنة ❊ وقول صحابي سليم له فهم

وذر من يقل قال الله قال رسوله ❊ واصحابه ايضا فهذا هو العلم

واياك ان تروي عن الاحوذي ❊ وحدث امرء ما له في الهدى سهم

فايماننا قول وفعل ونية ❊ ويزداد بالتقوى وينقص بالاثم

فنؤمن ان الله لا رب غيره ❊ له الملك في الدارين والامر والحكم

سميع بصير عالم متكلم ❊ وحي لا يموت له القدم

وايماننا بالاستواء استواؤه ❊ تعالى على عرش السماء واجب حتم

٢٠ فاثبته للرحمن غير مكيف ❊ له فتعالى ان يحيط به العلم

٢١ ومن حرف النص الصريح تأولا ❊ فقد زاغ بل قد باء بالخزي والخسم

٢٢ وما هي في الخبر الا ان تمر صفاته ❊ كما ثبتت لا يعتريه بنا وهم

٢٣ قراءتها تفسيرها عند من مضى ❊ فدع عنك ما قد قال الجعد والجهم

وان جنان الخلد تبقى وعيشها * وليس لما فيها انقطاع ولا صرم

ورؤية سكان الجنان لربهم * تبارك حقا ليس فيها لهم وهم

كرؤيتهم للبدر ليلة تمه * او الشمس صحوا لا سحاب ولا قتم

فيا رب فاجعلني لوجهك ناظرا * غدا ناظرا فيما به ينعم الجسم

وان ورود الحوض حوض محمد * لا امتراء حق به يجب الجزم

لمن لبن الزاكي يضاهي بياضه * وما العسل الصافي في حلو اللبن الطعم

ولكنه انقى بياضا وطعمه * احلا والعبير له ختم

٤٢ وكيزانه مثل النجوم لكثرها * جدا فهل يحسب النجم

٤٣ عليه نبي الله يذري كل سنق * الى حوضه اتباعه ولهم وسم

فامته تاتي كراما محجلا * ولسنا اغر واما من سواهم فهم دهم

٤٤ وعند رجال منهم تذ ودهم ملائك * لما بدلوا نبذ الجرم

٤٥ فيا رب هب لي شربة من زلاله * فمن يشرب من ذلك الحوض لا يظم

وان عذاب النار حق اعاذنا * الله الورى منها فتعذيبها غرم

ولم يبق فيها من تردي موحد * باجرامه حتى ولو عظم الجرم

وان لخير المرسلين شفاعة * بها المصطفى من بين اقرانه يسمو

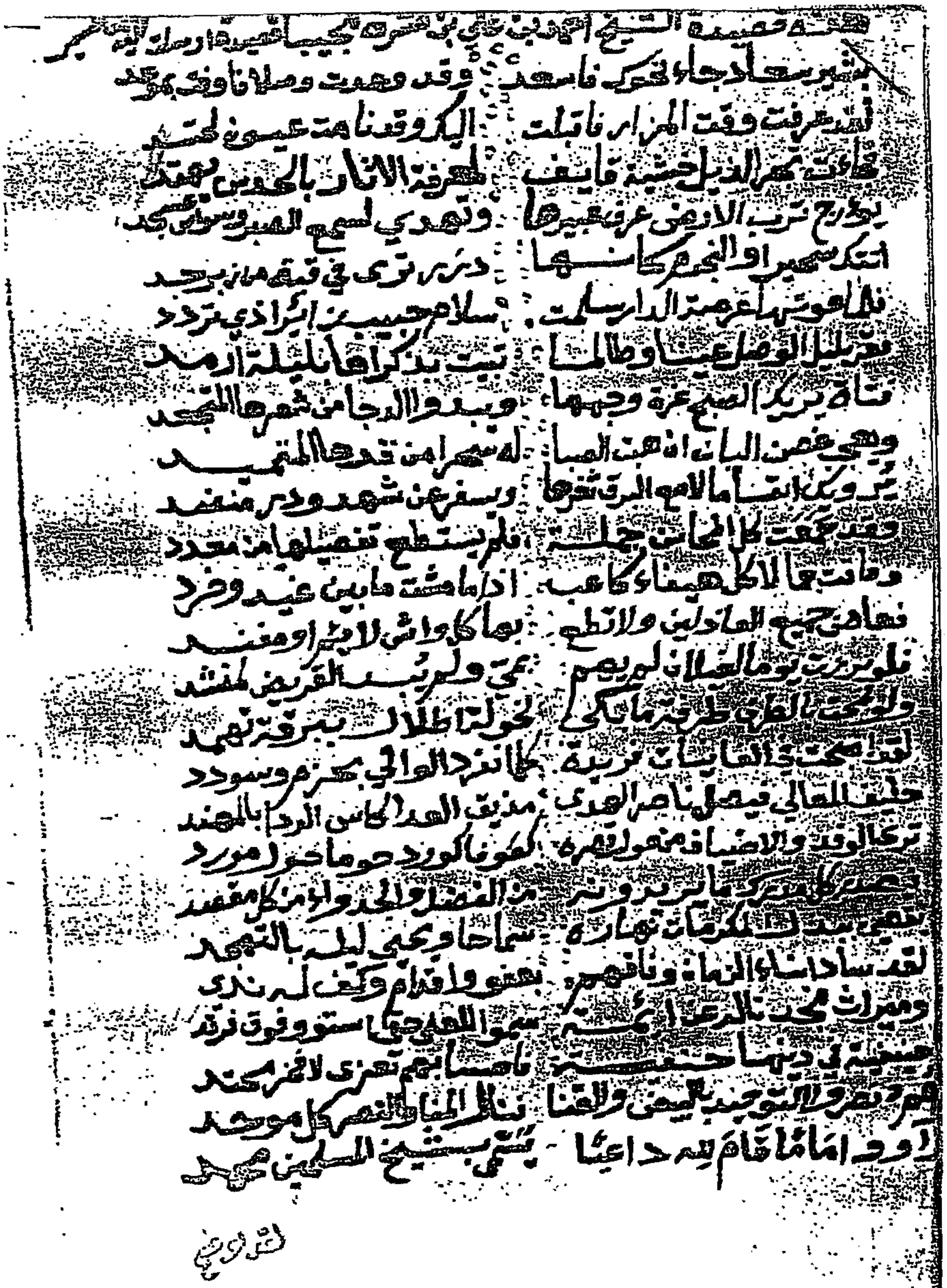
وذلك ان الخلق يشتد كربهم * ليوم به المولود تذهله الام

فياتون كل الانبياء ليشفعوا الى الله * في فصل القضا والقضا الحكم

فيحجم كل عن شفاعته لأحمد * سوى من به الأنبياء من قبل الختم
فيا سيد الدنيا يا خاتم الرسل هل ترى * إلى خطبنا بل عندك الخبر والعلم
فيا ليتنا متنا ففي الموت راحة * ويا ليتنا لم نبتعث للروح والحشر
فكم ألف عام قد وقفنا بضعفنا * جياعاً ظماءً مسنا الضنك والظلم
رسول الله فيصل بيننا بقضائه * فإن لم تجب فالويل للخلق والغم
فمن ثم خير المرسلين أنا لها * فطيبوا نفوساً وليزل عنكم الهم
فيشفع فيهم وهو خير مشفع * فيرضيه رب الورى لهم الحكم
فما ظالم إلا ويجزى بظلمه * وما محسن إلا يوفى ولا هضم
فشفعه اللهم فينا بموتنا * حبيباً يا ملة الإسلام يا من له الحكم
وصل على المختار ما هبت الصبا * وما طلعت شمس وما أفل النجم

تمت

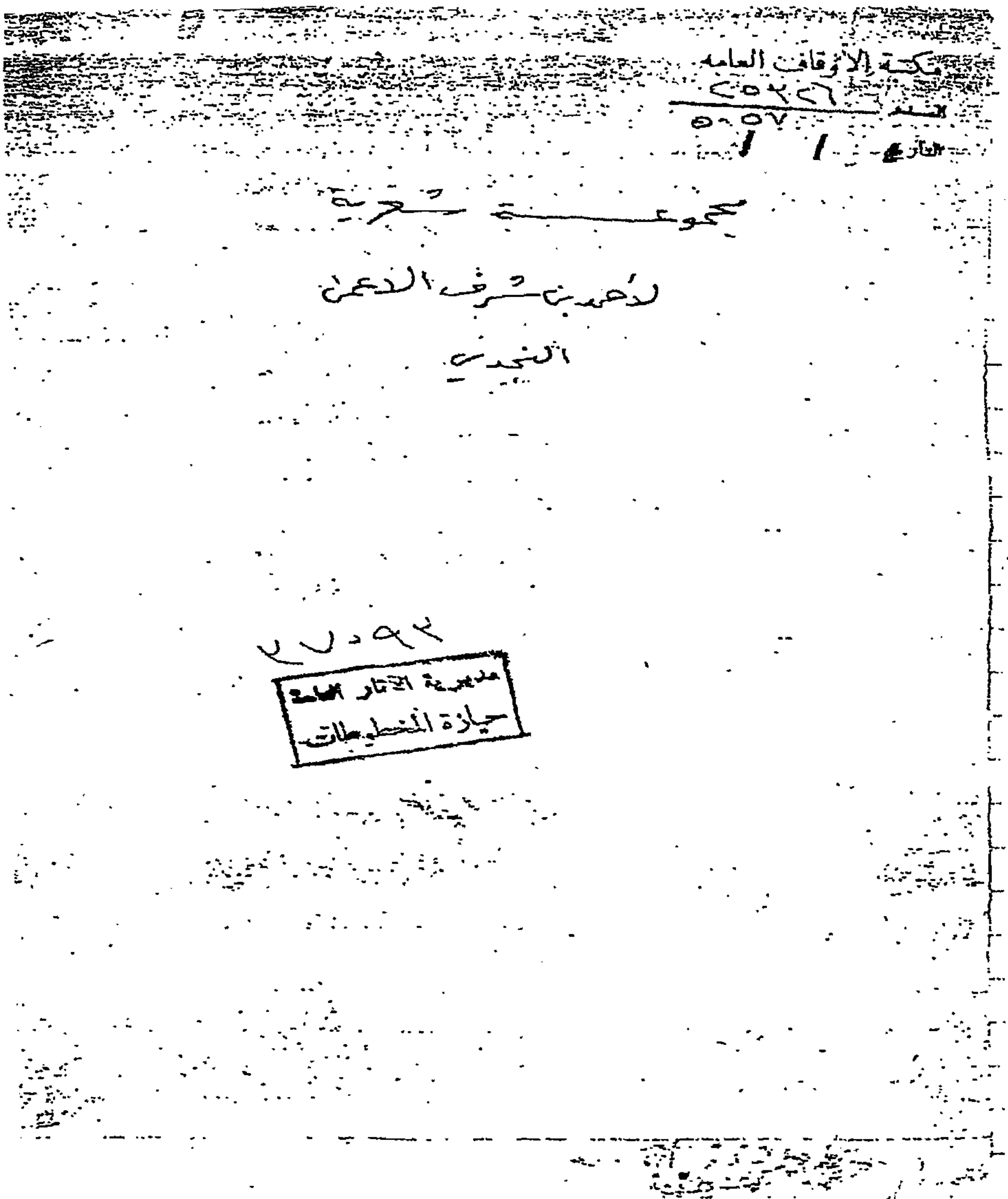
عدد أبيات في الميم
٦٣



هذه النسخة بخط الشيخ / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحميد ، وهي قصيدة لابن مشرف يرد فيها على قصيدة القاضي علي بن حسين الحفظي.

لقد اوضح الاسلام عند اغترابه ... وقد جد في اخفائه كل ملحد
وجدد منهاج الشريعة اذ عفت ... فالزمه من قاله ومجدد
واحيى بدرس العلم دارس رسمها ... كما قد ابانت الشرك بالنور والهدى
وكم شبهة للمشركين ازاحها ... بكل دليل كاشف للتردد
والف في التوحيد اعجب نبذة ... بها قد هدى الرحمن للحق من هدي
نصوصا من القرآن تشفي من العمى ... وكل حديث للائمة مسند
فوازره عبد العزيز ورهطه ... على قلة منهم وعيش منكد
فما خاف في الرحمن لومة لائم ... ولم يثنه صولات باغ ومعتد
وقفا سعود اثره طول عمره ... الى حين ودى في الصفيح الملحد
وقد جاهدوا في نشر اعلام دينه ... فما وهنوا للحرب او للتهدد
وكم غارة شنوا وشنوا على العدا ... وكم طارف منهم حووه ومتلد
وكم سنة احيوا وكم بدعة نفوا ... وكم هدموا بنيان شرك مشيد
وقائعهم لا يحصر النظم عدها ... وان تسأل التاريخ ذا كر ترشد
وكم لهم من وقعة شاع صيتها ... بها ايد الرحمن سنة احمد
وكم فتحوا من قرية ومدينة ... ودانت لهم بدو وسكان ابلد
وكم ملكوا ما بين ينبع بالقنا ... وما بين جيلان الى جنب مزيد
ومن عدن حتى تبوك باسرها ... فلو عدت من مبدا اسمهم الى الحد
وقد طهروا تلك البلاد وطردوا ... ذوي الشرك والالحاد كل مطرد
وقد هدموا الاوثان في كل قرية ... كما عمرت ايديهم كل مسجد
بامر بمعروف ونهي عن الردى ... وبالصلوات الخمس للمتعبد
فكن ذاكرا فوق المنابر فخرهم ... ونادبه في كل ناد ومشهد
تعمهم رب العباد برحمة ... واسكنهم روض النعيم المخلد
ولا تنس خالي اليماني انه ... لشيعة اهل الحق [illegible]
قليل لها الاجراء ومن [illegible] ... من الازد اتباع الرئيس [illegible]
هم قد حموا الدين اذ [illegible] ... وبثوا به تحت [illegible]

فهم فئة الطغيان ومعقل ... وكهف منيع للشريد المطرد
سمى للعلى فيهم علي ولم يزل ... يروح باسباب الجهاد ويغتدي
وكم عسكر للمشركين اباده ... بحد الضبا والسمهري المسدد
وصيرهم صنفين ما بين هالك ... وبين اسير في الحديد مصفد
ومازال يغزوهم ويرمي ديارهم ... بشهب سراحيب في اللقا السرد
وفتح الحسا بالسيف لله ايما ... وزجر وانذار لاهل التمرد
فلما توفى عاضنا منه بعده ... امام همام كالحسام المهند
فما زال يحمي بالسيوف حمى الهدى ... ويردي العدى في كل يوم ومشهد
ويهزم منهم عسكرا بعد عسكر ... ويضرب منها هامهم كل ملحد
فلما تولى الاضطراب منهم وابلوا ... شفى النفس من اعدا دين محمد
فلا زال تأييد الاله يمده ... بنصر واسعاد على كل مفسد
ودونكها بكرا عروسا زففتها ... اليك تهادى في حرير وعسجد
تخطت الاقطار شوقا فلم تهب ... وطيس هجير او وغا ذي توقد
اليك من الاحساء معتمد ركبها ... فكم جاوزت من فدفد بعد فدفد
فاحسن قراها بالقبول وبالرضا ... ودم دائما عيد عمر كذا التفرد
واحسن ما يحلو به الختم اننا ... نصلي دواما في الرواح وفي الغد
على المصطفى والآل ما هبت الصبا ... وما طرب الاسماع صوت المغرد



بقلم أحمد عزت العمري الموصلي

أبناء العلا الكرام فما تعضوا … حمية المثلى وفي نصرها جدوا

فقاموا بأمر التوحيد يدعون ربهم … فكم قد أنابوا من يروح ومن يغدو

وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا … وكم شبهة حلوا وكم و[illegible]

وكم فتنة جلت فجلوا ظلامها … بنور الهدى حتى استبان لنا الرشد

وبهم ذكرنا الحي من آل [illegible] … تهلل وجه الفجر وابتسم المجد

هم نصروا الإسلام بالبيض والقنا … فهم للعلا حصن وهم للهدى جند

[illegible] يا آل [illegible] جارهم … ومعشر صدق فيهم الجد والجد

وهم بحر في الجود إن ذكر الندى … وإن شعلت نار الوغى فهم الأسد

فكم مسجد قد أسسوه على التقى … وكم مشهد للشرك بنيانه هدوا

بهم أمن الله البلاد وأهلها … فهم دون ما تخشونه الردم والسد

فلما مضت تلك العصابة لم يقم … بعدلهم من بعده الشم والسند

ولكن فشا فيها الزنا وبدا الخنا … فلم تنكر الفحشاء ولم يقم الحد

فكم فتنة عمت وكم طل من دم … طريح وكم ظلت عصائب وارتدوا

وكم قطعوا سبل البوادي وأفسدوا … فصاروا لها مثل الذئاب التي تعدو

فقام [illegible] هذا [illegible] الدين والهدى … فقد فتحت للدين أعينها الرمد

[illegible] بني الإسلام قد [illegible] … فكم كرة من بعد ما يئس اللد

وأقسم قوم أن دولة قد مضت … وليس لها من بعد فاتت عود ولو رد

وقلنا لهم نصر الإله وحزبه … به جاء في القرآن والسنة الوعد

فعادت كما كانت بفضل ورحمة … من الله مولانا له الشكر والحمد

[illegible] المسلمين [illegible] … له النصر والإقبال والحل والعقد

علينا وعد الله سرا وجهرة … له وله منا النصيحة والود

وقال

وقال يمدح فيصل بن تركي وذلك في سنة الف ومايتين واربعين [illegible]

النفوس ولو تحيي من ذي العرش اقدار ... ولا تطيح في سبيل الجود اعذار

فالمنصفون لهم من ربهم خلف ... ودرب شيخ الى الاشراف قد آل

من جاد جاد عليه الله واستترت ... عيوبه وكفى يا جود ستار

سيان كلما هيا للجود جانسه ... صبر جميل وكف يبذل المال

ربحت المجد بهلا في شاوه ... لولا المسلم للفلاة نار

ما اضر باهل الملك ان خربوا ... للنائبات من السعدية اعوار

وضيعوا الجند في وقت الرخاء ولا ... هانوا الحطيم ولم يلقوا الا ابالا

والحزم لو شكروا النعمآء وادخروا ... للحرب خيلا وفرسانا وابطال

من يحفظ الجند بالاحسان يلقاهم ... ان يدعهم في الوغى بالقطر سيال

فاضمل عطاك لاحرار الورى نجبا ... تملك مهجتهم منهم وابصار

لا ملك يثبت الا بالرجال ولا ... تبقى الرجال سوى عند هاتي بذال

والمال يربو لمن راقت رعيته ... بعدل ولقى للظالم غدار

والظلم اعرض بالعدل فما فتلوا ... انت غداة نهب السلوان معتادر

يا فيصل المجد يا من للفخار حوى ... فاستوجبا المدح تفصيلا واجمال

اوضحت للسنة الغراء رسوم هدى ... عفت فاحييت للاسلام اطلال

الى نلت انت مصر مملكة ... نصرا وقهرا لمن عادى واذلال

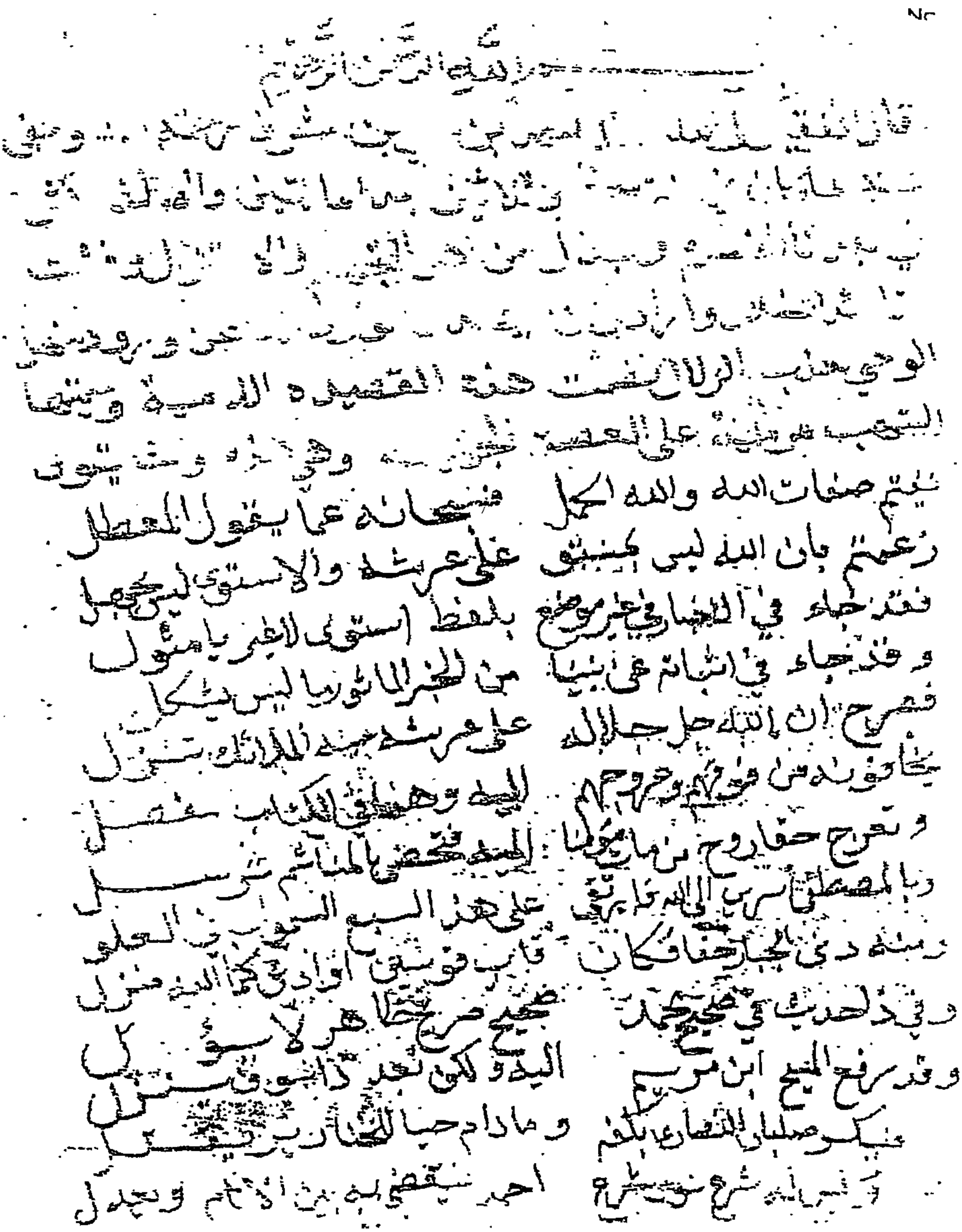
فانت طالع سعد شهيا طلعت ... بجوده زدت ما حفظا واقبال

ما زلت آل حميد في سبيتهم ... حتى سبيت لهم عزا واموال

حاولت بالجد في خيل وفي خيلا ... لما دهر صعب متنة الارض زلزال

يا جابرا عليكم من سفاههم ... حتى راوا منك في الهيجا اهوال

[illegible]



هذه قصيدة " الشهب المرمية على المعطلة والجهمية"

لم يعرف ناسخها

فما بعده وحي من الله نازل … على بشر والمدعي متقول
ونقل إنما الإيمان قول ونية … وفعل لنا ما وافق الشرع يجمل
وينقص حينا بانتقاص طاعة … ويزداد إن زادت ويقوى ويكمل
وذلك من التوحيد تشديده … وحررت ألفاظها ها هنا لل
بتبيين ما تشتم الذي ينظمها … ولكنه أحلى وأعلى وأجمل
عقيدة أهل الحق والسلف العلا … عليها على رأي النجاة المعول
فدونكها بكرا فوائد جمة … من العلم قد لا يحتويها المطول
فيا رب عفوا منك عما جنيته … من الذنب عن علم وما كنت أجهل
فإني على نفسي مسيء ومسرف … وظهري بأوزار الخطيات مثقل
فهب لي ذنوبي واعف عنها … تفضلا على شأن الكريم التفضل
وأحسن ما يرجوه للختم حين … بأسمائه الحسنى لديه توسل
وإن لي صلاة الله والسلام على النبي … به ختم عقد الأنبياء وكمل
محمد المختار ما هل عارض … [illegible]
كذا الآل والأصحاب ما قال قائل … بتتميم صفات الله فالله أفضل

[illegible]

على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم … ولم يبق فينا منه روح ولا جسم
ولكن بقي رسم من العلم دارس … وعما قليل سوف ينطمس الرسم
فآن لعيني أن تسيل دموعها … وآن لقلبي أن يصدعه الهم
فإن بفقد العلم شرا وفتنة … وتضييع دين أمره واضح حتم
وما سائر الأعمال إلا ضلالة … إذا لم يكن للعاملين بها علم



قال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف لما كثرت في بلدنا الخصومة والجدال من أهل التجهم والاعتزال وسميتها الشهب المرمية في الرد على المعطلة والجهمية نفع الله بها من سمعها وقراها

نفيتم صفات الله والله أكمل ... وسبحانه عما يقول المعطل
زعمتم بأن الله ليس بمستو ... على عرشه والاستوا ليس يجهل
فقد جاء في الأخبار في غير موضع ... بلفظ استوى لا غير يا متأول
وقد جاء في أخبار عن نبينا ... من الخبر المأثور ما ليس يشكل
فصح أن الله جل جلاله ... على عرشه منه الملائك تنزل
يخافونه من فوقهم وعروجهم ... إليه وهذا في الكتاب مفصل
وتعرج حقا روح من مات مؤمنا ... إليه فيحظى بالمنى ثم ترسل
وبالمصطفى أسري إلى السماء فارتقى ... على هذه السبع السموات في العلى
وعنه دنا الجبار حقا فكان قا ... ب قوسين أو أدنى كما هو منزل
وفي ذا حديث في صحيح محمد ... صحيح صريح ظاهر لا يؤول
وقد رفع الله المسيح ابن مريم ... إليه ولكن بعد ذا سوف ينزل
فيكسر صلبان النصارى بكفه ... وما دام حيا للخنازير يقتل
وليس له شرع سوى شرع أحمد ... فيقضي به بين الأنام ويعدل
وزينب زوج المصطفى افتخرت على ... بقية أزواج النبي بلا غلو
فقالت تولى الله عقدي بنفسه ... فزوجني من فوق سبع من العلو

" لم يعرف اسم الناسخ لها "

- ٢ -

طبعات الديوان

طبع ديوان ابن مشرّف أول مرة في الهند[١]، وقد طبع على نفقة محمد بن إبراهيم بالغنيم أحد طلاب أحمد بن مشرّف، وحقوق طبعه محفوظة، وقد كتب على صدر هذه الطبعة: «هذا ديوان أحلم[٢] الفضلاء، همام الأدباء، شمس الفصاحة، برج البلاغة، نقاد جواهر التحقيق، غواص بحار التدقيق، مزيّن عرائس الأفكار، محلي عوانس الأخطار، رئيس العقلاء كئيس الأذكياء، البليغ المشهور في البلاد والأمصار، الإمام العالم العلامة أحمد بن علي بن مشرّف[٣]، رحمه الله تعالى، بمنه آمين»[٤]. وهذه النسخة الهندية محفوظة ضمن مكتبة الشيخ عبدالله بن دهيش، وكتب في الصفحة الثانية:

«بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الأديب الأريب البليغ الماهر اللبيب أحمد بن علي بن مشرّف، رحمه الله تعالى، وعفا عنه»[٥].

ولم تذكر سنة الطباعة، ولكن من المحتمل أنها طبعت في أواخر حياة شاعرنا، أو بعد وفاته بمدة وجيزة؛ لأن الذي اعتنى بها أحد معاصريه وتلامذته، وقد عنون شاعرنا لكل قصيدة، من قصائده فعددها (٦٨) قصيدة

(١) علي جواد الطاهر، معجم المطبوعات العربية .، ج١، ص٤٠٦.
(٢) الديوان: هكذا وردت في الطبعة الهندية ويبدو لي أنها أحد أو أحكم الفضلاء.
(٣) الديوان: هكذا وجدت في الطبعة الهندية، ص١-٢.
(٤) الديوان: الطبعة الهندية، ص١.
(٥) الديوان: الطبعة الهندية، ص٢.

وعدد صفحات الديوان ١٥٨ صفحة، وتحتوي كل صفحة على ٢٣ إلى ٢٥ بيتاً، والكتابة واضحة ومقروءة، ولكنها لم تضبط، ولم تشرح، وظهرت طباعتها بشكل جيد.

ونلاحظ أن ديوان شاعرنا قد أضيف إليه ما ليس له، ولكنه لم ينسب إليه فإذا تتبعنا ترتيب الديوان فنجده كما يأتي:

بدأ ديوانه بمنظومة الهمزية[١]، ثم مدح الإمام فيصل بن تركي[٢]، ثم العقيدة التي هي أصل التوحيد[٣]، ثم عاد ومدح الإمام فيصل[٤]، ثم مما قاله السيد محمد بن الإمام عبدالله المنصور بن حمزة في نسب بني إسماعيل هذه القصيدة الموسومة بذات الفروع[٥]، ثم مثلثة قطرب[٦]، ثم بعد ذلك تأريخ لطيف للإمام العلامة جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي رحمه الله رواية عن الإمام الحافظ زكي الدين أبي محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبدالله المنذري[٧]، وهي من ولادة الرسول ﷺ إلى نهاية الخلافة العباسية، ثم منظومة جوهرة التوحيد[٨]، ثم أرجوزة نغمة الأغاني في عشرة الإخوان للشيخ المذكور، رحمه الله، وقد كُتب على نفس الأرجوزة «ولعله لغير الشيخ رحمه الله»[٩]، فهي للشاعر أحمد بن معصوم - كما ذكرنا-.

---

(١) الديوان، ص٢.

(٢) الديوان، ص٦.

(٣) الديوان، ص٢٨.

(٤) الديوان، ص٥٥.

(٥) الديوان، ص٦٠.

(٦) الديوان، ص٩٤.

(٧) الديوان، ص١٠٢.

(٨) الديوان، ص١٠٩.

(٩) الديوان، ص١١٨.

ثم طبعه الشيخ عبدالرحمن بن قاسم بمطبعة جريدة «أم القرى» بمكة المكرمة، من دون تاريخ في ١٧٩ صفحة + ١[(١)]، ويقول عبدالفتاح الحلو: «أطلعني الدكتور عبدالعزيز الفريح على الطبعة الأولى للديوان بمنطقة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٣٥٥هـ»[(٢)].

وتعقيباً على ما ذكره عبدالفتاح الحلو نقول: «إن الطبعة الأولى للديوان هي الهندية، ولا خلاف في ذلك، وقد اعتنى بها أحد طلابه، وهو محمد بن إبراهيم بالغنيم -كما سبق ذكره- في أثناء دراسته على لشيخ، وبعده، وهي قبل سنة ١٣٥٥هـ.

أما الطبعة التي اطلّع عليها الحلو فهي الطبعة الثانية للديوان - والله أعلم - ولكن نسخها كلها نفدت، إلا أن جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - قد تفضل فأمر بأن يُبذل الديوان لطالبيه على حساب جلالته الخاص[(٣)].

تم طبع الديوان للمرة الثالثة في الدوحة بقطر على نفقة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني[(٤)]، في مطابع العروبة[(٥)]، وقد اعتنى الشيخ بهذه الطبعة، فجاءت واضحة ومرتبة، وقد ضبطت قافية أغلب القصائد، ولكنها لم

---

(١) علي جواد الطاهر، «معجم المطبوعات العربية»، ج١، ص٤٠٦.

(٢) عبدالفتاح الحلو، شعراء هجر، ص٩٩.

(٣) الديوان، ص٨.

(٤) وهو علي بن عبدالله بن قاسم بن محمد من آل ثاني حكام قطر، من تميم. ولد سنة ١٣١٠هـ، من كرماء هذه الأسرة ومحبيها للعلم. تولى الإمارة سنة ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م)، في حياة أبيه. أحب الأدب فأشار بجمع «مختارات شعرية ـ ط» ونشر نحو مئة كتاب. نزل عن الإمارة لابنه سنة ١٣٨٠ (١٩٦٠م)، توفي سنة ١٣٩٤هـ ببيروت، ودفن في الدوحة بقطر. الأعلام. ج ٤، ص ٣٠٩.

(٥) الديوان، الطبعة الثالثة، ص١.

تشرح، ولم تدون سنة الطباعة عليها، وقد أضاف إليها كتاب غرر الفتاوى حيث قدّم له بقوله: «غرر الفتاوى نظم العالم العلامة، والحبر البحر الفهامة الشيخ أحمد بن علي بن حسين بن مشرّف في مذهب الإمام مالك بن أنس الأصبحي، تغمدهم الله برحمته، وأسكنهم فسيح جنته، وجزاهم عن هذه الأمة خيراً، آمين، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين»[١]. وهي تقع من ص ١٥٨ إلى آخر الديوان ص ٢٣٥ [٢].

ويقول عبدالفتاح الحلو: «أطلعني الدكتور عبدالعزيز الفريح على طبعة أخرى بمطبعة العروبة بالدوحة دون تاريخ، على نفقة صاحب العظمة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، ولعلها مصورة على طبعة حجرية» [٣].

وفي سنة ١٣٧٠هـ[٤]، اشتد الطلب عليه، وحرص طلبة العلم على اقتنائه، فقام الشيخ إبراهيم بن محمد الضبيعي، والشيخ محمد العبدالله الحواس بطبعه على نفقتهما في المرة الرابعة بالقاهرة في مطبعة السنة المحمدية، لحساب المكتبة الحديثة بالرياض، ووكلا محمد حامد الفقي بالقيام على تصحيحه[٥].

ويذكر صاحب «شعراء هجر «أن طبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٠هـ[٦] بينما يذكر علي جواد الطاهر قوله: «وطبع بالقاهرة، مطبعة السنة المحمدية، د.ت (لعله ١٣٨٦هـ) لحساب مكتبة في الرياض»[٧]. فقوله «لعله» هذا دليل على أنه غير متأكد من تاريخ الطباعة، فالناظر للطبعة يجد أنها مؤرخة بسنة ١٣٧٠هـ، وهو التاريخ الصحيح. وإذا نظرنا إلى هذه

---

(١) الديوان، ص١٥٨

(٢) الديوان، ص٢٣٥.

(٣) شعراء هجر، ص٩٩.

(٤) الديوان، مطعبة السنة المحمدية، ص١٧٩.

(٥) الديوان، ص: هـ، و.

(٦) «معجم المطبوعات» ج١، ص٤٠٦.

(٧) المرجع السابق.

الطبعة نجد أنها واضحة، ولكنها لم تُضبط، ولم تشرح، وقد ألحق بها ما ليس من نظم مشرّف، كنونية القحطاني «للإمام الحبر العالم الرباني أبي محمد عبدالله بن محمد الأندلسي القحطاني السلفي المالكي، رحمه الله»[١]، ومثلثة قطرب[٢]، وابن الوردي نصيحة الإخوان ومرشد الخلان[٣]، وهو في ١٧٨ صفحة بالإضافة إلى كلمة للناشرين في صفحة واحدة وترجمة لناظم الديوان في ثلاث صفحات، بالإضافة إلى الخاتمة في صفحة واحدة فهي ٥+١٧٨+١ صفحة.

وقد أعادت طبعه للمرة الخامسة مكتبة الفلاح بالأحساء في ١٥٥ صفحة، بالإضافة إلى مختارات من شعر ابن عثيمين من صفحة ١٦٧ إلى صفحة ١٩٢، وكان ذلك في سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)[٤]، وقد قام بنشر هذه الطبعة محمد بن إبراهيم الطريري[٥].

والناظر في هذه الطبعة يجدها واضحة ومرتبة، ولكنها لم تضبط، ولم تشرح، ولم تدون عليها سنة الطباعة. بدأ الديوان بكلمة للناشر[٦]، ثم بعد ذلك ترجمة لناظم الديوان في صفحتين[٧]، واستهل ديوانه بمنظومة جوهرة التوحيد[٨]، ثم أعقبها بعقيدة ابن أبي زيد القيرواني في رسالته[٩]، ثم ألحقها بمنظومة الشهب

(١) الديوان، ط٤، ص١٣٦.
(٢) الديوان، ص١٦٨
(٣) الديوان، ص١٧٥
(٤) معجم المطبوعات السعودية، ج١، ص٤٠٦.
(٥) الديوان، مكتبة الفلاح، ص٨.
(٦) الديوان، ص٥.
(٧) الديوان، ص٧.
(٨) الديوان، ص٩.
(٩) الديوان، ص٨.

المرمية على المعطلة والجهمية[١]، فنغمة الأغاني في عشرة الإخوان[٢]، وتليه نونية القحطاني[٣]، ومثلثة قطرب[٤]، وبعد ذلك نصيحة الإخوان ومرشد الخلان لابن الوردي[٥]، ثم قصيدة للأديب فيصل بن المبارك من أهل حريملاء بنجد ـ «بني نجد إلى العلياء سيروا»[٦]، ومنظومة اسمها «قلادة الدر المنور في ذكرى البعث والنشور لابن مشرّف»، وهي جامعة لغالب ما تقدم من أحوال يوم القيامة[٧]، وفي نهاية المطاف مختارات من شعر ابن عثيمين[٨].

أما الطبعة السادسة والأخيرة، فقد عني بها عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، وقد طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي في دولة قطر، وكان ذلك في سنة ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م)، وهو في ٣٦٤ صفحة.

وبدأ ديوانه بقصيدة شرف العلم وفضله وعلو قدره[٩]، ثم مدائح في الإمام فيصل بن تركي[١٠]، وأعقبها بقصيدة أبي زيد القيرواني[١١]، وتليها لاميته المسماة الشهب المرمية على المعطلة والجهمية[١٢]، ثم مثلثة قطرب[١٣]،

(١) الديوان، ص٢٤.
(٢) الديوان، ص٢٤.
(٣) الديوان، ١٠٥.
(٤) الديوان، ص١٢١.
(٥) الديوان، ص١٥١.
(٦) الديوان، ص١٥٥.
(٧) الديوان، ص١٦١.
(٨) الديوان، ص١٦٩.
(٩) الديوان، المطبعة القطرية، ص٢.
(١٠) الديوان، ص١٣
(١١) الديوان، ص٤٧.
(١٢) الديوان، ص٩٦.
(١٣) الديوان، ص١٦٦.

وتليها قصيدة القاضي الأديب القاسم بن صالح بن أبي الرحال[١]، فقول لزهير بن أبي سلمى[٢]، ثم قول لأبي الطيب[٣]، وقول لابن سناء الملك[٤]، ويليها قول لابن هانئ المغربي[٥]، ثم تأريخ لطيف للإمام العلامة جمال الدين أبي الفرج[٦]، من ولادة الرسول ﷺ إلى آخر حكام الدولة العباسية، حيث ذكر مدة خلافة كل منهم، وأعقبها بمنظومة جوهرة التوحيد[٧]، ثم نغمة الأغاني في عشرة الإخوان[٨]، ويليها كتاب غرر الفتاوى[٩]، إلى نهاية الديوان[١٠].

وهناك أيضاً طبعة أخرى للديوان ذكرت في رسالة الأستاذ «ناصر بن سليمان بن عبدالكريم الصمعاني» التي بعنوان «الشيخ سليمان بن سحمان حياته وشعره» فقد قامت دار الشبل بالرياض بطباعتها، ولكنها لم تدون عليها سنة الطباعة، ولم أستطع العثور عليها.

(١) الديوان، ص١٧٥.
(٢) الديوان، ص١٧٦.
(٣) الديوان، ص١٧٦.
(٤) الديوان، ص١٧٩.
(٥) الديوان، ص١٨١
(٦) الديوان، ص١٨٢.
(٧) الديوان، ص١٨٩.
(٨) الديوان، ص٢٠٧.
(٩) الديوان، ص٢٥٥.
(١٠) الديوان، ص٣٦٤.

- ٣ -

فائت الديوان

لم يتم العثور على جميع مخطوطات الديوان، وما تم العثور عليه قمنا بالمقارنة بينه وبين ما وُجد في الديوان والطبعة الهندية للديوان، ومن خلال المقارنة وجدنا أن هناك أبياتاً موجودة في الديوان وغير موجودة في المخطوطة، فربما تكون هذه الأبيات منسوبة إلى الشاعر أو لأنها مفقودة، وأبيات أخرى موجودة في المخطوطة وغير موجودة في الديوان أو النسخة الهندية، وهذه الأبيات قد تكون ساقطة في أثناء كتابة الديوان، وبذلك يختلف ترتيب الأبيات في الديوان عنه في المخطوطة، وأبيات أخرى يختلف لفظها في الديوان عن المخطوطة، وهذه الأبيات ربما يكون من قام بكتابتها في الديوان أو الطبعة الهندية لم ينقلها بطريقة صحيحة.

ونجد بعض الأخطاء في أثناء تسجيلنا للأبيات الموجودة في المخطوطة فقط، وذلك إما لعدم وضوح الخط، وإما لفقد بعض كلماتها.

وبدأنا أولاً بالمخطوطات التي عثرنا عليها وقمنا ـ كما سيأتي ـ بمقارنتها بما في الديوان، وما في النسخة الهندية. أما باقي قصائد الديوان فلم نتطرق إليها لعدم وجود شيء نقارنه. والملاحظ أننا وجدنا القصائد في المخطوطات غير مرتبة وغير منظمة، وعندما قارننا بين المخطوطات وبين قصائد الديوان تم ترتيب المقارنات كما رُتِبَتْ قصائد الديوان.

قصيدة «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية»:

عثرنا على أكثر من نسخة لمخطوطة هذه القصيدة بخطوط مختلفة وبمقارنة إحدى هذه المخطوطات بالقصيدة كما هي في الديوان وجدنا:

١ - أبيات موجودة في الديوان وغير موجودة في المخطوطة:

البيت الثالث في الديوان غير موجود في بالمخطوطة(١):

فقد جاء في الأخبار في غير موضع
بلفظ «استوى» لا غير يا متأولُ

البيتان السابع والثامن في الديوان غير موجودين بالمخطوطة(٢):

وتعرج حقا روح من مات مؤمناً … إليه فتحظى بالمنى ثم ترسل
وبالمصطفى أسرى إلى الله، فارتقى … على هذه السبع السموات في العلو

البيت الرابع والعشرون بالديوان غير موجود بالمخطوطة(٣):

وقد فطر الله العظيم عباده
على أنه من فوقهم. فلهم سلوا

البيتان: الحادي والأربعون، والثاني والأربعون غير موجودين بالمخطوطة(٤):

وكل مكان فهو فيه بعلمه … شهيد على كل الورى ليس يغفل
وما أثبت الباري تعالى: لنفسه … من الوصف أو أبداه مَنْ هو مرسل

البيت السادس والأربعون في الديوان غير موجود بالمخطوطة(٥):

(١) الديوان، ص٢٤.
(٢) الديوان، ص٢٤.
(٣) الديوان، ص٢٥.
(٤) الديوان، ص٢٦.
(٥) الديوان، ص٢٦.

تنـزه عـن نـدٍ وولـدٍ ووالـدٍ
وصاحبـةٍ. فاللـه أعلـى وأكمـل

البيتان الرابع والخمسون، والخامس والخمسون في الديوان غير موجودين بالمخطوطة(١):

وإن علينـا حافظيـن ملائـكا … كراماً بسـكـان البسـيطة وُكِّلُـوا
فيحصـون أقـوال ابـن آدم كلهـا … وأفعالـه طـرّاً فـلا شـيء يهمـل

البيت السابع والخمسون موجود في الديوان وغير موجود بالمخطوطة(٢):

وإن نفـوس العـالميـن بقبضهـا
رسـول مـن اللـهِ العظيـم مـوكل

البيت التاسع والخمسون موجود في الديوان وغير موجود بالمخطوطة(٣):

وسـيان منهم من أودى حتف أنفه(٤)
ومـن بالظبـى والسـمهرية يقتـلُ

البيتان الحادي والستون والثاني والستون موجودان في الديوان، وغير موجودين بالمخطوطة(٥):

يقـولان مـاذا كنـت تعبـد؟ مـا الذي … تديـن ؟ ومن هذا الذي هو مرسـل؟
فيـا رب ثبتنـا علـى الحـق واهدنـا … إليـه، وأنطقنـا بـه حيـن نسـأل

---

(١) الديوان، ص٢٦.
(٢) الديوان، ص٢٦.
(٣) الديوان، ص٢٦.
(٤) كذا ورد في الديوان.
(٥) الديوان، ص٢٦.

الأبيات من الرابع والستين إلى البيت السابع والستين موجودة بالديوان وغير موجودة بالمخطوطة(١):

فأرواح أصحاب السعادة نعمت — بِرَوح وريحانٍ وما هو أفضل
وتسرح في الجنات تجني ثمارها — وَتشرَّب من تلّك المياه وتأكل
ولكن شهيد الحرب حي منعم — فتنعيمه للروح والجسم يحصلٍ
وأرواح أصحاب الشقاء مهانة — معذبة للحشر، والله يعدل

الأبيات من الثالث والسبعين إلى البيت الخامس والسبعين غير موجودة بالمخطوطة(٢):

وفي الحسنات الأجر يلقى مضاعفاً — وبالمثل تجزى السيئات وتعدل
ولا يدرك الغفران من مات مشركاً — وأعماله مردودة ليس تقبل
ويغفر غير الشرك ربي لمن يشا — وحسن الرجا والظن في الله أجمل

البيت السابع والسبعون في الديوان غير موجود بالمخطوطة(٣):

أعدت لمن يخشى الإله ويتقي — ومات على التوحيد. فهو مهلهل

البيت التاسع والسبعون بالديوان غير موجود بالمخطوطة(٤):

وإن عذاب النار حق وأنها — أعدت لأهل الكفر مثوى ومنزلُ

الأبيات من الثاني والثمانين إلى البيت الرابع والثمانين موجودة بالديوان، وغير موجودة بالمخطوطة(٥):

---

(١) الديوان، ص٢٧.
(٢) الديوان، ص٢٧.
(٣) الديوان، ص٢٧.
(٤) الديوان، ص٢٧.
(٥) الديوان، ص٢٧.

وإن لخيـــر الأنبيــاء شــفاعة | لـدى الله فـي فصل القضـاء فيفصل
ويشـفع للعاصيـن مـن أهـل دينـه | فيخرجهـم مـن نـاره وهـي تشـعل
فيلقـون فـي نهـر الحيـاة فينبتـوا | كمـا في مسـيل السـيل ينبت سـنبل

البيت السادس والثمانون موجود بالديوان، وغير موجود بالمخطوطة(١):

يقـدر شـهراً فـي المسـافة عرضـه
كأيلـة من صنعـا وفي الطـول أطول

البيت الثامن والثمانون موجود بالديوان، وغير موجود بالمخطوطة(٢):

مـن الأمـة المستمسـكين بدينـه
وعنـه ينحّـى محـدث ومبـدلُ

الأبيات من الخامس والتسعين إلى السابع والتسعين موجودة بالديوان، وغير موجودة بالمخطوطة(٣):

وإن ختـام المرسـلين محمـد | إلـى الثقليـن الجـن والإنس مرسـل
بأفضـل ديـن للشـرائع ناسـخ | ولا يعتريـه النسـخ مـا دام يبذبـل
فمـا بعـده وحـي مـن اللـه نـازل | علـى بشـر والمدعـي متقـول

البيت التاسع والتسعون موجود بالديوان، وغير موجود بالمخطوطة(٤):

وينقـص أحيانـاً بنقصـان طاعـة
ويـزداد إن زادت فينمـو ويكمـل

البيتان مئة والواحد بعد المئة موجودان بالديوان، وغير موجودين بالمخطوطة(٥):

---

(١) الديوان، ص٢٨.
(٢) الديوان، ص٢٨.
(٣) الديوان، ص٢٨.
(٤) الديوان، ص٢٨.
(٥) الديوان، ص٢٦.

ودونك من نظم القريض قصيدة ... وجيزة ألفاظ جناها مذلل
بديعة حسن يشبه الدر نظمها ... ولكنه أحلى وأغلى وأجملُ

الأبيات من السابع بعد المئة إلى العاشر بعد المئة موجودة بالديوان، وغير موجودة بالمخطوطة[1]:

وأحسن ما يزهو به الختم حمد من ... بأسمائه الحسنى له تتوسلُ
وأزكى صلاة والسلام على الذي ... به تم عقد الأنبياء وكملوا
محمد المختار ما انهل عارض ... على بلد قفر، وما اخضر ممحل
كذا الآل والأصحاب ما قال قائل: ... نفيتم صفات الله فالله أكمل

٢- أبيات موجودة في المخطوطة، وغير موجودة في الديوان:

البيت الخامس والعشرون بالمخطوطة غير موجود بالديوان:

فنعم طعام مستلذاً طعامهم
ولكنْ به شوباً من السم يقتل[2]

البيت الرابع والخمسون موجود بالمخطوطة، وغير موجود بالديوان:

وينشر ديوان لكل مكلف
لأعماله يحصي ولا شيء يهمل

البيت الحادي والخمسون بالمخطوطة غير موجود بالديوان:

كذلك لا تفنى الجحيم ومن بها
وتلك لأهل الكفر دار ومنزل

البيتان الحادي والستون والثاني والستون بالمخطوطة غير موجودين بالديوان:

(١) الديوان، ص٢٩.
(٢) كذا ورد البيت في الديوان.

وإن الصراط المستقيم كأجله صراطاً على نار الجحيم سيجعل
فمن جاز في الدنيا صراط محمد يجزه وإلا فهو فيها مخردل

الأبيات من الثامن والسبعين إلى نهاية القصيدة غير موجودة بالديوان:

وأفضل حمد الله حسن ختامنا وأزكى الصلاة والسلام المبجلُ
على المصطفى خير الأنام الذي به أتم نظام الأنبياء وكملوا
كذا الآل والأصحاب ما انهل عارض على بلد قفر وما اخضر ممحل
وما قبح بالتحميد لله حامد وما عجَّ بالتوحيد بعد مهلل
وما قال زاجراً من بات معطل نفيتم صفات الله فالله أكمل

٣ - أبيات يختلف لفظها في الديوان عن المخطوطة:

البيت الرابع في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[١]:

وقد جاء في إثباته عن نبينا
من الخبر المأثور ما ليس يشكل

ونجده في المخطوطة ترتيبه الثالث بلفظ:

فقد صح في إثباته عن نبينا
من الخبر المأثور ما ليس يشكل

البيت السابع والثلاثون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[٢]:

فما مذهب الأخلاف أعلم بالهدى
من القوم لو أنصفت أو كنت تعقل

---

(١) الديوان، ص٢٤.
(٢) الديوان، ص٢٥.

ونجده في المخطوطة ترتيبه الثالث والثلاثين بلفظ:

فمـا مذهب الأخلاف أعلـم بالهدى
مـن القوم لو أنصفـت أو كنت تعدل

البيت الثامن والثلاثون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[1]:

ولكنـه من بعـض ما أحـدث الورى
ومـن يبتـدع فـي الديـن فهـو مضلل

ونجده في المخطوطة ترتيبه الرابع والثلاثين بلفظ:

بلى إنـه من بعض ما أحـدث الورى
ومـن يبتـدع فـي الديـن فهـو مضلل

البيت الأربعون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[2]:

نقـر بـأن اللـه فـوق عبـاده
علـى عرشـه، لكنمـا الكيـف نجهل

ونجده في المخطوطة ترتيبه السادس والثلاثين بلفظ:

ونؤمـن أن اللـه ذو العـرش فوقنـا
علـى عرشـه، لكنمـا الكيـف نجهل

البيت الثالث والستون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجد في الديوان[3]:

وإن عـذاب القبـر حـق وروح مـن
أودى فـي النعيـم أو عـذاب يعجـل

---

(١) الديوان، ص٢٥.
(٢) الديوان، ص٢٦.
(٣) الديوان، ص٢٧.

ونجده في المخطوطة ترتيبه التاسع والأربعين:

وإن عـذاب القبـر حـق وروح مـن
قضـى فـي نعيـم أو عـذاب يعجـل

البيت الحادي والثمانون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة[1]:

ولـم يبـق بالإجمـاع فيهـا موحـد
ولـو كان ذا ظلـم يصـول ويقتـل

ونجده في المخطوطة ترتيبه الستين بلفظ:

ولـم يبـق فيهـا مـن توفـي موحـد
ولـو كان ذا ظلـم يصـول ويقتـل

البيت السابع والثمانون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[2]:

وكيزانـه مثـل النجـوم كثيـرة
ووارده كـــل أغـــر محجـــل

ونجده في المخطوطة ترتيبه الرابع والستين بلفظ:

أباريقـه مثـل النجـوم كثيـرة
ووارده كـــل أغـــر محجـــل

البيت الرابع بعد المئة في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[3]:

فيـا رب عفـوا منـك عمـا اجترحتـه
من الذنب عن علـم وما كنت أجهل

---

(١) الديوان، ص٢٧.

(٢) الديوان، ص٢٨.

(٣) الديوان، ص٢٨.

ونجده في المخطوطة ترتيبه الخامس والسبعين بلفظ:

فيا رب عفواً منك عما اجترحته
فما خاب من عفو الكريم المؤملُ

عدد أبيات القصيدة في الديوان ١١٠ أبيات أما في المخطوطة فنجدها ٨٢ بيتاً.

قصيدة «هجاء عين نجم»:

لم نجد إلا ستة أبيات من بداية القصيدة المخطوطة في هذه القصيدة[(١)]:

ألا فاتركا عينا تضاف إلى نجم … فقبتها بالهدم أولى وبالرجم
لأن بها مأوى لمن يقصد الخنا … وكم فعلوا فيها من الرقص والإثمِ
تشم بها الكبريت أخبث ريحه … تضر، وطيب الريح أنفع للجسمَ
وهل ماؤها إلا حميم لحره … يذيب الذي في الكليتين من الشحم
فيا طالباً منه الشفاء بزعمه … جهلت، فما في مثل هذا سوى السقم
ولو كان في الماء الحميم لنا شفا … لخص به أيوب يا عادم الفهم

قصيدة «رثاء العلم»:

١ - أبيات موجودة في الديوان وغير موجودة في المخطوطة:

وجدنا مخطوطتين لقصيدة «رثاء العلم»، بمقارنة النسخة الأولى من المخطوطتين مع طبعة الديوان وجد أن:

الأبيات: الثامن، والتاسع، والحادي عشر موجودة في طبعة الديوان وغير موجودة في المخطوطة، وهذه الأبيات هي[(٢)]:

---

(١) الديوان، ص٣٤.
(٢) الديوان، ص٤٠.

فهذا أوان القبض للعلم فلينح ... عليه الذي في الحب كان له سهم
فليس بمبقي العلم كثرة كتبه ... فماذا تفيد الكتب إن فُقد الفهم؟
وما قبضه إلا بموت وُعاتِه ... فقبضهم قبض له، وبهم ينمو
فجد وأدِّ الجهد فيه فإنه ... لصاحبه فخر وذخر به الغنم

البيت الخامس عشر في الديوان وليس موجوداً في المخطوطة، وهو[1]:

أيرضى بأن الجهل من بعض وصفه ... ولو قيل: يا ذا الجهل، فارقه الحلم

البيت الخامس والأربعون في المخطوطة لا نجد شيئاً بعده وترتيب هذا البيت في الديوان الخمسون، وهو[2]:

ولولاهُم كان الورى في ضلالة ... ولكنَّ كلًّا منهم للهدى نجمُ

بمقارنة النسخة الثانية من المخطوطتين وُجِد:

من البيت السادس من طبعة الديوان إلى البيت السابع عشر لم نجده في المخطوطة وهذه الأبيات هي الآتية[3]:

وما الناس دون العلم إلا بظلمة ... من الجهل لا مصباحُ فيها ولانَجْمُ
فهل يهتدي إلا بنجم سمائه ... إذا مابدا من أفقه ذلك النجم؟
فهذا أوان القبض للعلم فلينح ... عليه الذي في الحب كان له سهم
فليس بمبقي العلم كثرة كتبه ... فماذا تفيد الكتب إن فُقد الفهم؟
وما قبضه إلا بموت وُعاتِه ... فقبضهُم قبض له، وبهم ينمو
فجدَّ وأدِّ الجهدَ فيه فإنه ... لصاحبه فخر وذخر به الغنم

(١) الديوان، ص٤١.

(٢) الديوان، ص٤٢.

(٣) الديوان، ص٤١.

فعار على المرء الذي تم عقله وقد أمليت فيه المروءة والحزم
إذا قيل: ماذا أوجب الله يا فتى؟ أجاب: بلا أدري، وأنى لي العلم؟
وأقبح من ذا لو أجاب سؤاله بجهل، فإن الجهل مورده وخم
أيرضى بأن الجهل من بعض وصفه ولو قيل: يا ذا الجهل، فارقه الحلمُ
فكيف إذا ما البحث من بين أهله جرى ؟ وَهْوَ بين القوم ليس له سهم
تدور بهم عيناه ليس بناطق فغير حري أن يرى فاضلاً قدم

من البيت التاسع عشر في الديوان إلى البيت الثامن والعشرين لم نجده في المخطوطة[1]:

وكم في كتاب الله من مدحة له يكاد بها ذو العلم فوق السهى يسمو
وكم خبرٍ في فضله صح مسنداً عن المصطفى فاسأل به من له علم
كفى شرفاً للعلم دعوى الورى له جميعاً وينفي الجهل من قبحه الفدم
فلست بمحص فضله إن ذكرته فقد كَلَّ عن إحصائه النثر والنظم
فيا رافع الدنيا لا تساوي بأسرها جناح بعوض عند ذي العرش، يا فدم
وتؤثر أصناف الحُكَام على الذي به العز في الدارين والملك والحكم
وترغب عن إرث النبيين كلهم وترغب في ميراثٍ من شأنه الظلم
وتزعم جهلاً: أن بيعك رابح فهيهات لم تربح ولم يصدق الزعم
ألم تعتبر بالسابقين ؟ فحالهم دليل على أن الأجل هو العلم

البيت الخامس والثلاثون في طبعة الديوان غير موجود بالمخطوطة، وهو[2]:

وأنفق جميع العمر فيه فمن يمت له طالباً نال الشهادة لا هضم

(١) الديوان، ص٤١.
(٢) الديوان، ص٤١.

الأبيات من السابع والأربعين إلى البيت الواحد والخمسين موجودة في الطبعة الهندية، وطبعة الديوان، وغير موجودة بالمخطوطة، وهذه الأبيات هي[١]:

وما العلم آراء الرجال وظنهم ... ألم تدر أن الظن من بعضه الإثمُ؟
وكن تابعاً خير القرون ممسكاً ... بآثارهم في الدين هذا هو الحزمُ
وأفضلهم صحب النبي محمد ... فلولاهم لم يحفظ الدين والعلم
ولولاهم كان الورى في ضلالة ... ولكن كلا منهم للهدى نجم
فآمن كإيمان الصحابة وارْضَهُ ... فمنهاجهم فيه السلامة والغنم

البيتان الخامس والخمسون والسادس والخمسون في الديوان غير موجودين بالمخطوطة[٢]:

فليس له ولد، ولا والد، ولا ... شريك ولا يعروه نقص ولا وصم
إله قديم أول لا بداية ... له: آخر يبقى فليس له حسم

البيت الثاني والثمانون موجود في الديوان، وغير موجود في المخطوطة، وهو[٣]:

فيأتونه والدمع منهم جرى دماً
وكم زفرات منهمو هاجها الهم

البيتان الرابع والثمانون والخامس والثمانون موجودان في الديوان وغير موجودين في المخطوطة[٤]:

لقد طال هذا الموقف الصعب أمره ... علينا، فأوهى الجسم بل وهن العظم
وقد طال يا خير العباد انتظارنا ... ومن شأن مولانا الأناءة والحلم

---

(١) الديوان، ص٤٢.
(٢) الديوان، ص٤٢.
(٣) الديوان، ص٤٣.
(٤) الديوان، ص٤٣.

البيتان الأخيران في القصيدة في طبعة الديوان غير موجودين في المخطوطة[١]:

وصــلِّ إلــهَ العالمينَ مسلماً على مـن بـه للأنبيـاء جـرى الختم
كـذا الآل والأصحـاب ما قـال قائل على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم

١ - أبيات موجودة في المخطوطة وغير موجودة في الديوان:

البيت الثالث والعشرون في المخطوطة غير موجود في الطبعة الهندية، وطبعة الديوان، وهو:

ومـا الديـن إلا مـن كتـاب وسـنة
وقـول صحابـي عليـم لـه فهـم

البيت الثالث والستون في المخطوطة ليس موجوداً في طبعة الديوان:

وصـل على المختار ما هبـت الصبا
وما طلعت شـمس وما إنجلى النجم

٢ - أبيات يختلف لفظها في الديوان عن المخطوطة:

البيت الحادي والثلاثون في الديوان ليس باللفظ نفسه في المخطوطة، فنجده في الديوان[٢]:

وكـم عالـم ذي فاقـة ورثاثـة
ولكنـه قـد زانـه الزهـد والعلـم

وترتيبه في المخطوطة السادس والعشرون ولفظه:

وكـم عــالـم ذا فاقــة ورثاثـة
ولكنـه قــد زانــه العلـم والحلـم

(١) الديوان، ص٤٤.
(٢) الديوان، ص٤١.

البيت السابع والأربعون في الديوان ليس باللفظ نفسه في المخطوطة، فنجده في الديوان[١]:

فبادوا، فلم تسمع لهم قط ذاكراً
وإن ذكروا يوماً فذكرهم الذم

ولفظه في المخطوطة:

بادروا فلم تسمع لهم قط ذاكر
وإن ذكروا يوماً فذكرهم الذم

البيت الحادي والأربعون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[٢]:

فجالس رواة العلم واسمع كلامهم
فكم كَلِمٍ منهم به يبرأ الْكَلْمُ

ونجد ترتيبه في المخطوطة الثامن عشر بلفظ:

وجالس رواة العلم واسمع كلامهم
فكم كلم منهم به يبرئ الكلم

البيت الرابع والأربعون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[٣]:

أتعتاض عن تلك الرياض وطيبها
مجالس دنيا حشوها الزور والإثم؟

ونجد ترتيبه في المخطوطة الحادي والعشرين:

اتعتاظ عن تلك الرياض وطيبها
مجالس دنيا حشوها الزور والإثم

(١) الديوان، ص٤١.
(٢) الديوان، ص٤٢.
(٣) الديوان، ص٤٤.

البيت الخامس والأربعون يختلف لفظه في طبعة الديوان عن المخطوطة، فنجده في الديوان[١]:

فما هي إلا كالمزابل موضعاً
لكل أذى لا يستطاع له شم

ونجد ترتيبه في المخطوطة الثاني والعشرين:

فما هي إلا كالمزابل موضعاً
لكل إذاء لا يطاق له شم

البيت الثامن والستون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[٢]:

فما اللبن الزاكي يضاهي بياضه
وما العسل الصافي مع اللبن الطعم

ونجد في المخطوطة ترتيبه التاسع والثلاثين:

فما لبن الزاكي يضاهي بياضه
وما العسل الصافي مع اللبن الطعم

البيت التاسع والستون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[٣]:

ولكنه أنقى بياضاً وطعمه
من الكل أحلى والعبير له ختم

ونجد في المخطوطة ترتيبه الأربعين:

ولكنه أنقى بياضاً وطعمه
من الكلّ أحلى والعبير له ختم

---

(١) الديوان، ص٤٢.
(٢) الديوان، ص٤٣.
(٣) الديوان، ص٤٣.

البيت الثمانون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[١]:

فيحجم كل عن شفاعته لهم
سوى من به للمرسلين جرى الختم

ونجده في المخطوطة ترتيبه الحادي والخمسين:

فيحجم كل عن شفاعته لهم
سوى من به للأنبيا حصل الختم

البيت الثالث والثمانون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[٢]:

ينادونه: يا خاتم الرسل، هل ترى
إلى خطبنا ؟ بل عندك الخبر العلم

ونجد في المخطوطة ترتيبه الثاني والخمسين:

فيدعو له يا خاتم الرسل هل ترى
إلى خطبنا بل عندك الخبر والعلم

البيت السادس والثمانون في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[٣]:

فكم ألف عام قد وقفنا بضعفنا
جياعاً ظماءً ضرنا الضنك والسأم

ونجد في المخطوطة ترتيبه السابع والخمسين:

فكم ألف عام قد وقفنا بضعفنا
جياعاً ضماراً مسنا الضنك والظلم

---

(١) الديوان، ص٤٣.
(٢) الديوان، ص٤٣.
(٣) الديوان، ص٤٣.

٣ - أبيات يختلف ترتيبها في الديوان عن المخطوطة:

البيت الثاني عشر في الديوان ترتيبه في المخطوطة الثامن، وهو[١]:

فعار على المرء الذي تم عقله
وقد أملت فيه المروءة والحزم

البيت الثاني والثلاثون في طبعة الديوان ترتيبه في المخطوطة الثامن هو[٢]:

حيي ما حيي في طيب عيش ومذ قضى
بقي ذكره في الناس إذ فقد الجسم

والبيت السابع والثمانون يسبق البيت السادس والثمانين في المخطوطة.

قصيدة «إجابة ابن مشرّف لابن سند»[٣]

بعد مقارنة مخطوطة هذه القصيدة بالقصيدة في الديوان، وُجد أن الأبيات من البيت الأول إلى البيت الرابع عشر غير موجودة بالمخطوطة[٤].

وصل إله العالمين مسلماً   على المصطفى ما جن في سحبها الرعد
كذا آله الغر الكرام وصحبه   ومن لم يزل يقفو طريقتهم بعد

قصيدة في «الإمام فيصل سنة ١٢٧٨هـ»[٥]

هناك مخطوطتان لهذه القصيدة، المخطوطة الأولى كما هي في الديوان، والمخطوطة الثانية نجد فيها:

---

(١) الديوان، ص٤١.

(٢) الديوان، ص٥١.

(٣) الديوان، ص٥١ - ٥٢.

(٤) الديوان، ص٥٣.

(٥) الديوان، ص٥٥.

البيت الثالث في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[١]:

تـرى حوله الأضيـاف تلتمس القرى
وقومـاً يريـدون المـكارم والنـدى

ونجده في المخطوطة:

جثا حولـه الأضياف تلتمـس القرى
وقومـاً يريـدون المـكارم والنـدى

الأبيات من السادس والثلاثين إلى نهاية القصيدة البيت الثامن والثلاثين غير موجودة بالمخطوطة[٢]:

وأختـم نظمـي بالصـلاة مسـلماً ... سـلاماً كنفـح المسـك يبقـى مؤبـدا
علـى خير مبعوث إلـى الناس رحمة ... بأفضـل ديـن خاتـم الرسـل أحمـدا
كـذا الآل والأصحاب مـا لاح بارق ... ومـا سـجع القمـري ليـلاً وغـرّدا

قصيـدة «رد ابـن مشـرّف على قصيـدة القاضي علي بن الحسـين الحفظي»[٣]

مخطوطة هذه القصيدة وجدناها كما هي في الديوان، ولكن البيت الرابع والأربعين في الديوان ترتيبه الخامس والأربعون في المخطوطة، ويأتي الترتيب في الديوان على عكس ذلك، فالبيت الخامس والأربعون في الديوان ترتيبه الرابع والأربعون في المخطوطة، وهذان البيتان كما هما

(١) الديوان، ص٥٥.
(٢) الديوان، ص٥٦.
(٣) الديوان، ص٦٠.

في الديوان[١]:

بأمر بمعروف ونهي عن الردى وبالصلوات الخمس للمتعبد
وقد هدموا الأوثان في كل قرية كما عمَّرت أيديهمو كل مسجد

قصيدة «لتهنئة الإمام لما نصر الله ابنه على الأعراب سنة ١٢٧٦هـ»[٢]

القصيدة في الديوان موجودة، كما هي بالمخطوطة، غير أن البيتين الأخيرين الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين غير موجودين بالمخطوطة[٣]:

وأختم نظمي بالصلاة مسلماً على المصطفى ما هلّ من مزنه القطر
كذا الآل والصحب الأولى بقتالهم سما وعلا الإسلام وانخفض الكفر

قصيدة «في الإمام فيصل وهو إذ ذاك في بلدة الرياض سنة ١٢٨٠هـ»[٤]

ما وجد في المخطوطة من البيت الثامن إلى نهاية القصيدة، وهذه الأبيات مرتبة كما هي في الديوان، أما الأبيات من البيت الأول إلى البيت السابع لم نحصل عليها في المخطوطة.

قصيدة «في تحريض للإمام على كف الأعراب عن الفساد والانتهاب»[٥]

(١) الديوان، ص٦٢.
(٢) الديوان، ص٦٦.
(٣) الديوان، ص٦٧.
(٤) الديوان، ص٧٦.
(٥) الديوان، ص٨١.

البيت الثالث عشر في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[١]:

وكم قد أغاروا في الدروب وكم عثوا
وكم قطعوا سبل الحجيج وخوفوا

ونجده في المخطوطة بلفظ:

وكم أغاروا في الدروب وكم عثوا
وكم قطعوا سبل الحجيج وخوفوا

لم نجد في المخطوطة من بعد البيت الثامن والعشرين إلى نهاية القصيدة كما هي في الديوان:[٢]

لقد أتعب الكتاب كتب صكاكه	**فكدت على أقلامهم أتخوف**
ودونك من نظم القريض قصيدة	**وجيزة لفظ باللآلي توصف**
أتتك من الأحساء بكر خريدة	**تميس وخمر التيه يثنى ويعطف**
يعطر ريّاها سدوسا وبرة[٣]	**وسامعها من روضها الزهر يقطف**
وأزكى صلاة الله ثم سلامه	**على من به ختم النبوة يعرف**
كذا الصحب ما غنى حمام مطوق	**فجاوبه ورق على الدوح يهتف**

قصيدة «في الإمام فيصل سنة ١٢٤٥هـ»[٤]

هذه القصيدة وجدنا لها مخطوطتين وبالمقارنة بينهما وبين ما هو في الديوان وجدنا:

---

(١) الديوان، ص٨١.
(٢) الديوان، ص٨٢.
(٣) كذا ورد في الديوان. ورياها: رائحتها الطيبة.
(٤) الديوان، ص٨٤.

المخطوطة الأولى:

١ - أبيات موجودة في الديوان وغير موجودة في المخطوطة:

البيت الثالث في الديوان غير موجود بالمخطوطة، وهو:

من جاد جاد عليه الله واستترت
عيوبه وكفى بالجود سربالا

البيتان الخامس والسادس موجودان في الديوان، وغير موجودين في المخطوطة[1]:

ثنتان كلتاهما للود جالبة ... صبر جميل وكفٌّ يبذل المالا
لا تحسب المجد سهلاً في تناوله ... لولا المشقة كلٌّ للعلا نالا

الأبيات من الثاني عشر إلى السابع عشر موجودة في الديوان، وغير موجودة في المخطوطة[2]:

والحزم لو شكروا النعماء وادخروا ... للحرب خيلاً وفرسانا وأبطالا
من يحفظ الجند بالإحسان يلقهم ... إن يدعهم في الوغى يأتوه أرسالا
فاجعل عطاك لأحرار الورى ثمناً ... تملك به مهجاً منهم وأوصالا
لا ملك يثبت إلا بالرجال ولا ... يفنى الرجال سوى من كان بذالا
المال يربو لمن ربّى رعيته ... بعدله ونفى للظلم أغلالا
والطرق أمنها بالعدل فامتلأت ... أنسا فلا يرهب السلاك مغتالا

الأبيات من التاسع عشر إلى البيت الحادي والعشرين غير موجودة بالمخطوطة[3]:

(١) الديوان، ص٨٢.
(٢) الديوان، ص٨٥.
(٣) الديوان، ص٨٥.

أوضحت للسنة الغرا رسوم هدى ... عفت فأحييت للإسلام أطلالا
أتى بك الله من مصْر لملتنا ... نصراً وقهراً لمن عادى وإذلالا
فأنت طالع سعد حيناً طلعت ... نجومه زدتنا حظا وإقبالا

من البيت الرابع والعشرين إلى البيت السادس والثلاثين غير موجود بالمخطوطة(١).

من البيت التاسع والثلاثين إلى نهاية القصيدة البيت الرابع والأربعين غير موجودة بالمخطوطة(٢).

٢ - أبيات موجودة في المخطوطة وغير موجودة في الديوان:

البيت الرابع في المخطوطة غير موجود بالديوان:

فاشْر ببذل الندى الأحرار تملكهم
واعْددْ ليوم الوغى خيلاً وأبطالاً

البيت العاشر في المخطوطة غير موجود بالديوان:

فاعْددْ ليوم الوغى في السلم عدته
واجعل جنودك آساداً وأشبالاً

من البيت الثاني عشر إلى الرابع عشر غير موجودة بالديوان:

أحسنت إذ سست من ترعى بمعدلة ... وزدتهم فوق ذاك العدل أفضالا
فأنت كالعارض الجود الذي لمعت ... بروقه فهمى بالجود هطالا
قد كان إقبالك الميمون طلعته ... من أرض مصْر لهذا الدين إقبالا

الأبيات من البيت الرابع والعشرين إلى البيت السابع والعشرين موجودة بالمخطوطة، وغير موجودة بالديوان:

(١) الديوان، ص٨٥ - ٨٦.
(٢) الديوان، ص٨٦.

كسوتها حللا للدين زاهية	من بعد ما لبست للظلم أسمالا
أضحت بملكك فيها السبل آمنة	لما جمعت لها بالبيض أسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن	شُبّا بماء فعادا بعدُ أبوالا
ثم الصلاة على الهادي وشيعته	أزكى صلاة تَعُمُّ الصحبَ والآلا

٣ - أبيات يختلف لفظها في الديوان عن المخطوطة:

البيت العاشر في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[1]:

قاموا يريدون تأليف الجنود بما
كنزوا فلم يدركسوا آمالاً[2]

ونجده في المخطوطة ترتيبه الثامن بلفظ:

قاموا يريدون تأليف الجنود بما
دعوا فلم يدركوا بالمال آمالاً

المخطوطة الثانية:

وبمقارنة القصيدة في الديوان بالمخطوطة الثانية وجدنا:

البيت الرابع موجود بالديوان، وغير موجود بالمخطوطة[3]:

من جاد ساد ومن شحت أنامله
بالبذل أمست له الأعوان خذالا

الأبيات من التاسع إلى الحادي عشر موجودة في الديوان، وغير موجودة بالمخطوطة:

---

(١) الديوان، ص٨٥.

(٢) كذا في الديوان.

(٣) الديوان، ص٨٤.

حتى إذا قام للهيجاء قائمها   وأشعل الحرب مذكي الحرب إشعالا
قاموا يريدون تأليف الجنود بما   كنزوا فلم يدركوا آمالا
كذاك من ضيع الأحرار محتقراً   واختار غمراً وأوباشاً وأنذالا

من بعد البيت الخامس عشر في المخطوطة الموجودة في الديوان إلى البيت الرابع والعشرين لم نحصل على شيء.

قصيدة «في الإمام فيصل لما قتل مشاري بن عبدالرحمن» سنة ١٢٥٠هـ(١)

الأبيات من البيت الأول إلى البيت الثامن والعشرين في الديوان غير موجودة في المخطوطة(٢).

من بداية البيت التاسع والعشرين في الديوان موجود.

البيت الأخير التاسع والخمسون من القصيدة في الديوان غير موجود بالمخطوطة(٣).

ثم الصلاة على النبي محمد   والآل مع صحب هداةٍ كُمَّلِ

قصيدة «في الإمام فيصل في شهر رجب سنة ١٢٧٥هـ»(٤)

ما وُجِد في المخطوطة من البيت الأول إلى البيت الثامن عشر وهذه الأبيات مرتبة في المخطوطة كما هي في الديوان، أما من بداية البيت التاسع عشر إلى نهاية القصيدة البيت الثاني والثلاثين فلم نحصل عليه في المخطوطة.

---

(١) الديوان، ص٨٦.
(٢) الديوان، ص ٨٦ – ٨٧.
(٣) الديوان، ص٨٨.
(٤) الديوان، ص٩٢.

قصيدة «في الإمام فيصل سنة ١٢٨١هـ»[١]

البيت الخامس في الديوان يختلف لفظه عن المخطوطة، فنجده في الديوان[٢]:

فأطعمها مما تنال رماحه
لحوماً، وحظ الجيش منها غنائمُهْ

ونجده في المخطوطة بلفظ:

فيطعمها مما تنال رماحه
لحوماً، وحظ الجيش منهم غنائمُهْ

البيت الأخير في القصيدة بالديوان غير موجود بالمخطوطة[٣]:

كذا الآل والأصحاب ما لاح بارق
وما جاد بالودق الكثير غمائمُهْ

ويمكن القول: إن النسخة الهندية تتطابق مع نسخة الديوان، غير أن ترتيب قصائد الديوان ليست بترتيب قصائد النسخة الهندية نفسه.

(١) الديوان، ص٩٥.
(٢) الديوان، ص٩٦.
(٣) الديوان، ص٩٦.

الفصل الثالث
موضوعات شعرية

١- شعر المديح.

٢- الشعر الديني.

٣- الشعر السياسي.

٤- شعر الرثاء.

٥- شعر الهجاء.

٦- شعر الغزل.

٧- الشعر التعليمي.

٨- موضوعات أخرى.

- ١ -

شعر المديح

منذ وجد الإنسان على هذه الأرض، وعى ذاته، وأحس بالفوارق التي بينه وبين الآخرين، وشعر باختلاف مواهبه عن مواهب سواه، ولد المديح، وخلق فن الثناء.

ولربما كان ديوان المديح أكبر دواوين الشعر وأضخمها، وقد يعدل كثرة ما قيل في الغزل والنسيب.

ونتساءل عن سر هذا الإكثار من المديح، ونخص هنا البيئة السعودية، فنجد أنه من السبل للتقرب من الحاكمين وذوي الجاه والسلطان، وقد يكون الدافع رغبة في نيل جائزة، أو عطاء أو منصب، وقد يكون إيماناً وعقيدة يؤمن بها الشاعر، ويرى أنه من واجبه أن يرفع الشكر والثناء إلى من يستحق. شأنهم كغيرهم من الشعراء عبر العصور[١].

فجاء الشعراء المعاصرون ومدحوا كلَّ من هو أهل لذلك، ومن بينهم الحكام وعلماء الدين، كما أشادوا بعلماء الدعوة وأولهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآله، وأتباعه من حماة الدعوة والعلماء المدافعين عنها[٢]. ويلاحظ أنهم في مديحهم يركزون في قضية الأمن التي تشغل بالهم، كما في مديح ابن مشرّف للإمام فيصل بن تركي[٣].

---

(١) انظر بكري شيخ أمين . الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢.

(٢) انظر عبدالله الحامد . الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، ص١١٦.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨٢.

ومن ذلك قوله(١):

فلا دين إلا بالجهاد قوامه ... ولا أمن إلاَّ بعد سَلِّ القواضب(٢)
ولا ملك حتى تخضب البيض بالدما ... من الهام في أطرافه والجوانب
ولا مجد إلا بالشجاعة والندى ... وجرِّ العوالي فوق مجرى السَّلاهب(٣)

فمن الملاحظ أن ابن مشرّف ركز مدحه في الإمام فيصل بن تركي الذي أعاد للدولة السعودية جدتها بعد بلى، وعزتها بعد ذبول، وكان رجلاً شجاعاً، كريماً معطاء(٤). فقد نظم في مدحه ستاً وعشرين قصيدة، ونظم في واليه على الأحساء والخليج أحمد السديري وابنه قصيدتين، أما أسمى مدائحة فهي الحائية التي مدح بها المصطفى ﷺ(٥). وشعر المديح لديه يضم ثلاثة ألوان، وهي:

المديح الخالص من المناسبات، والتهاني بالفتح أو الظفر على عدو، أو مسير جيش، والثالث ليس من المديح، ولكنه اتصل به لعرض بعض القضايا السياسية التي تتصل بالأمن، وظلم العمال، وغارات الأعراب(٦). ولذا يكون ابن مشرّف لسان حال مجتمعه في تلك الحقبة.

وهذا ما سنعرضه من خلال دراستنا لشعر ابن مشرّف.

أولاً: مدح المصطفى ﷺ:

لم يعرف العرب التاريخ في جاهليتهم إلا بما توارثوه بالرواية، وكانت طبيعة التاريخ حينئذ مسايرة لطبيعة الحياة العربية، ففيه مفاخر الآباء والأجداد،

(١) الديوان، مطبعة مكتبة الفلاح، ص٤٧.
(٢) القواضب: السيف القاطع.
(٣) السلاهب: الطويل.
(٤) انظر الحامد، الشعر في ظلال حركة الإمام، ص٦٧.
(٥) انظر ابن حسين، الأدب الحديث تاريخ ودراسات، ج٢، ص١٣٨.
(٦) انظر، الحامد، الشعر في ظلال حركة الإمام، ص٦٨.

من بطولة وكرم ووفاء، ونحو ذلك.

وجاء الإسلام وتلك الأخبار تروى، وتلك الأنباء تؤثر، ثم وجدوا مادة غزيرة في ظهور دعوة الإسلام وما سبقها من إرهاص بالنبوة، ومن حياة الرسول ﷺ الأولى ونشأته الكريمة، وما تلا ذلك من أنباء الرسالة وأنباء المسلمين أصحاب رسول الله، وأخبار أعداء رسول الله، وسيرة رسول الله في المسلمين والمشركين والنصارى واليهود، فتداولوا بينهم تلك الأخبارمن طريق الرواية كذلك، وكان القرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام الأصحاب سجلاً حافلاً لتلك الحياة[١].

ولم يكن هذا فحسب، فلقد استقطبت سيرة الرسول ﷺ كثيراً من الشعراء؛ وذلك منذ أن صاغ كعب بن زهير قصيدته المشهورة (بانت سعاد) حتى اليوم، وكلهم يحاول إبراز خلق الرسول الكريم الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، كاشفين عن أثر مولده في البرية[٢]. ومن هؤلاء شاعرنا ابن مشرّف عندما صاغ هذه التجربة في قصيدة يتيمة مدح فيها الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد بلغت (٦٠) بيتاً بدأها بالنسيب التقليدي على عادة الشعراء القدامى حيث استغرق منه اثنى عشر بيتاً، وهي[٣]:

بـات سـاهي الطـرف والشـوق يلحُ ... ولبحـر الدمـع مـن عينيـه سفحُ
ليتـهُ أطفـأ نيـران الهـوى ... حيـن آذى مهجتـي منهـن لفحُ
عاذلـي باللـه كـن لـي عـاذراً ... ليس من يشـربُ خمـر الحب يصحُ
لا تطـل عذلـي فعُـذري واضـحُ ... إن تـرك العـذل إن لـم يغـن ربـحُ

(١) عبدالسلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص٧.

(٢) سعد أبو الرضا، الأدب الإسلامي قضية وبناء، ص٤١.

(٣) ديوان ابن مشرّف، مطبعة مكتبة الفلاح، ص٤٩، وفي طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي البيت الرابع، وفي الأحشاء جرح، ص١٩ البيت السادس «ماسر امرؤ»، الصفحة نفسها.

كيف أسلُو والهوى مستحكمُ أنحل الجسم وفي الأحشاء جُرحُ
وإذا لم تدر ماسر امرئ فانظر الحال ففي الأحوال شرحُ؟
تيمت قلبي فتاة حسنها كُل حُسنٍ عنده يعلوه قبحُ
شعرها ليل وصبحٌ وجهها فتعجب من دجاءٍ مَعْهُ صبحُ
هيمت قلبي فأضحى بعدها للساني في بحور الشعر سبحُ
عذبت بالهجر صبّاً مولعاً إنما الهجران للعشاق ذبحُ
طفلة جمّلها حسنُ البها لا مقاليد وأقراط ووشحُ
بل بها الحلية قد زانت كما زين الشعر لخير الخلق مدحُ

ثم يمضي بعد المقدمة الغزلية إلى الغرض الأصيل في القصيدة ألا وهو مديح المصطفى عليه الصلاة والسلام، فيذكر نسب الرسول ﷺ، فهو أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً، من قبل أبيه وأمه[١]. وأكثر قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال[٢]. جاء بالإسلام ونشره في جميع الأرجاء حتى استنارت بنوره كل الديار، فكل ذلك دال على بعد نظر، وعمق سياسة، وحسن تصرف وكمال تدبير، ومن ذلك قوله[٣]:

أحمدُ الهادي إلى سبل الهدى كم بدا منه لأهل الأرض نصحُ
هاشمي قرشي طاهرُ حسنُ الأخلاق زاكي الأصل سمحُ
جاء بالدين الحنيفي وقد طبق الأرض من الإشراك جنحُ
فأرى الناس الهدى بعد الردى فإذا الحق تجلى منه صبحُ
فأبى منهم كلاب كيدهم حين خافوا أسد الإسلام نبحُ

---

(١) ابن هشام . السيرة النبوية، ج١، ص١٧.
(٢) المرجع السابق، ج١، ص٢٠٧.
(٣) الديوان، ص٤٩، ٥٠.

ثم لما رام تمزيق الدجا ... جاءه من فجر نور الله رمحُ
فانجلى الشرك وولى دبرهُ ... وعلت للدين آطام وصرحُ
وبدت أعلام إسلام بها ... صار للأصنام تكسير وطرحُ
وبه الرحمن قد أنقذنا ... من لظى نار لأهل الكفر تلحُ
تُبَّ من يعدل عن مدحته ... كل مدحُ لم يكن فيه فقدحُ
هو خير الخلق طرّاً وبه ... للنبيين جرى ختم وفتحُ
فاق في حلم وحكم وحِجَا ... زانه صدق وصبر ثم صفحُ
عزمه ماض، وأما علمهُ ... فهو كالبحر فلا يزريه نزحُ

ثم ينتقل للحديث عن عداوة قريش للرسول ﷺ، وتصدّي الرسول ﷺ لهذا العداء بكل شجاعة، حتى بلغ فيها بحق المثالية التي لا توصف؛ وهذا مصداق شهادة القرآن له بالشجاعة في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾[(١)]. إن شخصاً يكلف بالقتال وحده، وقتال من؟ إنه قتال كل أهل الكفر على الأرض، وما على الأرض يومها إلا كافر باستثناء تلك الحفنة من أصحابه المؤمنين لَشَخْصٌ هو أشجع من طلعت عليه الشمس، وغربت في دنيا الناس، ذلك هو محمد ﷺ[(٢)]. وهذا ما قاله أحمد بن مشرّف في قصيدته[(٣)]:

وإذا ما ثار نقع وعدتْ ... عادياتُ وندى منهن ضَبْحُ
والتقى البيض وأطراف القنا ... في مجالٍ وحمى للنبل نضحُ
فهو للعائذ حصن مانع ... لم يلن قط لخطبٍ فيه قدحُ

(١) سورة النساء الآية: ٨٤.

(٢) أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص٢٨٥.

(٣) الديوان، ص٥٠: وفي طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي: البيت الثالث «لم يكن قط»، ص٢٠.

لـم يكـن كيـد العـدى هائلـه ... أيهـول الضيغـم المقـدام سـرح
كـم لـه مـن موطـن فيـه ارتـوى ... مـن دمـا أعدائـه سـيف ورمـحُ
كل مـن حاربـه دان لـه ... بعـد أن يثخنـه قتـل وجـرحُ
حـربه نـار علـى أعـدائه ... فنجـا مـن هـو للمختـار صلـحُ
جـاءه الكفـار فـي أحزابهـم ... ليزيلـوا شِـرْعَةِ الحـقِّ ويمحـوا
فتـولـوا هـرباً بـل خيبـةً ... مـا شـفوا غيظـاً ومـا للزنـد قـدحُ
ولـه صحـب ليـوث همَّهـم ... لـدم الكفـار فـي الهيجـاء سـفحُ
لـم يلاقـوا أحـداً إلا انثنـى ... وتولـى ولـه فـي العـدو جمـحُ
فَهُـمُ الشـجعانُ إن جـاء الضيـا ... وهـم الرهبـان مهمـا جَـنَّ جنـحُ
وهـم القـوم إذا مـا عبسـت ... واكفهـرت أوجـه للحـرب كُلْـحُ
كم سقوا حزب العـدا كأس الردى ... وهو فـي الـذوق مـن العلقـم صرحُ
فهـم الأنصـار للديـن لهـم ... أبـداً فـي نصـرة الإسـلام كـدحُ
برسـول اللـه قـد نالـوا العـلا ... وبـه تـم لهـم نصـر وفتـحُ

وبما أن الرسول ﷺ ليس كأحد من الناس، فقد تشرفت بمدحه القصائد الكثيرة ولاعجب، فالقلوب كلها تهفوإلى ذكره، وتذكر قتاله العظيم في سبيل سعادة أمته، وإنقاذها من براثن الظلمات إلى ظلال النور، فطبيعي أن يكثر الشعراء المديح فيه، وأن يقل مدح غيره، ومن هؤلاء شاعرنا ابن مشرّف حيث وصف الممدوح بأنه فوق مستوى البشر، فقد فضله الله على العالمين تفضيلاً، فهو الذي يستحق المدح دون غيره، ومن ذلك قوله(١):

دونكـم بعـض مـدحِ المصطفـى ... مـن مقـل مـا لـه فـي الشـعر فسـحُ
قـد حكـت قافيـة حـاوية ... لابـن فـروخ مديـحٍ فيـه شـطحُ

---

(١) الديوان، ص٥١.

كل مدح لم يكن في المصطفى   فهو أخبار بمدح لا يصحُ
فأنا أرجو به النفع إذا   ألجم النَّاسَ من الموقف شحُ

ثم يختم القصيدة بحمد الله والصلاة والسلام على المصطفى أزكى البرية والأنام، ومن ذلك قوله (١):

وأتم الحمد لله على   فضله، والفضل من ذي العرش منحُ
وصلاة الله مع تسليمه   ما جرى فُلْكٌ له في البحر سبحُ
أبداً يهدي إلى خير الورى   من له في كتب الرحمن مدحُ
أحمد والآل والصحب ومن   لهم يقفو على الأثر وينحو
ماحدا بالعيس حاديها وما   أطرب السمع من السَّاجع صدحُ

وإذا فتشنا في غضون هذا الديوان فلا نجد من بين كنوزه سوى هذه القصيدة اليتيمة في مدح الرسول ﷺ وهي تمتلئ روحانية وعلماً.

ثانياً: مدح الإمام فيصل بن تركي:

لم نجد من الشعراء بعد الشيخ حسين بن غنام من عني بأحداث الدولة السعودية مثل عناية الشيخ ابن مشرّف، الذي نظم كثيراً من شعره في مدح زعمائها أو الدفاع عنهم، والرد على أعداء الدعوة، وله ست وعشرون قصيدة في مدح الإمام فيصل بن تركي، رحمه الله، وسنعرضها على حسب السبق.

وعلى الرغم من أن ابن مشرّف كان يقيم في إقليم الأحساء بعيداً من مقر الإمام؛ إلا أنه كان يلاحق أخبار انتصاراته ملاحقة المحب لنهجه وسيرته؛لأنه رأى فيه الرجل الأمثل لقيادة الأمة، والنجاة بها من حياة الفوضى والاضطراب بعد عهد الدولة السعودية الأولى.

---

(١) الديوان، ص٥١.

فلا غرابة أن يخصَّه ابن مشرّف بخرائد شعره، وعيون نظمه دون سائر الأمراء، فلم يكن غرض الشاعر جاهاً أو مالاً، وإلا لمدح كثيراً من الأمراء ليستدر هباتهم ومنحهم،ولكنه عالم تقي لا يمدح ولا يذم إلا في الله فرحم الله ابن مشرّف، ورحم الإمام فيصلاً(١).

فإذا نظرنا إلى مدائح ابن مشرّف وجدنا الطابع الديني الذي يطغى عليها، كما هو الحال في جلّ شعره، حيث يحتل عنده الدين المرتبة الأولى، وهذا يفسر لنا سر اهتمامه بالإمام فيصل بن تركي، فقد كان رجلاً تقياً، وإماماً عادلاً، وهذا ما سنتعرف إليه من خلال استعراضنا مدائح ابن مشرّف(٢). وأولى قصائده في الإمام كانت سنة ١٢٤٥هـ، حيث بدأها بأسلوب طلبي ممزوج بطابع النصح غير المباشر، ومن ذلك قوله(٣):

أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا ... ولا تطع في سبيل الجود عذالا
فالمنفقون لهم من ربهم خلف ... ورب شح إلى الإتلاف قد آلا
من جاد جاد عليه الله واستترت ... عيوبه وكفى بالجود سربالا
من جاد ساد ومن شحت أنامله ... بالبذل أمست له الأعوان خذّالا
ثنتان كلتاهما للود جالبة ... صبر جميل وكف يبذل المالا
لا تحسب المجد سهلاً في تناوله ... لولا المشقة كلّ للعلا نالا

وفي ختام القصيدة يطلب شاعرنا من الإمام فيصل حمد الله وشكره على نعمه، حيث قال(٤):

فأحمد إلهك إذ ولاك أنعمه ... واشكره مادمت، تعظيماً وإجلالا

---

(١) محمد بن سعد بن حسين . الالتزام الإسلامي في الأدب، ص١٨٣ .

(٢) المرجع السابق، ص١٨٤ .

(٣) الديوان، ص٨٤.

(٤) الديوان، ص٨٦.

وفي سنة ١٢٦٣هـ نظم الشاعر قصيدة بدأها بالشكوى من الحادثات والنوائب، والزمن الذي يذل العالم، ويعز الجاهل، ثم من عيشه المنغص، فما عليه إلا أن يتحلى بالصبر، ويحارب عاديات الزمان، حتى أفضى به المسير إلى الرياض حيث الكرم والشجاعة وعلو الهمة، فهناك الإمام فيصل، فَمَنْ قصده لا يرده خائباً، ومن ذلك قوله[1]:

إلى الله نشكو حادثات النوائب ... ودهراً دهانا صرفه بالعجائب
يذل أخا علم ويكرم جاهلاً ... ولست على ريب الزمان بعائب
وعيش مشوب لا يزال منكداً ... فلذاته ممزوجة بالمصائب
كذا عادة الدنيا تهين أولي النهى ... وتكرم أصحاب الخنا والمعايب
تعز بنيها عند إقبال سعدها ... وإن أدبرت جاءت بشيب الذوائب
وكم صرعت من عاشقيها فما ارعووا ... وكم خدعتهم بالوعود الكواذب
فلما دهتنا بالهموم وعسرها ... وصاح بنا الأعداء من كل جانب
لَبِستُ لها ثوبَ التجلد منشداً ... إذا لم يسالمك الزمان فحارب
وساءلت: هل في دهرنا من مساعد ... على جبر مطلوب وإسعاف طالب؟
فلم أر إلا الألمعي أخا الندى ... إمام الهدى نسل الكرام الأطايب
كريم المساعي فيصل من يراعه ... على طرسه يحكى هتون السحائب

ويبرز شاعرنا بعض الصفات التي ألبسها الإمام في أغلب قصائده من بشاشة الوجه، عند سؤال ذوي الحاجات، فهذا دليل على كرمه. فهو يرتاح لبذل المعروف، وإجابة سؤالهم فغصَّ ناديه بالوفود، فيعلق شاعرنا على ذلك بقوله[2]:

أناخت وحطت في فِنَاهُ رحالها ... وفازت بما قد أمَّلَتْ من مآرب

(١) الديوان، ص٤٥.
(٢) الديوان، ص٤٦.

كريم يُرى في وجهه البشر والندى ... وفي كفه الهطال نجح المطالب
إليه أتى الوُفَّاد من كل وجهةٍ ... يؤمُّون ذا مجدٍ كثير المواهب
يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم ... ويرجعن من جدواه بُجْر الحقائب

وفي السنة نفسها ١٢٦٣هـ نظم قصيدة أخرى في مدح الإمام فيصل خلع عليه بعض الصفات منها: تفرده بالمعالي، فقد وصل إلى أعلى المراتب، ولن يستطيع أحد أن يحوز ما حازه من فضائل، فهو همام كريم جواد أراه جوده سبل العلا، فقد ورث هذه الخلال من آبائه وأجداده، فهو ينحدر من أصل كريم، عريق في الكرم، ولكنه لم يشر إلى سببها ومطلع هذه القصيدة (١):

ليالي المنى جادت علينا بأسعد ... لدن جمعتنا بالإمام المسدَّد
حليف المعالي «فيصل» من سمت به ... مناقبه فوق الثُّريَّا وفرقد
تفرّع عن دوح المكارم وانتمى ... من الحسب السامي إلى خير مَحْتِدِ
كريم السجايا ماجد من أماجد ... بنوا في المعالي كل فخر وسؤدد
وكنه أضحى بأعلى أرومة ... يقصِّرُ عن إدراكها كل سيِّد
إمام الهدى جالي الصَّدى منهل الندى ... وَمُرْدِي العِدَا بالمشرّفيِّ المهند

ومن جود الإمام وارتياحه لتلبية حاجات ذوي السؤال،حيث نجد قسمات وجهه تتلألأ من البشر؛ لذلك كثر إقبال الناس عليه من كل حدب وصوب، ومن ذلك قوله (٢):

فلما أناخت عيسنا بفنائه ... قضت كلَّ مأمول وُسُؤْلٍ ومقصد
فما زالت الوفاد تأتي مشيحة ... إلى قصره العالي المنيف المشيد

---

(١) الديوان، ص٦٣.

(٢) الديوان، ص٦٤.

وفي سنة ١٢٦٣هـ نفسها أيضاً ذكر الشاعر الإمام فيصل بالخصال نفسها التي في سابقتها، فليس من جديد تمتاز به، سوى أن الشاعر صحب الإمام في جولة بإقليم الخرج، فنظر إلى ما تعانيه تلك البلاد من فاقة وجدب، فعالج جميع أمورها عندما أسبغ نعمه وعطاياه على أهلها من أيتام وأرامل، ثم اتجه إلى منطقة نعجان فغمرها بكرمه وجوده، وواصل المسير إلى الدِّلَم، فدبت الحياة فيها من جديد بعد موتها، فيصور شاعرنا ذلك بقوله[1]:

حتى إذا سار نحو الخرج محدقة ... به النجائب مع خيل وفرسانا
سرنا بصحبته أنساً به فغدا ... يولي الأرامل والأيتام إحسانا
جاز اليمامة فاعتاشت أراملها ... من نيله وكسا من كان عريانا
ومر بالقرية الأخرى فحولها ... نِعْماً، وبث العطا في أهل نعجانا
حتى أتى الدلم المعروف معتبراً ... بما جرى، محدثاً لله شكرانا
فجاد بالوابل الهطال راحته ... على بقاعٍ دهاها الجدب أحيانا
فاهتزت الأرض منها روضة وربت ... زهراً ورجّع فيها الطير ألحانا
فوا هنيئاً لأرض الخرج باكرها ... غيث يبذل الندى ما زال هتانا

ووقع في سنة ١٢٦٩هـ أن ملك اليمن عايض بن مرعي العسيري قد أرسل بهدية للإمام فيصل بن تركي، ومعها قصيدة لقاضيهم علي بن الحسين الحفظي يذكر فيها مفاخر قومه، وما أعطى الله تعالى: أميرهم «عايض» من الظفر والنصر على الأعداء في وقائع كثيرة، ونذكر منها[2]:

فقالت رويداً يا أبا عبد، إنما ... أضاق بنا ذرعاً شديدُ التوعد
عرمرم جيش سيق من مصر معنفا ... يهتك أستار النساء ويعتدي

(١) الديوان، ص١٠٢ وفي طبعة إدارة إحياء التراث القطرية «على بقاع دهاها الجذب أزمانا»، ص٣٩.
(٢) الديوان، ص٥٨.

إلى قوله[١]:

قفي وانظري يا أم عبد معاركاً ... يشيب لها الولدان من كل أمرد
وإن كنت عنها في البعاد فسائلي ... ففيها أسود من مغيد بمرصد
وفيها ليوث الأزد من كل شيعة ... يصالون نار الحرب حزناً لمفسد
وفيها رئيس «عايض» حول وجهه ... حياض المنايا صدرت كل مورد

فأجابه ابن مشرّف بقصيدة لها نفس الوزن والقافية صدرها بالنسيب، فهو اللحن الجميل الذي تستهل به القصائد حيث استغرق ستة عشر بيتاً يقول في مطلعها[٢]:

بشير سعاد جاء نحوك فاسعد ... وقد وعدت وصلاً فأوفت بموعد
فتاة يريك الصبح غرة وجهها ... ويبدو الدجى من شعرها المتجعد
ويعجب غصن البان إن هبت الصبا ... له سحراً من قدها المتميد
يريك ابتساماً لامع البرق ثغرها ... ويسفر عن شهد ودر منضد

ثم خلص منها إلى المدح مفيضاً على ممدوحه كثيراً من الصفات المتوارثة لديه من شجاعة وإقدام في الدفاع عن الحمى، وسخاء اليد، وليس هذا فحسب، بل إنه يحيي ليله أيضاً بالعبادة لذلك سما إلى منزلة عالية، ومن ذلك قول شاعرنا: [٣]

حليف المعالي «فيصل» ناصر الهدى ... مذيق العدا كأس الردى بالمهند
ترى الوفد والأضياف من حول قصره ... عكوفاً كورد حوّموا حول مورد
فيصدر كل مدركاً ما يرومه ... من الفضل والجدوى ومن كل مقصد
يقضّي ببذل المكرمات نهاره ... سماحاً ويحيي ليله بالتهجد

(١) الديوان، ص٥٨.
(٢) الديوان، ص٦٠.
(٣) الديوان، ص٦١.

لقد ساد أبناء الزمان وفاقهم ... بعفو وإقدام وكف له نَدِي
وميراث مجد ناله عن أئمة ... سموا للعلا حتى استووا فوق فرقد
حنيفية في دينها حنفية ... فأنسابهم تعزى لأفخر محتِدِ
همو نصروا التوحيد بالبيض والقنا ... فنال المنى بالنصر كلّ موحّدِ

وعندما ظهرت دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب نجد الإمام عبدالعزيز ممن ناصروا الدعوة، وسار على نهجه خليفته ابنه سعود من بعده طوال حياته من إقدام وشجاعة وعلو همة، وأكمل المسيرة الإمام فيصل ومن ذلك قوله(١):

وآووا إماماً قام لله داعيا ... يسمى بشيخ المسلمين محمد
لقد أوضح الإسلام عند اغترابه ... وقد جدّ في إخفائه كل ملحد
وجدد منهاج الشريعة إذ عفت ... فأكرم به من عالم ومجدّد
فوازره عبدالعزيز ورهطه ... على قلة منهم وعيش منكد
فما خاف في الرحمن لومة لائم ... ولم يثنه صولات باغ ومعتد
وقفا سعود إثره طول عمره ... إلى حين ووري في الصفيح الملحد
وقد جاهدوا في الله أعداء دينه ... فما وهنوا للحرب أو للتهدد

وتتسع مساحة المدح لدى ابن مشرّف، ففي سنة ١٢٧٥هـ نظم أربع قصائد في الإمام فيصل بن تركي نشير إليها كما ورد ترتيبها في الديوان.

وأولى هذه القصائد افتتحها بالنسيب حيث الأسلوب الرقيق والعبارات الحانية، ومنها(٢):

نعم أقبلت سلمى فأشرق وجهها ... بصبح جمال تحت ليل الذوائب

---

(١) الديوان، ص٦١، ٦٢.

(٢) الديوان، ص٤٧.

فتاة تفوق الغانيات بحسنها كما فاق بدر التم زُهْرَ الكواكب
فما للمعنَّى لا يهيم بذكرها وقد كان ذا جسم من الوجد شاحب

ثم يلقي الضوء على الأحوال السياسية المتدهورة في البلاد،حيث التخريب والفساد؛ فنجده يستنهض الإمام فيصل بن تركي لتأديب الأعراب الذين تمردوا على الأحساء، وعاثوا بها فساداً[١].

أنا في ربى نجد وأنت ببلدة أحاطت بها الأعداء من كل جانب
يغيرون في أطرافها وسروحها جهاراً ولا يخشون سوطاً لضارب
فكم قعدوا للمسلمين بمرصدٍ وكم أفسدوا في سبلها بالنهائب
يقولون: سيروا إن ظفرتم بنهبةٍ على رسلكم لا تحذروا درك طالب
وإن تسفكوا فيها الدماء فإنها لكم هدر لا تحذروا من معاقب
فياليت شعري هل سراة حماتها نيام، فهم ما بين لاهٍ ولاعب

ثم ينتقل الشاعر لحث الإمام على القتال، ونصرة الدين بالسلاح، لنشر الأمن والاستقرار في البلاد، ثم يقدم له بعض النصائح والمواعظ، فمن بينها قوله[٢]:

فلا دين إلا بالقتال قوامه ولا أمن إلا بعد سلّ القَواضب
ولا ملك حتى تخضب البيض بالدما من الهام في أطرافه والجوانب
ولا مجد إلا بالشجاعة والندى وجرّ العوالي فوق مجرى السلاهب
فقل لإمام المسلمين وسر له بنفسك أو أبلغه مَعْ كلِّ راكب
ولا تحقر الخصم الضعيف لضعفه فكم خرّب الجرذان في سد مأرب
فقم واستعن بالله وانهض إلى العلا فكسب الثنا والأجر خير المكاسب

(١) الديوان، ص٤٧.
(٢) الديوان، ص٤٧، ٤٨.

فكيف تنام العين منك عن العدا ... وقد أوقدوا للحرب نار الحباحب
ولا ترض إلا مقعد العز مقعدا ... على ظهر مهر للعنان مجاذب
ولا تستطب ظلًّا سوى ظلّ قسطل ... وظلّ القنا الخطيِّ بين الكتائب

ثم نعرِّج على قصيدة أخرى نظمها ابن مشرف في شهر جمادى الأولى من السنة نفسها ١٢٧٥هـ تحريضاً للإمام على كف عربان «بريدة» من الفساد، وقد بسط هذا المعنى في قصيدته التي بدأها بالنسيب، ثم مضى في وصف أحوال الأعراب العاصين، حيث نهبوا الأموال، وأفسدوا الأرض، وسفكوا الدماء، وقطعوا السبل، فأخذ الإمام على عاتقه نشر الأمن مما؛ دعاه إلى تخييرهم بين الحرب والسلم، فاختاروا الحرب، فأنشد شاعرنا بقوله[1]:

وتحذيره الأعراب أن يسفكوا الدما ... وأن ينهبوا الأموال أو يتخطفوا
فكم أفسدوا في الأرض بعد صلاحها ... وكم سفكوا الدم الحرام وأسرفوا
وكم قد أغاروا في الدروب وكم عثوا ... وكم قطعوا سبل الحجيج وخَوَّفوا
فقال: ادخلوا في السلم طُرًّا وأسلموا ... وإلا فحرب وعده ليس يخلف
وأقسم لا نعطي على ديننا الرشا ... وما عندنا إلا حسام ومصحفُ
فمن لم يقومه الكتاب أقامه ... حدود الضبا والسمهري المثقفُ
فهل يستقيم الدين إلا بدعوة ... إلى الله يتلوها سنان ومرهف
وقد فرض الله القتال على الورى ... لمن كان عن نهج الشريعة يصدف
فلما أبوا إلا الخلاف تمرداً ... رماهم بما يؤذي النفوس ويتلف

وسار الإمام بعزيمته العالية للأخذ على أيدي المفسدين من عربان بريدة، ثم أسبغ عليه عدداً من الصفات التي تكرر ذكرها في أبيات الشاعر من بينها: العفو والحلم والجود والكرم والإقدام، وغيرها كثير، ومن ذلك[2]:

---

(١) الديوان، ص٨١.
(٢) الديوان، ص٨١، ٨٢.

فلما أبوا إلا الخلاف تمردا   رماهم بما يؤذي النفوس ويتلفُ
بجيش لهام حشوه الخيل والقنا   تهب رياح الموت منه وتعصف
يقودهم شبلُ الإمام وإنه   لبالجود والإقدام والمجد يوصف
وأما إمام المسلمين فإنه   لمسعر حرب بالمساكين يرأف
صفوحاً عن الجاني وإن كان مجرماً   سؤولاً عن العاني به يتلطف
وينصر أهل الدين والعلم والحِجا   ويكرمهم بالمكرمات ويتحف
هو البحر ينتاب العطاش وروده   وكل امرئٍ يروي المزاد ويغرف
فأسيافه من خصمه ترعف الدما   وأقلامه بالبذل والجود ترعف

ومن خلال النظر في أبيات القصيدة الثالثة، وتتبعنا للديوان نلاحظ أنه لا جديد في المعاني والصفات التي ألبسها شاعرنا للإمام فيصل بن تركي ونقلها إلينا دون تغيير أو تبديل.. ومن أبرز تلك الصفات التقى والمجد والشرف والعفو والحلم والإحسان والرزانة والرأي السديد والشجاعة والكرم وغير ذلك كثير، فقال[1]:

سما بهمته نحو العلا فعلا   والغير يبني على أوهى شفا جرفِ
بنى الأمور على أسِّ التقى فرست   حتى استوى فوق هام المجد والشرفِ
أندى البرية كفا وهو أشجع من   قد هزّ عطفيه بين البيض والحجف
العفو والحلم والإحسان شيمته   لا خير في الطيش والإمساك والعنف
أخي مكارم عن معن بن زائدة[2]   تروى وعن فارس الهيجا أبي دلف.
كأنه بحر جودٍ والورود له   ما بين منتضح منه ومغترف

---

(١) الديوان، ص٨٣.

(٢) معن بن زائدة بن عبدالله بن مطر الشيباني . ولد سنة ١٥١هـ، كنيته أبو الوليد، من أشهر أجواد العرب، وأحد الشجعان الفصحاء . أدرك العصرين الأموي والعباسي . قاتل مع المنصور، فحفظها له وأكرمه وجعله من خواصه. قتل غيلة.

أما القصيدة الرابعة، فقد نظمها في شهر رجب سنة ١٢٧٥هـ، وقد صدرها بالنسيب، حيث تخيل له صاحبة اسمها «سلمى» فيقول[١]:

علام تلوم في سلمى علاما
وقد شغف الفؤاد بها وهاما؟

ثم ينتقل شاعرنا إلى الإمام فيصل، فيطري عليه ببعض الخصال الحميدة، فهو إنسان لا مثيل له يهفو إلى فعل ما يوجب الثناء من تقى وجود وشجاعة وفطنة وذكاء وسداد رأي حتى صار لدى الشاعر أعظم الناس وأكرمهم وأشجعهم لساناً وجناناً، فلو حسبت مزاياه لاستعصت على العد لكثرتها، ومن ذلك قوله[٢]:

إمام للهدى يدعو البرايا ... ويبعث للعدى جيشا لهاما
وإن ذكر الندى فيداه غوث ... تسخ الجود والمنن الجساما
فكم أعطى السوابق مسرجات ... وكم أعيت عطاياه الكراما
وكم أصلى الأعادي نار حرب ... فكان وقودها جثثاً وهاما
وإن ذكروا علاه فلست أحصي ... مزايا من مناقبه عظاما
همام فاضل فطن ذكي ... إليه الملك قد ألقى الزماما
فسرنا والأمير وما خشينا ... من البرد المضرة والسقاما
بأيدي العيس نطوي كل قفر ... ونحدوها لكي تصل الإماما
بلغنا كل مأمول وقصدٍ ... ونلنا فوق ما نبغي المراما

وفي سنة ١٢٧٦هـ يمضي شاعرنا كعادته في نظم القصائد التي جعلها قصراً على الإمام فيصل، فينظم فيه قصيدتين: الأولى: كانت تهنئة للإمام فيصل عندما نصر الله ابنه عبدالله على قوات العجمان في موقعة

(١) الديوان، ص٩٣.
(٢) الديوان، ص٩٢، ٩٣.

ملح، فاستهل قصيدته بحمد الله على نعمائه، ومن بينها نعمة النصر الذي استبشرت به نجد والخط - القطيف - وهجر، فازدهرت الحياة، وعم الأمن والاستقرار، فاجتمع الشمل، وعمت الفرحة، ولبست الأرض ثوبها الأخضر منذ الوهلة الأولى من قدوم عبدالله، فيصور شاعرنا ذلك بقوله[(١)]:

لك الحمد اللهم[(٢)] ما نزل القطر ... وما نسخ الديجور من ليلنا الفجر
وما هبت النكبا رخاء وزعزعاً ... على نعم لا يستطاع لها حصر
فمن ذلك الفتح المبين الذي له ... تهلل وجه الدين وابتسم الثغر
تفتح أبواب السماء لمثله ... ويعلو بسيط الأرض أثوابها الخضر
فناهيك من فتح به أمن الفلا ... وأسفرت البلدان وابتهج الحضر
تسامى به نجد إلى ذروة العلا ... وأسفر وجه الخط وافتخرت هجر
لقد سرّنا ما جاءنا من بشارة ... فزالت هموم النفس وانشرح الصدر
لدن قيل عبدالله أقبل عادياً ... يقود أسوداً في الحروب لها زَأْرُ
رئيس به سيما الخلافة قد بدت ... وفي وجهه الإقبال والعز والنصر

ويصطفي الثناء الطيب، والذكر الحميد للإمام، من شجاعة وإقدام وقوة وعزيمة، ثم يعرّج على القتال، ويبين أنه ما سُنّ إلا ليقيم ما اعوج من أحوال الخارجين على الدين والطاعة، فبالعمل الدؤوب يستطيع المرء أن يقوّم هؤلاء، ويرتقي إلى العلا بعد أن ينقض على فريسته كالليث، ويشهر سلاحه في وجوههم لينقادوا له، ومن ذلك قول شاعرنا[(٣)]:

أتحسبين الجبن من طبعه ... لا والذي يحيي رميم العظام
فإن تأني فله عزمة ... وهكذا شأن الرئيس الهمام

---

(١) الديوان، ص٦٦.

(٢) كذا، ويستقيم الوزن لو قيل: يا اللهم، أو نطقت همزة (اللهم) مقطوعة في الدرج.

(٣) الديوان، ص٩٧.

إلى قوله[١]:

ما جرد الصمصام ذو همة ... عند اعوجاج الأمر إلا استقام
فبالأماني لا ينال المنى ... لأنها تشبه حلم المنام
فثب وثوب الليث نحو العلا ... وبادر الخصم بسلّ الحسام
وجاز ذا الحسنى بإحسانه ... واسق الأعادي من كؤوس الحمام
وحكّم السيف بمن قد عتا ... ينقاد للحق ألدُّ الخصام

وفي شوال سنة ١٢٧٧هـ نظم الشاعر قصيدة يهنئ فيها الإمام فيصلاً بانتصار جيشه على العجمان قرب الجهراء في معركة «الطبعة»، ثم يهنئ الشاعر أيضاً الإمام فيصل بن تركي وابنه عبدالله بالعيدين، عيد الانتصار، وعيد الفطر بعد نعمة الصيام، فيقول[٢]:

تفوه بمدح للإمام ونجله ... ومعشره أهل العلا والمفاخر
كفاه من المجد المؤثل ما انتمى ... إليه من العليا وطيب العناصر
فشكراً إمام المسلمين لما جرى ... وهل تثبت النعماء إلا لشاكر؟
فهنيت بالعيدين بالفتح أولاً ... وعيد كمال الصوم إحدى الشعائرِ
وشكر الأيادي بالنواصي وبالتقى ... بترك المناهي وامتثال الأوامر
صبرت فنلت النصر بالصبر والمنى ... وما انقادت الآمال إلا لصابر

وأثنى على الإمام فيصل لنصرته الدين؛ لأنه لا تأخذه في الله لومة لائم، عندما أمر بهدم قبة عين نجم في الأحساء، سنة ١٢٧٧هـ، عندما قال[٣]:

بأمر والٍ طبيب في رعيته ... مبارك الأمر محمود الفعالين

---

(١) الديوان، ص٩٨.
(٢) الديوان، ص٦٩.
(٣) الديوان، ص٣٦٠.

إذ قـام يحمـي مـن التوحيـد جانبـه ... ومـا أصـاخ لأهـل الـزور والميـن
لكـن أطـاع هـداة المسـلمين بمـا ... أفتـوا، وسـلّ حسـاماً ذا غراريـن
لمـا رأوهـا كعيـن الشـام قـد فتنـت ... قومـاً فهدمهـا خيـر الفريقيـن
فقـال: كـم قبـة للشـرك قـد هدمت ... بسـيفنا فـي عمـانٍ والعراقيـن
فكيـف نرضـى بهـا تبنـى مشـيدة ... فـي أرضنا وهي ما بين الخميسـين؟
جـزاه ربـي بنصـر الديـن نصرتـه ... ونـال مـن رحمـة الرحمـن كفليـن

ونظم الشاعر أحمد بن مشرّف في سنة ١٢٧٨هـ ثلاث قصائد في مدح الإمام فيصل بن تركي، رحمه الله. فأما أولاها فيظهر أنه نظمها حين عزم الرحيل إلى مدينة الرياض حيث مقر الإمام، فبدأها بالحديث عن تلك النية، ثم ثنى بمدح الإمام فيصل بنبل الإحساس الإنساني من عطف، ورحمة، وإحسان، وعدل، وكرم وجود؛ فصوره بالبحر الذي طالما أغدق الخير من تلقائه، أما إذا أصبح في غمراته فيطويه موجه فيهلكه إذا تعالت وهي عادة فيه ورثها من آبائه وأجداده، فيقول في مطلع قصيدته [(١)]:

إذا أنـت أجمعـت المسـير لتنجـدا ... فلا تعـدُ قصـراً فـي الرياض مشـيدا
بنـاه إمـام المسـلمين ولـم يـزل ... يؤسـس ما يبني علـى الدين والهدى
تـرى حوله الأضيـاف تلتمس القرى ... وقومـاً يريـدون المـكارم والنـدى
فيرجـع كل نائـلاً مايرومـه ... من العدل والإحسان والفضل والجدا
كريمـاً يـرى للمعتفيـن إذا أتـوا ... ومـن يطلب المعـروف حقـاً مؤكدا
تعـود بسـط الكـف طبعـاً، وإنمـا ... لـكل امـرئ مـن دهـره مـا تعـودا
تعيـش اليتامـى والضعـاف بنيلـه ... ويروي حـدود المرهفـات من العدا
وهـل يـدرك العليـاء إلا مهـذب ... أضـاف إلـى الإحسـان سـيفاً مجردا

(١) الديوان، ص٥٥.

فأكرم بهذا من إمام لقد حوى ... عفافاً وإقداماً وحزماً وسؤددا
وقد سود المختار عمراً لجوده ... فحقاً لهذا بالندى أن يسوّدا
تراه لفعل المكرمات مشمّراً ... إذا الجود والإقدام للناس أقعدا
يخوض لظى الهيجاء فرداً وكفه ... سحاب ندى يهمي لُجيناً وعسجدا
يعامل من يرعى برفق ورحمة ... ويقمع منهم من طغى وتمردا
إذا اجتاز قوم بالنوال أجازهم ... فعاشوا بخير كلما راح أو غدا
هو العارض البراق يخشى ويرتجي ... وأنشد به إن كنت للشعر منشدا
هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً ... على الدر واحذره إذا كان مزبدا

أما قصيدته الثانية، فيبدو أنها تهنئة بالانتصارات التي حققها جيش الإمام فيصل بقيادة ابنه عبدالله، فاستهلها بحمد الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فقال[١]:

لك الحمد اللهم[٢] حمداً مخلداً ... على نعم لم تحص عَدّاً فتنفدا
فكم نعمة أوليتنا بعد نعمة ... وفتح به قد صح من كان أرمدا[٣]

والمتتبع هذه القصيدة يلاحظ مدى حب ابن مشرّف وتعلقه بفيصل بن تركي، حيث يشكر الله على النعم التي أنعمها عليهم، وبالأخص نعمة التوفيق بملك شجاع وإمام عادل قضى على الفساد والرذيلة بتطبيقه الشريعة الإسلامية وأركانها، فقاد المعارك بعزيمة وجرأة حتى أمنت البلاد، فسار ابنه عبدالله على نهجه فتسلح بسلاح الشجاعة مثل والده، ومن ذلك قوله[٤]:

ونسأله التوفيق للشكر، إنه ... يكون لنعماء الإله مقيدا

---

(١) الديوان، ص٥٦.
(٢) كذا، ولا يستقيم الوزن إلا أن تقطع همزة (اللهم) في الدرج، أو يقال: يا اللهم.
(٣) ارمدا: الرمد: وهو مرض يصيب العين.
(٤) الديوان، ص٥٦، ٥٧.

على أن هدانا ثم ألّف بيننا ... بملك إمام، واجتماع على الهدى
إماماً به الرحمن أمّن سُبْلنا ... وكفّ يدي من كان في الأرض مفسدا
وقوَّمَ أركان الشريعة ناصراً ... بسمر القنا والبيض سنة أحمدا
سخياً جرياً في الحروب وحازماً ... وما الملك إلا بالشجاعة والندى
يسيّر أعلام القتال خوافقاً ... على نجله لازال للدين منجدا
أبو النجم «عبدالله» ليثاً أعدّه ... أبوه لمن أخطا الصواب أو اعتدى

أما القصيدة الثالثة،فنلاحظ تعدد الأغراض فيها، حين استهلها بالنسيب، ثم انتقل إلى الفخر بنسبه التميمي، وخلص في نهاية المطاف إلى الغرض الأساسي، وهو المدح عندما استنجد بالإمام فيصل لما جار عماله على أهل الأحساء سنة ١٢٧٨هـ للأخذ على أيديهم لثقتهم بعدله ونصرته المظلوم وكرمه، وغيرها ومن القيم الأخلاقية المستحبة، يقول [١]:

هو الضيغم الضرغام في كل معرك ... إذا شبّ من نار الحروب جحيمُ
يخوض لظى الهيجاء والنقع ثائر ... وطير المنايا بالمنون تحوم
فكم جحفل بالمرهفات أباده ... فقتلاهم مثل الهشيم هشيم
فللأرض منهم ما جرى من دمائهم ... وللطير منهم والسباع لحوم
وإن طنبت حول العدو خيامه ... فقل: جبلٌ راسِي الأساسِ مقيم
فيا أيها الوالي الذي لا يصده ... عن العدل ساع بالنميم أثيم
وإحسانه كالغيث قد عمّ نفعه ... فمنكره أو مزدريه لئيم
إليك شددت العيس أشكو ظلامتي ... فقد رام خسفي حاسد وظلوم
وجار عليّ العاملون بخرصهم ... وظلم الورى يوم الحساب وخيم
وإنك للمظلوم كهف ومعقل ... يلوذ به مستضعف ويتيم
وإنك نجم للهدى يهتدى به ... ويرمى به عند السماع رجيم

(١) الديوان، ص٩٤، ٩٥.

وفي سنة ١٢٧٩هـ استعمل الإمام فيصل محمد بن أحمد السديري أميراً على بلدة عنيزة، وكان قبل ذلك أميراً على الأحساء، فكان محمود السيرة، مرضي السياسة، وفي هذا يهنّئ ابن مشرّف الإمام بقوله[١]:

سبحان من عقد الأمور وحلّها ... وأعزّ شرعة أحمد وأجلها
وحمى سياسة ملكنا بمهذبٍ ... وآل إذا دبّ الحواث فلّها
بالعزم والرأي السديد وإنما ... فيه الأناة وذو الجلال أحلها

وفي سنة ١٢٨٠هـ نظم ابن مشرّف ثلاث قصائد في مدح الإمام، فنذكرها بحسب ترتيبها في الديوان.

فأولاها لم تذكر لها مناسبة، وصدرها بالنسيب، يقول [٢]:

قل للمليحة في القميص الأحمر ... ماذا فعلت بعابد مستبصر؟
مازال يدأب في العبادة طالباً ... للعلم غير مفرط ومقصر
ترك الصبابة للصبا متسلياً ... عن ذكر كلّ غزالة أو جؤذرِ
حتى وضعت عن محياك الغطا ... فانجاب عن بدر منير مقمر

ثم خلص الشاعر من النسيب إلى المدح، فحلق شاعرنا في أفق الإمام وما تحلى به من السجايا الشخصية، وخصال الزعامة، حيث الجود والكرم والشجاعة والإقدام والحفاظ على عرا الدين؛ فضلاً عما حظي به من نسب عريق، ومنزلة روحية، وسلطان سياسي، فيشيد الشاعر بذلك كله، إذ يقول[٣]:

لا تتلفي بالصدِّ مهجة مغرم ... فيصيبَ قومَك سطوةُ من قسور
من فيصل ملك الجزيرة من سما ... للمجد حتى حلّ فوق المشتري

(١) الديوان، ص١٠٢.
(٢) الديوان، ص٧٠.
(٣) الديوان، ص٧٠.

نصر الهدى وحوى الشجاعة والندى ... ليث وغيث للمقل المعسر
أضحى بخير أرومة لو رامها ... ذو همة بتطاول لم يقدر
كفَّاهُ كفٌّ قد كَفَتْ أعداءَه ... والراحة الأخرى كمزن ممطر
أعراقه طابت فطاب فروعها ... تعزى إذا نسبت لأطيب عنصر
من عصبة صبروا على نصر الهدى ... وأذى العدا أكرم بهم من معشر
آووا إمام المسلمين محمداً ... لماجفاه رئيس آل معمر
فدعا إلى التوحيد ضلال الورى ... جهراً ولولا منعهم لم يجهر

أما ثاني قصائده التي قيلت سنة ١٢٨٠هـ فليس لها مناسبة تذكر، ولكن شاعرنا خلع على ممدوحه - الإمام فيصل بن تركي - خصالاً وصفات جمة، فهو النور الذي يبدد كل ظلمة، فابتسمت بضيائه الأيام، وانتشر نور الإسلام في كل الأرجاء، فنعمت البلاد بالأمن والطمأنينة، وليس هذا فحسب، فما زال يجهد في إسعاد رعيته بكرمه وجوده حتى أنبت الزرع في الأرض الصلبة، ومن ذلك قوله(١).

جلوت بأنوار الهدى ظلمة الردى ... كما انفلق الديجور مطلع الفجر
فأضحت بك الأيام غرّا ضواحكاً ... وأمست ليالي الشهر كالبيض بالبدر
رفعت لأعلام الشريعة في القرى ... وحكمت حكم الشرع في البدو والحضر
وصيرت للعلم الشريف محافلاً ... أحاديث ترويها الرواة عن الخدري
لئن أمنت نجد بملكك وازدهت ... فقد فخر الأحسا به وقرى هجر
فأنت حسام الدين والله ضارب ... بحدك هامات الضلالات والكفر
وليس عطاياك الغزار كغيرها ... فمن ذا يقيس النهر في البحري بالبحر
وما أنت إلا العارض الجود جلجلت ... رواعده وانهل في البلد القفر

(١) الديوان، ص ٧١، ٧٢.

فأصبح بعد المحل يهتز بالربى ... وفاح من الروض البهي شذا الزهر
فلازلت في الملك العزيز مؤيداً ... من الله بالفتح المبين وبالنصر

أما ثالثة قصائده في السنة نفسه ١٢٨٠هـ فقد نظمها عندما وفد أهل الأحساء، وفيهم الشيخ أحمد بن علي بن مشرّف - شاعرنا - على الإمام فيصل بالرياض وطلبوا منه إعادة محمد السديري إلى إمارة الأحساء، فأكرم وفادتهم، وأجاب طلبهم، وأعاده إلى الأحساء، مما دفع شاعرنا إلى نظم هذه القصيدة، حيث أثنى على الإمام بصفات أصيلة فيه من جود وكرم، ومحافظة على الدين والتقوى، والتواضع والأناة ولين الجانب وإقامته الحدود، فضلاً عن حبه للعلم وأهله وتقريبهم إليه، ومن ذلك يقول شاعرنا(١):

لقد لاح سعد النَّيِّرات الطوالع ... وغابت نحوس من جميع المطالع
غداة أنخنا بالرياض ركابنا ... بباب إمام تابع للشرائع
حريص على إحياء سنة أحمد ... وإخماد نيران الهوى والبدائع
يقيم اعوجاج الأمر بالبيض والقنا ... ويحكم بالوحيين عند التنازع
ويحيى دروساً للعلوم بدرسها ... وتقريب ذي علم قريب وشاسع
تقي نقي قانت متواضع ... وما الفخر إلا بالتقى والتواضع
وما زال للدين الحنيفي ناصراً ... بتدمير أوثان وتعمير جامع
وإن تسألن عن جوده وسخائه ... فكفاه مثل المعصرات الهوامع

ثم يواصل الثناء عليه بالمبادرة والنهوض للأعمال النبيلة التي تدل على التقوى والصلاح، ورقة المشاعر الإنسانية..من خلال اهتمامه بالرعية، فهو وَالِدٌ لهم يكسو عريانهم، ويطعم جائعهم، ويعطف على يتيمهم، ومن هنا نلاحظ سخاء مشاعره الإنسانية، وسخاء راحتيه، فينشد شاعرنا ذلك بقوله(٢):

---

(١) الديوان، ص٧٦.

(٢) الديوان، ص٧٦.

يربي يتامى المسلمين كأنه ... لهم والد بَرٌّ بهم غير دافع
وكم بائسٍ عارٍ كساه برفده ... وكم أشبعت يمناه مِن بطنِ جائع
قصدناه من هجرٍ نؤمِّلُ رفده ... فجاد علينا بالمنى والمنافع

وفي سنة ١٢٨١هـ نظم ابن مشرّف قصيدتين في مدح الإمام فيصل لم تكن لها مناسبة، فهذا دليل على حبه وإعجابه بممدوحه.

أما **الأولى**، فنلاحظ تغنيه بصفات الإمام المكررة في جميع القصائد منها: العفاف، والإقدام،والحزم والعطف على المحتاجين، والبشاشة في وجه السائلين ويكفيه التمليح دون التصريح، ومن ذلك قوله[١]:

تضمن مدحه بخصال نجد ... حواها وهي من خير الخصال
عفاف ثم إقدام وحزم ... وجود بالمكارم والنوال
إذا الراجي أتاه لنيل رفد ... حباه الرفد من قبل السؤال
وإن أعطى الملوك لهم عطاء ... فنزر في عطاياه الجزال
بشاشته تبشرهم بأن لم ... يخب شكوى المطي من الكلال[٢]
وكم ضيف يرون لديه ثاو ... ونار للقرى فوق القلالِ
وعن إقدامه سل كل قرم ... من الشجعان أبطال القتالِ

كما أنه إنسان صالح بعيد عن ملذات الدنيا وزخرفها، يجرجر ذيول الزهد والتقوى محافظاً على عُرا الدين لا يلهيه جمع المال؛ فما الدنيا إلا حطام في نظره، ومن ذلك قوله[٣]:

فإن تطلب له في العصر مثلاً ... فقد حاولت إدراك المحالِ

---

(١) الديوان، ص٨٩.
(٢) الكلال: التعب والإعياء.
(٣) الديوان، ص٨٩.

تتبعنا ذخائره جميعاً ... فلم نبصر له من كنز مال
ولكن كنزه التقوى، وظن ... جميل في المهيمن ذي الجلال

أما القصيدة الثانية التي نظمت في السنة نفسها ١٢٨١هـ فقد كانت في أواخر عهد الإمام، فيثني الشاعر على ممدوحه حيث يخلع عليه عدداً من الصفات منها: كظم الغيظ والأناة والرفق والتؤدة عند الغضب، ولين الجانب،كما أنه بحر في عطائه وسلبه أيضاً جمعه بين أمرين: رعايته للشؤون الدينية، وحفاظه على عُرا الدين. كما ارتبطت السيادة لديه بالتسامح والإغضاء عن الهفوات، فعم الأمن أرجاء البلاد، فينشد الشاعر ويقوله[1]:

بعدل ولاة الأمر ترسو دعائمهْ ... وتأمن في فقر الفلاة سوائمُهْ
وبالحزم والكتمان والجد والحِجا ... ينال أخو العلياء ما هو رائمهْ
وحكمك محمود العواقب إن يكن ... له صارم ينفي الذي لا يلائمهْ
وأسوس أهل الملك من ساس من رعى ... برفق، فإن لم يغن أغناه صارمهْ
كذاك إمام المسلمين لنفسه ... أناة، فإن لم تغن أغنت عزائمُهْ
هو البحر من أصدافه الدر يجتنى ... وإن طاش بالأمواج لم ينج عائمهْ[2]
تخلق بالصفح الجميل وبالندى ... وبالحلم مذ نيطت عليه تمائمه
مروءاته أفنت خزائن جمعه ... فهل أنت في فعل المكارم لائمه؟

ومنها قوله[3]:

يجاهد بالقرآن من زاغ واعتدى ... فإن هم أبوا سلت عليهم صوارمُهْ
فغادر قتلى يعصب الطير حولها ... وترتادها عقبانه وقشاعمه

---

(١) الديوان، ص٩٥.

(٢) اقتباس، من قصيدة حافظ إبراهيم عن «اللغة العربية».

(٣) الديوان، ص٩٦.

ولولاه في هذا الزمان لما بدت مـن الدين في جل الديار معالمه
ولا أمنت طرق الحجيج ولا انتهى عن الظلم، للمظلوم بالسيف ظالمه
ومـن يجتمع فيه الشجاعة والندى يقرُّ لـه بالفضل مـن لا يسالمه
مفاخره شمس يراها حسوده فما باله يبد ما هو كاتمه؟

وعند استقرائنا ديوان ابن مشرّف نجد قصيدتين لم تذكر سنة نظمهما ولا مناسبتهما.

الأولى صدرها بالنسيب، ثم انتقل إلى جو المديح، فمدح الإمام بأنه همام ينحدر من أصل كريم عريق في الكرم،وقلما يشذ الفرع عن أصله، بالإضافة إلى همته العالية، وعظمته السامية. وعبر عن شجاعته في إطار جميل رائع؛ وهذا دليل على قدرته على التعبير حيث يصوغ المعنى الواحد بطرائق مختلفة، فقد تغنى بهذه السمات في جلِّ قصائده، ومن ذلك قوله[١]:

أخو همة في شامخ العز قد علت فمن مثله في الفضل والبأس والندى
أبو المجد وابن المجد والمجد أصله حليف العلا من كان في الفضل أوحدا
إمام همام باسل باذخ العلا وآباؤه الغر الكرام أولو الهدى
فأكرم به فرعاً سلالة مقرن له بسطتنا فضل وفصل على العدى
لقد نصروا دين الإله وقوَّموا من السنة الغراء ما قد تأودا
هو الأسد الضرغام والضيغم الذي إذا سيم خسفاً وجهه قد تربدا
لقد أمن الله البلاد وأهلها بوطأته الأعدا ومن كان ملحدا

ويوجه شاعرنا بعض النصائح والمواعظ للإمام؛ وذلك شاهد على مدى حبه للإمام، وشدة حرصه على إقامة شرائع الله في البلاد، فنصحه بتقوى الله في السر والعلن، ونصرة المظلوم، والأخذ على يد كل مفسد،

---

(١) الديوان، ص٥٣، ٥٤.

وتطبيق شرائع الله بين رعيته، ففي ذلك الجزاء العظيم من الله والفوز بالجنة، ومن ذلك قوله[١]:

عليك بتقوى الله سراً وجهرة	ففيها جميع الخير حقاً تأكّدا
وخذ بيد المظلوم قد حق نصره	ولا تترك الباغي معيثاً ومفسدا
وكن حافظا لله فيمن رعيته	وناصحهم في القول والفعل جاهدا
لتجزى من الله الكريم بفضله	مبوأ صدق في الجنان مخلدا

وفي نهاية القصيدة يثني على الإمام وأبنائه بالكرم والشجاعة حيث يقول[٢]:

وأنت ابن تركي كنت ظلا وملجأ	وأنت كغيث في الشدائد مرفدا
فلا زالت ألطاف الإله محفة	بطلعتك الغرا، ولا زلت منجدا
وأبناؤك الغر الكرام نخصهم	بتسليم ود من محب لهم بدا

أما قصيدته الثانية فنظمها في الإمام فيصل لما كتب لعامله بإدخال نخيل الأحساء إلى بيت المال، فبدأها بالبكاء والعويل على الحدث الجسيم الذي تلقاه أهالي الأحساء، فيصف لنا مشاعر أهالي تلك المنطقة حيث يقول[٣]:

تبكي الحساء بدمع سافح جاري	من أجل خطب جسيم حادث جاري
خطب أساء قلوب المتلدين بها	من قاطنيها وآذى مهجة الجاري
لما أتاهم كتاب للإمام به	نار الوعيد فأصلى القلب بالنار
ومن يطيق من الضرغام زأرته	وقد يصول بأنياب وأظفارِ

---

(١) الديوان، ص٥٤.

(٢) الديوان، ص٥٤.

(٣) الديوان، ص٦٤.

لجت له ساكنو الأحساء قاطبة ... حتى بكى من نأى عنهم بأقطارِ
على النخيل التي عاشت أراملهم ... بها وكل يتيم بائع عاري

ويستعطف شاعرنا الإمام خالعاً عليه صفة الحلم والرحمة والرفق وتقوى الله والشجاعة والكرم، فمهابته مبسوطة ولن يدخر وسعاً في أن يشملهم بعطائه، فذاع صيته في الشرق والغرب، وينشد شاعرنا ذلك ويقول(١):

لقد عهدناه ذا حلم ومرحمة ... ورأفة بالرعايا غير جبار
لا نعدم الخير من والٍ أخي ثقة ... للشرع متبع بالحق أمَّارِ
خليفة قائم لله متقياً ... يخشى الإله ويرجو عفو غفار
أنباء سيرته الحسنى قد انتشرت ... شرقاً وغرباً وفي أعمال بلغار
يصلي العدو بنيران الحروب كما ... يشب نار القِرَى للطارق السَّاري
أعطى الحسا وهي نزر من عطيته ... يوم السبية حقا دون إنكار
لما استباح من الأعراب بيضتهم ... بعسكر من بني الإسلام جرارِ

ثالثاً: مدح عبدالله بن فيصل بن تركي:

نال الإمام عبدالله بن فيصل الحظوة الثانية من مديح شاعرنا على قلته، فمجَّد الإمام عبدالله كما مجّد أباه؛ وذلك قبل أن يتولى العهد، وقد جاءت مدائحه مبثوثة ضمن قصائده التي مدح فيها والده الإمام فيصلاً ومراثيه. وإذا تجولنا بين أبيات القصيدة الواحدة نجد شاعرنا يلبس ممدوحه بعض الصفات التي ألبسها والده من قبل، إذ تركزت في صفة الشجاعة والإقدام؛ لما لها من أثر في نفوس الأعداء من هيبة ورهبة.

ففي سنة ١٢٧٨هـ نظم الشاعر قصيدتين أشاد فيهما بالإمام فيصل وابنه عبدالله: فأما الأولى فنظمهما حينما عزم ابن مشرّف الرحيل إلى مدينة

---

(١) الديوان، ص٦٥.

الرياض حيث مقر الإمام، فتحدث عن تلك النية، ثم أسبغ عدداً من الصفات على ابنه عبدالله، منها: القوة والشجاعة في الحرب؛ لأن نفسه الأبية ترفض الهزيمة والفرار، حتى لو كان فيه نجاته؛ لأنه قرين المذلة، فهو يستعذب، ويستطيب رحى الحرب لخروجه منتصراً دائماً بعد قتل الأعداء أو أسرهم، ومن ذلك[١]:

أعدّ لمن رام الخلاف سليله ... أبا النجم «عبدالله» كالليث مرصدا
فكم غارةٍ قد شنها بعد غارة ... أصار بها شمل العدو مبددا
وصيرهم قسمين: هذا مجندلا ... قتيلا[٢]، وهذا في الحديد مصفدا

وفي السنة نفسها ١٢٧٨هـ نظم الشاعر قصيدة أخرى يهنّئ فيها الإمام فيصلاً بالانتصارات التي حققها جيشه بقيادة ابنه عبدالله، فمدح الإمام، ومن فرط حبه وإعجابه به انزلق فمدح ابنه عبدالله حيث خلع عليه كثيراً من المناقب التي طالما أثنى بها على والده، فهو شجاع كالليث يؤازر والده، ويسدد هفواته، ويذلل صعب الأمور إذا دارت الدوائر.. فعندما سطا المفسدون على البلاد أخذ على أيديهم، وقاتلهم بهمة وعزيمة عالية، فنصره الله عليهم في جميع المواطن بعد أن لمست مزاياه الحسنة أوتار قلوب الناس، وزلزلت كيانهم؛ مما دفعهم إلى الاتحاد معه ومؤازرته بكل ماأوتوا من مال وأهل وعتاد، ومن ذلك يقول شاعرنا[٣]:

يسير أعلام القتال خوافقاً ... على نجله لا زال للدين منجدا
أبو النجم عبدالله ليثاً أعده ... أبوه لمن أخطا الصواب أو اعتدى
إذا أفسد الأعراب أي موطن ... أغار عليهم بالجيوش وأنجدا
فراياته منصورة حيث يممت ... وطالعه من أنجم السعد قد بدا

(١) الديوان، ص٥٥.

(٢) كذا في الديوان. والصواب: هذا مجندل قتيل...

(٣) الديوان، ص٥٧.

فلما بغت حرب على الناس واعتدوا ... رماهم بحرب منهم الشمل بددا
وشتتهم كما دهاهم بفيلق ... من الخيلِ والفرسان كالبحر مزبدا
همو منحوه الأهل والمال إذ رأوا ... له صارماً مُمْضَى ورمحاً مسددا

وفي سنة ١٢٨٢هـ توفي الإمام فيصل بن تركي،وبويع ابنه عبدالله بالإمامة، فرثاه ابن مشرّف بقصيدة استهلها بقوله[١]:

على فيصل بحر الندى والمكارم
بكينا بدمع مثل صوب الغمائم

وفي تضاعيف هذه القصيدة يطري شاعرنا على نجل الإمام «عبدالله «بصفات الزعامة المعهودة لدى أسرته من حزم، ورعايته شؤون القوم والعدل، وتقريبهم العلماء والحكماء، وسداد الرأي، والحكمة والشجاعة، حتى اشتهر وذاع صيته بين الناس، فاستسلمت له الأعراب قسراً، ومن ذلك قوله[٢]:

فلما تولى خلَّف الملك بعده ... لنجلٍ خليق بالإمامة حازم
فقام بعون الله بالأمر سائساً ... رعيتهُ مستيقظاً غير نائم
فتابع أهل العدل في كف كفه ... عن المكس إن المكس شر المظالم[٣]
وشابه في الأخلاق والده الذي ... فشا ذكره بالخير بين العوالَم
وقرب أهل الفضل والعلم والنهى ... وجانب أتباع الهوى غير نادم
على يده جلّ الفتوح تتابعت ... فساوى القرى في الأمن مرعى السوائم

دام الائتلاف بين الإمام عبدالله وإخوانه بعد وفاة أبيه سنة واحدة، ففي سنة ١٢٨٣ هـ خرج الأمير سعود بن فيصل من الرياض، ساخطاً على أخيه الإمام عبدالله، وانضمت إليه فئات من بعض القبائل، وفي الوقت نفسه جهز

(١) الديوان، ص٩٩.
(٢) الديوان، ص٥٥.
(٣) المكس: الضريبة التي يأخذها المكاس ممن يدخل البلد من التجار.

عبدالله جيشاً كبيراً بقيادة أخيه محمد للوقوف في وجه تقدم سعود، فالتقى الجمعان بالموضع المسمى «المعتلا». واشتد بينهم القتال، وطال حتى حقت الهزيمة على سعود وجنوده، فانهزم مع بقية جنده إلى جهة الأحساء(١). فنظم ابن مشرّف قصيدة يرثي بها الإمام فيصل، ويثني على ابنه عبدالله بخلال خمسٍ، منها: الأخلاق الفاضلة من كرم وشجاعة، حتى دانت له جميع البقاع، فانشد شاعرنا ذلك بقوله(٢):

وقائلة أقصر فما بعد فيصلٍ ... لذي أدب حظ فماذا تحاولُهْ
أترغب في نظم القريض وجسمه ... موارًى بقبر غيبته جنادلُهْ
فقلت: دعيني إن يكن مات فيصلٌ ... فخالقهُ حيٌّ وما مات نائلُهْ
فقد ورَّث المجدا لمؤثلَ والندى ... لنجلٍ زكت أخلاقه وشمائلُهْ
أبو النجم عبدالله حامي حمى الهدى ... بغرته بشرى الندى ومخايلُهْ
بنجد حثا المال الجزيل تبرعاً ... فغاشت به أيتامه وأراملُهْ
وكم غارةٍ شعواءَ شنَّ على العدا ... وكم فارسٍ منهم نعته حلائلُهْ
فأسخن حرباً بالحروب فسالمت ... ودانت له نجد وذلت قبائلُهْ

رابعاً: مدح الأمير أحمد السديري:

كان أحمد بن محمد السديري وبنوه من أحسن الناس سيرة، وأصفاهم سريرة، ولهم في الولايات مفاخر رفيعة؛ فلذلك استعمل الإمام فيصل أحمد هذا أميراً على الأحساء، ثم في ناحية عمان، وانتقلت الثقة أيضاً إلى أبنائه فاستعمل تركي بن أحمد بعد أبيه أميراً على الأحساء، وابنه محمداً أميراً على سدير ومنيخ وما يليه، وعبدالمحسن أميراً في بلدهم الغاط(٣). فاتسعت

(١) تحفة المستفيد، ص١٦٦، ج١.
(٢) الديوان، ص٩٠، ٩١.
(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد، ج٢، ص١٣٣.

بذلك مساحة المديح لدى شاعرنا ابن مشرّف، إذ لم يقتصر مدحه على الإمام فيصل وبنيه، بل تعدى ذلك إلى مدح ولاته على المناطق، من بينهم أحمد بن محمد السديري عندما ولاه الإمام فيصل إمارة عمان، فاستبشرت عمان بقدوم هذا البطل الهمام الذي جلّى كل ظلمة بعد أن شع نور الهدى على يديه، فجاء من يزف لنا البشرى بهذا الفتح المبين، ففي هذه المناسبة نظم ابن مشرّف قصيدة أسبغ فيها على ممدوحه خصالاً ومناقب جمة، فهو رجل همام، وبحر لا يستهان بقوته وجبروته، فأتته الرعايا راغمة بعد أن ذلل الله له كل الصعاب، فأطفئت بذلك نار الحرب، وزال الكرب، وطهر الأرض من الرذائل والسحر، فتآلفت القلوب، واطمأنت بالأمان بعد أن حصل الإذعان، فقال شاعرنا[1]:

تهلل وجه الدين وابتسم الثغر ... وقد لاح من بيض السيوف له النصر
وجلى دياجير الضلالة والردى ... سنا المرهفات البيض فانصدع الفجر
وشمس الأماني بالتهاني لنا بدت ... وبالسعد لاحت فانجلت أنجم زهر
وقد جاءنا ذاك البشير مبشراً ... بفتح عمان حين حل به السدر
همام له قاد الجيوش بفليق ... إذا جاش بالأبطال يشبهه البحر
فأوطأهم جمعاً عمانا فأذعنت ... ودان له من أرضها السهل والوعر
وحلت بها الخيل السوابق بالقنا ... وسلت سيوف الحق فانهزم الكُفْرُ
وطهرها من كل سوء وباطل ... وكانت تبذي القبائح والسحر
وبالأمن ساروا في البلاد لياليا ... وأيام سعد صفوها ما به كدر
فقرت عيون المسلمين بنصره ... كما شمخت منا الأنوف ولا فخر
فناهيك من فتح مبين تزلزلت ... له مكة والسند وارتعد الشحر
فهذا هو الفتح الذي فخرت به ... عمان ونجد أشرقت وسما هجر

(١) الديوان، ص٧٢.

خامساً: محمد بن أحمد السديري:

كان رجلاً عاقلاً فاضلاً سمحاً جواداً، كثير الحلم والأناة، وعليه هيبة ووقار، وله مثل أخلاق أبيه وزيادة[١]. أعجب الإمام فيصل بمحمد بن أحمد السديري، فاستعمله أميراً على الأحساء، ثم على عنيزة [٢] في سنة ١٢٧٩هـ، فكان محمود السيرة، مرضي السياسة، وفي هذا يثني الشيخ أحمد بن علي بن مشرّف على محمد السديري فيقول[٣]:

خرجنا والأمير بنجم سعد ... نقود الخيل بالإبل الرسيم
تدوس بنا الحصى في كل فج ... فتوري القدح في الليل البهيم
نهضنا للجهاد بلا توان ... سوى قدر الترجل للمقيم

ومن خلال دراستنا لغرض المديح يتبين لنا:

أن شعر ابن مشرّف أصبح كغيره من شعراء العصر يمثل الأمة التي يعيش فيها، فهو يعبر عن مطالب تلك الأمة من آمال ومعتقدات وأفكار. فنجد شاعرنا يمدح من أخذ على عاتقه توحيد الأمة، وأقام الشريعة الإسلامية التي هي أسمى هدف تسعى إليه الأمة، وهو الإمام فيصل بن تركي رحمه الله، ومن ذلك قوله[٤]:

رفعت لأعلام الشريعة في القرى ... وحكمت حكم الشرع في البدو الحضر
وصيرت للعلم الشريف محافلاً ... أحاديث ترويها الرواة عن الخدري
لئن أمّنت نجد بملكك وازدهت ... فقد فخر الأحسا به وقرى وهجر

(١) عنوان المجد ج٢، ص١٦٨.
(٢) تحفه المستفيد،ج١، ص١٦٣.
(٣) الديوان، ص١٠٠.
(٤) الديوان، ص٧١.

استغلاله المناسبات التاريخية، فكان يجعل من كل مناسباته وكل عمل سبباً يستغله ليشدو فيه بمدائحه مخلداً مآثر الممدوح الفاضلة، من ذلك ما قاله عندما فتح الله الأحساء على يد الإمام فيصل بن تركي[١]:

فتح به استبشرت هجر وقد فخرت
لما ملكت لها مدناً وأعمالا

ونلاحظ اصطباغ مدائحه بالصبغة الدينية، فهو لا يمدح إلا من يراه ناصراً للدين، معلياً كلمته بالسيف والقلم، ومن ذلك قوله[٢]:

حريص على إحياء سنة أحمد وإخماد نيران الهوى والبدائع
يقيم اعوجاج الأمر بالبيض والقنا ويحكم بالوحيين عند التنازع

وهو في مدحه يعنى بصفات المدح التي أكثر الشعراء من استخدامها في المديح نزع عن الحسيات، واتجه إلى المعنويات، وكل ما يختص بالنفس كالتقى والعفاف والعلم والكرم والشجاعة والنسب، وهذه الصفات تعدّ ميزان التفاضل بين الناس، ونستشهد على ذلك بقول شاعرنا[٣]:

ولبست من تقوى الإله ملابسا والدين أفضل حلية المتجمل
ففتحت للدين الحنيفي أعيناً وَكَفَتْ سحائبها بدمع مسبل[٤]

ونرى أيضاً حرصه على وصف ممدوحه فيصل بن تركي بـ (الإمام)، ولكنه في هذه القصيدة يجمع له (الملك، والإمامة)؛ وذلك في قوله[٥]:

ونسأله التوفيق للشكر أنه يكون لنعماء الإله مقيدا
على أن هدانا ثم ألف بيننا بملك إمام، واجتماع على الهدى

---

(١) الديوان ص٨٥.
(٢) الديوان ص٧٦.
(٣) الديوان ص٨٦.
(٤) مجلة مركز البحوث، العدد الثاني، ص ١٩٨.
(٥) الديوان، ص٥٤.

وغالباً ما يركز في مدائحه للإمام في الوعظ والنصح والإرشاد؛ لما في ذلك امتثال لتعاليم الدين الإسلامي التي أوجبت النصح للحكام والولاة لمصلحة الأمة حيث يقول[١]:

عليك بتقوى الله سراً وجهرة ففيها جميع الخير حقاً تأكدا
وخذ بيد المظلوم قد حق نصره ولا تترك الباغي معيثاً ومفسدا
وكن حافظاً لله فيمن رعيته وناصحهم في القول والفعل جاهدا

ومما يحرص عليه ابن مشرّف في مدائحه ختامها بالفخر بشعره، ومن ثم الصلاة على النبي ﷺ[٢]. ومن ذلك[٣]:

وهاكَ مني قريضاً قد حوى درراً ما إن ترى مثلها في الحسن أمثالا

وفي الصلاة على النبي يقول[٤]:

ثم الصلاة على الهادي وعترته ورحمة تشمل الأصحاب والآلا
ما لاح برق وما غنى الحمام وما سح الغمام بجود الودق فانهالا

ومن خلال دراستنا لشعر ابن مشرّف نحس فيه شيئاً من الإلحاح في الطلب، ولكن ذلك قليل جداً، فجعل شعره له أهداف سامية ونبيلة[٥]. ومن ذلك قوله[٦]:

وليس عطاياك الغزار كغيرها فمن ذا يقيس النهر في البحري بالبحر[٦]

(١) مجلة مركز البحوث، العدد الثاني، ص١٩٨.
(٢) المرجع السابق، ص١٩٨.
(٣) الديوان، ص٨٦.
(٤) الديوان، ص٨٦.
(٥) الديوان، ص٨٦.
(٦) الديوان، ص٨٦.
(٧) الديوان، ص٨٦.

وقوله أيضا[١]:

فكم كف عني فيصل الجود من أذى
وكم نالني من فيض معروفه يدا

كما أن احتذاء ابن مشرّف أشعار الأقدمين وبخاصة شعر الفحول كأبي تمام والمتنبي واضح في شعره. وذلك في قوله[٢]:

لك الحمد أللهم ما نزل القطر — وما نسخَ الديجورَ من ليلنا الفجر
وما هبت النكبا رخاءً وزعزعاً — على نعم لا يستطاع لها حصر
فمن ذلك الفتح المبين الذي له — تهلل وجه الدين وابتسم الثغر
تفتح أبواب السماء لمثله — ويعلو بسيط الأرض أثوابها الخضر

فنلاحظ ظلاً واضحاً لإحدى قصائد أبي تمام في رثاء الطوسي التي منها قوله[٣]:

تردي ثياب الموت حمراً فما دجى
لها الليل إلا وهي من سندس خضر

لكنه احتذاء جميل وظاهر لم يسلب الشاعر شخصيته، ولم يحول شعره إلى صدى لأشعار الآخرين، بل ترك له طابعه وسماته الخاصة.

---

(١) الديوان، ص٨٦.
(٢) الديوان، ص٨٦.
(٣) الديوان، ص٨٦.

- ٢ -

الشعر الديني

لعل من أبرز الموضوعات الشعرية على مدى العصور الإسلامية الشعر الديني، وهو فن قائم بذاته، يقوله الشاعر مناجياً ربه متحدثاً عن عظمته وجلاله، وربوبيته وكماله، وعظيم ما خلق، وجليل ما وهب، مستغفراً ذنوبه، مرسلاً الدموع، مكثراً من الابتهال إليه [١].

فالأديب المسلم سخر فكره كما سخر نفسه لخدمة الإسلام ورفع رايته خفاقة فوق الأمم، تحمل للناس الأمن والسلام، وتنير لهم سبل الهداية، وتبعدهم من الشرور والآثام.

وقد عرف الشاعر مهمته في الحياة، وأدرك رسالته التي يحملها، فسخر شعره وعواطفه لخدمة الإسلام والذود عنه، وسلط لسانه سيفاً قاطعاً في وجه الضلالة والجهل، ووقف سداً منيعاً يواجه الأعداء الذين يريدون النيل من الإسلام.ويظهر دور الشعر والشعراء جلياً في الأزمات، إذ وضع الشعراء أنفسهم على محك الواقع، فنهجوا نهجاً في تأييد الدعوة، ونشر الرسالة والإرشاد إلى الحق والخير والإسلام.. فعندما اشتد الأمر بالمسلمين في عهد الرسول ﷺ، وتعرض الشعراء الجاهليون للرسول ﷺ بشعرهم هب حسان وكعب وابن رواحة، وغيرهم من شعراء الدعوة يردون الصاع صاعين للكفار والمشركين [٢]. وأيد الرسول ﷺ ذلك فقال لحسان: «اهجهم وروح

(١) الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، ص١٦٣.

(٢) أحمد الغزاوي . حياته وشعره، ص٢٧٢، وما بعدها .

القدس معك»[١]. فمن ذلك الوقت وقوافل الشعراء ترتاد هذا البحر الزاخر، يحدوهم حب صادق، وشوق دائم يتقربون به إلى الله عز وجل؛ فأشرق نور الإسلام، وعمّ الأرض.. وأخذت الأوصاف بالتقوى والورع تأخذ مكانها في شعر المدح وغيره.. ولم نعد نسمع من يرفع سيف شعره للدفاع عن الإسلام؛ لأن الإسلام أصبح عزيزاً منيع الجانب [٢].

والشعر الديني في عصر صدر الإسلام، يشكل قدراً لا بأس به، حتى كان العصر الحديث، فبدأت هجمة جديدة على الإسلام والمسلمين في قلب الجزيرة العربية، استمرت مدة زمنية طويلة، عانى فيها من إهمال الساسة العرب والمسلمين الشيء الكثير.. وكأن هذا الإهمال الكبير والحرمان المستمر دفعا أهل نجد إلى الانطواء على ذاتهم، والانغلاق على نفسهم، حتى تولد من ذلك ضيق في التفكير، وشدة في التعصب، وإغراق في الجهل، وإيمان بالخرافات، واعتقاد بقبور ومزارات، وأحجار وأشجار على أنها تضر وتنفع، وتصل وتقطع، وتعطي وتمنع، وتفرق وتجمع من دون الله[٣].

فبرز للوجود اتجاه للدفاع عن الإسلام ورفع رايته، والرد على أعدائه، ومقاومة خصومه حيث كان الاتجاه إلى الموضوعات الإسلامية من أسبق الاتجاهات بروزاً في شعر هذه البلاد[٤]. وابن مشرّف موضوع بحثنا لم يهمل هذا الجانب،بل أولاه عناية كبيرة، فنظم كثيراً في مسائل الدين، وفي التاريخ الإسلامي، وفي الإشادة بالدعوة السلفية، والدعوة إليها والدفاع عنها، وله في مدح النبي ﷺ حائية جميلة، زاد في جمالها أنه اجتنب فيها الغلو والتوسل، وقد ا فتتحها بمقدمة غزلية، كما ذكرنا آنفاً، وإن تأسى فيها بصنيع كعب بن

(١) الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، ٢٠٧.

(٢) أحمد الغزاوي، حياته وشعره، ص٢٧٣.

(٣) الحركة الأدبية، ص٤٣.

(٤) دراسات في الأدب الحديث، ص٨٠.

زهير في اعتذاريته (بانت سعاد) ومنها[(١)]:

بـات سـاهي الطـرف والشـوق يلح ... ولبحـر الدمـع مـن عينيـه سـفحُ
ليتـه أطفـأ نيـران الهـوى ... حيـن آذى مهجتـي منهـن لفـح

ونلاحظ حسن التخلص من النسيب إلى مديح سيد العالمين حيث ينطلق مغرداً بذكر الصفات المعنوية، فهو ذو نسب رفيع، وخلق كريم جاء بالدين الإسلامي ليهدي الناس إلى الصراط المستقيم، ويزيح ضباب الشرك والوثنية فيشع بذلك نور الإسلام، ويقول مادحاً[(٢)]:

بـل لهـا الحليـة قـد زانـت كمـا ... زيـن الشـعر لخيـر الخلـق مـدحُ
أحمـد الهـادي إلـى سـبل الهـدى ... كـم بـدا منـه لأهـل الأرض نصـح
هاشـــمي قرشـــي طـــاهـــر ... حسـن الأخلاق زكي الأصل سـمح
جـاء بالديـن الحنيفـي وقـد ... طبـق الأرض مـن الإشـراك جنـح
فـأرى النـاس الهـدى بعـد الـردى ... فـإذا الحـق تجلـى منـه صبـح

فنجد تدفق النفس الروحي في هذه القصيدة لا ينقطع، وبرزت المفاهيم والاصطلاحات الدينية، كما طغت عليه معان كثيرة مستقاة من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(٣)]، وإذا أمعنا النظر في قول شاعرنا «كما زين الشعر لخير الخلق مدح» فهذا المعنى متأثر فيه بالشعراء السابقين من أمثال ابن الرومي حيث يقول[(٤)]:

قالوا: أبو الصقر من شيبان قلت لهـم ... كلا لعمـــري! ولكــن منه شـيبانُ
كـــم من أب قد علا بابن ذرا شـرف ... كمـــا عـــلا برســول الله عدنـــانُ

---

(١) المرجع السابق، ص٨٠.
(٢) الديوان، ص٤٩.
(٣) سورة القلم، الآية: ٤.
(٤) الديوان، ص٨٦.

وميدان المدائح النبوية صعب، فيه فرسان البديهة والروية، فهو ميدان صعب المنال وشاق؛ لأنه لا يستطيع الوصول إليه إلا من كان صادقاً في إيمانه ووده للرسول عليه الصلاة والسلام مهما برع في نوعي النظم المتروي والبديهي[١]. فشاعرنا ابن مشرّف يتلذذ بذكر المصطفى ﷺ، فنجده يصلي عليه في ختام كل قصيدة، فالرسول عليه الصلاة والسلام خير البرية وأفضلها، وقرنه أفضل القرون فتوهج نور الإسلام على يديه بعدما أباد الشرك والوثنية، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٢]. ويسوق الشاعر ذلك[٣]:

وأفضـل القـرون قـرن المصطفـى
فمـن قفاهـم ثـم مـن لهـم قفـا

ثم من سار على نهجه من صحابته، وهم الخلفاء الراشدون، وأوردهم شاعرنا بحسب السبق في الخلافة، فأولهم ـ كما هو معروف ـ أبو بكر، ثم عمر ثم عثمان، ثم علي، ثم ذكر العشرة المبشرين بالجنة، وهم كما في حديث سعيد بن زيد حدثه في نفر أن رسول الله ﷺ قال: عشرة في الجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة وسعد ابن أبي وقاص، وقال: فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور أنت العاشر. قال: نشدتموني بالله، تالله أبو الأعور في الجنة[٤]. ثم ذكر الصحابة الذين شهدوا المعارك الكبرى مع الرسول عليه الصلاة والسلام من بينهم أهل بدر، وأحد وأصحاب بيعة الرضوان، ومن ذلك قوله[٥]:

(١) هدى شوكة بهنام . النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمقري، ص٢٨٨.
(٢) آل عمران، الآية: ١١٠.
(٣) الديوان، ص١٤.
(٤) المصدر السابق، ص١٤.
(٥) الديوان، ص١٤.

وأفضل الصحابة الصديق ... ذو السبق عبدالله أو عتيق
ثم المكنى بأبي حفص عمر ... ثم ابن عفان الشهيد ذو الغرر
ثم علي ثم باقي العشرهْ ... فالبدري فالأحدْي فأهل الشجرهْ

ثم تكلم على إرسال الرسل تفضلاً منه سبحانه على عباده لقطع أعذارهم، فالله سبحانه وتعالى: يمد الإنسان بقبس من الوحي بين فترة وأخرى يقوده إلى معالم الهدى، فكان رسل الله الذين ينزل عليهم الوحي مبشرين ومنذرين، إلى خاتمهم وخير ابن آدم محمد ﷺ حيث توجت رسالته الرسالات جميعاً فنسختها وختمتها، فيقول شاعرنا بهذا الصدد(١):

وأرسل الله تعالى الرسلا ... لقطع أعذار الورى تفضّلا
والصدق والتبليغ والأمانهْ ... في حقهم يلزم كالصيانهْ
عن مطلق الذنوب(٢). والرذائل ... إذ شأنهم حيازه الفضائل
ومن أجاز كذبهم للمصلحهْ ... فكافر ردته متضحهْ
ثم نبوة النبيين هبهْ ... من ربهم ذو الفضل لا مكتسبهْ
ثم جميع الأنبياء والرسل ... بينهم تفاوت في الفضل
لكنهم قد ختموا بالأفضل ... منهم نبيناً ختام الرسل
فلا نبي بعده، كلا، ولا ... مبشراً أو منذراً أو مرسلا
فما لشرع دينه من ناسخ ... وما لعقد حكمه من فاسخ
وكل شرع قبل شرعه نسخ ... بشرعه الزاكي الذي لا ينتسخ

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى بقوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(٣). فجاء محمد ﷺ ليُتم بناء

---

(١) الديوان، ص ١٢-١٤.

(٢) يؤخذ على الشاعر في البيت الثالث هنا أنه أورد الجار والمجرور «عن مطلق الذنوب» في أول البيت وهو متعلق بنهاية البيت السابق، وهذا عيب في الشعر، لأن كل بيت وحدة متكاملة.

(٣) الأحزاب، الآية: ٤٠.

الأنبياء، ويختم رسالات السماء إلى الأرض، فقال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون، ويتعجبون له، ويقولون:هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[١].

وهذه الأفكار والمعاني التي ساقها شاعرنا جميعها إسلامية اعتمد فيها على الكتاب والسنة.

فعندما تحدث شاعرنا عن قرن المصطفى عليه الصلاة والسلام وما ساد في عصره من عبق الإسلام وأريجه، وانكشاف أنواره، وتألق في عصره الإسلام، كما تتألق النجوم الزهر، وأثمر أطيب الثمر، يعرض لنا في المقابل مجتمعه وعصره حيث طمس الملحدون بأباطيلهم وشركهم معالم الإسلام، فخيم الجهل والتخلف، فأصبح الدين وأهله في غربة وكربة، ومن ذلك قول شاعرنا[٢]:

واغربة الدين! فاعجب من تغربه ... عند المصدق فضلاً عن مكذبه
ألا ترى الجهل بين الخافقين فشا ... والعلم أغرب من عنقاء[٣] مُغْربِهِ؟

وقوله في غربة ذوي العلم والإيمان، وهم قلة[٤]:

لئن كنت في دار عن الإلف نازحاً ... غريباً فدين الله في الأرض أغرب
وإن ذوي الإيمان والعلم والنهى ... هم الغربا طوبى لهم ما تغربوا
أناس قليل صالحون بأمة ... كثيرين لكن بالضلالة أشربوا

ويخبو صوت العلم، وتندثر ملامحه، وتتكالب الفتن حيث تسود الخرافة، والأسطورة، وتقديم القربات والذبائح، وبناء القباب، فخيم على

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، رقم الحديث ٢٢٩٢.
(٢) الديوان، ص٤٤.
(٣) عنقاء: طائر متوهم لا وجود له.
(٤) الديوان، ص٣٢.

الناس سحاب كثيف من الجهل والتخلف والظلم، فيقول[١]:

قد خالفوا السنة الغراء وابتدعوا ... والشرك جاؤوا بحظ منه موفور
لم يسلكوا منهج التوحيد بل فتنوا ... بكل ذي جدث في اللحد مقبور

ويهاجم شاعرنا زيارة القبور، قبور الأولياء والصالحين، وما بني عليها وشيد من قباب، والطواف حول تلك القبور تقرباً لله، وسؤال الناس أصحابها أن يدفعوا عنهم الأذى، ويجلبوا لهم النفع، بل إنهم ليتوجهون إليهم بالدعاء كلما أحاط بهم كرب طلباً للنجاة، فيقول[٢]:

ولم ينظر الشرك الذي فيهم فشا ... فكم قبة قد شيّدوها على قبر
وطافوا عليها خاضعين تقرباً ... إلى ذلك المقبور بالذبح والنذر

وفي هذا المناخ المضطرب بشتى النظريات الدينية والسياسية يطلق شاعرنا صرخة نداء لأمة الإسلام؛لإعادة بناء الأمجاد الإسلامية، كما كانت في عهده ﷺ وعهد أصحابه، فيستحث الهمم إلى النهوض والاتحاد لإصلاح المجتمع، وإيقاظ الروح الإسلامية في نفوس الشعب، والقضاء على الجهل والتخلف.. فشاعرنا أقام في رحاب نور الهدى وطفق ينهل من ينابيع الكتاب والرسالة الخالدة ويعيش في إلف الإيمان، فلا غرابة أن يبدع في ذلك، ومنه قوله[٣]:

فعودوا إلى الإسلام واجتنبوا الردى ... وإلا فلا يؤويكم السهل والوعر[٤]
وتنذركم من بعدها أن من عصى ... فأفسد أو شق العصا دمه هدرُ
فمن لم يكن عن غيه الوحي زاجراً ... له كان في ماضي الحديد[٥] له زجر

(١) الديوان، ص٣١.
(٢) الديوان، ص٣٠.
(٣) الديوان، ص٦٧.
(٤) الوعر: الجبل.
(٥) الديوان، ص٧١.

فأول أمر دعا إليه ليحيي الإسلام من جديد، ويعيد إليه روحه هدم القباب والأوثان، والابتعاد من كل بدعة ومنكر، كما قال شاعرنا [١]:

بـل هدمـوا أوثـان شـرك عظمـت ... ونهـوا عـن الأمـر الشـنيع المنكـر
شـنوا علـى أهـل القـرى غاراتهـم ... وعلـى البـوادي فـي الخـلاء المقفرِ

وفي مقابل هدم القباب والأوثان أمرهم ببناء المساجد لإقامة الصلاة، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام، وعمود الدين[٢].

وقـد هدمـوا الأوثـان فـي كل قريـة ... كمـا عمـرت أيديهـم كل مسـجد
فكـن ذاكـراً فـوق المنابـر فخرهـم ... ونـاد بـه فـي كل نـاد ومشـهد

ويرى ابن مشرّف أن العودة إلى لله خير السبل التي تؤدي إلى النجاة من الوثنية، فكيف تكون العودة، وقد تفتحت قلوبهم للشرك، ونمت عقولهم بغذائه، وعاشت نفوسهم على براثين الوثنية.. ولكن شاعرنا لا ييأس فهناك طريقة واحدة لعلاجهم ومداواتهم وانتشالهم مما وقعوا فيه، وذلك عن طريق اتباع كتاب الله وسنة رسول ﷺ، فهما مدار الفقه والفتوى، فما يرسمه القرآن، ويبينه الحديث هو الدين الحنيف، وعلى العقل أن يسير وراءهما شارحاً ومفسراً ومبيناً، لا موجهاً ولا متحكماً ولا مؤوّلاً.. وعلى هذا النحو تتجلى في شعر ابن مشرّف دائماً الدعوة الوهابية بكل ما اتصل بها من مبادئ وتعاليم، ومنه قوله[٣]:

علـم الكتـاب ومـا سـن الرسـول لنا ... قـولاً وفعـلاً فانهـل صفـو مشـربه
فـكل علـم سـوى القـرآن زندقـة ... إلا الحديـث وفقـه الديـن فانتبـه

كما يدعو إلى اتباع سنة الرسول ﷺ [٤]:

(١) الديوان، ص٧١.
(٢) الديوان، ص٦٢.
(٣) الديوان، ص٤٤.
(٤) الديوان، ص٣٣.

فقال: عليكم باتباعي وسنتي فعضوا عليها بالنواجذ وارغبوا
وإياكُمْ والإبتداع فإنه ضلال وفي نار الجحيم يكبكب
فدوموا على منهاج سنة أحمد لكي تردوا حوض الرسول وتشربوا

وقد اقتبس شاعرنا حديث المصطفى ﷺ عند ما قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعه»[١].

ويعرج شاعرنا على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ويحث على أخذ العلوم منهما دون غيرهما، فهما أفضل العلوم؛ لأنهما من عند الله سبحانه وتعالى: فحاجة الناس إلى هذه العلوم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب والاشتغال بها من أفضل الطاعات، وأجل القربات، فالعلم يلبس صاحبه عزاً ورفعة ومكانة، فهو عندئذ الكنز الحقيقي، ومن ذلك يقول شاعرنا[٢]:

وما العلم إلا من كتاب وسنة وغيرهما صريح[٤] مركبُ
فخذ بهما والعلم فاطلبه منهما ودع عنك جهالاً عن الحق أضربوا

والتمسك بالكتاب والسنة هو العلم الذي يورث التقى، فهو نور يهتدي به من ظلمات الشرك والجهالة، حيث جعل الله طريق الجنة والصراط المستقيم مركباً من العلوم النافعة، ومن الأعمال الصالحة..وينوه شاعرنا في أبياته على أحسن العلوم[٤]:

---

(١) صحيح ابن حبان، باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلاً وأمراً وزجراً، حديث رقم٥.
(٢) الديوان، ص٣٣.
(٣) في الشطر الثاني من البيت الأول لو أنه قال: وغيرهما إلا صريح مركب، «إلا» هذه يصح بها الوزن فقط لكن المعنى غير سليم، وكتبته كما هو، ولم أستطع إصلاحه.
(٤) الديوان، ص٣٦.

وما أحسن العلم الذي يورث التقى ... به يرتقي في المجد أعلى سمائه
ومن لم يزده العلم تقوى لربه ... فلم يؤته إلا لأجل شقائه
وما العلم عند العالمين بحده ... سوى خشية الباري وحسن اتقائه

فالقرآن الركيزة الأولى التي يجب على المؤمن أن يتمسك بها، فدعا شاعرنا إلى المداومة على تلاوته لما فيه من الصلاح، حيث تحصل به الخيرات والكرامات، وبه تزول المكاره، ومنه تستقي جميع العلوم والمعارف، كما أنه شفاء من كل داء، وخصوصاً الأمراض القلبية والنفسية، ورحمة وهدى للناس، ومن ذلك يقول ابن مشرّف[(١)]:

فكن تالياً آي الكتاب مداوياً ... بها كل داء، فهي أرجى دوائه
فمنه ينابيع العلوم تفجرت ... وما فاض من علم فمن عذب مائه
هدى وشفاء للقلوب ورحمة ... من الله يشفى ذو العمى بشفائه

وينوه شاعرنا على حقيقة معرفة لا مناص منها، وهي أن الدين لا يمكن أن ينتصر إلا بالقتال في سبيل الله، وقد نشط شاعرنا في بعث الحمية في نفوس المسلمين، وانتهاض هممهم للقتال، وجمع الكلمة، وتوحيد الصف، واسترداد الأراضي، والعودة إلى الأمجاد الإسلامية عن طريق سل السيوف، وسن السنان، وإراقة الدماء بشجاعة، وبذل النفس رخيصة في ميادين البطولة لبلوغ المجد، والتطلع إلى المعالي، فهم على يقين بإذن الله بأن الله دائماً مع أهل الحق، فتمتلئ أفئدتهم ثقة بنصر الله عز وجل ويعرض شاعرنا ذلك بقوله[(٢)]:

فلا دين إلا بالقتال قوامه ... ولا أمن إلا بعد سل القواضبِ

---

(١) الديوان، ص ٣٦ - ٣٧.
(٢) الديوان، ص٤٧.

ولا ملك حتى تخضب البيض بالدما   من الهام[٢] في أطرافه والجوانب
ولا مجد إلا بالشجاعة والندى   وجر العوالي فوق مجرى السلاهب[٣]

ويذكر بأن ذروة سنام الإسلام هو القتال في سبيل الله، ويسرد شاعرنا ذلك حيث يقول[٣]:

أنخ قلوصك لدى قصرها   وبلغ الوالي أتم السلامْ
وقل لها: إن قتال العِدا   في ضمنه العز ونيل المرامْ
وقد أتى النقل عن المصطفى   بأنه في الدين أعلى السنام

وهذا اقتباس من الحديث المروي في الصحاح لسيدنا معاذ بن جبل عن الرسولﷺ قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه القتال في سبيل الله»[٤].ويحبب شاعرنا القتال، ويزينه في عيون المسلمين، فيقول: إن أحسست بالتثاقل فقم، واستعن بالله لتكسب الحمد والأجر والنصر؛ فبذلك تجني ثماره، وترسخ الإيمان بالله عز وجل في الصدور، وتؤصل القيم الفاضلة في النفوس، وتفجر ما يكمن في الذات الإنسانية من طاقات الخير والصلاح حيث قال[٥]:

وإن كره الناس الجهاد بداية   فآثاره محمودة في العواقب
وأثماره نصر وأجر ومفخر   وإن عميت عنها عيون الغياهب
فشمر بعزم للقتال ولا تهن   فتدعو إلى سلم العدو المجانب

---

(١) الهام: الرؤوس.
(٢) السلاهب: جمع سهلب، وهو الطويل من الخيل والناس.
(٣) الديوان، ص٩٨.
(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم ٢١٥٤٢.
(٥) الديوان، ص٤٨

وتبقى مظاهر هذا القتال وثمراته إلى الآن متمثلة في تشييد بيوت الله وتعميرها، وإقام الصلوات في المساجد، وإقامة الحدود.. ومن هنا كان الشاعر موفقاً في نسج هذه الصورة بقوله (١):

وقد طهروا تلك الديار وطردوا ... ذوي الشرك والإفساد كل مطرد
بأمر بمعروف ونهي عن الردى ... وبالصلوات الخمس للمتعبد
وقد هدموا الأوثان في كل قرية ... كما عمّرت أيديهمو كل مسجد

وهل يكون الجهاد إلا بقائد إسلامي تقي نقي يدافع عن الدين، ويذود عن حياضه، ويهاجم الأوضاع الفاسدة، ويتصدى للفرق الزائغة؛ ليس هذا فحسب، بل يتصف بالكرم والتقوى والعدل بين الناس، والرأفة والرحمة.. يعمل لرفع أصحابه، وخفض جانب الكفر وأصحابه، فيه عز الدين وأهله، وذل للكفر وأهله، ومن ذلك قوله(٢):

يقضي ببذل المكرمات نهاره ... سماحاً ويحيي ليله بالتهجد
لقد ساد أبناء الزمان وفاقهم ... بعفو وإقدام وكف له ندي
وميراث مجد ناله عن أئمة ... سموا للعلا حتى استووا فوق فرقد
وآووا إماماً قام لله داعياً ... يسمى بشيخ المسلمين محمد
لقد أوضح الإسلام عند اغترابه ... وقد جد في إخفائه كل ملحد

ومن خلال ذلك نلاحظ سعة ثقافة ابن مشرّف، وغنى أفكاره بينابيع العقيدة التي تهز النفوس هزاً، وتطبيقه مبدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب لموافقته الكتاب والسنة، وخلاصته: «أنه لا سبيل إلى معرفة العقيدة والأحكام وكل ما يتصل بها إجمالاً وتفصيلاً، واعتقاداً واستدلالاً، إلا من القرآن والسنة المبينة له، والسير في مسارهما.. فما يقرره القرآن وما تشرحه

(١) الديوان، ص٦٢.

(٢) الديوان، ص٣٢.

السنة مقبولان لا يصح ردهما، وليس للعقل سلطان في تأويل القرآن، وتفسيره وتخريجه إلا بالقدر الذي تؤدي إليه العبارات، وما تضافرت عليه الأخبار، وإذا كان للعقل سلطان بعد ذلك فهو في التصديق والإذعان، وبيان تقريب المنقول من المعقول، وعدم المنافرة بينهما. فالعقل يكون شاهداً، ولا يكون حاكماً، ويكون مقرراً ومؤيداً، ولا يكون ناقضاً ولا رافضاً، ويكون موضحاً لما اشتمل عليه القرآن من الأدلة[١]. فقد تميز شعره في هذه الطائفة بصدق العاطفة وحرارة المشاعر، ولا سيما فيما قيل في نصرة الدعوة السلفية وتطهيرها مما علق بها وتخليص العباد من الأذى الذي ينالهم في البعد من الكتاب والسنة.

خلق الله الإنسان على فطرة صالحة سليمة، وزوده بقوى كثيرة، تهديه لعبادة الله سبحانه وتعالى، لقوله جل شأنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[٢]. وقال عليه السلام «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٣]. فالإنسان السوي يؤمن إيماناً حقيقياً بوجود الله سبحانه وتعالى، وأنه فوق عباده حيث أورد شاعرنا دليلاً عقلياً على ذلك، فالعباد يرفعون أكفهم إلى ربهم إذا ما اجتهدوا في الدعاء، ومن ذلك قول ابن مشرّف[٤]:

وقد فطر الله العظيم عباده	على أنه من فوقهم فلهم سلوا[٥]
لهذا تراهم يرفعون أكفهم	إذا اجتهدوا عند الدعاء إلى العلو
أقروا بهذا الاعتقاد جبلة	ودانوا به ما لم يصدوا ويخذلوا

(١) الديوان، ص٦١.

(٢) سورة الروم الآية ٣٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، حديث رقم ١٣١٩.

(٤) الديوان، ص٢٥.

(٥) في الشطر الثاني من البيت الأول خطأ «فلهم سلوا» والصياغة الصحيحة «فله سلوا».

والإيمان بالله تعالى: ينسجم مع فطرة الإنسان، أما الكفر والإلحاد فهما طارئان على الفطرة الإنسانية، والدليل أن الإنسان آمن بالله منذ أقدم العصور، وقبل أن يتعلم أو يطرأ عليه أي مؤثر خارجي، فإن ما يقع تحت نظر الإنسان في الكون يدفعه إلى الإيمان بأن لهذا الكون خالقاً مدبراً حكيماً عليماً، وإلا لاضطرب الكون، وأصابه الخلل[(١)].

أليس من حق هذا الخالق العظيم القدير أن يوحد، وأن يبذل المخلوق كل مافي وسعه ليتقرب إليه، ويكون ذلك بالطاعات والعبادات، وأول هذه الأعمال الصلاة، وهي رأس العبادة، وأول ما يحاسب عليه المسلم يوم القيامة.. وقد بلغ من عناية الإسلام بها أن أمر بها في كل الأحوال: في الإقامة والسفر،والسلم والحرب، والأمن والخوف، والصحة والمرض[(٢)]. وقد فرضت الصلاة ليلة إسراء الرسول ﷺ، فقد أسري به يقظة لا مناماً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بفلسطين، راكباً البراق، فلما انتهى إلى باب المسجد دخله وصلى تحية المسجد ركعتين، ثم أتي بالمعراج وهو كالسلم ذي درج يرقى فيه، فصعد إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السموات السبع، وسلم على الأنبياء الذين في السموات، ثم رأى جبريل على صورته التي خلق عليها، ورأى الجنة والنار، وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين، ثم خففها إلى خمس رحمة منه، ولطفاً بعباده، ثم هبط إلى البيت المقدس، فركب البراق، وعاد إلى مكة، والله سبحانه وتعالى أعلم[(٣)].

ويقول في محكم تنزيله:﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ

(١) نعمان عبدالرزاق السامرائي . مباحث في الثقافة الإسلامية، ص٢٥.
(٢) الديوان ص ١٢.
(٣) مباحث في الثقافة الإسلامية، ص٤٣، وما بعدها .

ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾[١]. فينشد قوله[٢]:

إليه تعرج الملائك العلا ... والروح والأمر ومنه أنزلا
والمصطفى به إليه أسري ... فجاوز السبع الطباق فادر
فطيب القول إليه يصعد ... وفطرة الخلق بهذا تشهد

وقوله[٣]:

ثم بمعراج النبي حسبما ... أخبرنا إيمانا قد لزما
أسرى بروحه وبالجسم معا ... على البراق ليلة فارتفعا
فجاوز السبع السموات العلا ... وقد رأى الله إلهه علا
وقد دنا من ربه فأوحى ... إليه جل شأنه ما أوحى

ثم بعد ذلك تحدث عن الزكاة وهي الركن الثالث من أركان الإسلام بعد الصلاة، وقد قرنت بها في آيات كثيرة، وورد الوعيد الشديد على مانعيها كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٤]. فهي عبادة مالية تجب على الصغير والكبير تؤخذ من الأغنياء، وتدفع إلى الفقراء.. ولبيان أهميتها، فقد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة، وقال: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه»[٥].وبهذه المناسبة يصدح شاعرنا بقوله[٦]:

---

(١) الإسراء: الآية ١.

(٢) عبدالله الجار الله، «الكواكب النيرات»، ص١١٧، وما بعدها.

(٣) الديوان، ص١٣.

(٤) آل عمران، الآية: ١٨٠.

(٥) مباحث في الثقافة الإسلامية، ص٤٣، وما بعدها.

(٦) الديوان، ص١٣، ١٤.

مـا هاله ذلك الخطـب الذي عظمت ... فيه الخروق[١]. ولم توهن وما ضعفا
سـلّ الحسـام على من زاغ حين أبوا ... عن الـزكاة وللخرق العظيـم رفا[٢].
حتـى استقام به ديـن الهدى وسـما ... ورد مـن كان مرتـداً ومنحرفـا

ومن أحب العبادات إلى الله صدقات التطوع، وقد ورد الحث عليها في كثير من الآيات والأحاديث، وسماها الله عز وجل قرضاً، ووعد بالمضاعفة عليها إلى سبعمئة ضعف، وإلى أكثر من ذلك لمن يشاء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[٣]. ويصور شاعرنا هذا المعنى بقوله[٤]:

أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا ... ولا تطـع فـي سـبيل الجـود عـذالا
فالمنفقـون لهـم مـن ربهـم خلـف ... ورب شـح إلـى الإتـلاف قـد آلا
مـن جـاد جـاد عليـه الله واسـتترت ... عيوبـه وكفـى بالجـود سـربالا
مـن جـاد سـاد ومـن شـحت أناملـه ... بالبـذل أمسـت لـه الأعـوان خـذالا
ثنتـان كلتاهمـا للـود جالبـة ... صبـر جميـل وكـف يبـذل المـالا

فابن مشرّف يقتبس هذا المعنى من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: دخل النبي ﷺ وعنده صبر من مال فقال: «أنفق يا بلال ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً»[٥]. وكأن به ينظر إلى قول الرسول ﷺ، فنفس الإنسان جُبلت على حب المال، ولكن لابد للإنسان أن يجاهد نفسه ويضحي بقسط من ماله بطيب نفس ورضى، فيكون جزاء ذلك عافية في نفوسهم من مرض البخل

(١) الخروق: ومنه أهل الردة.
(٢) رفا: خاطه، والمعنى: أي رد المرتدين ومانعي الزكاة.
(٣) البقرة الآية: ٢٤٥.
(٤) الديوان، ص٨٤.
(٥) البحر الزخار، مسند البزار، حديث رقم ١٣٦٦.

القتّال، ورواجاً اقتصادياً في مجتمعهم، فيعود عليهم ما أنفقوا ربحاً حلالاً، وبركة في المال والنفس والأهل، وقد يزداد حب المال عند بعضهم، حتى يودي بصاحبه إلى البخل والشح، فيصير همه الوحيد جمع المال وتكديسه، ولكن لا يلبث أن يتسلط عليه من يأخذ هذه الأموال، فتكون حسرة وندامة في الدنيا، وخزياً ونكالاً في الآخرة، فكانت الزكاة دواء، فيها تزكو النفس، ويتطهر المال، فتعتاد نفس المزكي على الكرم والعطف والإخاء، فتتعاطف القلوب، وتزداد المحبة، وتستتر العيوب، بدلاً من التنافر، وتزول حاجة كثير من الناس مع الحفاظ على كرامتهم دون أن تضطر إلى ذل السؤال وطلب المال[١].

ثم يبشر شاعرنا المنفقين في سبيل الله فيقول[٢]:

بشراك يا منفق الأموال بالخلف ... وعداً من الله حقا غير مختلفِ
في كل يوم ينادي في الورى ملك ... وآخر بنداء وهو غير خفي
يا رب يا رب ارزق منفقاً خلفاً ... واحكم على ممسك الأموال بالتلفِ
وقال خير الورى حَثًّا لخازنه ... أنفق ولا تخش إقلالاً ولا تخفِ

وقد تأثر شاعرنا بالحديث النبوي في صورته الشعرية: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: «اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[٣].

ومن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾[٤].

(١) مباحث في الثقافة الإسلامية، ص٤٨.

(٢) الديوان، ص٨٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، حديث ١٠١٠.

(٤) البقرة، الآية: ٢٦٥.

ويتفيأ شاعرنا بظلال الإسلام متخذاً من الصوم وهو الركن الرابع من أركان الإسلام، رياضة روحية تحكم الإرادة، فتجعل الإنسان مالكاً زمام نفسه، متقرباً إلى الله سبحانه وتعالى بذلك، وليس هذا بالانقطاع عن المأكل والمشرب، وإنما يشمل معاني أخرى مثل:كف البصر، والسمع، واليد، واللسان عن المحرمات، فهو أمر خفي ينمي في النفس الرقابة الإلهية، وبهذه المناسبة يقول عليه السلام: «قال الله عز وجل«كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به»[١]. ومن ذلك قول شاعرنا[٢]:

ألـم تنظـروا مـا أوقـع الله ربنـا	بعجمانكم أهـل الجـدود العواثر[١]
بـأول هـذا السنة ثـم بعجـزه	بأيام شـهر الصوم إحـدى الفواقر[٢]
همـوا بدلـوا النعماء كفـراً وجاهروا	بظلـم وعـدوان وفعـل الكبائـر

ثم ينتقل شاعرنا إلى مظاهرة ربانية لها هتاف محدد، وهدف محدد، ولباس محدد ألا وهي الحج، فهو عبادة بدنية ومالية؛ لهذا جعله الله على المستطيع، وفي العمر مرة واحدة يطوف فيها العبدويسعى ابتغاء مرضاة الله، كما تدل على وحدة الأمة وعدم تمزقها وتشتتها، ويكفي فيه قوله عليه السلام: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[٥]. فيهتف شاعرنا بالصلاة على أشرف خلق الله وأفضلهم مطفئ الضلالات، وموقد جذوة الدين الحنيف، مرشد الناس إلى الحق واليقين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بعدد العباد الذين يطوفون بالبيت العتيق، ومن ذلك قوله[٦]:

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم ١١٥١.

(٢) الديوان، ص٨٢.

(٣) العواثر: الحظوظ الساقطة.

(٤) الفواقر: الحرب التي تكسر فقرات الظهر.

(٥) صحيح ابن خزيمة، كتاب المناسك، باب فضل الحج الذي لا رفث فيه، حديث رقم ٢٥١٤.

(٦) الديوان، ٩٥.

وأزكى صلاة الله ما طاف طائف ... وما نيط [١]. بالبيت العتيق حطيمُ
على من هو الماحي لكل ضلالة ... نبي الهدى بالمؤمنين رحيمُ

وعلى الرغم من المحن التي اشتعلت في عصر الإمام إلا أنه استطاع بروحه الإسلامية الذود عن حياض الإسلام، فقد أمن طرق الحجيج، ومن ذلك يقول شاعرنا مادحاً الإمام[٢]:

ولولاه في هذا الزمان لما بدت ... من الدين في جل الديار معالمهْ
ولا أمنت طرق الحجيج ولا انتهى ... عن الظلم، للمظلوم بالسيف ظالمهْ
ولكن أخفت المفسدين فسالموا ... وسفك الدما بالحق، للدم عاصمهْ

فالعبادات تهذب النفس، وتربي الضمير، وتجعل الإنسان على صلة بربه ينفذ أوامره، ويتجنب نواهيه، ولكن هناك من يبتعد عن حياض الدين، ويخالف العقيدة الإسلامية، وينقص الإيمان، ولكن ما يلبث أن يرجع ويعترف بالخطيئة، فيعلن الطاعة والخضوع والتذلل لرب العالمين، فيصور شاعرنا المؤمن الأواب عندما يعود إلى رحاب نور الهدى بعد الصحوة والغفوة والندم، وبعد الذنب والعصيان يطلب العفو والمغفرة، ومنه قوله[٣]:

فيا رب عفواً منك عما اجترحته ... من الذنب عن علم وما كنت أجهل
فإني على نفس مسيء ومسرف ... وظهري بأوزار الخطيئات مثقل
فهب لي ذنوبي واعف عنها تفضلاً ... عليَّ فمن شأن الكريم التفضل

وورد أن الله ينزل في الثلث الأخير من الليل ليتناجى مع عبده، ولكنه نزول يليق بجلاله[٤]. في دائرة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ

(١) نيط: أسند.
(٢) الديوان، ص٩٦.
(٣) الديوان، ص٢٨، ٢٩.
(٤) البيهقي، الاعتقاد، ص٤٤.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[١]. ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[٢].

ويورد لنا شاعرنا ما يدل على ذلك من أبياته[٣]:

وقد صح أن الله في كل ليلة ... إذا ما بقي ثلث من الليل ينزلُ
إلى ذي السما الدنيا ينادي عباده ... إلى أن يكون الفجر في الأفق يشعل
يناديهم: هل تائب من ذنوبه؟ ... فإني لغفار لها متقبل
وهل منكمُ داعٍ ؟ وهل سائل لنا ؟ ... فإني أجيب السائلين وأجزل

وليس أكمل وأعظم من هذا الفرح أن الله يقضي على عبده بالذنب، ثم إن كان ممن سبقت له الحسنى قضى له بالتوبة، فالتوبة لها آثار عجيبة من بينها محبة الله وشكره وحمده على هذه النعمة العظيمة، يقول شاعرنا[٤]:

فما هي إلا نعمة جلّ قدرها ... فلله فيها يعظم الحمد والشكر

وهناك من يقضي عليه الله سبحانه وتعالى بالاستمرار في المعصية إلى آخر يوم في حياته، فالله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم.. قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، وكتب ذلك عنده، ومما اتفق عليه سلف الأئمة مع إيمانهم بالقضاء والقدر «أن الله خلق كل شيء، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، أن العباد

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٢) مسند أبو يعلي الموصلي، حديث رقم ٧٤٠٨.
(٣) الديوان، ص٢٥.
(٤) الديوان، ص٧٣.

لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم: «إن العباد لا يشاؤون إلا ما يشاء الله»[١]. كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾[٢].

ومن ذلك قول شاعرنا[٣]:

سبحان من قدر الأشياء سبحانا
سبحان من قدر الأشياء سبحانا

ولكن هل يظل الإنسان في غيه ومعاصيه دون حساب أو عقاب، فهناك من ينال عقابه في الدنيا بأقدار مؤلمة، ولكن لابد له من الصبر على المكاره إما اختياراً، وإما اضطراراً، فالكريم يصبر اختياراً لعلمه بحسن عاقبة الصبر، بخلاف ضعيف الإيمان بالقدر يجزع لأتفه الأسباب، وينوه بذلك شاعرنا بقوله[٤]:

لا تيأسن إذا الكروب ترادفت فلعلها ولعلها ولعلها
واصبر فإن الصبر يبلغك المنى حتى ترى قهرَ العدو أقلها

وهناك من يدخر له العقاب والحساب، ولكن متى؟ بعد وفاته، فالموت حقيقة حتمية لابد من الإيمان بها مهما علت مكانة الكائن الحي، وقوي جانبه، وتطاول سلطانه، لابد أن يفنى لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾[٥]. حيث يقول شاعرنا[٦]:

---

(١) محمد بن إبراهيم الحمد «الإيمان بالقضاء والقدر» ص٥٨.

(٢) المدثر، الآية: ٥٤، ٥٦.

(٣) الديوان، ص١٠١.

(٤) الديوان، ص١٠٣.

(٥) آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٦) الديوان، ص٣٩.

ومن بعد ذا يوم الحساب وهوله ... فيجزى به الإنسان أوفى جزائه
ولا تنس ذكر الموت فالموت غائب ... ولابد يوماً للفتى من لقائه
قضى الله مولانا على الخلق بالفنا ... ولابد فيهم من نفوذ قضائه
فخذ أهبة للموت من عمل التقى ... لتغنم وقت العمر قبل انقضائه

فالله مقدر الأرزاق، فالإنسان لا يموت إلا بعد أن يكتمل رزقه، فتقبض روحه بعد أن يؤذن لملك الموت بذلك، ومنه يقول ابن مشرّف[1]:

وإن علينا حافظين ملائكا ... كراماً بسكان البسيطة وكلوا
فيحصون أقوال ابن آدم كلها ... وأفعاله طرًّا، فلا شيء يهمل
ولا حي غير الله يبقى، وكل من ... سواه له حوض المنية منهل
وإن نفوس العالمين بقبضها ... رسول من الله العظيم موكل
ولا نفس تفنى قبل إكمال رزقها ... ولكن إذا تم الكتاب المؤجل
وسيان منهم من ودى حتف أنفه ... ومن بالظُّبَا والسمهرية[2] يقتل

وينقطع عمله من الدنيا لتبدأ أول منازل الآخرة، وهو القبر، فيصور شاعرنا وحشته في تلك الحفرة الضيقة وحيداً يقيم فيها طوال الزمان ليس له أنيس سوى الدود الذي يأكل من أحشائه، فيبتعد عنه أهله وذووه، كما يرتدي ثياب الرخص بعد الغنى والثراء، ولا حيلة ولا افتداء، ولا درهم ولا دينار ولا منزل ولا مقعد إلا القبر، حيث يقول[3]:

فتتركه يوماً صريعاً بقبره ... رهيناً أسيراً آيساً من ورائه
وينساه أهلوه المفدّى لديهم ... وتكسوه ثوب الرخص بعد غلائه

---

(١) الديوان، ص٢٦.

(٢) السمهرية: رماح سمهرية صلبة العود منسوبة إلى سمهر، رجل كان يقوم الرماح، وامرأته «ردينة» تنسب إليها الرماح الردينية.

(٣) الديوان، ص٣٩.

وينتهب الورّاث أمواله التي ... على جمعها قاسى عظيم شقائه
تُسَكّنه بعد الشواهق حفرة ... تضيق به بعد اتساع فضائه
يقيم بها طول الزمان وما له ... أنيس سوى دود سعى في حشائه

ويسترسل الشاعر في حديثه عن القبر في قالبه الشعري متوخياً الوعظ المنبعث من تذكير المرء بعذاب القبر ونعيمه، وهي من الأمور التي يؤمن بها السلف الصالح، فإذا وضع العبدفي قبره، يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك ؟ ما دينك ؟ ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ أما المؤمن فيثبته الله بالقول الثابت[١]. لقوله تعالى:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[٢].

وأما الكافر فيقول: لا أدري، فيكون قبر الميت إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، ونستدل على ذلك من قول شاعرنا [٣]

وإن سؤال الفَاتِنَيْنِ محقق ... لكل صريع في الثرى حين يجعلُ
يقولان: ماذا كنت تعبد؟ ما الذي ... تدين ؟ ومن هذا الذي هو مرسل؟
فيارب ثبتنا على الحق واهدنا ... إليه، وأنطقنا به حين نسأل
وإن عذاب القبر حق وروح من ... ودى في نعيم أو عذاب يعجل
فأرواح أصحاب السعادة نعمت ... بروح وريحان وما هو أفضل
وتسرح في الجنات تجني ثمارها ... وتشرب من تلك المياه وتأكل

ثم يصور شاعرنا الفزع عندما يأذن جل جلاله، وعظم سلطانه بانقراض الكون، وانتهاء هذه الحياة الأولى، يدعو ملكاً يدعى إسرافيل أن

(١) معارج القبول «ج٢، ص٩٨، وما بعدها.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٣) الديوان، ص٢٧.

ينفخ في الصور نفخة واحدة للفناء فينفخ نفخة فيصاب الكون كله بخلخلة عنيفة فتحل بها كل الروابط التي كانت تربط أجزاء الكون، وقد ذكر الله ذلك في كتابه الحكيم: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾(١) فيا له من منظرٍ مرعب يهلع له كل المخلوقين، عندما تتناثر الكواكب، وتنصهر الأجرام السماوية بجميع مجراتها، فإذا هي كالنحاس المذاب، ويجمع الشمس والقمر، وتتزلزل الأرض، وتندك الجبال، وتسجّر البحار.. والقرآن الكريم ينطق بما سيجري، ومن ذلك ما جاء في فاتحة سورة الحج ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾(٢) قوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾(٣)، وغيرها كثير، فيصور شاعرنا هذه المشاهد العصيبة المروعة بقوله(٤):

والساعة الدهماء حق واقعهْ ... ميقاتها أظل وهي القارعهْ
وهي بأن ينفخ إسرافيلُ ... في الصور إذ يأمره الجليلُ
ثم ترى السما تمور موراً ... مثل الرحى حين تدور دورا
وتنشر النجوم منه كالمطر ... وتجمع الشمس هناك والقمر
كلاهما صورته مغيرهْ ... ذا خاسف وهذه مكسورهْ
وتنكفي السماء مثل الفلك ... من بعد أن يشق هذا الملك
ثم تصير وردة كالدهن ... والمهل والجبال مثل العهنِ
وسيرت من شدة الزلزال ... ثم عدت من جملة الرمالِ
ثم البحار فجرت تفجيراً ... وبالجحيم سجرت تسجيرا

(١) سورة النمل، الآية: ٨٧.
(٢) سورة الحج، الآية: ١.
(٣) سورة القارعة، الآيات: ١ ـ ٥.
(٤) الديوان، ص١٤، ١٥.

فنلاحظ كثرة اقتباس شاعرنا من القرآن الكريم في هذه الأبيات وغيرها، وذلك بسبب حفظه كتاب الله. ويقول عز وجل ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[(١)]. فهذه الأرواح لا تفنى، وإنما الذي يفنى هو الجسد ما عدا عجب الذنب، ومنه يركب الخلق ثانية، حينما ينزل من السماء ماء فتنبت الأجساد تحت الأرض كما ينبت البقل، ثم تدب فيها الحياة بعد أن تحل الهياكل الأرواح، وهذه الأرواح أودعت في مستودعات بعضها في النعيم، وهي الأرواح الطاهرة الطيبة، وبعضها في عذاب الجحيم، وهي الأرواح الخبيثة نتيجة كفر صاحبها[(٢)]. ويستدل شاعرنا على ذلك بقوله[(٣)]:

والروح لا تفنى ولا عجب الذنب	ومنه يُنْشَى جسمه الذي ذهب
والروح بعد الموت في نعيم	أو في عذاب موجع أليم

وقوله[(٤)]:

ثم إذا ما حان إخراج الورى	صب على الأرض تعالى: مطرا
أبيض كالمنِيّ أربعينا	يوماً فمن ذلك ينبتونا
كالبقل ثم يبعث الله الملك	لنفخة في الصور بعدما هلكْ
ثم يصيح صيحة في الصور	ينفض منها ساكنو القبور
فترجع الأرواح للأجساد	فذاك يوم الحشر والمعاد
فيه يعاد الجسم والروح معاً	وينهض الميت سريعاً فزعاً
يمشون حافين عراة غُرْلا	لموقف فظيع[(٥)] يشيب الطفلا

ويصور شاعرنا وزن الأعمال حيث يتضح مصير العبد، فمن ثقلت موازينه فهو السعيد حقاً، ومن خفت موازينه ففي درك الشقاء منزلته، ثم

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٢) الجزائري، عقيدة المؤمن، ص٣٣٧.

(٣) الديوان، ص١٤.

(٤) الديوان، ص١٥.

(٥) هكذا في الديوان، ولا يستقيم بها الوزن.

يضرب جسر منصوب على ظهر جهنم يكلف الناس بالمرور عليه وهو الصراط، فيكون مرور الناس بحسب أعمالهم في الدنيا فمنهم من يمر بسرعة مدهشة وكأنه البرق الخاطف، ومنهم من ينجو ولو حبواً على يديه وركبته، ومنهم من يهلك بسقوطه في جهنم، فيقول شاعرنا[١]:

ثم به يحاسب الملكفُ ... عن كل شيء وتطير الصحفُ
ويستقر في يمين المتقيْ ... كتابه وعكس ذلك الشقيْ
والوزن بالميزان للصحائف ... حق فدع عنك هوى المخالفِ
يضرب الجسر على جهنما ... ثم تجوزه العباد حسبما
جدوا إلى الطاعة بالمسارعةْ ... في دار دنياهم فتلك المزرعةْ

وقوله[٢]:

ووزن أعمالهم حقاً فإن ثقلت ... بالخير فاز، وإن خفت فقد خسرا

ويستمر شاعرنا ليبين مصير كل فئة، فأهل الحق في نعيم مقيم، أما أهل الباطل ففي عذاب لا ينقطع، فالنار تأكل جلودهم حتى إذا انتهت عادت كما كانت، وهكذا، ومن ذلك قول ابن مشرّف[٣]:

وإن عذاب النار حق وإنها ... أُعدَّت لأهل الكُفر مثوى ومنزلُ
يُقيمون فيها خالدين على المدى ... إذا نضجت تلك الجلود تبدَّلُ

ولكن هناك من ينجو من هذا العذاب، فقد خص الله سبحانه وتعالى: نبينا محمد ﷺ بست شفاعات من بينها شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم، فيلقون في نهر حتى يغتسلوا من الذنوب، ويدخلوا الجنة لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[٤]. ومن ذلك ينشد

(١) الديوان، ص١٥.
(٢) الديوان، ص٢٢.
(٣) الديوان، ص٢٧.
(٤) البقرة، الآية: ٢٥٦.

شاعرنا قوله[١]:

ولـم يبـق بالإجمـاع فيهـا موحـد ... ولـو كان ذا ظلـم يصـول ويقتـلُ
وإن لخيـر الأنبيـاء شـفاعة ... لـدى الله فـي فصل القضـاء فيفصل
ويشـفع للعاصيـن مـن أهـل دينـه ... فيخرجهـم مـن نـاره وهـي تشـعل
فيلقـون فـي نهـر الحيـاة فينبتـوا ... كمـا فـي حميل السـيل ينبت سـنبل

أما عند أهل الجنان، فيقول[٢]:

وجنـة الخلـد لا تفنـى وسـاكنها ... مخلد ليس يخشـى المـوت والكبرا
أعدهـا اللـه داراً للخلـود لمـن ... يخشـى الإلـه وللنعمـاء قـد شـكرا
وينظـرون إلـى وجـه الإلـه بهـا ... كما يرى الناس شمس الظهر والقمرا

كما أعد الله لهم مفاجأة، ألا وهي الكوثر؛ حوض نبينا محمد عليه الصلاة والسلام يرتاده كل من اتبع سنته عليه الصلاة والسلام، فيصفه شاعرنا بأن مداه طويل حيث يمتد من صنعا إلى بصرى، وحلاوة مذاقه، وجمال كؤوسه، فمن شرب منه لا يظمأ أبداً، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حوض مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من ورد فشرب منه لا يظمأ بعده أبداً»[٣]. ويورد شاعرنا ذلك[٤]:

وإن للمصطفـى حوضـاً مسـافته ... مـا بين صنعـا وبصـرى هكـذا ذكرا
أحلـى مـن العسـل الصافـي مذاقتـه ... وأن كيزانـه مثـل النجـوم تـرى

واشترط لوروده عدة شروط، وهي[٥]:

(١) الديوان، ص٢٧.
(٢) الديوان، ص٢٢.
(٣) صحيح مسلم . كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته، رقم الحديث ٢٢٩٢.
(٤) الديوان، ص٢٢، ٢٣.
(٥) الديوان، ص٢٣.

ولـم يـرده سـوى أتبـاع سـنته سـيماهم: أن يرى التحجيل والغررا
وكـم ينحى[١] وينفـى كل مبتـدع عـن ورده ورجـال أحدثـوا الغيـرا

وغالباً ما يتضرع الشاعر إلى ربه في ختام قصائده يدعوه بقلب حاضر ودعاء مشروع لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[٢].

فيطلب من الله سبحانه وتعالى: أن يغفر ذنبه، ويستر عيبه ماعلم منه وما لم يعلم، لقوله [٣]:

فيـا رب عفـواً منـك عمـا اجترحتـه من الذنب عن علـم وما كنت أجهلُ
فإنـي على نفسـي مسـيء ومسـرف وظهـري بـأوزار الخطيئـات مثقـل

ويردف هذا التضرع بالصلاة على سيد الورى محمد ﷺ أزكى صلاة لما لها من فوائد جمة: امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى: ومضاعفة أجر المصلي عليه، ورجاء إجابة دعائه، وسبباً لحصول البركة، ومن ذلك قوله[٤]:

وأزكـى صـلاة والسـلام بأثرهـا علـى مـن بـه للديـن قامـت دعائمه
نبي الهـدى بحر الندى مثخن العدى ومنهلهـم كأسـاً غُداقـاً علاقمـه[٥]
كـذا الآل والأصحاب مـا لاح بارق ومـا جـاد بالـودق الكثيـر غمائمـه

وعلى العموم فإننا نستطيع أن نلخص أبرز المعالم الواضحة التي حفل بها هذا الغرض.

فقد جاءت جميع القصائد خالية من أي مطالع تمهيدية أو مقدمات، فهو يتناول موضوعه مباشرة دون الحاجة إلى تمهيد، فجاء شعره موجهاً

---

(١) وكم، للتكثير، وتسمى هنا خبرية، فهي للكمية التي لا تحد.
(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.
(٣) الديوان، ص٢٩.
(٤) الديوان، ص٩٦.
(٥) علاقمه: العلقم، المر.

هادفاً ملتزماً غرضاً نبيلاً، هو خدمة العقيدة الإسلامية، وما يتصل بها من قضايا وأمور. وقد عكس هذا الشعر صفاء روحياً وهّاجاً، وإيماناً صادقاً نابعاً من روافد ا لعقيدة، منبعثاً من شدة الإيمان، صادراً عن معتقد راسخ ظل ملازماً لشاعرنا طوال حياته، حتى أصبح المعتقد الديني والهدف الإسلامي هدف أدبه وغايته في جل ديوانه.

ونلاحظ عند طرحه الأفكار ومناقشته القضايا الدينية الوضوح، إذ تنساب معانيه سلسة لا تكد الذهن، ولا تحتاج إلى إعمال الفكر لفهمها، فهو شعر سهل مطبوع يتدفق بيسر وانسياب، حتى إن الناظر في شعره في هذا الجانب تتكون لديه خلفية جيدة، ومعرفة مركزة عن هذه المسائل الدينية التي يطرحها.

أما أهم الروافد التي يستقي منها ابن مشرّف شعره الديني، فهي معاني وألفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الكريمة، فلا تكاد قصيدة من قصائده تخلو من هذه المعاني، فنجده هنا يوجب طاعة أولي الأمر ما لم تكن هناك معصية لله، فإذا عصي الله سبحانه وتعالى: فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾[١].

والأبيات الدالة على ذلك من ديوان شاعرنا[٢]:

وإن معصيـة الرحمـن تنقصـه ... كمـا يزيـد بطاعـات الـذي شـكرا
وإن طاعـة أولـي الأمـر واجبـة ... مـن الهـداة نجـو م العلـم والأمـرا
إلا إذا أمـروا يومـاً بمعصيـة ... مـن المعاصـي فَيُلْغَـى أمرهـم هدرا

كما يبشر منفق الأموال بالخلف، كما تقدم، فهذا المعنى مأخوذ من حديث الرسول ﷺ حيث قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان،

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) الديوان، ص٥٣.

فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[١]. ومما يدل على ذلك قول ابن مشرّف[٢]:

بشراك يا منفق الأموال بالخلف ... وعداً من الله حقاً غير مختلف
في كل يوم ينادي في الورى ملك ... وآخر بنداء وهو غير خفي
يا رب يا رب أرزق منفقاً خلفاً ... واحكم على ممسك الأموال بالتلف

وكما فيها إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾[٣].

فشاعرنا ملتزم منهج الإسلام قولاً وعملاً، فلا غرابة إذن أن يصطبغ شعره بالصبغة الإسلامية.

كما أننا نكتشف الروح الدينية الأصيلة في نفس الشاعر، ويتمثل هذا في الحب الصادق للنبي وآله عليه وعليهم الصلاة والسلام، والمشاعر الفياضة نحو الشعائر الدينية، ومن ذلك قوله[٤]:

أحمد الهادي إلى سبل الهدى ... كم بدا منه لأهل الأرض نصح

ومن خلال استقرائنا الديوان فقد استأثر هذا الجانب من شعره بخاصية التكرار في الألفاظ والمعاني، فيذكر الحوض في أكثر من موضع، كما يذكر القبر والقيامة والحساب والميزان، وقصة موسى، وغير ذلك، فهو يؤكد هذه الجوانب كثيراً فقد تفنن فيها أيما تفنن، وذلك من حيث التصوير لتستلين القلوب القاسية، وتستدر الدموع العاصية فمن هنا يتمسك الإنسان بدينه خشية من الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سبق تخريجه، ص ١٧١.

(٢) الديوان، ص٨٢.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

(٤) الديوان، ص٤٩.

- ٣ -

الشعر السياسي

ويقصد بالشعر السياسي: الذي يتناول وصف الحياة السياسية في داخل البلاد وخارجها، مؤيداً، أو محايداً، أو مناوئاً [١].

وهذا الفن اقتضته الظروف في العصر السعودي، وهو ليس أدب هجاء، تتراشق به جبهتان متعاديتان من الشعراء، كل منهما يمثل جهة تحتمي بحاكم معين، إنما هو لون من ألوان القول جاءت به ظروف تكوين الدولة السعودية الحديثة،وخلقته السياسة، ودفعت إلى وجوده حاجات الأمة العربية الماسة.. وهو لون له اتجاهات وفروع تصدر عن ينابيع مختلفة، وتنطلق في مجار متباينة[٢]. ففيه تحريض على الحروب ودعوة الحكام إلى الحزم، وأخذ الحيطة من الأعداء في الداخل والخارج، وترك الهوادة واللين في معالجة أمور الأمة [٣]. وهناك من الشعراء من ارتدى هذا النوع من الشعر، وهم من علماء الدين والإصلاح الذين أحسوا بواقعهم، فاشتعلوا حماسة يناهضون أعداء الدين، فكان شعرهم شاهداً حياً على العصر ووثيقة تاريخية تسجل الأحداث المعاصرة له.. ومن أبرز شعراء هذا الغرض في بواكير الدعوة الإصلاحية شاعرنا ابن مشرّف فقد عاصر أحداثاً سياسية جسيمة أيام عهد الإمام فيصل بن تركي، فكان من أوائل من تصدى لها بلسان قوي حاد لا يهاب، وننسجها بحسب السبق كما يأتي:

---

(١) الشعر في الأحساء في القرن الرابع عشر الهجري، ص٢٢٣.

(٢) الحركة الأدبية، ص٣١٤.

(٣) الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، ص١٤٠.

ففي سنة ١٢٣٣هـ قامت كارثة الدرعية على يد إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، وعبدالله بن سعود، فمضى عثمان بن سند البصري يقذع ويسب المسلمين، مما أثار شجاعة شيخنا وشاعريته، فرد عليه بقصيدة جوابية صور فيها الفتنة التي تعرضت لها تلك الديار تصويراً رائعاً ناشئاً عن عاطفة صادقة، فذكر تحول الحال إلى أسوأ الأحوال، وذهاب نور العلم، وانهزام الهدى، وتفرق الأهل، ولكن شاعرنا لم يقف مكتوف اليدين، بل أخذ يكيل الضربات اللسانية لابن سند وأصحابه، فصورهم غواة مفسدين عاثوا في الأرض فساداً، ومن ذلك قوله(١):

نعم كورت شمس الهدى وبدا الردى   وضعضع ركن للهدى فَهْوَ منهد
لدن بالسمحاء خطب فأوحشت   مساكنها وازور عيش بها رغد
تفرّق أهلوها وسلّ على الهدى   سيوف على هامات أنصاره تشدو
وفلّ حسام الدين، بل ثلّ عرشه   لدن غاب من آفاقه الطالع السعد
بأيدي غواة مفسدين لقد عثوا   وجاسوا خلال الدار وانتثر العقد

فتصدى لتلك العصابة القائد الهمام الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - وقضى عليها، وبذلك زالت الهموم والغموم التي كانت تجثم على صدره، ولكن بعد ماذا ؟ بعدما تفشت على أيديهم الأمراض والرذائل التي لم تكن معروفة من قبل، كالزنى والخنا والفحشاء ولا يؤمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، فبذلك أصبحت الدولة في حاجة إلى علاج سريع ناجع لإعادة العزة المسلوبة، والمجد المضاع، حيث يقول شاعرنا(٢):

فكم فتنة عمت ؟ وكم طُلّ من دمٍ   حرام ؟ وكم ضلت عصائب وارتدوا
وكم قُطِعَ السبْلُ البوادي وأفسدوا   فصاروا بها مثل الذئاب التي تعدو

فعادت الأمور إلى نصابها الصحيح، ولله الحمد والشكران على يد

(١) الديوان، ص ٥١، ٥٢.
(٢) الديوان، ص٢٢.

إمام الأمة ودرعها وحصنها القوي(١):

فعـادت كما كانـت بفضـل ورحمة
مـن اللـه مولانا لـه الشـكر والحمد

وإذا قرأنا في دواوين العرب نجد سجلات وأحداثاً دامية غرست في نفوس العرب يصعب اجتثاثها أو تشذيب فروعها الشائكة، وهي الأخذ بالثأر.. ففي سنة ١٢٥٠هـ ظهرت فتنة عظيمة على يد مشاري بن عبدالرحمن عندما قتل الإمام تركي والد الإمام فيصل، فيرسم شاعرنا في قصيدته ذلك الخطب الجلل الذي تعرض له الإمام فيصل، ويصور حاله في المسرة والأسى جلداً، فسيوفه دائماً متنمرة للقتال لا تدخل الأغماد حتى تحقق النصر، وبالفعل أخذ بالثأر، وأقام الحد على القاتل، وهذه الأفعال الحميدة ترقى به إلى أسمى الدرجات، فانطفأت بذلك تلك الفتنة التي كانت تغلي كغلي المرجل بعدما أوقد الجهول نارها، فقطع أيضاً الرحم، واستمع لأهل النفاق، وأحل المحرمات، فكانت عاقبته خسراً؛ فحرك نفوسنا ذلك التصوير البارع نحو الحدث، حيث استغرق شاعرنا في رسمه أحد عشر بيتاً، وهي(٢):

ما راعـك الخطـب الذي قد شـابهت   **أيامـه ظلمـات ليـل أليـل(٣)**
لكـن جـليـت ظــلامـه بلوامـع   **وَسِـهام عَـزْم كالشـهاب المرسـل**
سـيان حالـك فـي المسـرة والأسـى   **جلـداًَ، وذا شَـأن اللبيـب الأكمـل**
ما جاش جاشك في الحوادث إذ دهت   **فـي فتنـة تغلـي كغلـي المرجـل(٤)**
أزكـى الجهـول ضرامهـا لسـفافة   **كـي يسـتضيء بنورها فبهـا صَلي(٥)**

---

(١) الديوان، ص٥٣.
(٢) الديوان، ص٨٦، ٨٧ .
(٣) أليل: أسود مظلم
(٤) المرجل: القدر على النار.
(٥) الديوان، ص٨٧.

قطع الذي أمر الإله بوصله ... فلأجل ذا أسبابه لم توصل
وجنى على الإسلام شرَّجناية ... فأقر عين أخي النفاق المبطل
فأحل منتهكاً لحرمة مسلم ... ملك، فعوقب بالعقاب الأعجل
طلب العلوّ ببغيه وبظلمه ... جهلاً فَرُدّ إلى الحضيض الأسفل
ولأجل نصرة نفسه بذل القوى ... لكن من خذل المهيمنُ يخذل
حتى إذا ملك الخزائن واستوى ... جهراً على القصر المَشِيدِ الأطول
ملأ الإله فؤاده وصحابه ... رعباً، وصاح به القضاء ألا انزل

وما بعد الاقتتال نجد الحسرة القاتلة والندم الشديد على ما فعل، ولكن بعد فوات الأوان، ومن ذلك قوله(١):

عض على طرف البنان، وقال مِنْ ... فرطِ الأسى ياليتني لم أفعل
فهناك أيقن أن أنجم سعده ... أفلت وطالع نحسه لم يأفل

فهذه كناية رائعة دالة على شدة الندم والتحسر.

..ثم يتحدث شاعرنا عن قضية اضطراب الأمن، وهو الموضوع الأساسي للشعر السياسي على يد الأعراب عندما عبثوا بالدولة، وأفسدوا فيها، فوصف شاعرنا هذا الواقع الخطير في ثلاث قصائد مفعمة بالمشاعر الصادقة، ومؤازرة للإمام لتحقيق الوحدة الإسلامية في عهده.

وفي وسط جو كئيب مختنق الأنفاس ينظم شاعرنا قصيدته البائية مستنهضاً فيها الإمام فيصل بن تركي على قتال العجمان وذلك سنة ١٢٧٥هـ، فبدأها بالنسيب على عادة الشعراء العرب الأقدمين، فقدم في تسعة أبيات صورة يتحدث فيها عن حبيبته الحسناء النجدية التي تخاذلت ورفضت وصله، فلما رآها في المنام عاتبها عتاب المحب، ولكنها أبدت له الأسباب بأن بلده غير آمن بلد مخوف وهي في ربا نجد الآمن، وهذا يكفي عذراً لمثلي، فتخاذل الحبيبة كناية سياسية جديدة تدل على تخاذل

(١) الديوان، ص٨٧.

أصحابه، ومن قوله[١]:

أنـا فـي ربـا نجـد وأنـت ببلـدة
أحاطـت بها الأعداء مـن كل جانب

وبحسن تخلص ينتقل انتقالاً لطيفاً لرسم مشهد من ذلك الجو المختنق بالأعراب الذين سعوا في الأرض فساداً من سلب ونهب لا يخشون أحداً، فهنا نلاحظ ظلال الألفاظ وإيقاعها تشارك في خلق هذا الجو، فقد استعمل الشاعر كلمات موحية منها، قعدوا، بمرصد، أفسدوا، النهائب بأسلوب واضح معبر، حيث يقول[٢]:

يغيـرون فـي أطرافهـا وسـروحها ... جهاراً ولا يخشـون سـوطاً لضارب
فكـم قعـدوا للمسـلمين بمرصـد ... وكـم أفسـدوا فـي سبلها بالنهائـب
يقولـون: سـيروا إن ظفرتـم بنهبـة ... على رسـلكم لا تحذروا درك طالب
وإن تسـفكوا فيهـا الدمـاء فإنهـا ... لكـم هـدر لا تحـذروا مـن معاقـب

ويسأل شاعرنا أين حماة الديار، أين الحكام شديدو الضراوة والفتك[٣]:

فياليـت شـعري هـل سـراة حماتهـا ... نيـام، فهـم مـا بيـن لاه ولاعـب
أم الحـد منهـم كَلَّ؟ أم زندهـم كَبَـا؟ ... أم القـوم غـروا بالأمانـي الكـواذب

ونقف أمام شعور إنساني عميق، وأمام تعبير تصويري موح، ودعوة إلى الجهاد بأسلوب الحِكَم والأمثال التي اعتاد أن يوشح شاعرنا بها أفكاره بطريقة الاستنهاض والتحريض، فهؤلاء الناس كانوا أسوداً حماة، يحوطون الملك بكل رعاية قوية وغيرة وحمية، ويرتفع صوت شاعرنا بعد ذلك بكل انفعال وتوهج وحرارة يدعو إلى الذود عن حياض الدين ولا يكون ذلك إلا بالقتال، فلابد من خروج السيوف من أغمادها وسن السنان، وانقضاض

---

(١) الديوان، ص٤٧.
(٢) الديوان، ص٤٧.
(٣) الديوان، ص٤٧.

الأسود الأشداء على أعدائهم كانقضاض الصواعق على الطريد بكل بسالة وقوة وشجاعة فيتوج شاعرنا ذلك بقوله[١]:

وأنى يحوط الملك إلا سميدع[٢]   يخوض لظى الهيجاء ليس بهائب
له غيرة تحمي الرعايا كأنها   حمية ضرغام جسور مواثب
فلا دين إلا بالقتال قوامه   ولا أمن إلا بعد سل القواضب
ولا ملك حتى تخضب البيض بالدما   من الهام[٢].في أطرافه والجوانب
ولا مجد إلا بالشجاعة والندى   وجرّ العوالي فوق مجرى السلاهب[٣]

ويسير شاعرنا في هذه القصيدة على منهج الحِكَم والأمثال حيث تستشف المخاوف التي تكتنف الشاعر، فيتحدث بصراحة بين الحاكم والمحكوم حتى كأنه لم يشعر بنفسه، فالروح الإسلامية البحتة طغت على تفكيره ومشاعره، فانبعثت الانفعالات الكامنة في نفسه، فوقف بجانب الإمام، وآزره، ووعظه، وحثه على مواصلة القتال بكل ما أوتي من قوة لسانية، فدعاه إلى استخدام القوة، وترك التهاون، وتخضيب يديه بدماء الأعداء، والفتك بهم، وتمزيق وحدتهم؛ حتى تنقاد الأمة إليه، وتصبح تحت جناحه، فبذلك يجني ثمار قتاله نصراً وأجراً وعزة، فينشد شاعرنا قوله[٥]:

وأنشدْهُ إن أحسستَ منه تثاقلاً   إذا لم يسالمْكَ الزمان فحاربِ
ولا تحقر الخصم الضعيف لضعفه   فكم خرَّب الجرذانُ في سد مأربِ
فقم واستعن بالله وانهض إلى العلا   فكسب الثنا والأجر خير المكاسب
فكيف تنام العين منك عن العدا   وقد أوقدوا للحرب نار الحباحب
ولا ترض إلا مقعد العز مقعداً   على ظهر مهر للعنان مجاذب

---

(١) الديوان، ص٤٧.
(٢) سميدع: السيد الناصر القوي.
(٣) الهام: الرؤوس القوي.
(٤) السلاهب: جمع سلهب، وهو الطويل من الخيل والناس.
(٥) الديوان، ص٤٨.

ولا تستطب ظلاً سوى ظل قسطل ... وظل القنا الخطي بين الكتائب
وشن على الأعراب غارات محنق[١] ... وأنهلهم صاب[٢] الردى بالمصائب
ومزق جماعات الضلال وحزبه ... بريح سموم من لظى الحرب حاصب
وجرّ عليهم جحفلاً بعد جحفل ... وضيّقْ عليهم أرضهم بالمقانب
جيوشاً تريهم ظلمة الليل في الضحى ... ولمع المواضي كالنجوم الثواقب
إلى أن يكون الدين لله كله ... وينقاد للإسلام كل محارب
ومن كان معوجاً فقوّمْه بالظبا ... إذا لم يفد بذل الحبا[٣] والمواهب
فبالبيض مع سمر القنا تدرك المنى ... وبالجود والإقدام نيل المطالب
بذلك تعطيك المعالي زمامها ... وتسمو على أعلى الذرا والمراتب

وفي السنة نفسها من شهر جمادى الأولى نظم شاعرنا قصيدة أخرى يحرض فيها الإمام فيصلاً على كفّ الأعراب عن الفساد والانتهاب، فحرارة إيمانه جعلته لسان الدولة ينافح عن أمنها بصدق وجرأة، فطلب من الإمام أن يحذر الأعراب من الفساد في الأرض، ونهب الأموال وسفك الدماء، وقطع الطرق، فإن هم ظلوا على غيهم فالحاكم بينهم كتاب الله وحد السيف أو الإذعان والاستسلام لحقن الدماء، ومن ذلك قوله[٤]:

وتحذيره الأعراب أن يسفكوا الدما ... وأن ينهبوا الأموال أو يتخطفوا
فكم أفسدوا في الأرض بعد صلاحها ... وكم سفكوا الدمَّ الحرام وأسرفوا
وكم قد أغاروا في الدروب وكم عثوا ... وكم قطعوا سبل الحجيج وخوفوا
فقال ادخلوا في السلم طرّا وأسلموا ... وإلا فحرب وعده ليس يخلف

---

(١) محنق: غاضب.

(٢) صاب: المرّ.

(٣) الحبا: العطايا، وأصله الحباء، ثم قصر.

(٤) الديوان، ص٨١.

فالدين لا يستقيم إلا بالنصح والموعظة الحسنة أولاً، فإن استجابوا وإلا فإن حد السيف يكون الحكم بحكم القرآن فيهم، فالرصيد المذخور من الحلم والأناة والكرم قد نفد، فلابد من الصوارم والأسنة أن تجول وتصول بينهم، ومنه قول شاعرنا[1]:

فمن لم يقومه الكتاب أقامه ... حدود الظبا والسمهري المثقف
فهل يستقيم الدين إلا بدعوة ... إلى الله يتلوها سنان ومرهف
وقد فرض الله القتال على الورى ... لمن كان عن نهج الشريعة يصدف[2]
وقد كان يبدي الحلم والصفح عنهم ... ويعطيهم الأموال كي يتألفوا
فلما أبوا إلا الخلاف تمرداً ... رماهم بما يؤذي النفوس ويتلف
بجيش لهام حشوه الخيل والقنا ... تهب رياح الموت منه وتعصف

ونلحظ الإلحاح الدائم على إبراز المآسي التي حلت بالبلاد نتيجة جنوح الأعراب وإفسادهم في الأرض، فهذه العادات قد رضعوها منذ الصغر، فمن الصعب فطامهم عنها، فنظم شاعرنا قصيدة ثالثة بخصوص هذا الهدف وذلك سنة ١٢٧٦هـ.

فعندما نقرأ هذه القصيدة نحس بتأجج عواطف شاعرنا حيث ينادي باقتلاع جذور الشر والرذيلة، وإرساء قواعد الخير والفضيلة في المجتمع، ولكنه مع كل هذا الفساد، فهو يطمئن أصحابه بأن الأمور ستعود إلى نصابها، فالسيف مسلول في يمين الإمام فهو في حالة تأهب دائمة لإخماد شوكة هؤلاء الأعراب، ونشر الإسلام والأمن والفضيلة، والقضاء على الرذيلة، فهو الفارس القوي الذي لا يهاب الموت، وشاعرنا أحد جنوده المجندة الأشاوس المؤازرين له بصفة دائمة في كل حدث يدافع وينافح، ويناهض

(١) الديوان، ص٨١.
(٢) يصدف: يصد ويبتعد.

عنه، ومن ذلك قوله(١):

قــوم مــن الأعــراب مــن جهلهم ... قـد خرقـوا الديـن ودسـت الكمـامْ
وقـطّـعـوا الـسُّـبْـلَ وعــاثــوا بها ... وحللـوا سـفك الدمـاء الحـرام
عـــادات ســـوء رضـعــوا ثديها ... فاسـتصعبوا بعـد الرضـاع الفطـام
والــذئــب قــد يـعــدو على غرة ... فـي غنـم الراعـي لهـا إذ ينـام
والنــار بالزنــدين إيــراؤها ... وأول الحــرب قبيـح الـكلام
فقلت: لا تخشي ولا تحذري ... مـا صحـب السـيف يميـن الإمـام
ومـــا تـجـلـت لـلـهـدى شمسه ... إلا انجلـى عنهـا دخـان القتـام
أتحسبين الـجـبـن مــن طبعه ... لا والـذي يحيـي رميـم العظـام
فـــإن تـــأنـــى فـلـــه عـزمـه ... وهكـذا شـان الرئيـس الهمـامْ

وهو هنا متأثر بقوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾.

والشاعر في كل قصيدة من قصائده يدعو الإمام إلى الأخذ بالقوة، وترك الهوادة والجد في الحياة للوصول إلى غايته وطموحه وأمانيه(٢).

مـا جـرد الصمصـام ذو همـة ... عنـد اعوجـاج الأمـر إلا استقامْ
فبالأمـانـي لا ينـال المنـــى ... لأنهـــا تشــبه حلــم المنـامْ

ولم يخلُ ديوانه من الأسلوب الساخر، فكانوا يظنون أن الإمام ذو مضاء ضعيف، وعزم خامل، فهو ليس من حملة السلاح، وغير متمرس في فنون القتال، ويعرض ذلك بقوله(٣):

أسـاؤوا جميعـاً فـي الإمـام ظنونهـم ... فقالوا: ضعيف الجند في عزمه حَصْرُ(٤)

---

(١) الديوان، ص٩٧.
(٢) الديوان، ص٢٢.
(٣) الديوان، ص٦٦.
(٤) حصر: ضعف وعي.

كما هنأ ابن مشرّف الإمام فيصلاً بقصيدة عندما نصر الله ابنه عبدالله سنة ١٢٧٦هـ، ففي بداية المطاف صور معركة ملح التي دارت بينه وبين فئة من قبيلة العجمان بزعامة شيخ آل شامر.

كما صوَّر بسالة ابن الإمام في المعركة، فهو يقود أسوداً أشاوس، فلا تدخل السيوف الأغماد حتى يتحقق النصر، وتستباح حمى الأعداء، فرسم صورة واقعية بألواح عريضة لهذه المجزرة العنيفة التي تصافح أبصار الناس، ومن ذلك قوله[١]:

لدن قيل «عبدالله أقبل عاديا»[٢] ... يقود أسوداً في الحروب لها زأر
رئيس به سيما الخلافة قد بدت ... وفي وجهه الإقبال والعز والنصر
فصبَّح قوماً بالصبيحة إعتدوا ... وقادهُم للبغي من شأنه الغدر
فروّى حدود المرهفات من الدما ... كما رويت منها المثقفة السمر
فغادر قتلى يعصب الطير حولها ... ويشبع منها النسر والذيب والنمر

وفي آخر القصيدة تهنئة للإمام بهذا الفتح الذي حقق الفخر للإسلام وأهله، فخفقت أعلام الحق بعدما كانت مختفية، فاستطاع بذلك أن يرسخ القيم والمثل العليا في بلاده، فيصور الشاعر هذه المناسبة[٣]:

تهنَّ بهذا النصر يا «فيصل» الندى ... فقد تم للإسلام والحسب الفخر
وهذا هو الفتح الذي قد بنى لكم ... مكارمَ يبقى ذكرها ما بقي الدهر
وهذا هو الفتح الذي جلّ قدره ... وقد كَلَّ عن إحصائه النظم والنثر

وفي سنة ١٢٧٨هـ جار عمال الزكاة على أهالي الأحساء، فامتنعوا عن دفع الزكاة لهم، فشكا أهل المنطقة إلى الإمام جور عماله، فيرسم لنا شاعرنا

(١) الديوان، ص٦٦.
(٢) جاءت في الديوان «عاديا» ويبدو لي أنه «أقبل غاديا» أي في الصباح، وهذا هو الصواب وقد يكون من الغدو، والله أعلم.
(٣) الديوان، ص٦٧.

مشهداً معبراً يصور الظلم الذي ناله الناس بسبب اعتداء اللئام على الكرام، فيضطر الكريم أن يركب مطيته، وهو لها كاره ليقتص ممن اعتدى عليه عن طريق استعانته بالإمام؛ لما عرف عنه من كرم ونجدة وإغاثة،فمن كان له مثل فضائله، وقلبه يستحق الإكبار، فشاعرنا يصور لنا هذا الشعور الإنساني بكل قيمه الشعورية والتعبيرية، من خلال هذه الأبيات(١):

فيا أيها الوالي الذي لا يصده ... عن العدل ساع بالنميم أثيمُ
وإحسانه كالغيث قد عم نفعه ... فمنكره أو مزدريه لئيم
إليك شددت العيس أشكو ظلامتي ... فقد رام خسفي حاسد وظلوم
وجار عَلَيَّ العاملون بخرصهم ... وظلم الورى يوم الحساب وخيم(٢)
وإنك للمظلوم كهف ومعقل ... يلوذ به مستضعف ويتيم
وإنك نجم للهدى يهتدى به ... ويرمى به عند السماع رجيم

وواصل أبناؤه حمل لواء والدهم لتحقيق الوحدة الإسلامية، ومن ذلك قوله(٣):

أَعَدَّ لمن رام الخلاف سليله(٤) ... أبا النجم «عبدالله» كالليث مرصدا
فكم غارة قد شنها بعد غارة ... أصار بها شمل العدو مبددا
وصيرهم قسمين: هذا مجندلاً ... قتيلًا، وهذا في الحديد مصفدا(٥)

وفي السنة نفسها وبعد موقعة الطبعة سنة ١٢٧٧هـ وهزيمة العجمان اتجه أمراء العجمان إلى البحرين، حيث استقبلهم حاكم البحرين، ومكثوا في البحرين حتى سنة ١٢٨٢هـ؛ وبذلك تمت معالجة قضية اضطراب الأمن

---

(١) الديوان، ص ٩٥.
(٢) وخيم: عسير، شديد.
(٣) الديوان، ص٥٥.
(٤) سليله: ولده.
(٥) الديوان، ص٥٦، ٥٧.

والفساد الذي تفشى في المجتمع عن طريق شجاعة الإمام وإقدامه في ساحة الوغى، وبذلك تحقق له النصر والعز فيورد شاعرنا قوله[1]:

إماماً به الرحمن أمّن سبلنا ... وكف يدي من كان في الأرض مفسدا
وقوَّم أركان الشريعة ناصراً ... بسمر القنا والبيض سنة أحمدا
سخياً جريئاً في الحروب وحازماً ... وما الملك إلا بالشجاعة والندى
يسيّر أعلام القتال خوافقاً ... على نجله لا زال للدين منجدا
أبو النجم: عبدالله «ليثاً أعده ... أبوه لمن أخطا الصواب أو اعتدى
إذا أفسد الأعراب أي مواطن ... أغار عليهم بالجيوش وأنجدا

ونطوي صفحة سنة ١٢٧٨هـ لنفتح صفحة جديدة سنة ١٢٨٠هـ، إذ نظم شاعرنا قصيدة في نهاية عهد الإمام فيصل بن تركي بعد أن زالت الهموم والغموم التي كانت تخيم على الدولة، وحلّ محلها الأمن والأمان، فأسلمت الأعراب، ووضعت الحرب أوزارها، وبدل الله الخوف أمناً، وجعل بعد الدمار عمراناً، فزال الظلام، وأشرقت شمس الإسلام قوية ناصعة:

به أَمَّنَ الله البلاد فأصبحت
لنا حرماً في الأمن من كل رائع

وبعد وفاة الإمام نظم ابن مشرّف قصيدة يرثيه فيها سنة ١٢٨٢هـ بعد أن عمّ الأمن في جميع أرجاء الدولة، فشمل البلاد والعباد والصحارى والجبال، وكنّى شاعرنا عن ذلك بقوله[2]:

على يده جلّ الفتوح تتابعت ... فساوى القرى في الأمن مرعى السوائم[2]
وأسلمت الأعراب كرها وجانبوا ... حضوراً لدى الطاغوت عند التحاكمِ

(١) الديوان، ص ٥٦، ٥٧.
(٢) الديوان، ص ١٠٠.
(٣) السوائم: جمع سائمة: وهي الإبل الراعية.

ونستخلص مما سبق:

انطواء الشعر السياسي على أحداث كثيرة خطيرة في عصر الشاعر، تفاعل معها بصدق وحرارة، مؤيداً ومؤازراً للإمام خطوة بخطوة عندما اضطرب الأمن، وكثر الفساد في البلاد، فسجل شاعرنا جلّ معاركه وانتصاراته بجرأة وإخلاص، فهذا الغرض يعد مصدراً من مصادر التاريخ العربي الذي دون أحداث تلك الحقبة بكل صدق ودقة، من بطولة ممدوح ومآثر مرثي، وجلد جياد، ومضاء سيوف، وطعان أسنة على الخصوم، بصورة حية متحركة، وإيقاع لفظي قوي، كما نلحظ رنة التوتر العاطفي من ثوران وغضب، فإنه لا يسكت غضبه حتى تراق الدماء، وينتصر على الأعداء، وتعلو كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وفعلاً تمّ له ذلك.

- ٤ -

شعر الرثاء

الرثاء: فن الحديث عن الموت، ولغة الحزن، ومجال الأسى. والحزن في الأصل عاطفة سلبية تحمل الإنسان على العكوف على النائبة، ولكنها عاطفة صادقة؛لأن الشاعر حيث يرثي لا تحركه نوازع الطمع أو الرغبة؛ لأنه يرثي من لا يملك لنفسه شيئاً، فضلاً عن أنه يذكر الشاعر بالنهاية المحتومة.. وبهذه العاطفة الصادقة تفوق الرثاء على سائر الأغراض[١].

ويشترك الرثاء مع المديح في ذكر الفضائل التي كان يتحلى بها المرثي ويكاد نقادنا القدامى يجمعون على أنه ليس بين الرثاء والمدح فرق إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل كان، وتولى، وقضى نحبه، وما أشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى، ولا ينقص منه؛ لأن تأبين الميت إنما هو يمثل ما كان يمدح به في حياته[٢].

وهناك فرق بين الرثاء والتأبين، فالتأبين هو الثناء على الشخص بعد موته، أما الرثاء فبكاء الميت، وتعديد محاسنه[٣]، والتعبير عن الفاجعة فيه شعراً[٤]، ويقال: النائحة ترثي الميت[٥]؛ تترحم عليه، وتندبه، والندب كالرثاء،

(١) الأسلوب، ص٨٥.

(٢) شعر الأسر، ص١٥٢.

(٣) أسس النقد، ص٢٢٤.

(٤) عبدالعزيز عتيق، النقد الأدبي، ص١٧٩.

(٥) الزمخشري، أساس البلاغة . ص٢٢١.

بكاء الميت، وتعديد محاسنه[١]..ويظهر أن نقاد العرب لم يستخدموا كلمة الندب في معنى الرثاء والتأبين، كما لم يفرقوا في الاستخدام بين كلمتي الرثاء والتأبين، وكانوا يضعون إحدى الكلمتين موضع الأخرى[٢].والرثاء شعبة من المدح؛ لأنه ثناء على الراحل وخلع حميد الخصال، ونبيل السجايا عليه، مع إظهار الوفاء للفقيد، وإظهار الحسرة والحزن على اخترام المنون له[٣].

ونستطيع أن نفرق بين المديح والرثاء، فلكل منهما جو يؤثر في معانيه وصوره ونهجه السنة، فأحدهما أمل الحياة، والآخر يأس الممات. فالرثاء العربي له طابعه الخاص الذي يستحيل أن يتوارد إلى الذهن أنه مدح؛ لأن غالب معانيه تذكر مـآثر الميت[٤]. وابن رشيق لاحظ من قبل تطور الرثاء فقال: وكان من عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعزة والأمم السالفة، والوعول الممتنعة في قلل الجبال والأسود الخادرة في الفياض وبحمر الوحش المتصرفة بين القفار، والنسور والعقبان والحيات، لبأسها وطول أعمارها، وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعر؛ فأما المحدثون فهم إلى غير هذه الطريق أميل[٥]. ففي العصر الجاهلي كانوا يرثون أبطالهم في قصائد حماسية يريدون بها أن يثيروا قبائلهم لتأخذ بثأرهم، فكانوا يمجدون خلالهم، ويصفون مناقبهم التي فقدتها القبيلة فيهم، حتى تنفر إلى حرب من قتلوهم، وكان يشرك الرجال في ذلك النساء، فقد كن ما يزلن ينحن على القتيل حتى تثأر القبيلة له، وقد حدثنا الرواة أن الخنساء كانت تخرج إلى عكاظ فتندب أخويها صخراً ومعاوية[٦]، وبمرور

---

(١) القاموس المحيط، ص١٦٦٠.

(٢) أسس النقد، ص٢٢٤.

(٣) ابن المقرب العيوني: حياته وشعره، ص٢٠٥.

(٤) أحمد الشايب «الجارم»، ص٦٨.

(٥) العمدة، ج٢، ص٨١ «اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري» ص٤٦٤.

(٦) العصر الجاهلي، ص٢٠٧.

الزمن تطور فن الرثاء لديهم، فأصبح تصويراً لحزنهم العميق إزاء مصابهم في فقيدهم والإشادة بخصاله وصفاته، ومن ذلك قول الخنساء[١]:

قـذى بعينيـك أم بالعيـن عـوار ... أم ذرَّفـت أن خلـت من أهلهـا الدار
كأن عينـي لذكـراه إذا خطـرت ... فيـض يسـيل علـى الخديـن مـدرار
فالعيـن تبكـي على صخـر وحق لها ... ودونـه مـن جديـد الأرض أسـتار
تبكـي خنـاس ومـا تنفك مـا عمرت ... لهـا عليـه رنيـن وهـي مقتـار
بكـــاء والهـةٍ ضـلـت أليفتهـا ... لهـا حنينـــان إصغـــار وإكبـارُ
ترعـى إذا نسـيت حتـى إذا ذكـرت ... فـإنمـا هـي إقبـال وإدبـار
وإن صخـراً لتأتـم الهـداة بـه ... كـأنـه علـم فـي رأسـه نـار

ثم تطور فن الرثاء، وتشعب، فأصبحوا يرثون المدن، كما ظهرت آفاق معنوية أخرى جديدة للرثاء في العصور السابقة، حيث رثى الشعراء الحيوانات الأليفة[٢].

وإذا قمنا بجولة سريعة على دواوين شعراء المملكة العربية السعودية، وأجرينا استقتصاء لدى الباحثين في أدب المملكة فلا يمكن لأحد منهم أن يقول: إن شعر الرثاء في هذه المملكة يعدل شعر المديح أو الغزل من حيث كميته وغزارته، ولكنه يستطيع أن يقول: إن الرثاء في الأرض السعودية فن تقليدي صرف جرى فيه أصحابه من الشعراء على نهج القدماء، شأنهم في هذا شأن شعراء الغزل والمديح[٣].

وإذا حاولنا تصنيف الذين بكاهم الشعر السعودي وجدناهم عدة فئات. **أولاها**: الأئمة والملوك، وأفراد الأسرة الحاكمة، **وثانيها**: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأبناؤه، وذريته ورجال الدعوة السلفية، **وثالثها**:

---

(١) العصر الجاهلي، ص٢٠٨، وما بعدها .

(٢) الشعر العباسي، ص٣٤٢.

(٣) الحركة الأدبية، ص٢٥٣، بتصرف.

أسرة الشاعر من زوج، وولد، وأم وأهل وأحباب، وقد يرثي الشاعر نفسه، كما أن هناك رثاء للبلدان المنكوبة، والأوطان المصابة، ورثاء للعلم والدين والأخلاق[1].

ونقف على مراثي أحد شعراء القرن الثالث عشر الهجري وهو الشيخ أحمد بن مشرّف، فنجد أنه يقتصر على ست قصائد، منها قصيدتان في رثاء الإمام فيصل بن تركي،فعلى الرغم من مدحه بأكثر من ثلاثين قصيدة إلا أن زنده يكل في الرثاء، فلم يستطع أن يقول فيه غير أحد عشر بيتاً ليس فيها روح الحزن والبكاء، وقصيدتان في رثاء العلم، وواحدة في عين نجم، وأخرى في رثاء الدرعية، هذا كل ما جادت به قريحته[2].

لابد في الرثاء من استعراض شمائل المتوفى، وخصاله الحميدة التي كان يتمتع بها. وينقلب الرثاء إلى مديح، إلا أن الشاعر يحافظ على التزام الفعل الماضي فيقول: كان المرحوم كريماً، وكان أسداً، وكان، وكان، مما تعودنا أن نراه في المديح التقليدي. ونشير إلى مرثية شاعرنا في الإمام فيصل بن تركي - رحمه الله - سنة ١٢٨٢هـ وهي السنة نفسها التي انتقل فيها الإمام إلى جوار ربه[3].

علـى فيصـل بحـر النـدى والمكارم ... بكينـا بدمـع مثـل صـوب الغمائـم
إمـام نفـى أهـل الضلالـة والخنـا ... بسـمر القنـا والمرهفـات الصـوارمِ
فكم فـلّ من جمـع لهم جـاء صائلاً ... وأفنـى رؤوسـاً منهـمُ فـي الملاحـم

ويلح شاعرنا في تسجيل فضائل المرثي، وكأنه يريد أن يحفرها في ذاكرة التاريخ حفراً لا ينسى على مر الزمن، فهو مهيب في أعين أعدائه، ومهيب في أعين الناس جميعاً شجاع يتقدم في ميدان القتال لا يخشى لقاء عدو، كما أنه

---

(١) الحركة الأدبية، ص٢٥٤.
(٢) الشعر في ظلال حركة الإمام محمد بن عبدالوهاب، ص٧٢.
(٣) الديوان، ص٩٩.

كريم يسدي معروفه وعونه لكل الناس، ومن ذلك قوله[١]:

فكم فَلَّ من جمع لهم جاء صائلاً ... وأفنى رؤوساً منهمُ في الملاحم
يجر عليهم جحفلاً بعد جحفل ... ويرميهمُ في حربه بالقواصمَ
فما زال هذا دأبه في قتالهم ... تغير بنجد خيله والتهائم
ويعطي جزيل المال محتقراً له ... سماحاً، ويعفو عن كثير الجرائم
مناقب جود قد حواها جبلة ... فحاز الثنا من عربها والأعاجمَ

وتظهر العاطفة الدينية والتعاليم الربانية، والأمور الحيوية المطلوبة في مثل هذا الموقف لدى شاعرنا بشكل بارز مع أنها تظل مظللة بظلال عاطفة الحزن العامة التي تطبع هذه الأبيات، ففي الغالب عند رثاء الملوك والأعيان نجد الصبغة الرسمية كما تتوافر فيه الحكم والاعتبارات، وتتضاءل فيه العاطفة الحادة، فهي نعي وتعديد لمآثر الفقيد من أعمال ومدح مع بقاء العاطفة في هذا النوع حية[٢].

فشاعرنا هنا تلقى نبأ رحيل ملك عزيز عليه،فهي لحظات مفعمة بالمشاعر الحزينة الصادقة، فالرثاء أصدق الأغراض الشعرية، وأكثرها تعبيراً عن العواطف الصادقة، وأقواها تأثيراً في نفوس السامعين[٣]، فبعد أن عدد مآثر الميت نجده يتجه بالدعاء له بالمغفرة والرحمة، وأن يسكنه الله جنة الفردوس، فهذه الدنيا دار ممر لا دار مقر، وهذا هو المصير المحتوم للخليقة كلها، كما يعظ ابنه بأن يتحلى بالصبر، ويذكره بأن هذا قضاء الله وقدره، فلابد من الإيمان بذلك، يقول[٤]:

تغمده المولى الكريم برحمة ... وأسكنه الفردوس مع كل ناعم
فلا جزع مما قضى الله فاصطبر ... وإلا ستسلو مثل سلو البهائمِ

---

(١) الديوان، ص٩٩، ١٠٠.

(٢) الشريف الرضي: حياته وشعره، ص٢١١.

(٣) الشيخ سليمان بن سحمان: حياته وشعره، ص٢٠٣.

(٤) الديوان، ص١٠٠.

ومن الملاحظ في رثائه هذا الأمير افتقاره لمشاعر الحزن الصادقة والعميقة التي نحسها في قصائد الرثاء غالباً.. وعدَّ من عيوب الرثاء للعظماء أن تكون عبارة الشاعر غير مبينة عما في نفسه من ألم، وعما شعر به من عظم الملمة[1].

ويقع شاعرنا هنا في مأزق الجمع بين الرثاء والمديح في وقت واحد وهو من أصعب الرثاء حيث يجمع في الرثاء بين التعزية والتهنئة، وقد اختص هذا اللون بالخلفاء في تعزية من يلي عهد أبيه منهم[2]، فحين مات معاوية اجتمع الناس بباب يزيد، فلم يقدر أحد على الجمع بين التهنئة والتعزية، حتى أتى عبيد الله بن همام السلولي، فدخل فقال: يا أمير المؤمنين، آجرك الله على الرزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية، فقد رزئت عظيماً، وأعطيت جسيماً، فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر على ما رزئت. فقد فقدت خليفة الله، وأعطيت خلافة الله، ففارقت جليلاً، ووهبت جزيلاً، إذ قضى معاوية نحبه، ووليت الرياسة، وأعطيت السياسة، فأوردك الله مورد السرور، ووفقك لصالح الأمور[3].

فاصبر يزيد، فقد فارقت ذائقة ... واشكر حباء الذي بالملك حباكا
لا رزء أصبح في الأقوام نعلمه ... كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت والي أمر الناس كلهم ... فأنت ترعاهم، والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف ... إذا بقيت، ولا نسمع بمعناكا

ففتح للناس باب القول وعلى هذه السنة جرى الشعراء بعده[4]. وهكذا بدأ ابن مشرّف قصيدته باكياً حزيناً على الخليفة الراحل يرثيه، ويعدد فضائله،

---

(١) أسس النقد، ص٢٣٢.
(٢) في النقد الأدبي، ص١٨١.
(٣) أسس النقد، ص٢٤٣.
(٤) أسس النقد، ص٢٤٣.

ثم انتقل من ذلك إلى انتقال الخلافة إلى ابنه، ومن ثم يعدد صفاته بأنه حاكم جدير بأن يحكم المسلمين حكماً دينياً سليماً لاعنت فيه ولا ظلم ولا إجحاف ومن ذلك قوله[١]:

فلما تولّى خلّف الملك بعده ... لنجل خليق بالإمامة حازم
فقام بعون الله بالأمر سائساً ... رعيته مستيقظاً غير نائم
فتابع أهل العدل في كف كفه ... عن المكس إن المكس شر المظالم
وشابه في الأخلاق والده الذي ... فشا ذكره بالخير بين العوالَم
وقرب أهل الفضل والعلم والنهى ... وجانب أتباع ا لهوى غير نادم
ومن يستشر في أمره كل ناصح ... لبيب يكن فيما جرى غير نادم
على يده جل الفتوح تتابعت ... فساوى القرى في الأمن مرعى السوائم

ونجوب ديوان شاعرنا بحثاً عن مراثيه في الإمام فيصل بن تركي، فناخت مطايانا أمام قصيدة قالها بعد وفاة الإمام ـ رحمه الله ـ وذلك سنة ١٢٨٣هـ، والغريب في ذلك أنه بدأها بمقدمة غزلية، وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً، كما يصنعون ذلك في الهجاء والمدح، وقال ابن الكلبي: وكان علامة لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة[٢].

أرثَّ جديد الحبل من أم معبد
بعاقبة، وأخلفت كل موعد؟

وقد ذكر أن دريداً صنع القصيدة بعد قتل أخيه بسنة، وحين أخذ بثأره، وأدرك طلبته[٣].

ومن ذلك هذه القصيدة، حيث بدأها بمقدمة تبلغ ثمانية أبيات:

---

(١) الديوان، ص١٠٠.
(٢) العمدة، ج٢، ص٨٢١.
(٣) المرجع السابق، ص٨١٢.

أتقبل عـذر الحـب أم أنـت عاذلـه   بذكـرى حبيـب عنـه شـطت منازلُهْ
غـزال حـوى كل المحاسـن والبَهـا   يغازلنـي بعـدَ العِشـا وأغازلـه
فتـاة كأن الشـمس غـرة وجههـا   فأنـى يبيـن البـدر حيـن تقابلـه[1].

إلى قوله[2]:

تميميـة حلـت بتيمـا ودونهـا
مـن الجبـل الطائـي قفـار وحائلـه

ومن المتعارف عليه عند أهل اللغة أنه (ليس للعرب في الجاهلية مرثية أولها تشبيب إلا قصيدة دريد - كما ذكرنا آنفاً -) والواجب في الجاهلية والإسلام، وإلى وقتنا هذا، ومن بعده، لأن الآخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولاً عن التشبيب بما هو فيه من الحسرة، والاهتمام بالمصيبة[3].

فكيف يتجرأ شاعرنا ويسوق هذه المقدمة الغزلية في هذا الفن؟

نقول: إن شاعرنا سار على مذهب دريد، فقد ذكر هذه القصيدة بعد وفاة الإمام بسنة، بعد أن امتلك الحاكم الجديد قلوب الناس، فتبدد الألم، وخفّت نبرة الأسى والحزن واللوعة، وقلّت حدة التفجع، فلا ضير في ذلك.

ثم بعد ذلك يرثي الإمام، فيشكو إلى الله تغير حال الناس بعد وفاته حيث استوى عندهم الفصيح مثل قس، والعيُّ مثل باقل، فقد أقفرت الدروس، وأنكر العلم وأهله، فعلى الرغم من هذه التغيرات إلا أن الشاعر لم يبال بذلك، ومحبوبته تتعجب كيف تنظم الشعر وفيصل قد رحل، ووضع في قبره؟ أين حزنك وألمك؟ يقول[4]:

---

(١) الديوان، ص٩٠.

(٢) الديوان، ص٩٠.

(٣) العمدة، ج٢، ص٨١٣.

(٤) الديوان، ص٩٠.

فنشكوا إلى الله الزمان الذي استوى لـدى أهلـه قـس الـكلام وباقلـه
بـه اندرسـت كل العلـوم وأقفـرت فأنكـر فضـل العلـم بالعلـم جاهلـه
وقائلـة أقصـر فمـا بعـد فيصـل لـذي أدب حـظ فمـاذا تحاولـه
أترغـب في نظـم القريض وجسـمه مـوارًى بقبـر غيبتـه جنادلـه

ثم يذكر السبب لهذا النظم فيقول[1]:

فقلـت دعينـي إن يكـن مـات فيصل فخالقـه حـيٌّ ومـا مـات نائلـه
فقـد ورَّث المجـد المؤثـل والنـدى لنجـل زكـت أخلاقـه وشـمائله

ويقع شاعرنا هنا في المأزق السابق (رثاء) حاكم سالف، و(مديح) حاكم خلف له في وقت واحد، وهو من أصعب الرثاء، كما يقول بعضهم، إذ ليس من الحكمة التصريح بالتهنئة في موقف الحزن، ولذلك يلجأ الشعراء إلى استخلاف الحاكم الجديد لجميع الصفات التي أوردها لسابقه، دون تفاضل بينهما، فنجد شاعرنا هنا يمدح نجل الخليفة عبدالله بالنجدة والكرم وضرب العداء، واستخدم لإبراز هذه المعاني «كم» التي للتكثير والاستفهام في داخل الأمر، كما وصفه بالتعفف عن أخذ المكوس على الحجاج، ومن ذلك قوله[2]:

فقـد ورث المجـد المؤثـل والنـدى لنجـل زكـت أخلاقـه وشـمائلُهْ
أبو النجم عبدالله حامي حمى الهدى بغرتـه بشـرى النـدى ومخايلـه
بنجـد حثـا المـال الجزيـل تبرعـاً فعاشـت بـه أيتامـه وأراملـه
وكم غارةٍ شـعواء شـن علـى العدى وكـم فـارس منهـم نعتـه حلائلـه
فأثخـن حَرْبـاً بالحـروب وسـالمت ودانـت لـه نجـد وذلـت قبائلـه

إلى قوله[3]:

(١) الديوان، ص٩٠، ٩١.
(٢) الشعر في الأحساء، ص٢١٥.
(٣) الديوان، ص٩١.

تولى فلم يرض المكوس لدينه ... عفافاً، ومن يعفف تعف عوامله
ولما نمَى الركبان أخبار عدله ... إلينا وشاعت في البلاد فضائله
بعثنا له دُرّ القريض بمدحه ... وخير الثنا ما لا يكذب قائله

وفي ختام مرثيته يصلي ويسلم على الرسول ﷺ الذي عمت رسالته البرية والأنام، يقول[1]:

وختمي صلاة الله ثم سلامه ... على من به الإرسال عمت رسائله
محمد المبعوث من آل هاشم ... كذا الصحب ما غنت بروض بلابله

وبدت لدى شاعرنا ظاهرة تكرار المعاني والصفات؛ إذ إنه سار في جميع مراثيه على خط سير واحد، فهو يذكر الأعمال التي كان ينهض بها من حب للعلم، والعدل والتقى، والكرم والسخاء، والشجاعة والإقدام.

فرثاء شاعرنا من اللون التقليدي، وليس هذا فحسب، فإننا لا نحس فيه روح الحزن والألم، كما في رثاء الخنساء لأخويها - كما ذكرنا آنفاً - أو رثاء ابن الرومي لابنه محمدٍ، فهذا يكشف عن النوازع النفسية الكامنة،فربما لم يكن مدحه له حباً حقيقياً، وإنما لغرض التكسب، فلو كان حباً حقيقياً لتميزت مرثياته باللوعة والحرقة والألم الصادق، ومسحة البكاء والحزن الدائم المقيم.

والحقيقة أن شاعرنا نوّع في الرثاء، فخرج عن دائرة رثاء الأشخاص إلى آفاق أخرى معنوية وحسية، إننا نجده يرثي العلم لا في بيت أو أبيات عابرة ضمن قصيدة، ولكنه في قصيدة كاملة قصرها على هذا النوع بلغ عدد أبياتها أربعة وتسعين بيتاً. ويقول الدكتور بكري شيخ أمين «أما رثاء العلم والأخلاق والتقوى فوفير، وجل المعاني التي قيلت في هذا الصدد: إن العين يجب أن تبكي دماً على العلم الذي درس، والدين الذي اغترب، والجهل الذي فشا، والعلماء الذين مضوا إلى ربهم[2]، فشاعرنا قدم الجار والمجرور

---

(١) الديوان، ص٩٢.

(٢) الحركة الأدبية، ص٢٦٧، وما بعدها.

لإفادة التوكيد، لما للعلم من أهمية عظمى في حياة الأمة، ولكن هذه نظرة فيها تشاؤم، لأن الخير في أمة رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، ومن ذلك قوله[١]:

على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم
ولم يبق فينا منه روح ولا جسمُ

ونلاحظ انهزام شاعرنا أمام هذه الكارثة، فعبر عن هول المصاب، وصور لنا أثر اندراس العلم في هذه الأمة، وما ستؤول إليه من جهل وظلام، فقد آن الأوان لقبض الروح، ولكن روح من؟ روح العلم وانطماس آثاره، فيدعو الشاعر دعوة عامة إلى النواح عليه، وترك العنان للعيون لتفيض بالدموع، فماذا يفيد بقاء الكتب إذا فقد الفهم، فنستطيع أن نضع الأبيات الآتية في دائرة النظرة السوداء، فيقول[٢]:

ولكن بقي رسم من العلم دارس — وعما قليل سوف ينطمس الرسمُ
فآن لعين أن تسيل دموعها — وآن لقلب أن يصدعه الهم
فإنّ بفقد العلم شراً وفتنة — وتضييع دين أمره واجب حتم
وما سائر الأعمال إلا ضلالة — إذا لم يكن للعالمين بها علم
وما الناس دون العلم إلا بظلمة — من الجهل لا مصباح فيها ولا نجم
فهل يهتدى إلا بنجم سمائه — إذا ما بدا من أفقه ذلك النجم؟
فهذا أوان القبض للعلم فلينح — عليه الذي في الحب كان له سهم
فليس بمبقي العلم كثرة كتبه — فماذا تفيد الكتب إن فقد الفهم؟

فنلاحظ الاقتباس من قول الرسول ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[٣].

---

(١) الديوان، ص٤٠.

(٢) الديوان، ص٤٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث رقم ١٠٠.

يقول[١]:

وما قبضه إلا بموت دعاته[٢]
فقبضهم قبض له، وبهم ينمو

ويستمر الشاعر في حديثه عن العلم فإنه إذا سرى في جسم أصابته الحياة، ومن فاته يعدّ نفسه ميتاً، وقد فضل الله أهل العلم في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]. ونستشهد على ذلك بقول شاعرنا[٤]:

ما العلم إلا كالحياة إذا سرت — بجسم حيّ والميت من فاته العلم
وكم في كتاب الله من مدحة له — يكاد بها ذو العلم فوق السهى ينمو

ويعقد موازنة بين أهل العلم وذوي الملك، وهي موازنة قوية بصور بيانية لإظهار فضل العلم على ذوي الملك واليسار[٥]:

فكم قد مضى من مترف متكبر — ومن ملك دانت له العرب والعجم
فبادوا، فلم تسمع لهم قط ذاكراً — وإن ذكروا يوماً فذكرهم الذم
وكم عالم ذي فاقة ورثاثة — ولكنه قد زانه الزهد والعلم
حي ما حي في طيب عيش ومذقضى — بقي ذكره في الناس إنْ فقد الجسم

والحق أن العلم رائد للناس جميعاً وكانت الغيرة عليه من غيرتهم على أوطانهم ودينهم، ولذلك لم يبخلوا عليه بكل غالٍ نفيس، والأبيات التالية تدل على هذا المعنى[٦]:

---

(١) الديوان، ص٤٠.
(٢) دعاته: جمع داع، وهو الحافظ للعلم.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٤) الديوان، ص٤١.
(٥) الديوان، ص٤١.
(٦) الديوان، ص٤١.

فكن طالباً للعلم حق طلابه مدى العمر لا يوهنك عن ذلك السأم
وهاجر له في أرض[١] ولو نأت عليك فإعمال المطيّ له حتم
وأنفق جميع العمر فيه فمن يمت له طالباً نال الشهادة لا هضم
فإن نلته فليهنك العلم أنه هو الغاية العلياء واللذة الجسم

وتتفجر قريحة شاعرنا فيصور المعنى العلمي بصورة الحسناء التي تكشف الستور، فنرى وجهها يشفي العلل والأسقام، فهذه صورة قوية البيان توضح ما يفعله المعنى حينما يكشف لطالب العلم، يقول[٢]:

وكم كاعب حسناء تكشف خدرها فيسفر عن وجه به يبرأ السقم
فتلك التي تهوى ظفرت بوصلها لقد طالما في حبها نحف الجسم
فعانق وقبل وارتشف من رضابها فعدلك عن وصل الحبيب هو الظلم

ويستكمل شاعرنا فصول هذه المرثية بعقد مقارنة بين مجلسين، هما: مجلس العلم، ومجلس أهل الدنيا، وأثنى على الأول بأنه مثل الرياض بما يحويه من مقومات الجمال،وهجا الثاني بأنه مثل المزابل بما فيه من الأذى والرائحة النتنة، ومنه قوله[٣]:

فجالس رواة العلم واسمع كلامهم فكم كَلِم منهم به يبرأ الْكَلْمُ
وإن أمروا فاسمع لهم، وأطع، فهم أولو الأمرً من شأنه الفتك والظلم
مجالسهم مثل الرياض أنيقة لقد طاب منها اللون والريح والطعم
أتعتاض عن تلك الرياض وطيبها مجالس دنيا حشوها الزور والإثم
فما هي إلا كالمزابل موضعاً لكل أذى لا يستطاع له شم

ويأتي أمر باتباع خير القرون، وهو قرن الرسول ﷺ وصحبه والتابعين، فلولاهم لعاش الناس في ضلالة وغي، فقد حفظ الدين على أيديهم، فلابد من السير على طريقهم ومنهاجهم، فهو الغنيمة حقاً[٤]:

---

(١) كذا، ويستقيم الوزن لو قيل: في كل أرضٍ.
(٢) الديوان، ص٤٢.
(٣) الديوان، ص٤٢.
(٤) الديوان، ص٤٢.

وكن تابعاً خير القرون ممسكاً بآثارهم في الدين، هذا هو الحزم
وأفضلهم صحب النبي محمد فلولاهم لم يحفظ الدين والعلم
ولولاهمُ كان الورى في ضلالة ولكن كلاًّ منهمُ للهدى نجم
فآمن كإيمان الصحابة وارضه فمنهاجهم فيه السلامة والغنم

وفي ختام هذه الميمية يصلي على خاتم النبيين والمرسلين، وعلى أصحابه الكرام، ويختمها بمثل ما بدأها بالبكاء والحزن والألم؛ فهذه دلالة على صدق العاطفة لما فقدت الأمة من علم وعلماء، ومن ذلك قوله(١):

وصل إله العالمين مسلماً على من به للأنبياء جرى الختمُ
كذا الآل والأصحاب ما قال قائل على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم

ويؤكد الشاعر على الأزمة التي تعرض لها العلم في القصيدة التي بين أيدينا وعنونها «غربة الدين»، وتحتوي على ثلاثة وعشرين بيتاً تعكس المأساة بشكل لا تستطيع أقلام المتأزمين والمتألمين أن تخط كلمات الضياع والتمزق لكونهم شخوصاً تتعذب أبداً، ولا تجد لعذابها حداً. إلا بانبعاث العلم من جديد، وشاعرنا أحد هؤلاء، ففتح قصيدته بالندبة والتفجع والتوجع على أمر مهم لدى النادب ألا وهو تفشي الجهل، وغربة العلم، فقد اندرست أعلامه، وأصبحت دياره خراباً، فلم يبق سوى الأطلال، ومن ذلك قول شاعرنا(٢):

واغربة الدين ! فاعجب من تغربه عن المصدق فضلاً عن مكذبهِ
ألا ترى الجهل بين الخافقين فشا والعلم أغرب من عنقاء مُغْرِبِهِ
أعلامه درست في كل ناحية والبوم يصدح في أعلى مخربهِ
فاندبه ندب محب للحبيب رثى بحرقة من فؤاد في تلهبهِ
لم يبق منه سوى الأطلال بالية فارحل إليه وبالغ في تطلبهِ

(١) الديوان، ص٤٢.
(٢) الديوان، ص٤٤.

ولدى شاعرنا رؤية خاصة في العلوم التي يجب الأخذ بها: علم الكتاب والسنة، وما سواهما فلا تذهب إليه، ومن ذلك[١]:

علم الكتاب وما سنّ الرسول لنا ... قولاً وفعلاً فانهل عذب صفوتهِ
فكل علم سوى القرآن زندقة ... إلا الحديث وفقه الدين فانتبه
ومن دعاك إلى غير الحديث فلا ... سمعاً لداع إلى قلوط مذهبه
علم الحديث سماء للعلوم به ... يسمو إلى المجد من يهدى بكوكبه

وفي الختام تضرع والتجاء واعتصام بخالق البرية بأن يثبت خلقه على دينه، ويغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم، ومن ثم يصلي على الهادي محمد ﷺ، وعلى أصحابه الكرام، ومن ذلك[٢]:

فأسأل من الله تثبيتاً ومغفرة ... ما سُمِّيَ القلب إلا من تقلبهِ
ثم الصلاة على الهادي وشيعته ... ما جاد مزن على الزيزا[٤] بصيبهِ

ويرثي شاعرنا عين نجم بعد أن هدمت بأمر الإمام فيصل، رحمه الله، ولكنه ندب لعرض عاطفة وانفعال المتعلقين بها من أهل الفسوق والعصيان، فقد كانت مرتعاً للهوهم ولعبهم، فبذلوا الأموال الطائلة لبناء تلك القبة، فتعرضوا لكارثة عندما حطمت، فبكوها بحرقة، وشاعرنا يعرض تلك المشاعر[٤]:

يا أيها العين كم تبكيك من عين ... هذا بذنب جرى أم نظرة العينِ؟
ألم تكوني لأرباب الفسوق ومن ... أراد لهواً ولعباً قرة العينِ؟
فيا خسارة من بالمال شيدها ... الدمع من عينه يجري على العين
ما نال أجراً ولم تحمد صنيعته ... بل صار يقرع بالخسران سنَّيْن
وبين حيطانها تبنى مزخرفة ... إذ جاءها الهدم بعد الكد والأَيْنِ[٥]

(١) الديوان، ص٤٤.
(٢) الديوان، ص٤٥.
(٣) الزيزاء ـ بكسر الزاي الأولى وفتحها: ما غلظ من الأرض.
(٤) الديوان، ص٣٥.
(٥) الأين: الإعياء وهو شدة التعب بعد الكدّ.

ثم يمدح الإمام فيصلاً إذ أمر بهدم تلك القبة بعد أن أخذ برأي هداة المسلمين، فهذا ينبعث من الحب والشوق إلى الله، فهو لا يقف عاجزاً أمام هذه الأستار، وإنما سعى لاجتثاثها وتمزيقها، حيث سل الحسام بعد اتخاذه للقرار والمشورة، فهو طبيب في رعيته، مبارك في أفعاله، حامٍ لدينه، متعقل في أموره، لا تأخذه في الله لومة لائم، إذ نصر دين الله والإيمان على الفسوق والعصيان، ومن ذلك قول شاعرنا[١]:

بأمر وال طبيب في رعيته ... مبارك الأمر محمود الفعالين
إذ قام يحمي من التوحيد جانبه ... وما أصاخ لأهل الزور والمين[٢]
لكن أطاع هداة المسلمين بما ... أفتوا، وسل حساماً ذا غرارين؟
لما رأوها كعين الشام قد فتنت ... قوماً فهدمها خير الفريقين
فقال كم قبةٍ للشرك قد هدمت ... بسيفنا في عمان والعراقين ؟!

وفي الختام يدعو له بعظيم الجزاء والرحمة من الله عز وجل على صنيعه[٣]:

جزاه ربي بنصر الدين نصرته
ونال من رحمة الرحمن كفلينِ

وإذا انتقلنا إلى رثاء المدن، وهو فن برز في العصر العباسي، فقد كان جديداً بكل معاني الكلمة، إذ إن علاقة الإنسان بالمدينة من قبل لم تتوطد بالشكل الذي توطدت به في العصر العباسي. هذا من جهة. ومن جهة أخرى لم تشهد المدن الإسلامية قبل هذا العصر من الدمار والتخريب ما شهدته بعض مدن العراق في هذا العصر حيث يرثيها العتري الوراق[٤]:

(١) الديوان، ص٣٦.
(٢) المين: الكذب.
(٣) الديوان، ص٣٦.
(٤) في الشعر العباسي، ص٣٤٢.

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ... ألم تكوني زماناً قرة العين؟!
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم ... وكان قربهم زيناً من الزين ؟!
صاح الغراب بهم بالبين فافترقوا ... ماذا لقيت بهم من لوعة البينِ

وجاء العصر الحديث، وكثرت فيه الكوارث والاضطرابات السياسية، ووجدت المقاومات بين المغتصب وبين صاحب الحق في الوطن،ولكننا لم نجد إلا قصيدة فريدة لا ثانية لها في الأدب السعودي كله، كانت في رثاء «الدرعية» التي تهدمت وسقطت على يد إبراهيم باشا بن محمد علي باشا في حربه مع عبدالله بن سعود..وكل ما جاء فيها أن صاحبها ابن مشرّف الأحسائي راح يتساءل أليل غشى الدنيا، أم الأفق مسوَّدُ بطبيعته، أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو، أم سُرْجُ نجدٍ من العلماء والشرفاء أطفئت، فأظلم لها الأفق، وادلهمت الدنيا ؟؟ ثم طفق الشاعر يجيب عن تساؤله بنفسه ويقول: نعم حدث كل هذا، فلقد كورت شمس الهدى، وبدا الردى حين حل بالشريعة خطب، وحين دمَّرت يد البغي دار العلم والنور. وظل يعدد ألوان المصيبة إلى أن تدرج إلى رسم ما آلت إليه حياة الناس من فوضى بعد دمار الدرعية[١]، ومن ذلك قوله[٢]:

أليل غشى الدنيا أم الأفق مسود ... أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو؟
أم السرج النجدية الزهر أطفئت ... فأظلمت الآفاق إذ أظلمت نجد ؟
نعم كورت شمس الهدى وبدا الردى ... وضعضع ركن للهدى فهو منهد
لدن حلَّ بالسمحاء خطب فأوحشت ... مساكنها وازور عيش بها رغد
تفرق أهلوها وسلّ على الهدى ... سيوف على هامات أنصاره تشدو
وفلّ حسام الدين، بل ثلَّ عرشه ... لدن غاب من آفاقه الطالع السعد

(١) الديوان، ص٥١، ٥٢.
(٢) الحركة الأدبية، ص٢٦٧.

بأيدي غواة مفسدين لقد عثوا وجاسوا خلال الدار وانتثر العقد
قضاء من الرحمن جارٍ بحكمه ولله من قبل الأمور ومن بعد
فآه لها من وقعة طارٍ ذكرها وكادت تميد الراسيات وتنهد
وفاضت دموع كالعقيق لما جرى وكادت لعظم الخطب تنصدع الكبد

أما أبناء الشيخ فهم والحمد لله، اقتفوا آثار والدهم، فقد دافعوا عن الدين بأعظم الآيات، وقضوا على الفتن والبدع والضلالات التي سادت ومن ذلك[1]:

وأبناؤه الغر الكرام قد اقتفوا محجته المثلى، وفي نصرها جدّوا
فكانوا إلى التوحيد يدعون دأبهم فكم قد أفادوا من يروح ومن يغدو
وكم سنةٍ أحيوا وكم بدعةٍ نفوا وكم شبهة جلوا وأبوابها سدوا
وكم فتنة جلت فجلوا ظلامها بنور الهدى حتى استبان لنا الرشد

فنلاحظ تكرار استعمال «كم» الخبرية التي تفيد كثرة ما فعلوا من المبرات، وكثرة ما قضوا من ضلالات.

وفي الختام كعادته الدعاء والصلاة على النبي وآله وصحبه والتابعين[2]:

وصل إله العالمين مسلماً على المصطفى ما حن في سحبها الرعد
كذا آله الغر الكرام وصحبه ومن لم يزل يقفو طريقتهم بعد

وفي الختام نلاحظ أن رثاءه تأثر بروح المدح في جل قصائده وافتقر لنبرة الحزن الصادقة والعميقة، فقد اقتصر في رثائه على أحد كبار الرجال وهو الإمام فيصل بن تركي، فكانت عباراته غير مبينة عما في نفسه من ألم، وعما شعر به من عظيم الملمة في وفاته.

(١) الديوان، ص٥٢.
(٢) الديوان، ص٥٣.

أما الرثاء الذي يشعل وجدان الإنسان، ويحرك مشاعر الحزن الصادقة بلا تصنع، فهو رثاء الأهل والبنين والأصدقاء، ورثاء الأحباب ممن يتصل بهم الشاعر، ولكن هذه الشخوص مفقودة في مراثيه، فأي إنسان لا يطيق فقد الحبيب ولا يصبر على موت العزيز أو القريب، فهو أشد أسىً، وأقوى حزناً، وأحد لوعة من فقد أي شيء آخر.

ومن المآخذ على شاعرنا أن الرثاء يكون بألفاظ مألوفة سهلة في وزن متناسب مقبول نفسياً إلا أن شاعرنا اقتصر على البحور الطويلة الرتيبة كالبسيط والطويل لتناسب جديد الموضوع نفسه، ولكن العلاقة بين الوزن والموضوع لا يمكن أن تكون محددة؛ لأن الوزن جزء من الشكل السنة للشعر وليس من الطبيعي أن يهيمن الجزء على الكل فيمنحه اللون الذي يريده.

- ٥ -

شعر الهجاء

الهجاء فن قديم قدم الشعر العربي، وهو فن عسير لا يقدر عليه إلا من منحه الله موهبة خاصة، ومن زود بمقدرة تتيح له أن يلمح الدقائق والجزئيات، ويبرزها بمهارة تستدعي السخرية والإضحاك [١]، فقد وجد منذ العصر الجاهلي، ووجوده أمر طبيعي مع وجود المديح، فحينما وجد أناس يستحقون المديح، وجد آخرون يستحقون الهجاء.. وقد تطور هذا الفن تطوراً كبيراً منذ الجاهلية[٢]، حيث حفلت الحياة القبلية بأنماط مختلفة من الصراع والخصومة والتنافس، تجاوبت أصداؤها في الشعر، وعبر عنها الشعراء مرّة بالفخر والمدح، وثانية بالوعيد والتهديد، وثالثاً بالسخرية والهجاء. وفي هذه الأغراض كلها كان الشعراء يفرغون ما تتركه في نفوسهم تجارب الحياة من عواطف الحب والكره والإعجاب والنفور والرضى والغضب[٣].

وربما كان الهجاء أعنف من المدح؛لأن طبيعة العاطفة التي يصدر عنها الهجاء متفجرة متنمرة متوهجة..والمجتمع البدوي المتنمر بصورة دائمة للهراش والمصاولة يتلقى هذه العاطفة كما يتلقى الهشيم اليابس الشرارة، فيحترق بها، ويحرق غيره، بالإضافة إلى أن سوق التكسب بالهجاء قليلة الحظ والرواج[٤].

---

(١) شعر الأسر والسجن في الأندلس، ص١٧٦.

(٢) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص٤٤٥.

(٣) غازي طليمات، وعرفان الأشقر . الأدب الجاهلي، ص١٧٩.

(٤) المرجع السابق، ص١٨٠.

وعندما أنخنا مطايانا في عصر صدر الإسلام لكشف لثام الهجاء فيه؛ فإننا نلاحظ أنه لم يحفل بالمعاني الدينية والأفكار الإسلامية، بل ظل الأسلوب كما كان جاهلياً في صميمه يعتمد التعيير بالأحساب والأنساب والعورات والمثالب؛ ولعل مرجع ذلك إلى أن قريشاً لا تفهم غير لغة واحدة، وهي اللغة الجاهلية بكل ما فيها من ذم وخزي[١]، لذلك عد فن الهجاء إثماً كبيراً لا يجوز أن يجري به لسان شاعر وبخاصة الهجاء المقذع، وفسر عمر بن الخطاب رضي الله عنه معنى الهجاء المقذع حين أطلق الحطيئة من سجنه بسبب هجائه للزبرقان بن بدر فقال له: «إياك والهجاء المقذع، قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين ؟ قال: المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف، وتبني شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم»[٢].

ويمتطي كاتبنا شوقي ضيف صهوة الجواد مرتسماً خُطا الهجاء في العصر الأموي حيث يقول: «العرب قبل عصر بني أمية لم يعرفوا هجاءً منظماً يستمر يومياً استمراراً متصلاً على نحو ما يستمر في عصرنا إخراج الصحف اليومية، إنما عرفوا هجاء متقطعاً يظهر من حين إلى حين تبعاً لنشوب حروب وأيام بينهم. فلما جاء العصر الأموي، واستقرت القبائل في مدينتي البصرة والكوفة، وعادت العصبيات، رأينا هذه القبائل تجتمع وتحتشد في المربد حول الشعر، يستمعون منهم إلى ما ينشدونه في الهجاء، وكأنهم وجدوا في ذلك لهواً لهم وتسلية، حينئذ يتحول فن الهجاء من فن وقتي متقطع إلى فن دائم مستمر يحترفه الشاعر[٣]، ولهذا أصبح الهجاء فناً مستقلاً يقصد الشاعر إليه قصداً، ويخصص له مقطوعة بعينها لا يشرك معه فيها غرضاً آخر من أغراض الشعر الأخرى[٤].

---

(١) الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، ص٢٢٣.

(٢) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، ص٤٤٦، العمدة، ج٢، ص٨٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص٤٤٦.

(٤) المرجع السابق، ص٤٤٦، وما بعدها .

ونلقي نظرة عابرة على العصرالعباسي، فنلاحظ أن الهجاء خرج عما كان عليه في العصر الإسلامي، فقد أخذ الشعراء يسرفون في الهجاء المقذع..والحق إن هذا اللون المقذع من الهجاء، الذي يتناول الأعراض، ويطعن في الأنساب، لم يكن جديداً في العصر العباسي، إذ عرفه العصر الأموي من قبل. لكن الجديد في هذا العصر هو ذلك الإفراط في ذلك اللون من الهجاء لدى الشعراء، وكثرة جريان الألفاظ البذيئة على ألسنتهم ببساطة عجيبة حتى في مجالس الخلفاء والأمراء والوزراء، دون أن يجدوا في ذلك ما يخدش الحياء[١].

ويحسن أن يبرأ الهجو من الفحش والسباب، وأن يخرج مخرج السخرية والتعريض[٢]، يرى أبو عمرو بن العلاء: «أن خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها»[٣].

ولو ذهبنا نبحث بين دفتي ديوان ابن مشرّف عن قصائد هجاء؛لوجدنا شاعرنا يترفع عن الجهر بالسوء..ويرى نقاد العرب أن الهجاء فن من فنون الشعر له رجاله الذين يجيدونه ويتقنونه، وليس بلازم أن يستطيع الإجادة فيه كل من يجيد المدح، ولهذا لم يقبلوا قول نصيب الشاعر، وقد قيل له: لم لا تهجو كما تمدح، وقد أقرت لك الشعراء بالمدح ؟ قال: تراني لا أحسن أقول مكان عافاه الله: أخزاه الله، ولكني أدع الهجاء لخلتين، إما أهجو كريماً فأهتك عرضه، وإما أهجو لئيماً لطلب ما عنده، فنفسي أحق بالهجاء، إذا سوّلت إلى لئيم[٤].

---

(١) الشعر العباسي، الرؤية والفن، ص٣٦١، وما بعدها .

(٢) الأسلوب، ص٨٨.

(٣) العمدة، ص٨٤٤، وأسس النقد الأدبي عند العرب، ص٢٥٣، وشعر علي بن المقرب العيوني، ص١٩٢.

(٤) أسس النقد الأدبي عند العرب، ص٢٤٩.

ولكن الأزمة والمحنة التي تعرض لها المجتمع في عصر شاعرنا دفعته إلى رفع السلاح وسن السنان في وجه الخصوم والارتكاز على الأرض استعداداً للنزال، فهجا مدافعاً ومنافحاً عن العقيدة الإسلامية،منتقداً ما تفشى في مجتمعهم من أمراض اجتماعية، مبيناً كيف انقلبت المثل والقيم رأساً على عقب حتى أصبح مجتمعهم في حالة من الانحطاط والفساد لا يحسد عليها، ومن ذلك ما حصل في عين نجم،حيث كان الناس يأتونها مستشفين لما تتميز به العين من مياه كبريتية حارة[١]، اعتقاداً منهم أن من به عاهة إذا اغتسل من هذه العين يبرأ[٢]، مع أن الذي يشفي هو الله جل جلاله، فخشي ابن مشرّف أن يقع الناس في الشرك، فطلب من الإمام فيصل بن تركي أن يأمر بردم العين، وهدم البناء حولها، ومن ذلك قوله ـ رحمه الله ـ يهجو عين نجم الواقعة في غرب الأحساء سنة ١٢٧٧هـ[٣].

ألا فاتركا عيناً تضاف إلى نجم ... فقبتها بالهدم أولى وبالرجم
لأن بها مأوى لمن يقصد الخنا ... وكم فعلوا فيها من الرقص والإثمَ
تشم بها الكبريت أخبث ريحه ... تضر، وطيب الريح أنفع للجسمَ
وهل ماؤها إلا حميم لحره ... يذيب الذي في الكليتين من الشحم
فيا طالباً منه الشفاء بزعمه ... جهلت، فما في مثل هذا سوى السقم
ولو كان في الماء الحميم لنا شفا ... لخص به أيوب يا عادم الفهم
ومن يعتقد فيه الشفا لم يزل على ... شفا جرف الإشراك جهلاً بلا علم
وإن ظنها تشفي العليل بسرها ... فهذا اعتقاد المشركين بلا وهم
وإن قال من باب التداوي فلم يصب ... فما هي كالحمَّام في الضبط والحكم

ومنه قوله[٤]:

(١) الحركة الأدبية، ص٦٦.
(٢) تحفة الألباء، ص٦٦.
(٣) الديوان، ص٣٤، ٣٥.
(٤) الديوان، ص٣٥.

ألم تكوني لأرباب الفسوق ومن ... أراد لهواً ولعباً قرة العين؟
فيا خسارة من بالمال شيدها ... الدمع من عينه يجري على العينِ
ما نال أجراً ولم تحمد صنيعته ... بل صار يقرع بالخسران سِنَّيْنِ

ونقف على قصيدة أخرى يذم فيها شاعرنا الدنيا، ويحذر منها بأنها خيال زائل كالسحر، ومتاع غرور لا يدوم، فالإنسان يقبل على متع الحياة الدنيا أشد إقبال وكأنها دائمة له، فينظر إلى الدنيا نظرة إعجاب وسرور، ولكن لا يلبث أن يكون سراباً، فإذا تعمقت في نظرتك، وشاهدت من حولك فسترى أنها مخادعة، فلا تخدعك ببريقها وجمالها؛ لأن فيها النقص، والسوء والرذيلة يقول شاعرنا(١):

وإياك والدنيا الدنية إنها ... هي السحر في تخييله وافترائه
متاع غرور لا يدوم سرورها ... وأضغاث حلم خادع ببهائه
فمن أكرمت يوماً أهانت له غداً ... ومن أضحكت قد آذنت ببكائه
ومن تسقه كأساً من الشهد غدوة ... تجرعه كأس الردى في مسائه
ومن تكس تاج الملك تنزعه عاجلاً ... بأيدي المنايا أو بأيدي عدائه

فهذه أفكار إسلامية استمدها شاعرنا من عقيدته ودراسته لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾(٢)، وقوله ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾(٣).

ولما كان المدح الجيد إنما يكون بالفضائل النفسية، فكذلك الهجاء الجيد إنما يكون بسلب هذه الفضائل، وهذا هو الأساس الذي وضعه قدامة بن جعفر للهجاء الجيد، وهو أن يعمد الهاجي إلى الصفات النفسية

---

(١) الديوان، ص٣٨.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

والفضائل الإنسانية، فيسلبها المهجو، وينفيها عنه، أما إذا سلب المهجو أموراً لا تجانس الفضائل النفسية كان ذلك عيباً في الهجاء مثل أن ينسب إليه أنه قبيح الوجه، أو صغير الحجم، أو ضئيل الجسم، أو مقتر، أو معسر، أو من قوم ليسوا بأشراف إذا كانت أفعاله في نفسه جميلة، وخصاله كريمة نبيلة، أو أن يكون أبواه مخطئين إذا كان مصيباً، وغويين إذا وجد رشيداً سديداً، أو بقلة العدد إذا كان كريماً، وعدم النضار إذا كان راجحاً شهماً، فلست أرى ذلك هجاء جارياً على الحق، فذلك رأي قدامة، فهو لا يرى الهجاء بما في الخلقة الجسمية من العيوب، وبما جاء من قبل الآباء والأمهات من النقص والفساد، لا يراه عيباً، ولا يعد الهجاء به صواباً(١).

فابن مشرّف سار على هذا المنهج فلم يهج أو يتطرق في أشعاره لعيوب الجسد؛ لأنها مفروضة على الإنسان لا قبل له بتركها أو إصلاحها، ومثل هذه العيوب ليست مما ينتقص بها الرجال، فهي خارجة عن إرادة البشر، وخاضعة لإرادة الله سبحانه وتعالى.

فشاعرنا هنا ابتعد عن زمرة العيوب الجسدية إلى العيوب النفسية حيث يهجم في بداية الأمر على نظم عثمان بن منصور فيقول: إنه لا يجد الصنعة، فنظمه ركيك، وأبياته مكسورة، ونستشهد على ذلك بقول شاعرنا(٢):

ركيك قواف صاغها فتكسرت ... وحاصلها كالعجل مستوجب الكسر
وقفت على نظم لبعض بني العصر ... تضمن أقوالاً بقائلها تزري

ويجمع شاعرنا بين المدح والهجاء في بيت واحد، فيهجو ابن منصور بأنه إنسان جاهل، غير ناضج العقل، فكلامه غير مقنع من خلال عرض الحجج

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب، ص٢٥١، وما بعدها، نقلاً عن «نقد الشعر»، ص١٨٧، أنظر «العمدة» ج٢، ص٨٥٢.

(٢) الديوان، ص٢٩.

والبراهين، بينما في الجهة المقابلة شخص قوي الشكيمة، بحر في العلم والثقافة والعقيدة لا يستطيع أي إنسان مباراته، فيركب شاعرنا هذا المعنى في صورة جميلة، حيث جعل كلام ابن منصور بمنزلة الجدول في جريانه وسعته، بينما الرد عليه بحر في عمقه فهي صورة تشبيهية جميلة أعطت الرد بياناً كاشفاً، حيث يقول شاعرنا(١):

إذا مبطل أجرى من الجهل جدولاً
أتاه بتيار من العلم كالبحر

ثم يتساءل شاعرنا ساخراً ومتعجباً في الوقت نفسه من ابن منصور كيف يهجو أهله وقومه ويثني على أراذل الناس، فقال(٢):

فما لابن منصور رأى هجو قومه ... صواباً فأزرى بالقريب وبالصهر
وأثنى على قوم طغام بكونهم ... بنوا في القرى تلك المساجد للذكر
ولم ينظر الشرك الذي فيهم فشا ... فكم قبةٍ قد شيدوها على قبر
وطافوا عليها خاضعين تقرباً ... إلى ذلك المقبور بالذبح والنذر
وكم سألوا الأموات كشف كروبهم ... ولا سيما في الفلك في لجج البحر
فزادوا على شرك الأوائل إذ دعوا ... سوى الله في حال الرخاء وفي العسر
وتخريجه للمسلمين مشبها ... لهم بالحروريين بالبغي والفجر
فياليت شعري هل تجاهل أو غوى ... فشتان ما بين الهداية والكفرِ

فنجد الإجابة في قوله(٣):

ولكنه أبدى موافقة العدا
ليثني عليه الخصم في ذلك القطر

ويصدح بنداء الهدى والحق، ولكن ليس من مجيب، فسبحان من طمس على سمعه وبصره، فتقلبت موازين الحياة عنده، فلا يميز بين الحق

(١) الديوان، ص٢٩.
(٢) الديوان، ص ٢٩، ٣٠.
(٣) الديوان، ص٣٠.

والباطل، ومن ذلك قول شاعرنا[١]:

وأصحابه يدعونه للهدى: ائتنا ... ولا داء أدعى للعناد من السكر
فسبحان من أعمى عيوناً عن الهدى ... وقد أبصرت والسمع ما فيه من وقر
ومن ينكر الشمس المنيرة في الضحى ... إذا لم يكن غيم وفي ساعة الظهر

ثم يصور هوان ابن منصور وضعفه وأصحابه في آخر القصيدة في قالب من السخرية والتهكم، فهو يهجو أسوداً أشاوس ممتلئين حيوية متفجرة، وطاقات مدمرة، فهل يرهبهم نباح هؤلاء الكلاب في الدور؟ بالطبع لا، فينقل شاعرنا ذلك بقوله[٢]:

فمن هجاهم بأفك غير ضائرهم
لا ترهب الأسد نبح الكلب في الدور

فنظم ابن مشرّف قصيدة قوية اللهجة يضرب فيها على يد ابن منصور لأنه - كما ذكرنا آنفاً - مدح قوماً أشركوا بالله، وابتعدوا عن طريق الحق، وخالفوا سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، فشاعرنا لا تأخذه في الله لومة لائم، يتصدى لكل مبتدع مخالف لشرع الله، فهذا ينم على تسرب أحاسيسه، وسريان حماسته، وتدفق عاطفته الصادقة، ونستشهد على ذلك بقوله[٣]:

غدا يهاجي إلى التوحيد مشتعلاً ... بمدح قوم خبيث فعلهم بور
قد خالفوا السنة الغراء وابتدعوا ... والشرك جاؤوا بحظ منه موفور
لم يسلكوا منهج التوحيد بل فتنوا ... بكل ذي جَدَثٍ في اللحد مقبور
هذا يطوف، وهذا في تقربه ... يأتي إليه بمنحور ومنذور
وذا به مستغيث في شدائده ... يرجو الإجابة في تيسير معسور

(١) الديوان، ص٣٠.
(٢) الديوان، ص٣٢.
(٣) الديوان، ص٣١.

فاحكم بتكفير شخص لا يكفرهم ... فالحق شمس وهذا غير معذور
واقذف جنود ابن جرجيس وشيعته ... بكل هجو بمنظوم ومنثور

ويرد شاعرنا على قصيدة عثمان بن سند البصري التي أقذع فيها بسب المسلمين؛ وذلك سنة ١٢٣٣ من الهجرة حين نزل إبراهيم باشا الدرعية، فصدرها بأبيات رثاء في الدرعية، ثم مضى في هجاء البصري، فهو في موقف دفاع عن دينه والذود عن حرماته، فوصفه بالوغد والحمق عندما قال[١]:

وقد أقذع البصري في ذم شيخنا
وأنصاره، تَبّاً لما قاله الوغد

ثم استرسل شاعرنا مدافعاً مجاهداً بلسانه، فوصفه وأعوانه بالعصابة المتمرسة التي تنتهك الحرمات في كل زمان ومكان فلا يستطيع أحد أن يكبحها، ولكن بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى: خرجوا من تلك البلاد بعدما دمروها، فتفشت الأمراض من زنى وخنا، وأفسدوا البلاد، فلا حدود تقام، ولا شرائع تحترم، فتغير الحال إلى أسوأ حال[٢]:

فلما مضت تلك العصابة لم يقم ... بِعَدلهم مَنْ ضمَّه الشامُ والسندُ
ولكن فشا فيها الزنى وبدا الخنا ... فلم تنكر الفحشا ولم يقم الحد
فكم فتنةٍ عمت ؟ وكم طُلَّ من دَم ... حرام ؟ وكم ضلت عصائب وارتدوا
وكم قطع السبل البوادي وأفسدواً ... فصاروا بها مثل الذئاب التي تعدو
فإن كان هذا عنده الدين والهدى ... فقد فتحت للدين أعينه الرمد

فكانت ميادينه صراعاً فكرياً عقائدياً تشهر فيه الألسنة، وتقدح القرائح، وترمى سهام الكلام، فكانت المعركة ترمي إلى مرمى واحد هو: الإجهاز على الخصم، وبالفعل هذا ما حصل عندما اعتصم الخصم بالبحر، ولكن أي بحر هذا إنه البحر الهائج الذي أغرقهم وبددهم، وقطعهم إرباً، فأصبحوا

---

(١) الديوان، ص٥٢.
(٢) الديوان، ص٥٢.

بعد ذلك مطعماً للحيتان والنسور والسباع وجميع الحيوانات المفترسة يقول شاعرنا[١]:

فولى العدا الأدبار إذ عاينوا الردى ... بطعن وضرب بالظبى والخناجر
فما اعتصموا إلا بلجة مزبد ... من البحر يعلو موجه غير جازر
فغادرهم في البحر للحوت مَطْعَماً ... وقتلى لسرحان ونمر وطائر

فابن مشرّف لم ينفصل عن مجتمعه، وشعره شاهد على صلته الحميمة به، فقد انتبذ كل ما يخالف العقيدة؛فالدين هو الباعث للنفس على اقتباس الفضائل، والرادع لها عن اقتراف المآثم، واجتراح الجرائم. فالعاطفة الصادقة لدى شاعرنا هي التي تدفعه إلى خوض حومات القتال بكتلة من أدنى الصفات الذميمة التي يصفع بها الشاعر مهجويه بالسفه والجهل والبغي، ومن ذلك قوله[٢]:

أذكى الجهول ضرامها لسفاهة ... كي يستضئ بنورها فبها صلي
قطع الذي أمر الإله بوصله ... فلأجل ذا أسبابه لم توصل
وجنى على الإسلام شَرَّ جناية ... فأقر عين أخي النفاق المبطل
فأحل منتهكاً لحرمة مسلم ... ملك فعوقب بالعقاب الأعجل
طلب العلو ببغيه وبظلمه ... جهلاً فرد إلى الحضيض الأسفل

ويقول في موضع آخر[٣]:

قل للسفيه ومن سعى في ثلبهم ... أنى تضر شوامخ الأعلام؟
لو كنت من أهل الوغى أبصرتنا ... ولقيت كل سميدع مقدَام

كما وسمهم بسمات أهل النفاق من غدر ونكث للعهود والأقوال الكاذبة، ومن ذلك قوله[٤]:

(١) الديوان، ص٦٩.
(٢) الديوان، ص٨٧.
(٣) الديوان، ص٩٩.
(٤) الديوان، ص٨٩.

فأهل العصر مثل الطير طبعاً ... بخفتها وأحلام السعالِ
فإن جربت أكثرهم تجدهم ... على صنفين: ختال وقال
علامات النفاق بهم تراها ... ثلاث هن من شر الخلال
خيانتهم وإخلاف لوعد ... وكثرة كذبهم عند المقال

وقوله أيضاً[1]:

فقل للبوادي: قد نكثتم عهودكم ... وذقتم وبال النكث وانكشف الأمر

ثم يصور شاعرنا ما يبذله الإمام من كرم يمتزج بالشهامة والبطولة والتضحية بكل غال ورخيص، فبذل العون للمحتاج، وإغاثة الملهوف واستجارة المستجير، ولكن كيف قوبل؟ فمن المتوقع أن يقابل بالشكر والعرفان، وتجتمع كل الفئات والأحزاب الإسلامية على تأييده والاستجابة لإمامته، ولكن الذي حصل هو عكس ذلك، فقد قوبل بالكفر والعدوان وخبث السرائر مما دفع شاعرنا، واضطره إلى هجائهم ونعتهم بالكفر والإشراك، حيث يقول في قصيدته[2]:

هموا بدلوا النعماء كفراً وجاهروا ... بظلم وعدوان وفعل الكبائر
فكم نعمةً نالوا وعزٍ ورفعةً ... على كل باد في الفلاة وحاضر
إذا وردوا الأحساء يرعون خصبها ... وفي برها نبت الرياض الزواهر
وكم أحسن الوالي إليهم ببذله ... وبالصفح عنهم في السنين الغوابر
وكم نعمةٍ أسدى لهم بعد نعمة ... ولكنه أسدى إلى غير شاكر
ومن يصنع المعروف في غير أهله ... يلاقي كما لاقى مجير ام عامر
لقد بطروا بالمال والعز فاجتروا ... على حرمة الوالي وفعل المناكر
فمدوا يد الآمال للملك واقتفوا ... لكل خبيث ناكث العهد غادر
وأبدوا لأهل الضغن ما في نفوسهم ... من الحقد والبغضا وخبث السرائر

(١) الديوان، ص٦٧.

(٢) الديوان، ص٦٨.

والصدق في الهجاء من أعظم أسباب قوته؛ لأن المرء يخشى أن يدرك الناس ما فيه من نقص حقيقي، فإذا أدرك الشاعر ذلك وأذاعه في الناس كان ذلك أشد إيلاماً للمهجو[١]؛ وهذا ما نلحظه في القصيدة التي بين أيدينا حيث يندفع شاعرنا كالسيل الجارف في استعراض قصة الحكيم الكوتي الذي سولت له نفسه سرقة وقف المسجد؛ وذلك عن طريق التزوير بالاتفاق مع جماعة من أصدقاء السوء، ولما فضح أمرهم استحكموا إلى القاضي، وعندما استنطق أزيل الستار وانكشفت الغيوم، فظهرت الحقيقة، فجاء دور شاعرنا فكساه أخلاقاً وصفاتٍ ذميمة منها: اللؤم، والتزوير، والكذب، والخداع، والاحتيال، وغير ذلك من الصفات المستقبحة، حيث يقول[٢]:

ماذا ترى في رجل لئيم ... يدعونه الجهال بالحكيم؟
أراد أن يسلب وقف المسجد ... لقلة التقوى وعظم الحسد
فاحتال مع جماعة في ورقة ... مكذوبة مصنوعة مخترقة
حوت لكل باطل مزيف ... مثل دم على قميص يوسفَ
فساقنا الشيخ إلى القاضي الذي ... قدمته أكرم به من جهبذي[٣]
أحضرنا واستنطق الخصم فما ... رأى لديه حجة واستعجما
حتى رآه مشبه المبرسم ... يهذي وما يحسن في التكلم
ولم يزل عن أمره يستخبر ... حتى بدا الأمر الذي لا ينكرَ
صك عليه ختم قاضي البلد ... لا يستطيع جحده من أحد
أثبت أن النخل وقف المسجد ... فزال ليل الشك والتردد
وقد أبان إنما الحكيم ... مزور، وإنه أثيمُ

فنلاحظ أنه أتى بهذه الأبيات على وزن الرجز حيث يتفق فيها الشطر الأول مع الشطر الثاني في نهايته.

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب، ص٢٥٤.

(٢) الديوان، ص١٠٤.

(٣) الجهبذي: الخبير بالأمور.

ويبلغ الهجاء مبلغه عند ابن مشرّف حيث يجسد شخصية المهجو ببعض الطيور التي تتصف بالضعف والجبن من بينها طائر النعام فعلى الرغم من ضخامة حجمه إلا أنه جبان، فعندما يشعر بالخطر يندفع شريداً في المفاوز يخشى الانقضاض عليه، فهو لا يستطيع منازلة الشجعان المندفعين مثل السهام، ونذكر قول شاعرنا ابن مشرّف[1]:

ولـوا سـراعاً هاربيـن كأنهـم ... نعـام تراهـم فـي المفـاوز شـردا
فحسـبك مـن أيـام نصـر تتابعـت ... علـى يـده ذلّـت بهـا سـائر العـدا
وكفت بها الأعراب عن سوء فعلهم ... ودان بهـا وانقـاد مـن قـد تمـردا

كما يصورهم بالخفافيش التي أعماها إشراقة الشمس، حيث يمضون نهارهم مختبئين غير قادرين على مواجهة الضوء، وعندما تدلهم السماء نجدهم يخرجون من مخابئهم حتى لا يراهم أحد، ولكن ما إن يعود النهار ويظهر النور حتى يهربوا إلى أعشاشهم من جديد، ومن ذلك قول شاعرنا[2]:

خفافيـش أعشـاها النهـار بضوئـه ... فوافقهـا مـن ظلمـة الليـل غيهـب
فظلت تحاكي الطير في ظلمة الدجى ... وإن لاح ضـوء الصبح للعش تهرب

فهنا كناية عن شدة خوف الخارجين عن الحق والهدى وجبنهم، فجاء بهذه الصورة الموضحة للمعنى المقصود.

كما أنه شبههم بالكلاب - كما ذكرنا آنفاً - التي تنبح، ولكن دون وقوع أي ضرر على الممدوح[3].

---

(١) الديوان، ص٥٧.

(٢) الديوان، ص٣٣.

(٣) المبحث نفسه، ص١٠.

ومما تقدم نستدل على أن الهجاء لدى شاعرنا ديني عقيدي يسير عبر الخطوط التي رسمتها الشريعة الإسلامية، ويتمثل ذلك من خلال التصدي لخصومه، والرد عليهم، وتوجيه أولئك الذين انحرفوا عن القيم الفاضلة.. فجند الشاعر طاقته لحرب العدو، وإصلاح الفساد، فلا يقول إلا مناضلاً ومدافعاً ومجنداً في سبيل الإسلام، ومبادئ العقيدة الإسلامية، مبتعداً من الأساليب الجارحة، وعن سبّ أعراض الناس، والطعن في الأحساب والأنساب، فكان هذا الضرب أرقى وأعنف أساليب الهجاء؛ لأنه إلى النقد التربوي أقرب، وبالتوجيه الخلقي أشبه، فيه نصح وإرشاد وتقويم وإصلاح، متجرد من الميل والهوى. ومما يدل على ما أسلفته رأي خلف الأحمر: أشد الهجاء أعفه وأصدقه[1]، فالدفاع عن العقيدة يعدل الحياة عند المسلم، بل إن الحياة كثيراً ما تبذل رخيصة في سبيل العقيدة، فهذا ما يدفع شاعرنا، ويدفع كل شاعر استحق أن يولد ويعايش دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، ويتصارع مع المشكلات الهدامة، ويبرزها، ومن ثم يشخص الأمراض ويداويها.

---

(١) انظر «النقد الأدبي عند العرب: ص٢٥٤.

- ٦ -

الغـــزل

كان الغزل في بداية نشأته مقدمة لقصائد المديح، وقلما استقل هذا الفن بقصائد على حدة في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام..ومنذ العصر الأموي أصبح الغزل جِنْساً أدبياً مستقلاً، وتنوعت فنون القول فيه، متأثرة بالبيئة الاجتماعية، وما كان لها من صدى في الحياة العاطفية إلى جانب القصائد المقصورة على هذا الجنس الأدبي.ظل المديح يفتتح كذلك بالنسيب على ما جرت به العادة منذ الجاهلية مع اختلاف في المعاني التي صورت بها العاطفة في العهدين[١].

أما في الشعر السعودي المعاصر، «فقد أصبح الغزل يشغل مكاناً واسعاً، حتى ليكاد يكوِّن شطر الإنتاج المنظوم. وهذه الثروة الشعرية أشبه ما تكون بالقطعة الذهبية ذات الوجهين نقش الشعراء على صفحتها الأولى عواطفهم الجياشة التي ابتعثها فيهم الحب، وما يؤدي إليه من وصل أوهجر، ومن سعادة أو شقاء، ومن لذة أو غصة»، وإن كان الغزل ليس هذا فحسب، وإنما له أغراض أخرى، وصوَّروا هذه العواطف، وسكبوا في تصويرها ملكاتهم ومواهبهم[٢].

أما الصفحة الثانية: فقد جمعوا عليها كل أغراضهم الأخرى، ونثروا في أطرافها كل الفنون والأغراض الثانية، كائنة ما كانت هذه الفنون والأغراض[٣].

---

(١) محمد غنيمي هلال . النقد الأدبي الحديث، ص١٨٢ .

(٢) الحركة الأدبية، ص٢٠٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٠٧.

فالغزل فن إنساني عام يعبّر عن هذه العاطفة الطبيعية الخالدة التي تصل بين الرجل والمرأة، وهو لذلك أسبق الفنون ظهوراً في حياة الشاعر -إلا ما ندر- وأبقاها وأدلها على دخيلة نفسه، وأخضعها لمقومات حياته[١]. وقيل لأبي السائب المخزومي «أترى أحداً لا يشتهي النسيب ؟ فقال: أما من يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا» [٢].

ويطلق على الغزل النسيب والتشبيب وكلها بمعنى واحد.. وأما الغزل فهو إلف النساء، والميل إليهن، والتخلق بما يوافقهن، وليس مما ذكرته في شيء فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ، وقد نبه على ذلك قدامة بن جعفر، وأوضحه في كتابه[٣].

وقد انقسم الشعراء في الجزيرة العربية إلى أقسام ثلاثة: فريق يعرض عن النظم في هذا الفن، ويأبى أن ينقل على لسانه قصيد فيه، اعتقاداً منه أن ذلك يهبط مقام الرجال، أو بسبب مركز اجتماعي يفرض عليه أن يكون جاداً بملكته العقل لا العاطفة، أو لأن أفراد هذا الفريق في واقع حياتهم لم تأسرهم عاطفة الحب لتفجير الشعر العربي في قلوبهم، وانطلاقه على ألسنتهم، أو ربما لهم فيه قصائد يحتفظون بها لأنفسهم، أو لمن يحبون، دون الناس جميعاً، ومن هذه الفئة الشيخ عبدالله بن خميس[٤].

---

(١) أحمد الشايب «الجارم الشاعر عصره، حياته، شعره» ص٦٣.

(٢) الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ج٢، ص٧٥٣.

(٣) المرجع السابق، ج٢، ص٧٥٣، و«نقد الشعر»، ص ١٣٤.

(٤) عبدالله بن محمد بن خميس، أحد أدباء الجزيرة البارزين، وأحد باحثيها المعنيين بآدابها ومعالمها، ولد بقرية (الملقى) إحدى ضواحي الدرعية سنة ١٣٣٩هـ. حفظ القرآن ومبادئ القراءة والكتابة والحساب، ثم التحق بدار التوحيد سنة ١٣٦٤هـ، ثم التحق بكلية الشريعة واللغة العربية في مكة المكرمة، عين مدير المعهد العلمي في الأحساء. له مؤلفات كثيرة، منها: «معجم اليمامة» و«المجاز بين اليمامة والحجاز» و«راشد الخلاوي»، و«الشعر النبطي»، وغيرها.

أما الفريق الثاني: فقد أوقف كل فنه على الغزل، ولم ينظم في الموضوعات الأخرى شيئاً أو نادراً، ومن هذا الفريق الأمير عبدالله الفيصل[١].

أما الفريق الأخير: فالغزل جزء من شعره، وتختلف كميته عند كل شاعر وهو يشكل الأغلبية العظمى، فأكثرهم جعلوه في مطالع قصائدهم، واتخذوه وسيلة يمتطونها للوصول إلى غرضهم، ومن هذه النخبة شاعرنا أحمد بن مشرّف[٢]. فنجده يفخر بأنه لا ينظم في هذا الفن[٣]، ومن ذلك قوله[٤]:

بـدا مـن أديـب لـم يقـل متغـزلاً
«عيون المها بين الرصافة والجسـر»

فلو استقرأنا ديوان شاعرنا لوجدنا أنه يضم أكثر من ألفين وخمسمئة بيت من الشعر في جميع الفنون، ولكن شعر الغزل فيه لا يتجاوز مئة وأربعة وثلاثين بيتاً على وجه التقريب، فهو شاعر مقل في هذا الغرض، فلا يعد الغزل غرضاً أصيلاً يقصد لذاته في شعر ابن مشرّف، ولم يخصص له قصائد مستقلة، كما أنه غزل تقليدي في مطالع القصائد، ولكنه لا يلتزم الابتداء به إلا قليلاً فقد صُدِّرَت اثنتا عشرة قصيدة من ديوانه بأرق وأعذب نسيب[٥]، ولكننا لا نجد فيه حرارة الغزل العذري وصدقه وصفاء عاطفته كما في شعر

(١) الأمير عبدالله الفيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ولد بالرياض، سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م)، وانشغل والده الشهيد في الحروب، وتركه في كنف جده، وبعد وفاة جده تولت والدته تربيته، وكان وحيدها، تلقى مبادئ القراءة والكتابة في نجد، وحفظ أكثر القرآن، ثم انتقل إلى الحجاز وشاهد والده أول مرة، وعاش في كنفه بقية عمره، وقد نال الشهادة الابتدائية، وكانت هي القسط المتاح من الشهادات آنذاك، أما دواوينه فهي «وحي الحرمان»، و «حديث قلب».

(٢) الحركة الأدبية، ص٢٠٩ وما بعدها.

(٣) ابن حسين . الأدب الحديث . ص١٣٩ .

(٤) الديوان، ص٣٠.

(٥) الأدب الحديث، ١٤٠.

المجنون وجميل بثينة، وكثير عزة؛ وذلك لأنه غير صادر عن عشق حقيقي، ولكنه غزل صُدِّر به المدح، فلم يكن مقصوداً بذاته، ويقول أحمد بدوي: «إن فقدان هذه العاطفة في الشعر يترتب عليه أن يصير الشعر جافاً؛ لأنه في تلك الحالة يخاطب العقل وحده، من غير أن يثير الشعور، ويبعث الوجدان فيكون مثله حينئذ مثل المسائل العلمية والقواعد النظرية، والنقاد يطلقون على مثل هذا الشعر الذي قلت فيه العاطفة.. أنه قليل الماء والرونق، يريدون به أنه ضعيف الحيوية، لا يبعث في النفس نشاطاً ولا بهجة؛ إذ إن الحيوية الدافعة والنشاط والبهجة من آثار العاطفة والوجدان»[١]. ولعله لم يعدّ ذلك غزلاً، لكونه جرى فيه مجرى الشعراء السابقين من اتخاذهم إياه وسيلة للوصول إلى الغرض المقصود[٢].، فهو يظل صورة لغزل الشعراء قبله، وذلك مثل قوله في مطلع قصيدة في الإمام فيصل بن تركي[٣]:

علـى الدوح قـد غنّى الحمـام وغرّدا	فجاوبـه السـدم المعنـى وأسـعدا
وهيـج أشـجاناً تقـادم عصرهـا	وجـدّد منهـا دارسـاً فتجـددا
وذكرنـي دار لميـة قـد نـأت	فبـت لذكراهـا بليلـة أرمـدا
فتـاة كأن الشـمس غـرة وجههـا	ومن شـعرها يبـدو لك الليل أسـودا
ويفضـح غصن البان فـي الميد قدها	ويحكي لك اللحظ الحسـام المهندا
فكـم قتلـت مـن عاشـقيها بحـدّهِ	وكم قد حمت من سلسل الثغر موردا
ولـو أنهـا كانـت بـأرض قريبـة	لآب إليهـا حبهـا وتـوددا
ولكنهـا بالصـد والبعـد قـد نـأت	فللـه مـا أقصـى المـزار وأبعـدا
فمـن مسـعدي مـن مبلـغ لوصالهـا	سـوى ماجد قـد حاز فخراً وسـؤددا
أخـو همـة في شـامخ العزّ قـد علت	فمن مثله في الفضل والبأس والندى

(١) أحمد أحمد بدوي . أسس النقد الأدبي، ص٥٠٨.

(٢) الأدب الحديث، ص١٤٠.

(٣) الديوان، ص٥٣.

أبو المجد وابن المجد والمجد أصله حليف العلا قد كان في الفضل أوحدا
إمام همام باسل باذخ العلا له بسطتا فضل وفصل على العدى

فإذا نظرنا إلى هذه القصيدة نجد أن الشاعر قد اعتمد في أوصافه على معان مكررة مطروقة، وتشبيهات مألوفة عند أغلبية الشعراء الجاهليين، ولكن عذره كان أنه ظهر في بداية النهضة الأدبية، وكل عصور الأدب كذلك، فهذا ينم على سعة ثقافة شاعرنا، واطلاعه على الموروثات، فنلاحظ القصائد التي ابتدأها بمقدمات غزلية وكأنها كيان واحد حيث توجد روابط بينها وبين ما يليها من أغراض، ونستدل على ذلك بقول الحاتمي: «من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم متصلاً به، غير منفصل منه، فإن القصيدة مثلها كمثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض - فمتى انفصل واحد عن الآخر، وباينه في صحة التركيب، غادر الجسم عاهة. تتخون محاسنه، وتعفي معالم جماله، ووجدت حذاق الشعراء، وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراساً يحميهم من شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان[1].

ويظل الغزل في مفتتح قصائد المدح عند شاعرنا ابن مشرّف وعند غيره من شعراء عصره، ويدلنا على ذلك ما ذكره أحمد بدوي في كتابه: بدأ معظم الشعراء قصائد مدحهم بالوقوف على الديار، والبكاء على الأطلال، وذكر الأحباب، ووصفهم، والحنين إليهم، ويرى ابن قتيبة: أن بدء العرب شعر مدحهم بذلك طبيعي لا شذوذ فيه، ولا يخالف ما ينبغي أن يكون للقصيدة من تناسق ووحدة، ويقول أيضاً: «سمعت بعض أهل العلم يقول: إن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فشكا وبكى، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان

(١) العمدة، ص٧٥٣، ٧٥٤.

نازلة الوبر في الحلول، والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتجاعهم الكلأ، وانتقالهم من ماء إلى ماء، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الشوق، وألم الوجد والفراق، وفرط الصبابة، ليميل نحو القلوب، ويصرف إليه الوجوه، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه؛ لأن النسيب قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وألف النساء، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقاً منه بسبب، وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب، والسهر، وسرى الليل، وإنضاء الراحلة والتحبيس، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وزمام التأميل وقدر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة، وهزّه على السماح، وفضله على الأشباه، وصغر في قدره الجزيل[١].

وإذا أقبلنا على شعر المديح لدى شاعرنا نجده يرسم لوحة رفيعة المستوى، حيث تصور المثل العليا للإنسان المثالي الفاضل كامل الخلق، وكيف لا؟ وهو هنا يمدح سيد الأنام محمداً ﷺ، ولكنه سار على شاكلة الشعراء القدامى، فصدرها بالنسيب حيث يمتد إلى اثني عشر بيتاً، فذكر الصفات المتداولة للمحبوبة من شعر فاحم كأنه الليل، ووجه مضيء كانفلاق الصبح، ويتحول إلى معاناته من لوعة وفراق وشوق وصبابة وخضوع تام لمن يحب، وصدرها بقوله[٢]:

بات ساهي الطرف والشوق يلح
ولبحر الدمع من عينيه سفح

إلى قوله[٣]:

---

(١) أسس النقد الأدبي، ص١٨٢ وما بعدها .

(٢) الديوان، ص٤٩.

(٣) الديوان، ص٤٩.

تيمت قلبي فتاة حسنها ... كل حسن عنده يعلوه قبح
شعرها ليل وصبح وجهها ... فتعجب من دجاء مَعْهُ صبح
هيمت قلبي فأضحى بعدها ... للساني في بحور الشعر سبح
عذّبت بالهجر صبّاً مولعاً ... إنما الهجران للعشاق ذبح
طفلة جمّلها حسن البها ... لا مقاليد وأقراط ووشح
بل بها الحلية قد زانت كما ... زيّن الشعر لخير الخلق مدح
أحمد الهادي إلى سبل الهدى ... كم بدا منه لأهل الأرض نصح
هاشمي قرشي طاهر ... حسن الأخلاق زاكي الأصل سمح
جاء بالدين الحنيفي وقد ... طبق الأرض من الإشراك جنح
فأرى الناس الهدى بعد الردى ... فإذا الحق تجلى منه صبح

وقد حفل شعره بإيراد مظاهر الوجد والصبابة وبقايا ذكراها في النفس، والوقوف على آثار ديارها..وهي معان أفاض فيها الجاهليون ومن تبعهم،مما ينم على مكانة هذه العاطفة في نفس العربي. ونجد شاعرنا قد استهل قصيدته بالحنين والشوق، ولا سيما حين يعرض لآثار ديار المحبوبة ورحلتها، وكيف تحولت من أنس إلى إقفار، ومن جدة إلى بلى،بعد أن عبثت بها عوامل الطبيعة من رياح عاتية، وأمطار غزيرة، فلم يبق إلا موقد النار وموضع الظعن، ومن ذلك قوله[١]:

أراك بشكوى الهجر تهذو وتطنب ... وتبكي على أطلال سلمى وتندب
وتستوقف الركب المجدين في السرى ... على دارس الأطلال والدمع يسكب
تذكرت لما أن أهاج لك الأسى ... دياراً تعفيها جنوب وهيدب
فأضحت رسوماً باليات كأنها ... من الدرس خط في الصحائف يكتب
محا رسمها ذاري الرياح وهامع ... من المزن سحّاً ودقه[٢] يتحلب

---

(١) الديوان، ص٣٢.
(٢) ودقه: مطره.

فلم يبق إلا موقد النار للقرى ... وموضع أطناب[١] الخِبا، حين يضرب
كأن لم يكن فيها أنيس ولم تكن ... بها الكاعب الحسناء للذيل تسحب
ولم تسرح الأنعام بين مروجها ... ولم يلتق الحيَّان: بكرٌ وتغلبُ
تسائل عن إلف نأى كُلّ راكب ... وما صاحب الأشجان إلا معذب
لريح الصبا تصبو وتعروك هزة ... إذا ذكرت سُعْدَى لديك وزينب
وتعجب مني إن عذلتك في الهوى ... وعشقك بعد الشيب في النفس أعجب

وإذا تحولنا إلى قصيدة أخرى حيث بلغ النسيب فيها سبعة عشر بيتاً يتساءل في مستهلها شاعرنا كيف يصبر على حب ملأ قلبه واستعذبه وصيَّره إلى نحول ومحول، فالعيون باكية ساهرة، حرمت لذة النوم، ترقب النجوم، ولا يعلم أحد ما يكبّده هجرها من مشاق، فمن الطبيعي كذلك أن يذكر أحبابه الذين فارقهم إذا هب النسيم محملاً بشذى عطر يرد الروح إليه، كما أنه إذا لمع البرق من ناحية نجد، فإن قلبه يضطرب شوقاً إلى من فارقهم، فمن المتوقع أن يقف الشاعر على ديار من يهواه وقد خلت من أهلها ولم يبق إلا أسفه وندمه عليها.. وينتقل الشاعر إلى وصف حبيبته بصفات جسمية، ويصور جمالها في شعره كما هي عادة الشعراء، فمن هذا ماذكره لنا قدامة: «وقد يدخل في النسيب التشويق والتذكر لمعاهد الأحبة، بالرياح الهابة، والبروق اللامعة، والحمائم الهاتفة، والخيالات الطائفة، وآثار العافية، وأشخاص الأطلال الدائرة،وجمع ذلك إذا ذكر احتيج أن تكون فيه أدلة على عظيم الحسرة، ومن معنى الأسف المنازعة[٢].

ويقول أبو هلال العسكري: ويستجاد التشبيب أيضاً إذا تضمن ذكر التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة، بهبوب الرياح، ولمع البروق، وما يجري مجراها من ذكر الديار والآثار[٣]. ونستشهد بقصيدة ابن مشرّف حيث

---

(١) أطناب: جمع طنب: وتد الخيمة الذي تشد عليه وبه الحبال.

(٢) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص١٣٥، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص١٥٥.

(٣) نقد الشعر، ص١٣٤، وأبو هلال العسكري. «الصناعتين» ص١٢٩، وأسس النقد الأدبي عند العرب، ص١٥٥.

يقول[١]:

أأسلوا وقلبي للغرام غريم؟ ... وجسمي كطرف الغانيات سقيمُ؟
ولي مقلة لا يقلع العذل دمعها ... وقلب إذا جن الدجاء يهيمُ
أبيت أراعي أنجم اليل ساهداً ... كأني إذا جنَّ الظلام سقيمُ
وأصبو إلى ريح الصبا كلما صبت ... وجاد بأنفاس الحبيب نسيم
وأسعد قمري الحمام بنوحه ... كأني لسجاع الحمام حميم[٢]
واُهتزّ شوقاً كلما لاح بارق ... من العارض النجدي حين أشيم[٣]
ولوعاً بسلمى حين شطّ مزارها ... وحالت وعود دونها وحزوم[٤]
وقفت على الأطلال أبكي ومابها ... سوى ندمي عند الطلول نديم
فتاة تضاهي البدر حسنا، فمثلها ... إذا قستها بالغانيات عديم
إذا أقبلت قلت: الصباح لنا بدا ... وإن أدبرت قلت: الدجاء بهيم
كأن ظلام الليل خيم جنحه ... على الشعر أو مد الجناح ظليم
لقد أسقمت منها جفون سقيمة ... ومذ كلمتني فالفؤاد كليم
وقد أوقدت نار الصبابة في الحشا ... وأحشاؤها مثل الحرير هظيم
لقد منحتني في الشبيبة وصلها ... وقدي كعود السمهري قويم[٥]
فلما علا رأسي البياض تباعدت ... وذو الشيب عند الغانيات مشوم
فأصبحت مأسور الفؤاد بحبها ... وما ذاك من كيد النساء عظيم
فما بالها تصبو إلى كل يافع ... وتهجر شيخاً والداه تميم؟

(١) الديوان، ص٩٣، ٩٤.

(٢) حميم: محب ولهان.

(٣) أشيم: اتجه نحو الوشم.

(٤) حزوم: جبال.

(٥) السمهري، نسبة إلى رجل يسمى «سمهرة» كان يقوم الرماح. فعرفت رماحه بالصلابة، وامرأته «ردينة» تنسب إليها الرماح أيضاً، والأوتاد الشديدة يقال فيها «سمهرية».

ويرى الأستاذ حامد عبدالقادر «أن المثير الحقيقي لعاطفة الحب، هي الحبيبة،وأطلالها هي المثير المصاحب، فإذا بعدت الحبيبة عن الشاعر.. فديارها قد حلت محلها في إثارة عاطفة حبها.. ومرت على ذلك الأيام حتى صارت الحبيبة وديارها وحدة متماسكة الأجزاء، فإذا كان جزء قد رحل، فإن الجزء الأخير قد حل محله[١]».

وأسلوب الرسم المعنوي والحسي كان موجوداً عند معظم شعراء العصر الجاهلي، فكثر في الشعر العربي التصوير كثرة غامرة لتجعل المنظر بارزاً ناطقاً. وتتمثل هذه الأوصاف في المرأة حيث شبه الوجه بالشمس والبدر، والثغر بضوء البرق أو نبات الأقحوان، وشبه طعم ريقها بالشهد والعسل، وشبه شعرها بالليل الداجى، وجيدها بجيد الظبية، وخفتها ورشاقتها وجمال مشيتها بالغزالة، وقوامها بغصن البان، وشبه أنفها بحد السيف وعيناها بعيني المهاة تصيب بسهامها كل من يراها فتقتله، وهكذا نجد أنها تتفق - إلى حد كبير - مع الأوصاف المادية التي غلبت على الشعر الجاهلي حيث يقول الدكتور شوقي ضيف: «ونراهم يقفون عند المرأة فيصفون جسدها، ولا يكادون يتركون شيئاً فيها دون وصف له، إذ يتعرضون لجبينها وخدها وعنقها وصدرها وعينها وفمها وريقها ومعصمها وساقها وثديها وشعرها، كما يتعرضون لثيابها وزينتها وحليها وطيبها وحيائها وعفتها[٢]».

ومن ذلك قول ابن مشرّف في قصيدته تحريضاً للإمام على كفّ الأعراب عن الفساد والانتهاب، وقد صدرها بتسعة أبيات رائعة في الغزل[٣]:

(١) سعد إسماعيل شلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، ص١٤٠، وحامد عبدالقادر، دراسات في علم النفس الأدبي، ص٥٦.

(٢) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص٢١٢.

(٣) الديوان، ص٨١.

أتنكـر رسـم الـدار أم أنـت تعـرف ... لدن قمـت بالأطلال والعين تذرف؟
ديار لسـلمى قـد محا رسـمها البلى ... وغيرهـا وَبْـل مـن المـزن يَنْطُـفُ[١]
كأن لـم تكـن مغنًـى لبيـض أو انس ... بهـن غـزال أحور[٢]الطـرف أهيـف
فتـاة كأن البـدر غـرة وجههـا ... سـوى أنـه حينـا إذا تـم يكسـف
تـرى الصبـح يبدو نـوره مـن جبينها ... وفي شـعرها جنح مـن الليل يعكف
وقـدّ يَقُـدّ العاشـقين قوامـه ... كمثـل قضيب البـان بالريـح يعطف
وطرفٍ سـقيم اللحظ كم أسقمت به ... محبـاً نحيفـاً جسـمه فهـو مُدْنـفُ
وأنـفٍ كحـد المشـرّفي حمـت بـه ... رحيـق رضـاب طيّـب حين يُرشـف
فما بـال من لا يعرف الوجد والهوى ... يلـوم علـى وجـدي لهـا ويُعنـف

وفي قصيدة أخرى مماثلة يبدأ ابن مشرّف مديحه بمقدمة غزلية أطال فيها النفس، حيث تستغرق ثلاث عشر بيتاً، يخرج الشاعر مما بدأ كلامه به من النسيب إلى المدح بلطف تحيل مع رعاية الملاءمة بينهما، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني؛لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما قد أفرغا في قالب واحد، فلا يكاد السامع يفرغ من التشبيب حتى يجد نفسه قد انتقل إلى الغرض الذي أنشأ الشاعر له قصيدته[٣]، فمن ذلك قول المتنبي[٤]:

خليلـيَّ، إنـي لا أرى غيـر شـاعر ... فكـم منهم الدعوى، ومنـي القصائد
فـلا تعجبـا، إن السـيوف كثيـرة ... ولكـنَّ سـيف الدولـة اليـوم واحـد

ومما نقل ابن رشيق قول الحاتمي - سبق ذكره -. ومن ذلك ما قاله ابن مشرّف يمدح الإمام فيصلاً، وقد ألبسه الملك والشجاعة، وأسبغ عليه

(١) ينظف: يندفع.
(٢) أحور: حور الطرف أي العين: وهو بياض ناصع، وسواد شديد مع الاستدارة، والكحل الطبيعي.
(٣) أسس النقد، ص٣٠٨.
(٤) ديوان المتنبي، ص٢٠٥.

صفات الأشاوس الذين لا يهابون الموت؛ ليوث في ساحة الهيجاء، وليس هذا فحسب، بل محبٌ للخير فهو جواد كريم كالغيث في وقت الجدب[١].

قل للمليحة في القميص الأحمر[٢] ... ماذا فعلت بعابد متبصر
مازال يدأب في العبادة طالباً ... للعلم غير مفرط ومقصر
ترك الصبابة للصبا متسلياً ... عن ذكر كل غزالة أو جؤذر
حتى وضعت عن محياك الغطا ... فانجاب عن بدر منير مقمر
ونشرت فرعاً مثل ليل فاحم ... لولا مجاورة الصباح المسفر
فدهشت من ذاك الجمال وحسنه ... ووقفت وقفة مولع متحيِّر
حسن به شغف الفؤاد وهاج لي ... شجنا فقلَّ تجلُّدي وتصبري
سقت إلى الجسم السقام وراءه ... من ذلك الطرف السقيم الأحور
سبحان من وهب المحاسن من يشا ... سبحانه من خالق ومصور
ياكاعباً تحمي بصارم أنفها ... من كل صادٍ وَرْدَ ماءِ الكوثر
شهد الرضاب وفيه خمر مسكر ... ياهند إن لم تسمحي لم أصبر
كلمتها من بعد تكليم الحشا ... فيصيب قومَكِ سطوةٌ من قَسْوَرِ
لا تتلفي بالصَّدِ مهجة مغرم ... للمجد حتى حل فوق المشتري
من فيصل ملك الجزيرة من سماً ... ليث وغيث للمقل المعسر

(١) الديوان، ص٧٠.

(٢) في هذا البيت بدأ بالتضمين حيث أخذ أبياتاً لأحد شعراء المدينة القدامى،حيث ورد أحد التجار إليها ومعه أنواع وألوان من «أخمرة» النساء فبيعت كلها ماعدا الخمار الأسود، فحزن التاجر، فأراد الشاعر أن يخفف عنه، فصنع أبياتاً في هذا الخمار الأسود هي:

قل للمليحة في الخمار الأسود ... ماذا صنعت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه ... حتى خطرت له بباب المسجد
ردي عليه صلاته وصيامه ... لا تفتنيه بحق دين محمد

فلما سمع الناس هذه الأبيات ذهبت النساء إلى هذا التاجر ليشترين هذه الخمر السوداء «فأخذ يغالي في الثمن حتى ربح كثيراً .. الأبيات في المستطرف لبهاء الدين محمد أحمد الأبشيهي.

نصر الهدى وحوى الشجاعة والندى   ذو همة بتطاول لم يقدر
أضحى بخير أرومة لورامها   والراحة الأخرى كمزن ممطر
كَفَّاهُ: كفٌّ قد كفت أعداءه   فالثم ولا حرج بذاك المسكر

وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم، وتحلو في أفواههم، فهم كثيراً ما يأتون بها زوراً نحو: ليلى، وهند، وسلمى، ودعد، ولبنى، وعفراء، وأروى، وريا، وفاطمة، ومية، وعلوة، وعائشة، والرباب، وجمل، وزينب ونعم، وأشباههن[1].

وقد تغزل شاعرنا ابن مشرّف بأسماء بعض النسوة أمثال سعاد، ومي، وهند، ولمية، وسعدى، وزينب، ولكن ليست هناك علامة حب بينه وبينهن، وإنما هي أسماء رمزية لا وجود لها في الحقيقة، ومع ذلك فقد كانت «سلمى» مداراً لست قصائد في ديوانه، كما أنه يكني في موضوعات أخرى بغزالة وجؤذر، ومليحة، ومن ذلك قوله في سلمى[2]:

علام تلوم في سلمى علاما
وقد شغف الفؤاد بها وهاما

وفي موضع آخر يذكر نسبها ومحل إقامتها فيقول[3]:

وقد أصبحت سلمى بأبعد شقة   يكل لها كوم المطي وهازلُهْ
تميمية حلت بتيما ودونها   من الجبل الطائي قفار وحائله

كما يأمر بتكرار اسمها فهو يتلذذ بذلك[4].

فكرر ذكرها فلذاك عندي
ألذ من المدامة للندامى

---

(١) العمدة، ج٢، ص٧٦١.

(٢) الديوان، ص٩٢.

(٣) الديوان، ص٩٠.

(٤) الديوان، ص٩٢.

كما حازت بعض الأسماء موضعاً واحداً من ديوانه منها سعاد وهند ولمية، ومن ذلك قوله[١]:

كلمتها من بعد تكليم الحشا
يا هند إن لم تسمحي لم أصبر

وإذا انتقلنا إلى مواطن جمال المرأة وفتنتها،فقد أولاه شاعرنا عناية خاصة، فأخذ يصف لنا كل جزء من وجهها، ومقدار ما به من جمال ومدى تأثيره، فهو يستوفي كل تفاصيله الدقيقة، وكأنه يرسم لنا لوحة فنية يبرز من خلالها مواضع معينة محسوسة من حبيبته، فوجهها يشع نوراً وكأنه الشمس المشرقة، كما أنه صاف نقي مثل صفاء الصبح، ويضاهي البدر ليلة تمامه.. فأورد شاعرنا ذكر الوجه في سبعة مواضع أولها: يشبهه بالصبح ولكن الصبح هو الذي يستمد بياضه من وجهها حيث يقول[٢].

الصبح من وجهك الأسنى الصبيح بدا
والشعر داج بظلماء وديجور

وفي موضع آخر يقول[٣]:

فتاة يريك الصبح غرة وجهها
ويبدو الدجى من شعرها المتجعد

ويجمع بين البدر والصبح في ثلاثة مواضع، فيصفها بصفات الجمال الحسية..واتجه في هذا الوصف إلى أسلوب التشبيه المقلوب، ففيه توكيد على حسنها أكثر من البدر؛ فإن البدر؛ أحياناً إذا اكتمل فإنه ينكسف أما هي فتشع نوراً على الدوام حيث يقول[٤]:

---

(١) الديوان، ص٧٠.
(٢) الديوان، ص٣١.
(٣) الديوان، ص٦١.
(٤) الديوان، ص٨١.

فتاة كأن البدر غرة وجهها ... سوى أنه حيناً إذ تم يكسفُ
ترى الصبح يبدو نوره من جبينها ... وفي شعرها جنح من الليل يعكف

وفي موضع آخر[١]:

فتاة تضاهي البدر حسناً فمثلها ... إذا قستها بالغانيات عديم
إذا أقبلت قلت: الصباح لنا بدا ... وإن أدبرت قلت: الدجاء بهيم

وفي موضعين آخرين يجمع بين الشمس والبدر فنجده يبدأ بأسلوب استفهام فيه تعجب وحيرة، فهو يتشكك فيما رآه أهو شمس أم بدر فهو غير متأكد، ولكنه ظهر من ظلمه، فأضاء الدنيا، ومن ذلك قوله[٢]:

أشمس تجلت من خلال السحائب ... أم البدر جلَّى حالكات الغياهب

ومن المبالغات: أنها عندما تظهر تحجب ضوء القمر فلا يبقي إلا ضوؤها[٣].

فتاة كأن الشمس غرة وجهها ... فأنى يبين البدر حين تقابله

كما أنه يجمع بين الوجه والشَّعر في ثمانية مواضع، فيجعل وجهها كفلق الصبح، وشعرها كقطعة من الليل المظلم..فإذا أمعنا النظر في هذه الصورة وجدنا أنها صورة تفوق الخيال، فهو يحاول إبراز نور وجهها من خلال السواد الذي يحيط به من جميع الجهات، وكأنه ظلام مع صبح في آن واحد، حيث يقول[٤]:

شعرها ليلٌ وصبحٌ وجهها ... فتعجب من دجاء مَعْهُ صبحُ

---

(١) الديوان، ص٩٣.
(٢) الديوان، ص٤٦.
(٣) الديوان، ص٩٠.
(٤) الديوان، ص٤٩.

ثم يدنو الشاعر من الوجه ويحدق فيه جيداً، ويبدأ بوصف جميع أجزائه، وتفاصيله الدقيقة وكأن الشاعر نحات لا يصنع قصيدة، وإنما يصنع نموذجاً للجمال، ويعنى عناية خاصة بالمواطن التي تؤثر فيه حيث يقول أحمد أمين في موسوعته: «ويجب أن ننبه إلى شيء هام وهو أن الأديب والفنان على العموم لا يستطيعان أن يقصا تفاصيل الشيء جميعها إنما يتخيران منها ما يعدانه موضع التأثير، وبهذا يختلف الفنانون، فإن الأشياء لا تقع في نفوسهم موقعاً واحداً، بل قد يتأثر كل بناحية غير التي يتأثر بها الآخر، فيخرجها كل كما تأثر بها، وهذا ما يصبغ فنه بالكمالية، فهو لا يخرج الشيء كما هو في الخارج، ولكن كما يتصوره، ويتخيله، ويتأثر به، فكثير من الأشياء كغروب الشمس في البحر، ومنظر البحر، يوحي إلينا معاني من الجمال أكثر مما هي في الواقع، فالأديب يشعر بها ويخرج أثره الفني ممزوجاً بهذا الشعور[١]: فشاعرنا هنا تحدث عن جمال ثغرها، فعندما تبتسم كأن البرق يضيء منه، فيكشف عن جمال كان مستوراً، ومصدر هذا الجمال تلك الدرر المتراصفة ذات اللمعان والبياض الشديد ألا وهي الأسنان، وليس هذا فحسب ،فإن ريقها حلو المذاق عذب وكأنه العسل المصفى حيث يقول[٢]:

يريـك ابتسـاماً لامـع البـرق ثغرهـا
ويسـفر عـن شـهد ودُرٍّ منضـدِ

كما أنها تحافظ على عفتها وطهارتها ولا تسمح لأي شخص الورود إلى ثغرها، فهي من بيئة عربية محافظة لها عاداتها وتقاليدها وأعرافها وأهم من هذا وذاك لها دينها الذي يحرم هذه الأمور، فهي متمسكة بذلك كله، إذ إنها تقوم بحمايته عن أي شخص، ومن ذلك قول شاعرنا[٣]:

---

(١) أحمد أمين، النقد الأدبي، ط١، ص٩٩.

(٢) الديوان، ص٦١.

(٣) الديوان، ص٧٠.

يا كاعباً تحمي بصارم أنفها
من كل صاد ورد ماء الكوثر

وإذا تركنا التغزل المعنوي إلى التغزل الحسي،فإننا نجد جذوره قد وجدت عند إمرئ القيس في العصر الجاهلي، وعمر بن أبي ربيعة في القرن الأول للإسلام.. وقد بلغ في القرن الثاني درجة التهتك مع الانتشار الواسع؛ بسبب التأثيرات الاجتماعية القوية، وشيوع المجون والخلاعة بين الطبقات المختلفة.

فإذا تأملنا البيت الذي أورده ابن مشرّف في قصيدة يمدح فيها الإمام فيصلاً، فهو يحمل نفس المعاني السابقة»، الألفاظ الحسية التي ساقها الشعراء القدامى، ومن ذلك[1]:

وأنف كحدِّ المشرفي حمت به
رحيق رضاب طيِّبَ حين يرشف

فهنا يأمره بأن يعانقها ويقبلها ويتذوق ريقاً حلواً..ولكن هل يعقل هذا من شاعر عاصر دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب وعاش زمن اضطرابات، فلا بد من نظرة فاحصة متأنية قبل الحكم على شاعرنا من خلال إيراد الأبيات، وما تليها، لكي تتضح الرؤية[2].

فكن طالباً للعلم حق طلابه — مدى العمر لا يوهنك عن ذلك السأمُ
وهاجر له في أرض ولو نأت — عليك فإعمال المطي له حتم
وأنفق جميع العمر فيه فمن يمت — له طالباً نال الشهادة لاهضم
فإن نلته فليهنك العلم أنه — هو الغاية العلياء واللذة الجسم
فلله كم تفيض من بكر حكمة — وكم درة تخطو بها وصفها اليتم
وكم كاعب حسناء تكشف خدرها — فيسفر عن وجه به يبرأ السقم

(١) أسس النقد الأدبي، ص١٨٢ وما بعدها.
(٢) الديوان، ص٤١، ٤٢.

فتلـك التـي تهـوى ظفـرت بوصلها   لقـد طال مافـي حبها نحف الجسـمُ
فعانـق وقبل وارتشـف مـن رضا بها   فعدلك عن وصل الحبيب هو الظلم
فجالس رواة العلم واسـمع كلامهم   فكـم كَلِـم منهـم بـه يبـرأ الكَلْـمُ
مجالسـهم مثـل الريـاض أنيقـة   لقد طاب منًها اللون والريح والطعم

فإذا تأملنا أبيات شاعرنا نجده صور المعنى الجميل بصورة المرأة الحسناء التي تكشف الستور، فنرى وجهها الجميل يضيء بمفاتن الحسن التي تشفي العلل والأسقام، فهذه صورة قوية البيان توضح ما فعله المعنى حينما يكشف لطالب العلم؛ لذلك جاء بصيغة الأمر للإرشاد: فعانق وقبل وارتشف دعوة صريحة لطالب العلم أن يقبل على العلم ومجالسه ليتلذذ بما سيجده من رياض جميلة المنظر، ورائحة زكية، وطعم رائق. ويمزج الغزل أحياناً بوصف الخمرة كعادة كثير من الشعراء القدامى والمحدثين جميعاً، فإن الخمرة في العصر الجاهلي كانت جزءاً من حياة العرب يقبلون على شربها على اختلاف طبقاتهم دون تحرج، ويصفونها في شعرهم بوصفها مظهراً من مظاهر الفتوة والكرم وسماحة النفس.. فقالوا «إنها حمراء، وإن ريحها طيب فواح كالمسك، وإنها معتقة، وشبهوا بها رضاب صواحبهم، ووصفوا الساقي الذي يحملها في بعض الأحيان، وعندما جاء الإسلام حرم الخمر، وفرض على أتباعه الامتناع عن شربها[1].

ويبرز هذا المعنى في بيت شاعرنا حيث وصف طعم ريقها بالخمر ويدعو إلى ارتشافه وهو يجد فيه لذة الشرب، ولذة الحب حيث يقول[2]:

شـهد الرضـاب وفيـه خمـر مسـكر
فالثـم ولا حـرج بـذاك المسـكر

ويعرض عذره على العذال، حيث يصف أثر الخمر في عقول شاربيها، وما تحدث في قلوبهم من نشوة، فكذلك المحب يؤثر حبه على قلبه وعقله،

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص٥٠٠، وما بعدها.
(٢) الديوان، ص٧٠.

ومنه قوله[1]:

عاذلي بالله كن لي عاذراً
ليس من يشرب خمر الحب يصح

فنجد شاعرنا قد حاكى القدماء في ذلك، فهو لم يجرب شرب الخمر؛ لأنه إنسان مسلم متمسك بمن قبله، أمثال: حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ بإسلامه وعقيدته، ولكنه يقتدي في قصيدته الهمزية التي يقول فيها لأبي سفيان بن الحارث[2].

هجوت محمداً فأجبت عنه
وعند الله في ذاك الجزاء

فهو يستهلها بذكر منازل صاحبته مشببا بها، ومستطرداً إلى ذكر الخمر على طريقة كل الشعراء،مما جعل شعراءنا يسيرون، ويقتدون بشاعر سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، وليس معنى ذلك أن شاعرنا قد جرب شربها أو أحس بنشوتها.

ونرى شاعرنا يعجب بأنف محبوبته، ويصفه لنا بأنه كحد السيف في دقته واستقامته، فهو ليس مجرد جمال لهذه المحبوبة، وإنما له وظيفة في غاية الأهمية، فهو يحمي ويدافع عن ذلك الرحيق الصادر من فهمها؛ حتى لا يتجرأ أي شخص، ويحاول ارتشافه، فيطربنا بقوله[3]:

وأنف كحد المشرّفي حمت به
رحيق رضاب طيب حين يرشف

ومن المعاني التقليدية للحب ذكر الرياح وحملها رائحة المحبوبة، وهو لا يزال يأمل في أن تحمل ريح الصبا نشرهم العطر حتى يرد إليه روحه محملا بشذا أنفاس الحبيبة التي تفضل على النسيم بحملها إليه ليستمد بشذا

(١) الديوان، ص٤٩.
(٢) وليد عرفات . ديوان حسان بن ثابت «ص ٤٢.
(٣) الديوان، ص٨١.

الفواح وعطره العبق منها، ومن ذلك قوله[١]:

وأصبو إلى ريح الصبا كلما صبت
وجاد بأنفاس الحبيب نسيمُ

ثم انتقل إلى أجمل وأبرز جزئية في الوجه، وأكثر ما يسر القلب ويستحوذ على العقل ألا وهما العينان، فقد تغنى بهما الشعراء في كل العصور، وأولوهما عناية خاصة حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو من ذكر عيون الجآذر، ونواظر الغزلان إلا في النادر الفذ، وإذا قرنا ذلك بقول امرئ القيس[٢]:

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي
مناظرة من وحش وَجْرة مطفل

فإننا نجد أن كل واحد منهما يتغني بالعيون على اختلاف رؤيته.

كما يتغنى شاعرنا كذلك بتلك الألحاظ وسعتها، وشدة بياضها في موضعين، ومن ذلك قوله[٣]:

فدهشت من ذاك الجمال وحسنه ووقفت وقفة مولع متحير
حسن به شغف الفؤاد وهاج لي شجنا فقلَّ تجلدي وتصبري
سقتي إلى الجسم السقام وراءه من ذلك الطرف السقيم الأحور

وفي موضع آخر يقول[٤]:

كأن لم تكن مَغْنىً لبيض أوانس
بهن غزال أحور الطرف أهيفُ

تبدو فتاته متسقة الخلقة فهو يناديها بكاعب في موضعين: أولهما[٥]:

---

(١) الديوان، ص٩٣.
(٢) سيد قطب . النقد الأدبي، ص١٢٣.
(٣) الديوان، ص٧٠.
(٤) الديوان، ص٨١.
(٥) الديوان، ص٧٠.

يا كاعباً تحمي بصارم أنفها
من كل صاد ورد ماء الكوثر

وقوله[١]:

كأن لم يكن فيها أنيس ولم تكن
بها الكاعب الحسناء للذيل تسحب

وتتثنى نشوى كشارب الخمر، ومنه قوله[٢]:

فنمّ بريّاها الصبا حين أقبلت
تميس كغصن البان أو مثل شارب

وفي موضع آخر يرسم لنا تثنيها وتمايلها وقت هبوب النسيم حيث يقول[٣]:

ويعجب غصن البان أن هبت الصبا
له سحراً من قدها المتميد

وقوله[٤]:

وَقَدٌّ يقدّ العاشقين قوامه
كمثل قضيب البان بالريح يعطفُ

ويلفت شاعرنا الأنظار إلى صفة تزيد من جمال محبوبته، فخصرها الدقيق يبرز التكسر والتثني في مشيتها، فتسبغ على الرائي من محبيها صبغة اللاشعور، وكأنها قد أسقتهم كؤوس الشراب. ومما نلاحظه هنا لدى شاعرنا تخليق الصورة القديمة للخمر وهي تتلألا في الكؤوس، وتتداولها الأيدي، ومن ذلك قول شاعرنا[٥]:

(١) الديوان، ص٣٢.
(٢) الديوان، ص٤٧.
(٣) الديوان، ص٦١.
(٤) الديوان، ص٨١.
(٥) الديوان، ص٩٧.

مياسة الأعطاف من ظَلْمِها
تسقي محبيها كؤوس المدامِ

ويورد لنا بعض الأوصاف الخاطفة لمحبوبته التي استقاها من الطبيعة، فهي منزل وحي الشاعر، تنطلق فيها نفسه، وتجود قريحته، فإذا جالت شاعريته وصف جميع ما يرى، فنجده هنا يمثلها بالظبية في حسنها وخفتها ورشاقتها، وهي استعارة قديمة في الشعر الجاهلي، فمن شدة انبهاره وتعجبه من هذا الحسن لم يستطع أن يتمالك نفسه، فتقدم لكي يسألها هل أنت من بنات حواء؟ ولكن هل يعقل أن يكون هناك جمال كهذا على وجه الأرض؟ فلم يصدق ذلك، فعاد مرة أخرى يسألها أم أنت من حور الجنان؟ ومن ذلك قوله(١):

يا ظبية البان، بل يا ظبية الدور
هل أنت من نسل حوا أم من الحور؟

ويستمر شاعرنا في تغزله دون ملل أو كلل،بل أصبح في دائرة أوسع وأرحب، فالحبيبة صورها في صورة الجمال الكامل، والكمال المطلق، وإن عبر عنها كما اعتاد شعراء الغزل التعبير في قوالب التشبيهات والاستعارات والمعاني المطروقة للنساء(٢).

طفلة جَمَّلَها حسن البها لا مقاليد وأقراط ووشح
بل بها الحلية قد زانت كما زين الشعرَ لخيرِ الخلقِ مدحُ

ويعتمد الشاعر على الإجمال دون التفصيل، وهو يعلل بعدم قدرته على تفصيل جزئياتها الجميلة، فكل شيء فيها حسن، فلا يستطيع أن يحصي مواطن الجمال فيها، ومن ذلك قوله(٣):

---

(١) الديوان، ص٣١.
(٢) الديوان، ص٤٩.
(٣) الديوان، ص٦١.

وقـد جمعـت كل المحاسـن جملة   فلـم يسـتطع تفصيلهـا مـن معـدد
وفاقـت جمـالاً كل هيفـاء كاعـب   إذا مـا مشـت مـا بيـن غيـد وخـرّد

إلى قوله[1]:

لقـد أصبحـت فـي الغانيـات فريـدة
كمـا انفـرد الوالـي بحـزم وسـؤدد

وفي نهاية المطاف يرسم شاعرنا شريطاً بالغ الدقة والروعة؛ مملوءاً بالحركة واللقطات المعبرة عن أحواله ومشاعره وسلوكه مع محبوبته، فنجده هنا يصور عواطفه وهمومه، ويبثّ حزنه وألمه على فراق ارتحال محبوبته، فهذا البعد لايطفئ من نار الشوق والحب، وإنما يزيده التهاباً واستعاراً، من ذلك قوله[2]:

ولـو أنهـا كانـت بـأرض قريبـة   لآب إليهـا صبهـا وتـودّدا
ولكنهـا بالصـد والبعـد قـد نـأت   فللـه مـا أقصـى المـزار وأبعـدا
فمـن مسـعدي مـن مبلـغ لوصالهـا   سـوى ماجد قـد حاز فخراً وسـؤددا

ثم يعرض ما يلقاه من ألم البعد والهجر في صورة الإنسان المذبوح الذي لا يشعر بما حوله من العشق، فقلبه قد شغف بها وهام[3].

عذبـت بالهجـر صبّـاً مولعـاً
إنمـا الهجـران للعشـاق ذبـح

وهو على الرغم من البعد يحافظ على العهد ويتأمل في تحقيق الوصل، ولكنه يتساءل هل كانت تحافظ على العهد مثله[4]؟

لا عيب فيها سـوى إخلاف موعدها   أو أنهـا لـم تَجُـدْ يومـاً بميسـور
كـم واعـدت بمـزارٍ غيـر موفيـة   والخلـف للوعـد معـدودٌ مـن الزور

(١) الديوان، ص٦١.
(٢) الديوان، ص٥٣.
(٣) الديوان، ص٤٩.
(٤) الديوان، ص٣١.

ونجد الإجابة عن تساؤله، فهي تحافظ على العهد مثله[١]:

بشير سعاد جاء نحوك فاسعد وقد وعدت وصلاً فأوفت بموعد
كم واعدت بمزار غير موفية والخلف للوعد معدود من الزور

ثم تقوم بزيارته في مخدعه بعد أن ينام الواشون..وهذا من طيف الخيال، وقد تحدث عنه الشعراء كثيراً[٢]:

تناءت فزارت سحرة بعد هجعة
وقد نام عنها كل واش مراقب

وأخيراً يصور الشاعر مشهد اللقاء فينعم بوصلها [٣]:

أتتك سحيرا والنجوم كأنها دراري ترى في قبة من زبرجدِ
فلما حوتها عرصة الدار سلمت سلام حبيب زائر ذي تَوَدُّدِ
فقرّ بنيل الوصل عينا وطالما تبيت لذكراها بليلة أرمد

ويتبادلان الغزل في جو رومانسي هادئ بعد العشاء وبعد نوم العذال[٤]:

غزال حوى كل المحاسن والبَها
يغازلني بعد العشا وأغازله

ولكنها قد تتأخر عليه بالزيارة، فعاد، فيكثر، بكاؤه ويصاحب بالسقم والنحول،فقد أخذ الهوى من هذا المحب ما أخذ، فعاد جسمه نحيلا[٥]:

كيف أسلو والهوى مستحكم
أنحل الجسم وفي الأحشاء جرح

ويظل دائماً يطلب وصلها في لهفة ورجاء، ولكنها لا تحقق له هذه الرغبة[٦].

---

(١) الديوان، ص٦٠.

(٢) الديوان، ص٤٧.

(٣) الديوان، ص٦١.

(٤) الديوان، ص٩٠.

(٥) الديوان، ص٤٩.

(٦) الديوان، ص٩٧.

قد زارني في هجعة طيفها ... من بعد أن نام كثير الأنامْ
فقلت في الأعتاب ما ذا الجفا؟ ... إن الوفا بالعهد دين الكرامْ

وهو على الرغم من وضعه المؤلم بعيداً من حبيبته لا يسلم من لوم العواذل، ولكنه لا يعيرهم اهتماماً[1]:

فعاص جميع العاذلين، ولا تطع
بها كل واش لائم أو مفند

وهنا يعرض السبب الحقيقي في تغير محبوبته عليه،فقد،اقتطف المشيب زهرات الحب، فبدأ إعراضها عنه، وصدها له، من ذلك قوله[2]:

لقد منحتني في الشبيبة وصلها ... وقدي كعود السمهري قويمُ
فلما علا رأسي البياض تباعدت ... وذو الشيب عند الغانيات مشوم
فأصبحت مأسور الفؤاد بحبها ... وما ذاك من كيد النساء عظيم
فما بالها تصبو إلى كل يافع ... وتهجر شيخاً والداه تميم

ونلاحظ الحيوية المفعمة في قصائد شاعرنا، وذلك من خلال الأسلوب القصصي الذي يتجلى في الحوار.. فالشاعر يعرض موضوعه بحيث تبدو فيه حياة حقيقية وقوة حقيقية، كما أنه يقدم لنا متعة جمالية، وتلذذاً فنياً من خلال الحوار الذي يتم بينهما، فيبث لها من خلاله الشكوى، وفرط معاناة الهوى الشوق، حيث يقول[3]:

طرقنا أهلها ليلاً فقالت ... مَن الآتي وأهلونا نيامَا
فقلت لها: محب جاء ضيفاً ... فلا تَجْفَي محباً مستهاماً
فقالت: كيف زرت ودون وصلي ... حروب نارها تذكي الضرامَا
وقومي أشرعوا دوني رماحاً ... وسلوا البيض وانتثلوا السهاما

(١) الديوان، ص٦١.
(٢) الديوان، ص٩٤.
(٣) الديوان، ص٩٢.

ويذكر لنا ابن قدامة بأن الغزل: «هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وما كان فيه من التصابي والرقة أكثر مما يكون من الخشن والجلادة، ومن الخشوع والذلة أكثر ما يكون فيه من الإباء والعزة وأن يكون جماع الأمر فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة، ووافق الانحلال والرخاوة[١]»، وهذه كلها صفات غير مقصورة على العذريين من الغزليين بل عامة عند الغزليين منذ الجاهلية. فكانت المرأة مطلوبة والشاعر خاضعاً لسلطان حبها، راغباً متماوتاً في وصلها. كانوا يعدون ذلك دليل كرم الطبع عند العرب، وغيرتهم على الحرم[٢].

وفي الختام نستخلص الآتي:

إن غزل شاعرنا على الرغم من قلته واقتصاره على ابتداء القصيد، وارتباط بعضه بالفنون الأخرى وخصوصاً المديح، ليشبه غزل شعراء العصور السابقة.. من أمثال: امرئ القيس وطرفة بن العبد وكثير عزة، وغيرهم..فإذا استقرأنا الديوان نلحظ بعض أبيات شعراء العصر الجاهلي في قصائده، فهذا دليل على أنه قد اقتفى أثرهم وأسلوبهم، ولكن عصرهم يختلف عن عصره بكل ما فيه، وظروفهم لا تناسب ظروفه؛ فإننا قد لا نجد الانسجام في بعض قصائده؛ لأنها لا تستجيب له في التعبير عن همومه وأشجانه، ومن ذلك قول شاعرنا متأثراً بطرفة بن العبد[٣]:

ولـو لمحت بالطـرف طَرْفـة ما بكى
«لخولـة أطـلال ببرقـة ثهمـد»

---

(١) «نقد الشعر» ص١٣٤.

(٢) د/ محمد غنيمي هلال . النقد الأدبي، ص١٨٢، ١٨٣.

(٣) الديوان، ص٦١.

والمدح هو الغرض الغالب على قصائد شاعرنا، وجلها يبدأ بمقدمات غزلية، فإن هذا الفن يحتاج إلى نغمٍ موسيقيٍّ قوي، وقافية جياشة ومعجم لغوي صاخب، بينما النسيب ينبغي أن يكون حلو الألفاظ سلسها، قريب المعاني سهلها، غير كز ولا غامض، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر الماء، لين الانثناء، رطب المكسر، شفاف الجوهر، يطرب الحزين، ويستخف الرصين[1].

نجد غلبة العفة ونظافة أسلوبه من المجون، فهو غزل يميل إلى الطهارة، ويتوشح بالحياء، ويصطبغ بالخجل. وهناك عوامل مختلفة تقود إلى هذا الاتجاه. **أولها**: غلبة التدين عند الناس، والشعراء منهم. **وثانيها**: أن قائليه عرب أقحاح، تجري في دمائهم الشمائل العربية، فيها الحياء وفيها النخوة، وفيها الخجل، وفيها المروءة والشهامة. **ثالثها**: الاضطرابات السياسية التي كانت تعيشها البلاد، فالعقل البشري سيطرت عليه هذه المشكلات، فقد ينشغل بعض الشيء عن العاطفة القلبية، من حب، وأنين، وشكوى، و سهد، وبكاء، وقلق، وتمزق، وحرمان، وما أشبه هذه الأمور[2].

شخصية شاعرنا شخصية إسلامية فذة، فجلّ الديوان منظومات دينية، وتراكيب مقتبسة من القرآن الكريم، والحديث الشريف. أما الغزل فإننا نلمح في طياته ألفاظ الجلالة وألفاظ العبادة والحج والتسبيح، وغيرها.

ويرسم معالم البيئة في الجزيرة العربية بكل ما فيها من أرض وسماء، وهضاب وأشجار، وأعراف وتقاليد وتماسك، وعفة ورقة عواطف.

(١) العمدة، ص٧٥٢.

(٢) الحركة الأدبية «ص٢٣٤.

التكرار لدى شاعرنا في الألفاظ والمعاني والأخيلة، ومن ذلك قوله[١]:

فتاة كأن الشمس غرةُ وجهها
ومن شعرها يبدو لك الليلُ أسودا

وقوله[٢]:

فتاة يريك الصبح غرةَ وجهها
ويبدو الدجى من شعرها المتجعد

وفي قوله[٣]:

فتاة كأن البدر غرةُ وجهها
سوى أنه حيناً إذا تم يكسف

وأخيراً قوله[٤]:

فتاة كأن الشمس غرة وجهها
فَأَنَّى يبين البدر حين تقابله

والغزل فن أصيل، ولكن الظروف السياسية والدينية هي التي أبعدت شعراءنا من هذا الغرض.

---

(١) الديوان، ص٥٣.
(٢) الديوان، ص٦١.
(٣) الديوان، ص٨١.
(٤) الديوان، ص٩٠.

- ٧ -

الشعر التعليمي

عاش ابن مشرّف في مجتمع دبت فيه الفوضى، وساد فيه الذعر، وأريقت فيه الدماء غزيرة، بعد وفاة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، فأخذ على عاتقه تسلم راية الدفاع عن الدعوة، فرأى أن ينظم أفكار الدعوة مما يساعد على سهولة حفظها وروايتها في وقت لم تعرف فيه المطبعة، ولا الصحافة، ولا وسائل النشر والإذاعة والإعلان..والشعر أقرب إلى النفوس من حيث التلقي والحفظ والنقل[1].

وقد عرف أهل العلم، سواء في الأحساء أم في نجد أم في غيرها بحور الشعر، وأكثروا استخدامها لغرض علمي أو ديني[2]. من أجل ذلك كان أوفر الأغراض عندهم حظاً، وأحظاها بينهم منزلاً، وأملكها لوجدانهم، وأقواها على قلوبهم وألسنتهم سلطاناً، حتى سبقوا فيه القائلين، وبزوا الأولين والآخرين، فسموا بقولهم عن الهجاء ومناهجه المبتذلة، واقتصروا في نظمهم على بيان أصول الدعوة وفروعها، المستمدة من المنبع الصافي الذي فجره للإنسانية خاتم الرسل المصطفى عليه الصلاة والسلام دونما غلو أو تطرف[3].

---

(١) بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية، ص٦٠، ٦٣، بتصرف.

(٢) الحامد، الشعر في الجزيرة خلال قرنين، ص٧٢.

(٣) محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث في نجد «ص٢٧» بتصرف.

ومن ذلك ما نظمه عبدالعزيز العلجي[١] في أحكام العبادات في فقه مالك في ٤٠٠٠، بيت ومحمد بن عمير[٢] ينظم في النحو قصيدة بلغت ٧٠٠ بيت، ونظم إسحاق بن عبدالرحمن بن حسين بن الشيخ[٣] «الأرجوزة المفيدة في مسائل العقيدة» وهي قرابة ثلاثمئة وثلاثين بيتاً يناقش فيها مسائل من الشرك والانحراف عن العقيدة الصحيحة، وسليمان بن سحمان[٤]. وله

---

(١) هو الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن عبدالعزيز العلجي، وأصل نسبه من قريش . ولد بمدينة الأحساء، ولا يعرف تاريخ مولده،وإنما يقول الثقات من تلاميذه: إنه ولد بين سنتي ١٢٨٥و١٢٩٠هـ .حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ العربية والفقه والكتابة والقراءة، وسكن في بداية حياته الرفعة، ثم انتقل إلى الصالحية .مؤلفاته: نظم كبير في الفقه «فقه الإمام مالك» وهذا في العبادات في أربعة آلاف بيت، وقد أتم تأليفه سنة ١٣٥٠ هـ، نظم متن غربة الزنجاني في الصرف، سماه باسم الغوالي في تقريب غربة الزنجاني .توفي – رحمه الله– سنة ١٣٦١ أو ١٣٦٢هـ.

(٢) هو الشيخ محمد بن سعيد بن عبدالله بن محمد الدولة آل عمير من قبيلة سبيع .ولد في قلعة الكوت، من مدينة الأحساء سنة ١١١٠هـ .أخذ الشيخ زاده الثقافي عن أبيه، فتربى في كنفه، وتعلم على يديه . عين قاضياً في الأحساء مدة ثلاث سنوات، ولم يعرف له تاريخ وفاة، نظم قصيدتين في التذكرة والعظة، كما نظم في علم النحو منظومة كبيرة تبلغ ٧٠٠ بيت قال في مقدمتها:

الحمد لله الذي قد فتحا　　　باب العطاء دائماً لمن دعا

ـ الحلو. شعراء هجر، ص٤٣،٤٤

(٣) إسحاق بن عبدالرحمن بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب، ولد بمدينة الرياض سنة ١٢٧٦هـ ونشأ بها وأخذ العلم .. ثم رحل إلى الهند سنة ١٣٠٩هـ. له رد على المدعو أمين حنش، وله الجوابات السمعية في الرد على الأسئلة الرواقية. توفى سنة ١٣١٩هـ بمدينة الرياض معجم المطبوعات العربية علي جواد الطاهر / ط، ص ٤٢٥..

(٤) هو سليمان بن سحمان بن عامر، التبالي العسيري من تبالة قرية تقع قريباً من بيشة. نزح أهله منها إلى عسير، فولد سليمان في قرية من قرى أبها تسمى السقا، فعلمه والده القرآن ومبادئ المعرفة.

وفي سنة ١٢٧٨هـ نزح إلى الرياض، وحل ضيفاً مهاجراً على الإمام فيصل بن تركي، فدرس سليمان على الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، وصار يكتب له الرسائل=

ديوان يسمى «عقود الجواهر المنضدة الحسان»، و«الهداية السنية» و«التحفة الوهابية النجدية».

كما نظم ابن مشرّف - وهو موضوع دراستنا - رسالة ابن أبي زيد القيرواني، و«جوهرة التوحيد»، و«الشهب المرمية في الرد على المعطلة والجهمية»، ونظم في تاريخ الدولة السعودية، وبناءً على ذلك نتدارس كل منظومة على حدة لنتعرف الجوانب التعليمية لكل منها:

فمن فرائد شاعرنا منظومته جوهرة التوحيد في مئتين وثمانية وثلاثين بيتاً، قسمت ستَ قصائد، سنوردها بحسب ترتيبها في الديوان.

نتناول أولاها مراتب الدين الثلاث، وعنونها «باب في الإيمان والإسلام والإحسان؛ «لأن النبي ﷺ جعل للدين ثلاث درجات: أعلاها «الإحسان»، وأوسطها «الإيمان»، ويليه «الإسلام»»[1].

فاستهل ابن مشرّف قصيدته بالحديث عن أشرف الأعمال وأشرف الوسائل التي يتوصل بها إلى الله تعالى: للحصول على مرغوب أو النجاة من مرهوب، وهو الإيمان، فقد رضيه الله تعالى: وسيلة إليه، وأثنى على المتوسلين به[2]. في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[3].

= والردود.. ولما طرأ عليه العمى سنة ١٣٣١هـ في عهد الملك عبدالعزيز، أقعد آخر حياته ولزم داره، ولكنه لم ينقطع عن التأليف والردود إلا قبل وفاته بسنتين. توفي سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) بالرياض ودفن في مقبرة العود.

من مؤلفاته: إرشاد الطالب إلى أهم المطالب، والأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد، وأشعة الأنوار فيما تضمنته لا إله إلا الله من الأسرار، منظومة. علي جواد الطاهر. معجم المطبوعات العربية، ص٥٩٨، ٦٠٠.

(١) أحمد بن تيمية «مجموع فتاوى ابن تيمية»ج٧، ص٧.

(٢) أبو بكر الجزائري. عقيدة المؤمن، ص١٣٠.

(٣) آل عمران، الآية: ١٦.

وعرَّف ابن مشرّف الإيمان بقوله: تصديق القلب بوجود الله تعالى:، وربوبيته لكل شيء، وأولوهيته للأولين والآخرين مع التصديق بكل ما أمر الله تعالى: بالإيمان به[١]، حيث يقول شاعرنا[٢]:

إيماننا قول وقصد وعمل — إن وافق الشرع به نيل الأمل
والزيد والنقصان للإيمان — يعرض بالطاعة والعصيان

ثم بدأ يعدد الدعائم والأسس التي يقوم عليها الإسلام، وقال: إنها خمسة، وهي الشهادتان، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، ففي حديث جبريل فرق الرسول ﷺ بين مسمى «الإسلام والإيمان والإحسان» فقال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»[٣]. فيجب العمل بها جميعاً، ومن ذلك يقول شاعرنا[٤]:

اعلم بأن الدين مبني على — خمس دعائم كما قد نقلا
وهي الشهادتان والصلاة — والحج والصيام والزكاة
فشرحه عقيدة الجنان — والنطق والخدمة بالأركان

ثم فسر الإيمان، وعدد أركانه الستة التي يبني عليها المؤمن عقيدته، فلا تتم إذاً عقيدته إلا به، ولا تصح إلا عليه، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٥].

---

(١) عقيدة المؤمن، ص١١٠.

(٢) الديوان، ص٩.

(٣) الإمام النووي، الأربعين النووية من الأحاديث الصحيحة النبوية، رواه مسلم، رقم:٨.

(٤) الديوان، ص١٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

وفي حديث الرسول ﷺ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(١).

ويبين شاعرنا ذلك بقوله(٢):

وفسر الإيمان خير مرسل ... بأنه الإيمان بالله العلي
وبالملائك العلا ورسله ... والبعث والمقدور أيضاً كله
فالخير والشر جميعه صدر ... من أمر ربنا وذاهو القدر

أما الإحسان فهو الدرجة الثالثة، وعرفه بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ومن ذلك قول شاعرنا(٣):

وفسر الإحسان سيد الورى ... أن يعبدالله كأنه يرى
فالعبد إن لم يره فالله ... جلّ قريب شاهد يراه
هذا هو الدين فمن قد عرفهْ ... محققاً كفته تلك المعرفة

وفي نهاية القصيدة يبين شاعرنا فضل جبريل عليه السلام،حيث جاء إلى النبي ﷺ بأمر من الله سبحانه وتعالى: يسأله عن أمور دينه ليتأكد من علمه بها ليعلمها أصحابه، فكان الرسول ﷺ يجيب عن كل سؤال يوجه إليه..ومما يدل على ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» قال: صدقت قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: أخبرني عن

(١) الأربعين النووية، رواه مسلم، رقم:٨ .
(٢) الديوان، ص١٠.
(٣) الديوان، ص١٠.

الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره؟ قال صدقت: فاخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبدالله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال:«أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان» قال: ثم انطلق، فلبثت ملياً ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟» قلت:الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(١). ومن ذلك يقول شاعرنا(٢):

برهـانـه سـؤال جبـرائيلا	عـن ذي الخصـال كلهـا الرسـولا
وقـد أجـابـه النبـي المصطفـى	بمـا ذكرنـا شـرحه وقـد شـفى
وقـال مـا معنـاه: ذا الأميـن	أوضـح دينكـم، فهـذا الديـنُ

ثم تطرق إلى أنواع التوحيد في قصيدته الثانية من منظومة «جوهرة التوحيد» وهي تحوي مئة وثلاثة وأربعين بيتاً افتتحها بتعداد أضرب التوحيد، وهي ثلاثة: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، فمن ذلك قوله(٣):

واعـلـم بـأن أضـرب التوحيد	قـدر ثـلاثـة بـلا مـزيـد
توحيد رب الناس في الملك وفي	صـفـاتـه وفـي الـعـبـادة اقتف

ثم بدأ يعرف ويفصل كل نوع، ففي البداية تناول توحيد الربوبية بأنه إفراد الله بالعبادة ونفي الشريك عنه تعالى: في صفات الربوبية الحقة، التي هي الخلق والرزق والملك والتدبير الذي من لوازمه الإحياء والإماتة والعطاء المنع والضر والنفع والإعزاز والإذلال(٤). ومن هذا المنطلق

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان رقم ١١٣ . الأربعين النووية، رواه مسلم، رقم: ٨.

(٢) الديوان، ص١٠.

(٣) الديوان، ص١٠.

(٤) ابن خزيمة . كتاب التوحيد «ج١، ص٣٤٦.

يقول شاعرنا[١]:

فالأول: اعتقاد كون الملك ... لله وحده بغير شرك
وإنه رب جميع الخلق ... موجدهم مولي جميع الرزقِ

ثم عرّج على توحيد الأسماء والصفات، وفصّل فيه بقوله: إن أسماء الله عز وجل وصفاته كلها توقيفية، لا يجوز إطلاق شيء منها على الله في الإثبات، أو النفي إلا بإذن من الشرع، فلا نثبت لله سبحانه وتعالى: من الأسماء والصفات إلا ما أثبته هو لنفسه، أو أثبته له رسوله محمد ﷺ، ولا ننفي عنه كذلك من الأسماء والصفات إلا ما نفاه هو عن نفسه أو نفاه عنه رسوله [٢]ﷺ فيقول[٣]:

والثاني: أن يوحد الله على ... أسمائه وفي صفاته العلا
وكل ما به تعالى: وصفا ... لنفسه على لسان المصطفى
فإن وصفه به جل لزم ... والحكم في أسمائه كذا التزم

يعدد بعض صفات الله تعالى: بأنه الأول ليس قبله شيء والآخر ليس بعده شيء، وليس له صاحبة ولا ولد، فهذا يدل على الأحدية المطلقة لله التي تتناول وحدة الذات والصفات والأفعال «بأنه الصمد الذي يصمد إليه الخلق، ونفى عن نفسه الولد لتمام ملكه وغناه، فهو لا يحتاج إليه، ونفى أن يكون غيره والداً له، فيكون أصلاً له سابقاً عليه، ونفى أن يكون له مماثل[٤]. حيث قال في محكم تنزيله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[٥].

---

(١) الديوان، ص١٠.
(٢) القاسمي . دلائل التوحيد «ص٥٣.
(٣) الديوان، ص١٠.
(٤) القاسمي . دلائل التوحيد، ص٦٢.
(٥) سورة الإخلاص.

ومن ذلك قول شاعرنا(١):

فمن صفاته البقاء والقدم ... جل ابتداء ودواماً عن عدم
إذ هو أول بلا بداية ... وآخر يبقى بلا نهاية
ليس له من والد ولا ولد ... حاشا ولا صاحبة جل الصمد
فهو تعالى: الواحد الفرد الأحد ... ليس له ند ولا كفو أحد

فكل ما ثبت لله سبحانه وتعالى: من الأسماء والصفات لا يماثل شيئاً من خلقه ولا يماثله شيء، فهي صفات مختصة به لا يشركه فيها أحد من خلقه، فقد يكون الاسم مشتركاً بينه وبين غيره، أو بين صفته وصفة غيره،ولكن هذا الاشتراك في الاسم لايوجب مماثلة المخلوقين له فيما دلت عليه هذه الأسماء والصفات، فتسميته تعالى: مريداً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً، وإثبات صفة العين والإصبع والوجه والعلم إلى غير ذلك من الأسماء والصفات التي قد تطلق على المخلوقين، لا يوجب أن تكون إرادتهم كإرادته، ولا حياتهم كحياته، فيحمل ذلك على حقيقته دون أن يفهم فيه التماثل بين الله وبين خلقه في شيء من هذه الصفات (٢). ولا يمكننا إحصاء الأدلة الواردة في هذا النوع من التوحيد؛ لأنها من الكثرة بحيث يصعب استيعابها، ونذكر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾(٣).

حيث يقول ابن مشرّف(٤):

والملك والمالك والمليك ... ليس له في ملكه شريكُ
ولا مظاهر ولا وزير ... حاشا ولا مثل ولا نظير
بل كل ماسواه فهو خلقه ... عبدله يجري عليه رزقه

(١) الديوان، ص ١٠، ١١.

(٢) القاسمي . دلائل التوحيد «ص٤٤، ٥٥، ٥٦.

(٣) البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) الديوان، ص١١.

فهو السميع العالم البصير والحي والمريد والقدير
ومن صفات ذاته القيام بنفسه لا الغير والكلام
كلَّم موسى بكلامه الذي من وصف ذاته، فبالحق خذ

وقوله[١]:

فالله ذو العرش على العرش استوى وعلمه لكل شيء قد حوى
وما اقتضى التشبيه مثل العين والوجه والإصبع واليدين
نؤمن به لكن مع التنزيه له عن التمثيل والتشبيهَ
فالله ليس مثله شيء ولا له سَمِيٌّ. جلَّ شأنا وعلا
فذاته لا تشبه الذوات ووصفه لا يشبه الصفات
من شبه الله بخلقه كفر ومن نفى صفاته أُصْلِي سَقَرَ

والتوراة والإنجيل والزبور كتب سماوية منزلة من عند الله، فيجب الإيمان بها، كما آمنا بالكتاب المسطور الذي نسخ هذه الكتب جميعها، وهو القرآن الذي تنزل على خاتم المرسلين محمد ﷺ، فالقرآن معجزته حتى أبد الدهر. وقد عرَّفه ابن مشرّف بقوله: كلام الله تعالى: لفظاً ومعنى، أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ عن طريق الوحي[٢]. جبريل الأمين - المتعبد بتلاوته[٣]. المعجز بأقصر سورة منه ليكون هدى ونوراً للعالمين إلى يوم القيامة، وقد أكرم الله صدر هذه الأمة بحفظه في الصدور، والعمل به في جميع شؤون الحياة، والتحكم إليه في القليل والكثير[٤]. واستشهد على ذلك بقوله[٥]:

---

(١) الديوان، ص١٢.

(٢) ابن باز، الثمار اليانعة، جمع عبدالله الجار الله، ص٣٨٧.

(٣) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص١٧.

(٤) ابن باز . الثمار اليانعة . ص٣٨٧.

(٥) الديوان، ص١١.

والصحف والتوراة والزبور   وبعده الإنجيل والمسطور
أعني كتاب أحمد الأواهِ   جميعها عين كلام الله
لفظاً ومعنىً عند أهل الحق   وإنما المخلوق صوت الخلقِ
وحبرهم والخط والسجل   قضى بهذا العلماء الجل
فالصوت للقارئ والكلام   لله ذا به قد استقاموا
فاللفظ والمعنى من القرآن   قد نزلا من ربنا الرحمن
تكلم الله به فأسمعا   أمينه جبريل نعم مودعا

فالكلام صفة من صفات الله الذاتية، والقرآن كلام الله، وليس كلام البشر، ومن اعتقد غير ذلك فقد كفر، كما لا يجوز أن يكون شيء من صفات ذاته مخلوقاً أو محدثاً ولا حادثاً، قال الله جل شأنه: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1]. فلو كان القرآن مخلوقاً لكان الله سبحانه قائلاً له كن، ولو كان القرآن مخلوقاً أيضاً مثل الإنسان لقال: خلق القرآن[2]. ولكنه هنا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾[3].

فالله تعهد بحفظ كلامه أبد الدهر، وينقل شاعرنا هذا التعهد بقوله[4]:

ثم كلام الله كالقرآن   ليس بمحدث ولا بفاني
واللفظ من ذلك والمعاني   في الحكم عند العلما سيان
فمن يقل بأنه قول البشر   فكافر والله يصليه سقر
ومن يقل بخلقه أو سطره   فهو مضل، فاستعذ من شره
هذا هو الحق فدع عنك الهوى   والله ربنا على العرش استوى

ثم ذكر النوع الثالث من أضرب التوحيد، وهو توحيد الألوهية: فعرفه بأنه إفراد الله بالعبادة المستلزم لعبادة الله تعالى: بكل ما شرع أن يعبدبه

(١) سورة النحل، الآية: ٤٠.
(٢) أبو بكر أحمد البيهقي، الاعتقاد، ص٣٢.
(٣) الرحمن، الآيات: ١، ٣.
(٤) الديوان، ص١٢،١١.

من أعمال القلوب والجوارح، وألّا يشرك معه غيره في شيء منها، مع عدم الاعتراف بعبادة غيره تعالى: (١).فقال شاعرنا(٢):

فـالـلـه خـالـق لـفـعـل عـبـده — جميعه مـن خير أو مـن ضده
لأنـــه قــد أوجـــد الـعـبـادا — وكـل مـا قـد عـمـلـوا إيـجـادا

وقسم السيئات قسمين: فبعضها صغائر، والآخر كبائر، والحسنات إنما تكفر الصغائر، أما الكبائر فلا تغفر إلا بالتوبة، كما قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾(٣)، وقال ﷺ: «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»(٤).

فقال ابن مشرّف(٥):

والـشـرك لا يغفره الـلـه حشا — وغـــيـــره يـــغـــفـــره لـــمـــن يشا
والـسـيـئـات بعضها صغائر — كـمـا أتـــى، وبـعـضـهـا كبائر
فـالـعـمـل الـصـالـح للصغائر — مـكـفـر كـالـتـرك لـلـكـبـائـر
فـالـوضـوء والجمعة والـصـلاة — والـصـوم والـحـج مـكـفـرات

أما الكبائر فلن تكفرها إلا التوبة، وهي الرجوع إلى الله بالقلب واللسان والعمل وعدد شروطها وهي: الإقلاع عن المعصية في الوقت الحاضر، وأن يندم على فعلها في الماضي، وأن يعزم ألا يعود إليها أبداً في المستقبل،فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته(٦). ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا

---

(١) الجزائري، عقيدة المؤمن، ص٩٩.

(٢) الديوان، ص١٢.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٤) صحيح البخاري، ج٢، ص١٤١.

(٥) الديوان، ص١٥، ١٦.

(٦) عبدالله الجار الله «الكواكب النّيرات» ص١٩٣.

أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[1]. وقال تعالى ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾[2].

ومن ذلك قال ابن مشرّف[3]:

وإنما كفارة الكبائر — بتوبة العبد وعفو الغافر
ويؤمر المذنب بالمتاب — من ذنبه فوراً على الإيجاب
والتوبة الإقلاع منه والندم — ورده مظلمة الذي ظلمْ

ونطوي صفحة من أهم الصفحات تضمنت «أنواع التوحيد» للشروع في فتح صفحة جديدة تحت عنوان «واجب التوحيد»

فنلاحظ النظرة الفاحصة لدى شاعرنا لأمور دينه وعقيدته، فيوضح أن الله تعالى: خلق الخلق لحكمة عظيمة، وهي القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده، وترك عبادة ما سواه، ففعل الأول، وهم خلقهم ليفعلوا هم الثاني، وهي العبادة لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[4]، فالعبادة هي إفراد الله تعالى: بأنواع العبادة الظاهرة والباطنة كالدعاء والذبح والنذر والتوكل، وغير ذلك، كما قال تعالى:﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[5] وكل ذلك بمعنى الشهادة، وهي لا إله إلا الله. فيقول شاعرنا[6]:

وحق أن نشرع المقال — في واجب التوحيد بالأفعال
وذلك التوحيد في العبادةْ — وهو بمعنى كلمة الشهادةْ

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١.
(٢) سورة هود، الآية: ٩٠.
(٣) الديوان، ص١٦.
(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٥) سورة غافر، الآية: ١٤.
(٦) الديوان، ص١٦.

فهي له في غاية المحبة ... من دعوة ورغبة ورهبة
والذبح والنذور والتوكل ... ونحوه من كل تعظيم جلي
فكل ما ذكرته معناه ... تفسير لا إله إلا الله

ثم يسترسل في معنى، لا إله إلا الله «فالشهادة لا تكون شهادة إلا عن علم ويقين وصدق، وأما مع الجهل والشك فلا تعتبر ولا تنفع، فيكون الشاهد في هذه الحالة كاذباً لجهله بمعناها، فتضمنت هذه الكلمة نفياً وإثباتاً، فنفت الألوهية عن كل ما سوى الله بقولك «لا إله» وأثبتت الألوهية لله وحده بقولك «إلا الله»»(١).

فإذا كان التلفظ بها نافعاً دون العمل كان من السهل على قريش الإذعان لدعوة المصطفى ﷺ، ولكن الإخلاص شرط من شروط الشهادة، وإلا انتفت، فيطلق شاعرنا العنان لهذا المعنى فيقول(٢):

وليس معناها كما قد زعما ... مجرد النطق بلفظها فما
إذ لو أريد اللفظ قط لسهل ... على قريش قولها وما ثقل
حين دعاهم إليه المصطفى ... مع علمهم بالسبق منه والوفا
لكنهم قد علموا الإرادة ... بلفظها الإخلاص في العبادة
فأي خير فيك يا من يزعم ... بأنه موحد ومسلمُ
ومنه كفار قريش أعلم ... بكلمة الإخلاص حين أعلموا
وعنده لا رب إلا الله ... تفسيره لا إله إلا الله

أما قصيدته الرابعة فإنها تبين غيرة الشاعر على دينه، ودفاعه عن عقيدته، وحبه لأمته، وخشيته من أن يقعوا في أمور عظيمة، أهمها الشرك، مما دفعه إلى نظم هذه القصيدة لتقديم النصح والإرشاد، فيقسِّم الشرك نوعين، هما: الشرك الأكبر، والشرك الأصغر.

---

(١) عبدالرحمن بن حسن . قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، ص٢٣.

(٢) الديوان، ص١٦، ١٧.

واستهل أبياته بالأصغر لجريانه وتداوله على ألسنة الناس، ومنه الرياء والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، ولولا تعبي ما أصبت هذا المال، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا.

فرسول الله ﷺ كان يخشى على أصحابه من هذا النوع مع كمال علمهم، وقوة إيمانهم، فكيف لا يخافه ابن مشرّف على قومه، وهم دونهم في العلم والإيمان بمراتب؟ فيقول بهذا الشأن[1]:

والشرك نوعان فشرك أصغر ... وضده هو الذي لا يغفر
ونسبة الشيء إلى الأسباب ... منخرط في سلك هذا الباب
نحو أصبت المال بالتكسب ... أنَّى لي الثروة لولا تعبي؟
ومنه أيضاً قول: لو كان كذا ... لكان هكذا، ولم يكن كذا
والحلف مطلق بغير الله ... شرك بلا شك ولا اشتباهِ

ثم يفصِّل شاعرنا في النوع الثاني من الشرك المسمى بالأكبر، وهو ضد التوحيد، فيكون فاعله عالماً به، ومصراً عليه عناداً ومكابرة وإيثاراً للمنافع الدنيوية من مال أو جاه، ويقسمه شاعرنا ثلاثة أقسام، هي[2]:

والأكبـــر: المحبط للأعمال ... أعاذنا الله من الضلال
يحصـــر في ثلاثة الأقسام ... كل ينافي ملة الإسلامِ

أولاً: الشرك في ربوبية الله تعالى: فهي ذات مقدسة لا تشبه الذوات، فحين يقع في قلب الحالف تعظيم لهذا المخلوق، مثل تعظيم الله فقد كفر وأشرك، ومن ذلك قوله[3]:

وهي نقيض أضرب التوحيد ... موجبة الخزي على التأبيد

---

(١) الديوان، ص١٧.

(٢) المصدر السابق، ص١٧.

(٣) الديوان، ص١٧.

جعلهم لربهم في الملك مشاركاً وذاك عين الإفكِ
والقول بالتعطيل من ذا الشرك منخرط أيضاً بذاك السلكِ
فاحكم بإشراك أولي التعطيل ومثلهم أيضاً أولي التمثيل

والثاني: الشرك في أسماء الله وصفاته، فالله وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله بصفات عليا، وتعهد المؤمنين بالإيمان بها، فمن سمَّى نفسه بصفات الله أو أطقلها على شخص من المخلوقين فقد كفر وأشرك، فيعبر عن ذلك بقوله[1]:

وإن أردت ثاني الأقسام
فالشرك في الصفات والأسامي

وثالث هذه الأقسام: أن يشرك المخلوق في عبادة الله كعبادة العلماء، فإن فيه تأليهاً لغيره سبحانه وتعالى: وتكذيباً لله تعالى: في قوله جل جلاله ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[2] وقوله﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3]. ومن ذلك يقول ابن مشرّف[4]:

وهي عقيدة وقول وعمل
والشرك محبط لها كيف حصل

فمن أصرَّ على أي نوعٍ من هذه الأنواع فقد كفر..أو أشرك.. ثم بعد ذلك عرج على الأعمال التي تقربُ إلى الله، وذكر أعمال القلوب، وهي العبادات التي يقوم بها قلب العبد، وذلك كالإيمان والمحبة والخشية والخوف والرجاء والرغبة والإنابة والتوكل.

وأعمال الجوارح أيضاً من العبادات واتسام الطاعات التي تقرب إلى الله، ومنها الدعاء، وهو من أعظم مظاهر العبادة، وهو مخ العبادة،وفيه مذلة

---

(١) الديوان، ص١٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٤) الديوان، ص١٨.

للمدعو والافتقار إليه وتعظيمه خصوصاً في الصلاة، ففي الانحناء في أثناء الركوع ووضع الوجه على الأرض في أثناء السجود فيه مذلة للعبدو تعظيم لله سبحانه وتعالى، كذلك النذور والذبح فلا تصرف إلا لله، ومن فعله لغير الله ابتغاء مرضاة غير مرضاة الله، فقد أشرك في عبادة الله تعالى.. وهذا يتنافى مع عقيدة المؤمن القائمة على أساس التوحيد الدالة عليه كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، فينشد شاعرنا، فيقول[1]:

فالاعتقاد الخوف والرجاء مع ... رغبته ورهبة كذا الطمع
والتوب والخشية والتوكل ... محلها القلب كما لم يشكل
القول مطلق الدعا والنذر ... والفعل منه ذبحه والنذر
والذل بالركوع والسجود ... فهذه عبادة المعبود
يلزم صرفها إلى رب الورى ... خالصة له بلا شرك يرى
وكل من أشرك فيها مطلقاً ... فهو يكون كفره محققاً

ويوضح شاعرنا رأس العقيدة وأساسها في الإيمان بالله، وعليه مدار استقامة الإنسان، وصلاح خلقه، وطهارة روحه، وبدونه فالإنسان مخلوق لا خير فيه لا لنفسه ولا لغيره، وهو شر كله لا يؤمن جانبه ولا يطمأن إليه، ولا تسكن النفوس عنده، وذلك لما انعدم عنده من أصول الخير، وينابيع الفضيلة والكمال البشري، ولذلك ذكر ابن مشرّف الشروط التي يجب أن يتمسك بها الإنسان ليكون مؤمناً حقاً، وهي عشرون شرطاً ذكرها في قصيدته بقوله[2]:

وإن ترد شرائط الإيمان ... لكي تنال غاية الأمانِ
فإنها عشرون شرطاً وافية ... نذكرها مسرودة موالية
حبك لله ومن والاه ... والبغض مع ترك الذي عاداه
وهجرة المرء من الأرض التي ... يصد فيها عن سبيل الملة
والحب لله وللرسول ... أي باتباع شرعه المنقول

(١) الديوان، ص١٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٨.

إلى قوله [١]:

وأن يكون مؤمناً ذا طاعة … قبل علامات وقوع الساعة
وقبل أن يحضره المنون … فيستقر عنده اليقينُ
وكونه محللاً محرماً … لما أحل شرعنا وحرما
والكفر بالطاغوت من ذاك وأن … يكذب العراف والذي كهنْ

أما مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني [٢]: باب ماتعتقده القلوب، وتنطق به الألسن «فهي المنظومة الثانية لابن مشرّف حسب ترتيب الديوان، وقد قسمها عدة فصول في واحدٍ وتسعين بيتاً.. وقبل الشروع في نظم رسالة القيرواني، وافتتح قصيدته بحمد الله والثناء عليه بصفات الكمال التي ليس لها حصر مع حبه وتعظيمه وإجلاله، ثم يصلي على النبي ﷺ، لما له من منزلة عظيمة عند الله في الملأ الأعلى، ثم استهل أولى قصائده بذكر الله سبحانه وتعالى: فهو متصف بصفات الكمال والجلال والعظمة منزه عن صفات النقص، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا نظير ولاشبيه له ولم يكن له صاحبة، ولا ولد، ولا والد؛ لكمال غناه، وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو، فهو مطلع محيط بكل شيء فانفرد بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فلا بد من الإيمان بأصول التوحيد قولاً وفعلاً وعملاً ويكون عن طريق تصديق القلب التام والإقرار المتضمن لأعمال القلوب والجوارح، لما في القرآن الكريم، فالنطق باللسان دون اعتقاد القلب نفاق وكفر، ومن ذلك [٣]:

وأول الفرض إيمان الفؤاد كذا … نطق اللسان بما في الذكر قد سطرا
أن الإله إله واحد صمد … فلا إله سوى من للأنام برا

---

(١) الديوان، ص١٨.

(٢) أبو محمد عبدالله بن أبي زيد عبدالرحمن القيرواني . ولد سنة ٣١٠هـ، شيخ المالكية بالمغرب. كان كثير الثقافة والاطلاع، متبعاً طريق السلف الصالح، وكان يسمى مالكاً الصغير. وعني بمذهب مالك فلخصه، ونشره، وملأ البلاد بتآليفه العظيمة / توفي سنة ٣٨٦هـ.

(٣) الديوان، ص٢٠.

ونستشهد على ذلك بقول ابن أبي زيد القيرواني «من ذلك الإيمان بالقلب، والنطق باللسان بأنه الله إله واحد، لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له، ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء، ولا يبلغ صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، ويعتبر المفكرون بآياته، ولا يتفكرون في ماهية ذاته، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم[1]. ومن صفاته سبحانه وتعالى: الكلام، ولكن دون تشبيه أو تمثيل، وقد انفرد موسى عليه السلام بتكليم الله له دون واسطة، ولم يكتف بذلك، وإنما اشتاق إلى رؤية ربه لما أسمعه كلامه، فسأله النظر إليه، فقال الله انظر إلى الجبل فلما نظر إليه ظهر فيه نور الله قدر نصف أنملة الخنصر فاندك الجبل وتفتت، وسقط موسى مغشياً عليه من هول ما رأى[2]. لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]

فالله سبحانه وتعالى: اختار موسى واصطفاه على أهل زمانه بتكليمه، فهذا من شرف النبوة، فيحدثنا ابن مشرّف عن ذلك بقوله[4]:

وأن موسى كليم الله كلمه ... إلهه فوق ذاك الطور إذ حضرا
فالله أسمعه من غير واسطة ... من وصفه كلمات تحتوي عبرا

(١) ابن مشرّف «مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني» ص٦..

(٢) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير «م الأول، ص٤٦٩، ٤٧٠.

(٣) سورة الآعراف، الأية١٤٣.

(٤) الديوان، ص٢١،٢٠.

حتى إذا هام سكرا في محبته ... قال الكليم: إلهي أسأل النظرا
إليك. قال له الرحمن موعظة ... أنّى تراني نوري يدهش البصرا؟
فانظر إلى الطور إن يثبت مكانته ... إذا رأى بعض أنواري فسوف ترى
حتى إذا ما تجلَّى ذو الجلال له ... تصدع الطور من خوف وما اصطبرا

فابن مشرّف ينقل لنا ما تحويه رسالة القيرواني من عقائد مستمدة من الكتاب والسنة، ومن ذلك قوله: «تعالى أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة. كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته، لا خلق من خلقه، وتجلى للجبل فصار دكا من جلاله، وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد»[1]. ونظم ثمانية أبيات في الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، والقدر هو سر نظام الحياة، وهو علم الله الأزلي، وتقديره لكل شيء، وكتابته في اللوح المحفوظ، فالله يقضي للعبدما شاء من قضاء، ويأمره وينهاه، ويجزيه حسب عمله الذي قدر له وكتب له أو عليه من خير وشر، وسعادة وشقاء، ورزق وأجل، وهدى وضلال كله من عند الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[2].

فيقول[3]:

وبالقضاء وبالأقدار أجمعها ... إيماننا واجب شرعاً كما ذكرا
فكل شيء قضاه الله في أزل ... طرّاً وفي لوحه المحفوظ قد سطِّرا
وكل ما كان من هم ومن فرح ... ومن ضلال ومن شكران من شكرا
فإنه من قضاء الله قدره ... فلا تكن أنت ممن ينكر القدرا
والله خالق أفعال العباد وما ... يجري عليهم فعن أمر الإله جرى
ففي يديه مقادير الأمور وعن ... قضائه كل شيء في الورى صدرا

---

(١) مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيراني، ص٦.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٣) الديوان، ص٢١.

فمن هدي فبمحض الفضل وفقه ومن أضل بعدل منه قد كفرا
فليس في ملكه شيء يكون سوى ما شاءه الله نفعاً كان أو ضررا

وأخذ هذا المعنى من رسالة القيرواني في قوله: «والإيمان بالقدر خيره وشره.. حلوه ومره.. وكل ذلك قد قدره الله ربنا ومقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه، علم كل شيء قبل كونه، فجرى على قدره ولا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضى وسبق علمه به ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[(١)]. يضل من يشاء فيخذله بعدله، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ماسبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد[(٢)]. فالله سبحانه وتعالى: خلق العباد وقدر أرزاقهم وآجالهم، فالإنسان لا يموت إلا بعد انقضاء أجله، وبذلك تنتهي الحياة الدنيا لتبدأ حياة الآخرة، وأول منازلها القبر، فتحدث شاعرنا عن القبر وفتنته وعذابه، فإذا وضع العبدفي قبره وألحد تعاد روحه في جسده، فيسأله ملك عن ربه وعن دينه وعن نبيه.. أما المؤمن، فيثبته الله بالقول الثابت فيرى بعدها منزلته في الجنة، أما الكافر فيقول: لا أدري أقول كما يقول الناس، فيرى بعدها منزلته في النار، فالقبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة، وهو للسعيد، وإما أن يكون حفرة من حفر النار وهو للشقي فيقول[(٣)]:

ولم تمت قط من نفس وما قتلت من قبل إكمالها الرزق الذي قدرا
وكل روح رسول الموت يقبضها بإذن مولاه إذ تستكمل العمرا
وكل من مات مسؤول ومفتتن من حين يوضع مقبوراً ليختبرا
وأن أرواح أصحاب السعادة في جنات عدن كطير يعلق الشجرا

أما الشهداء فقد أعد الله لأرواحهم نعيماً في البرزخ فقد أخبر الرسول ﷺ: «أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأوي إلى قناديل

(١) سورة الملك الآية: ١٤.
(٢) رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص٦،٧.
(٣) الديوان، ص١٢.

معلقة تحت العرش»[١] ومصداق هذا في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٢]، وفي ذلك يقول[٣]:

لَكِنْ هـمُ الشـهدا أحيـا وأنفسـهم   في جوف طير حسـان تعجب النظرا
وإنهـا فـي جنـان الخلـد سـارحة   مـن كل مـا تشـتهي تجنـي بهـا ثمرا
وأن أرواح مـن يشـقى معذبـة   حتـى تكـون مـع الجثمان في سـقرا

ونأخذ من نص القيرواني ما يؤيد ذلك: «وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم، ويسألون﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[٤]، وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم، ولا يسقط شيء من ذلك عن علم ربهم، وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربه، وأن خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ، وآمنوا به، ثم الذين يلونهم[٥].

والبعث والجزاء من الأمور الأخروية التي وعد الله بها عباده فيجب الإيمان بها. وأبرز الشاعر لنا ذلك بصورة مروعة ومفزعة عندما يؤمر إسرافيل بالنفخة الثانية، فتخرج الأرواح كأنها النمل قد ملأن ما بين السماء والأرض فترجع كل روح إلى جسدها، ويكون الناس حفاة عراة غرلاً، ثم يقفون موقفاً واحداً، وتدنى الشمس من رؤوس الخلائق حتى تكون قريبة جداً، فتشتد الحرارة في الموقف، ويعرق الناس لذلك حتى يذهب العرق سبعين ذراعاً، فقد جاء بهذا الحديث الصحيح..ففي مسلم عن المقداد بن الأسود قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق،

(١) سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، حديث رقم: ١٦٤١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٣) الديوان، ص٢١.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٥) مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ص٨.

فمنهم من يكون إلى كعبه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه[(١)]، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً» قال: وأشار رسول اللهﷺ بيده إلى فمه)[(٢)]. ويقول شاعرنا[(٣)]:

وإن نفخة إسرافيل ثانية ... في الصور حق فيحيى كل من قبرا
كما بدا خلقهم ربي يعيدهمُ ... سبحان من أنشأ الأرواح والصورا
حتى إذا ما دعا للجمع صارخه ... وكل ميت من الأموات قد نشرا
قال الإله: قفوهم للسؤال لكي ... يقتص مظلومهم ممن له قهرا
فيوقفون ألوفا من سنينهم ... والشمس دانية والرشح قد كثرا

ويصف جهنم حيث يُجاء بها تجر كما تجر القاطرة ولها تغيظ وزفير، فيقول[(٤)]:

وجيء يومئذ بالنار تسحبها ... خُزَّانها فأهالت كل من نظرا
لها زفير شديد من تغيظها ... على العصاة وترمي نحوهم شررا

بعد الحساب يعطى في ساحة القضاء كل عبدكتابه، فمنهم من يعطى كتابه بيمينه، ومن أمامه، وهو السعيد، ومنهم من يعطي كتابه بشماله ومن وراء ظهره، وهو الشقي،ومما يدل على ذلك قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾[(٥)] ويستشهد شاعرنا على ذلك بقوله[(٦)]:

ويرسل الله صحف الخلق حاوية ... أعمالهم كل شيء جلّ أو صغرا

---

(١) حقويه: الحقو بفتح الحاء والجمع حقاء كبناء وهو الخصر أو الإزار، لأنه شيد على الحقو.

(٢) صحيح مسلم . كتاب الجنة ونعيمها وأهلها، حديث رقم: ٢٨٦٤.

(٣) الديوان، ص٢٢.

(٤) الديوان، ص٢٢.

(٥) سورة الانشقاق، الآيات: ٧، ١٢.

(٦) الديوان، ص٢٢٨.

فمن تلقته باليمنى صحيفته ... فهو السعيد الذي بالفوز قد ظفرا
ومن يكن باليد اليسرى تناولها ... دعا ثبورا وللنيران قد حشرا

أما الجزاء، فهو دائم لا ينقطع إما خلود في النعيم، وإما مقام في الجحيم، وأعظم نعيم في الجنة هو رؤية وجه الإله عز وجل، ومما يدل على ذلك قول ابن مشرّف[1]:

وجنة الخلد لا تفنى وساكنها ... مخلد ليس يخشى الموت والكبرا
أعدها الله داراً للخلود لمن ... يخشى الإله وللنعماء قد شكرا
وينظرون إلى وجه الإله بها ... كما يرى الناس شمس الظهر والقمرا
كذلك النار لا تفنى وساكنها ... أعدها الله مولانا لمن كفرا
ولا يخلد فيها من يوحده ... ولو بسفك دم المعصوم قد فجرا

والشاهد على ما نظم ابن مشرّف من رسالة ابن أبي زيد القيرواني قوله: «وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يموت، كما بدأهم يعودون. وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، وهي التي هبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه بما سبق إلى سابق علمه، وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به، وألحد في آياته وكتبه ورسله، وجعلهم محجوبين عن رؤيته»[2].

أما الفصل الأخير في باب ما تعتقده القلوب، وتنطق به الألسن من واجب أمور الديانات فهو «الإيمان بالحوض» وقد سبق الحديث عنه «وطاعة أولي الأمر وجعلها فريضة دينية واجبة الأداء من قبل المسلم، لا يمنع وجوبها إلا أمر» واحد، وهو خروج ولي الأمر خروجاً واضحاً على نصوص الشريعة الإسلامية ومبادئها؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد أكد القرآن الكريم على هذا المبدأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ

(١) الديوان، ص٢٢.
(٢) مقدمة رسالة القيرواني، ص٧.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[١] فيقول ابن مشرّف[٢]:

وأن معصية الرحمن تنقصه ... كما يزيد بطاعات الذي شكرا
وإن طاعة أولي الأمر واجبة ... من الهداة نجوم العلم والأمرا
إلا إذا أمروا يوماً بمعصية ... من المعاصي فيلغي أمرهم هدرا

ومما يدل على ذلك مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني قوله: «والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته لا يظمأ من شرب منه ويذاد عنه من بدل وغير.. والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم، والاستغفار لهم[٣]».

وفي نهاية القصيدة يشيد برسالة ابن أبي زيد القيرواني ويحمد الله ويطلب منه العفو والمغفرة، ويصلي على النبي محمد ﷺ لما فيها من امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى، وهي سبب الحصول على البركة وسبب في هداية قلبه وحياته؛ لأن فيها الثناء على الله سبحانه وتعالى: عند ذكر اسمه، ومن ذلك ما قاله ابن مشرّف[٤]:

فهناك في مذهب الأسلاف قافية ... نظماً بديعاً وجيز اللفظ مختصرا
يحوي مهمات باب في العقيدة من ... رسالة ابن أبي زيد الذي شهرا
والحمد لله مولانا ونسأله ... غفران ما قل من ذنب وما كثرا
ثم الصلاة على من عم بعثته ... فأنذر الثقلين الجن والبشرا

وكان مما يزيد قلق ابن مشرّف النفسي، ويشغل عقله وتفكيره كثرة الفرق التي ظهرت في الأحساء؛ فلما كان ـ رحمه الله ـ ينتسب إلى مذهب أهل السنة والجماعة فقد أخذ ينافح عنه، ويرد على أعدائه بكل ما أوتي من

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) الديوان، ص٢٣.

(٣) مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ص٩،٨.

(٤) الديوان، ص٢٣.

قوة الحجة وفصاحة وبلاغة..، وأشد ما نظم في الرد ـ رحمه الله ـ قصيدته المسماة «بالشهب المرمية على المعطلة والجهمية» التي قال في أولها: «لما كان في سنة ست وثلاثين بعد المئتين والألف كثر في بلدة الحساء الخصومة والجدال، من أهل التجهم والاعتزال، وفشت عقائد الضلال، وأرادوا أن يصدوا الواردين عن ورد منهل الوحي العذب الزلال، نظمت هذه القصيدة اللامية، وسميتها: «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية» [١]. ومن غيرة الشاعر على دينه يهاجم عماوة التعطيل، وحماقة التشبيه والتمثيل، فقد أنكروا صفة علو الله على خلقه علواً جعله يليق به تعالى، وأثبتنا علو ربنا -سبحانه- وفوقيته، واستواءه على عرشه، كما يليق بجلاله وعظمته من غير تكييف ولاتشبيه.. والحق واضح في ذلك، والصدور تنشرح له، فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء، وغيره لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [٢] فتعرج إليه الملائكة وأرواح الأموات وقد ثبت ذلك في القرآن الكريم بما نصه لقوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [٣]، ومما قاله في ذلك [٤]:

نفيتم صفات الله، فالله أكمل ... وسبحانه عما يقول المعطلُ
زعمتم بأن الله ليس بمستوٍ ... على عرشه، والاستوا ليس يحصل
فقد جاء في الأخبار في غير موضعٍ ... بلفظ «استوى» لا غير يا مُتَأَوِّلُ
وقد جاء في إثباته عن نبينا ... من الخبر المأثور ما ليس يشكل
فصرح أن الله جل جلاله ... على عرشه منه الملائك تنزل

ويثبت شاعرنا علو الله فوق خلقه بما ورد في الكتاب والسنة، فيذكر حادثة الإسراء، ورفع عيسى بن مريم إلى السماء، فلم يمت حتى الآن، ولم

(١) الديوان، ص٢٤.
(٢) طه، الآية: ٥.
(٣) سورة المعارج، الآية: ٤.
(٤) الديوان، ص٢٤.

يقتله اليهود، ولم يصلبوه ولكن شبه لهم، بل رفعه الله إلى السماء ببدنه وروحه، وهو الآن فيها، والدليل على ذلك قوله تعالى: في فرية اليهود والرد عليها: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[١]. وفي آخر الزمان سينزل الله عيسى بن مريم ويحكم بين الناس بالعدل متبعاً في ذلك شريعة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، وسيؤمن به أهل الكتاب اليهود والنصارى جميعاً[٢]. ومن ذلك قول شاعرنا[٣]:

وقد رفع الله المسيح ابن مريم ... إليه ولكن بعد ذا سوف ينزلُ
وليس له شرع سوى شرع أحمد ... فيقضي به بين الأنام ويعدل

وهو لا يكتفي بهذه الأمثلة لإثبات علو الله وفوقيته، بل يضع بين أيدينا قصة زينت بنت جحش[٤] وافتخارها عندما تولى الله أمر تزويجها من الرسول عليه الصلاة والسلام بمعنى أنه أوحى أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود، فتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى: من فوق سبع سموات، والسفير جبريل عليه السلام[٥]. فهذا يدل على غوص ابن مشرّف وتعمقه في الدين وكل ما يتصل بالعقيدة، ومن ذلك قول الشاعر[٦]:

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٧.

(٢) ابن باز، فتاوى ورسائل سماحة الشيخ بن باز، ص٢٥١.

(٣) الديوان، ص٢٤.

(٤) زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية، من أسد خزيمة . أم المؤمنين، وإحدى شهيرات النساء في صدر الإسلام، كانت زوجة زيد بن حارثة، واسمها «برة» وطلقها زيد، وتزوجها الرسول ﷺ، وسماها زينب.

(٥) ابن كثير «تفسير القرآن العظيم» ج٣، ص٤٩١، ٤٩٢.

(٦) الديوان، ص٢٤، ٢٥.

وزينب زوج المصطفى افتخرت على بقية أزواج النبي بلا غلو
فقالت: تولى الله عقدي بنفسه فزوجني من فوق سبع من العلو
وإن سفيري روحه، وكفى بها لزينب فخراً شامخاً. فهو أطول

ويقول سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[1].

وفي الختام ينزه الله سبحانه وتعالى: عن كل تشبيه أو تمثيل، فمن حرَّف شيئاً من صفاته فقد كفر، ومن هؤلاء المعطلة الذين أنكروا صفات الله عز وجل. ولكن من الواجب علينا أن نتصدى لهم، وأن نسير على نهج أهل السنة والجماعة الذين يثبتون استواءً الله استواءً يليق بجلاله وعظمته كما قال مالك.. رحمه الله.» الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[2] فيقول[3]:

هـمُ عطلوا وصف الإله وأظهروا بذلك تنزيهاً له وهو أكملُ
ومن نزه الباري بنفي صفاته فما هو إلا جاحد ومعطل
فيا أيها النافي لأوصاف ربه لقد فاتك النهج الذي هو أمثل
تحيد عن الذكر الحكيم ونصه وتزور عن قول النبي وتعدل
وتنفي صفات الله بعد ثبوتها بنص من الوحيين ما فيه مجمل
إذا جاء نص محكم في صفاته جحدت له، أو قلت: هذا مؤول
ألا تقتفي آثار صحب محمد؟ فمنهاجهم أهدى وأنحى وأفضل

---

(١) سورة الأحزاب، الأية: ٣٧.

(٢) ابن خزيمة، «كتاب التوحيد وإثبات صفات الله عز وجل» ج١، ص٢٣٢.

(٣) الديوان، ص٢٦.

ويقسم الشاعر قصيدته فصلين، أولهما: «فصل في اعتقاد السلف الصالح رضي الله عنهم «في واحد وخمسين بيتاً استهلها بحمد الله والثناء عليه حمداً يليق بجلاله، وكبريائه، وعظمته، فيقر ويعترف بفوقية الله وعلوه على عرشه، فنصوص كتاب الله وسنة رسوله ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات، ومن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[١] وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، فصفات الله قديمة أزلية، ولم يزل موصوفاً بها فهو قادر على كل شيء، عالم بكل شيء قبل حدوثه ووجوده، فيقول ابن مشرّف[٢]:

ولكننا والحمد لله لم نزل	على قول أصحاب الرسول نعولُ
نقر بأن الله فوق عباده	على عرشه، لكنما الكيف نجهل
وكل مكان فهو فيه بعلمه	شهيد على كل الورى ليس يغفل
وما أثبت الباري تعالى: لنفسه	من الوصف أو إبداء من هو مرسل
فنثبته لله جل جلاله	كما جاء، لا ننفي ولا نتأول
هو الواحد الحي القديم له البقا	مليك يولّي من يشاء ويعزل

والنبع الأول الذي نستقي منه أسماء الله وصفاته هو نبع القرآن، فهو كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، ومن قال غير هذا فهو كافر[٣]. ولم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا زيادة ولا نقصان قط، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[٤]، كما تعهده سبحانه بحفظه في الصدور، والسطور لقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٥]، فيقول الشيخ[٦]:

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) الديوان، ص٢٦.

(٣) الذهبي، «مختصر العلق»ص١٤٠.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٦) الديوان، ص٢٦.

وإن كتـــاب الله مـن كلمـاتـه ... ومن وصفه الأعلى حكيم منزل
فليـس بمخلـوق، ولا وصـف حادث ... فيفنى، ولكن محكــم لا يبدلُ
هـو الذكـر متلـوٌ بألسـنة الـورى ... وفي الصدر محفوظ وفي الصحف يسجل
فألفاظـه ليسـت بمخلوقـة، ولا ... معانيه، فاترك قول من هو مبطل

ثم يصوِّر لنا حقيقة يوم القيامة والجو الرهيب الذي يحيط بالعباد، في صورة حية ناطقة، وذلك عندما يجمع الله الخلائق بعد بعثهم أحياء في ساحة واحدة تدعى عرصات القيامة، وذلك لفصل القضاء، وهو الحكم فيما بينهم من أجل مجازاتهم حفاة عراة، غرلاً، فيبلغ منهم العناء مبلغاً عظيماً، وذلك من شدة الهول، وصعوبة الموقف، ثم توضع الموازين، ويقدم الناس واحداً واحداً للحساب، فمنهم من يحساب حساباً يسيراً، ومنهم من يحاسب حساباً عسيراً، ويسأل حينها عن كل صغيرة وكبيرة[١] فيقول شاعرنا[٢]:

وأن معـاد الـروح والجسـم واقـع ... فينهـض مـن قـد مـات حي يهـرولُ
وصيـح بـكل العالميـن فأحضـروا ... وقيـل: قفوهـم للحسـاب فيسـألوا
فذلـك يـوم لا تحـد كروبـه ... بوصـف. فـإن الأمـر أدهـى وأهـول
يحاسـب فيـه المـرء عـن كل سـعيه ... وكل يجـازى بالـذي كان يعمـل
وتـوزن أعمـال العبـاد جميعهـا ... وقـد فـاز مـن ميـزان تقـواه يثقـل

والفطرة الإنسانية السليمة تدعو إلى توحيد الله سبحانه وتعالى: للوصول إلى أسمى غاية، وهي الجنة،ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وقد وعد الله عباده بالنظر إلى وجهه سبحانه وتعالى، يقول الشاعر[٣]:

وإن جنـان الخلـد تبقـى ومـن بهـا ... مقيماً على طـول المدى ليس يرحل

---

(١) الجزائري . عقيدة المؤمن، ص٤٤٢، ٤٤٦.

(٢) الديوان، ص٢٧.

(٣) الديوان، ص٢٧.

أعـدت لمـن يخشـى الإلـه ويتقـى ومـات علـى التوحيـد فهـو مهلهـلُ
وينظـر مـن فيهـا إلـى وجـه ربـه بـذا نطـق الوحـي المبيـن المنـزل

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(١) والقدر سر من أسرار الله تعالى: لم يطلع عليه ملكاً، ولا نبياً مرسلاً فلابد من الإيمان به، وقد تحدث شاعرنا عنه في منظومته «جوهرة التوحيد» ويكرر الحديث عنه فهذا موضوع الفصل الثاني للرد على المعطلة والجهمية، ومن ذلك قول علي رضي الله عنه عن الرسول ﷺ يقول: «لا يؤمن عبدحتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، والبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر، فالله أوجد الأشياء وقدرها، فهو عالم بمقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، مقدر أرزاق الخلق وآجالهم وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فالإيمان والكفر والطاعة والمعصية كلها بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشيئته. فمن أراد الله به خيراً أعطاه الفضل فصدر منه الإحسان والبر والطاعة، ومن أراد به شراً أمسكه عنه وخذله(٢)، ومن ذلك قول شاعرنا(٣):

وبالقـدر الإيمـان حتـم وبالقضـا فمـا عنهمـا للمرء فـي الديـن معدل
قضـى ربنا الأشـياء مـن قبـل كونها وكل لديـه فـي الكتـاب مسـجل
فمـا كان مـن خيـر وشـر فكلـه مـن اللـه والرحمـن مـا شـاء يفعـل
فبا الفضل يهدي من يشاء من الورى وبالعـدل يـردي مـن يشـاء ويخـذل

ولم يكتف ابن مشرّف بالنظم في أصول الدين، وإنما تجاوز ذلك إلى التاريخ، فله منظومة تاريخية مختصرة ذات صبغة علمية محضة، وهي في ثمانين بيتاً قسمها أربعة فصول: الفصل الأول كان عبارة عن نبذة من

(١) سورة القيامة، الآية:٢٢-٢٣.
(٢) سليمان بن عبدالوهاب «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» ص١٨٥، ١٩٢.
(٣) الديوان، ص٢٨.

تاريخ مولد النبي ﷺ ومبعثه، والفصل الثاني عن مدة الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم، والثالث يتعلق بخلفاء بني أمية، والرابع في الخلفاء العباسيين، ونلاحظ النفحة الإيمانية التي استهل منظومته بها،حيث أطلق لسانه بحمد الله حمداً غير منقطع، وشكره على عطائه المنهمر الذي لا ينضب، فنعمه لا تعد ولا تحصى، ويصلي ويسلم على خاتم المرسلين ﷺ، الذي اجتز ضلالات الشرك، وأحيا دين الله، فتمسك به الخلفاء من بعده، وتمسك به الخلق من بعدهم، فيقول(١):

الحمد لله حمداً دائـمـاً وكفى ... شكراً على سيب جدواه الذي وكفا
ثـم الـصـلاة وتسليم الإلــه على ... ماحي الضـلال ومحيي سـنة الخلفا
نبينا أحـمـد الـهـادي وشيعته ... وكل مـن عنـد حـد اللـه قـد وقفـا

وفي عام الفيل السنة الثالثة والخمسين قبل الهجرة الموافق لعام (٥٧٠) للميلاد ولد سيد الخلق محمد ﷺ، وبعث وهو ابن أربعين سنة حيث نزل عليه ملك الوحي جبريل في غار حراء، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وهاجر عشراً، وقبض في طيبة صبيحة يوم الثاني عشر من ربيع الأول - الشهر الذي ولد به السنة الحادية عشرة للهجرة، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، وما أكبر مصيبة المسلمين بوفاته! حيث ملأ الحزن والأسى نفوس الناس، فهو القائد المرشد، والموجه والأب والأخ والصديق الصدوق(٢)فيقول شاعرنا في ذلك(٣):

وحيـن كمـل سـن الأربعيـن أتـى ... إليـه بالوحـي روح اللـه واختلفـا
إليـه بضعـة عشـر قبـل هجرتـه ... مـن مكـة ثـم عشـر بعـد هـن وفـا
ومـات فـي طيبـة فـي شـهر مولـده ... فـي حـادي العشـر للجنات قـد زلفا
فـوا مصيبـة أهـل الأرض أجمعهـم ... بفقـده حيـن وَارَوْهُ ويـا أسـفا

---

(١) الديوان، ص٧٧.

(٢) عبدالكريم غزال. الغزوات الكبرى ومعارك الفتح في العراق والشام ومصر» ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٣) الديوان، ص٧٧.

وبعد وفاته ﷺ سار على نهجه الخلفاء الراشدون الأربعة، وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

وأول شخصية تولت الخلافة من بعده ﷺ تميزت برقة الحاشية ودماثة الخلق والإحساس المرهف، ألا وهو الصديق، ولكن وراء شخصيته اللطيفة شخصية أخرى فذة يملؤها التصميم والحزم والعزة والشجاعة وحسن القيادة، وانكشفت هذه المزايا الخفية على المرتدين عن الإسلام والممتنعين عن دفع الزكاة، عندما قاتلهم بضراوة قتال المستميت الذي ليس له ملجأ إلا سيفه ووضع لهم نهاية جذرية، وعادوا إلى كنف الإسلام من جديد، ومن ذلك قول ابن مشرّف[١]:

وقام من بعده الصديق مقتديا ... بهديه تابعاً للحق إذ خلفا
ما هاله ذلك الخطب الذي عظمت ... فيه الخروق ولم يوهن وما ضعفا
سل الحسام على من زاغ حين أَبَوْا ... عن الزكاة وللخرق العظيم رفا
حتى استقام به دين الهدى وسما ... وردّ من كان مرتدا ومنحرفا

وفي السنة الثالثة عشرة للهجرة توفي الصديق، وقلد الأمر من بعده إلى شخصية بارزة تتسم بالقوة والشجاعة والعدل والحكمة، فاتسعت رقعة الدولة الإسلامية على يده، فعز بذلك الإسلام والمسلمون. لقبه سيد المرسلين محمد ﷺ بالفاروق، إلا أنه قتل غيلة على يد رجل فارسي يدعى أبو لؤلؤة المجوسي بخنجر في خاصرته، وهو يؤدي صلاة الفجر سنة ثلاثة وعشرين للهجرة، ألا وهو عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن ذلك يقول شاعرنا[٢]:

وفي ثلاثة عشر مات مجتهداً ... وقلد الأمر أقواهم بغير خفا

---

(١) الديوان، ص٧٨،٧٧.

(٢) الديوان، ص٧٨.

أعني به عمر الفاروق من فتحت ... به الفتوح وعز الدين وانتصفا
بعدله ضرب الأمثال ساكنها ... ورأيه وافق التنزيل إذ وصفا
وفي ثلاث وعشرين الشهادة قد ... سيقت إليه بفرض الصبح إذ وقفا

ثم بدأت رسالة ذي النورين، وصوّر لنا شاعرنا عظم الغدر الذي تعرض له عثمان بن عفان عندما تسور بعض الخارجين عن الدين جدار بيته، فقتلوه صبيحة عيد الأضحى وهو يقرأ القرآن، ويعبر شاعرنا عن الألم العميق والواقع المؤلم الذي تعرض له أصحاب محمد ﷺ فيقول(١):

ثم الخليفة عثمان ومقتله ... في سنة ويك بلاذنب له اقترفا
أضحى قتيلاً بأيدي عصبة خرجت ... عن الهدى وأتوا من أمرهم سرفا

إلى قوله(٢):

أصيب يتلو كتاب الله إذ قطرت ... منه الدماء على (يكفيكهم) فكفا

وخاتمهم علي كرم الله وجهه فيشبهه شاعرنا بالشمس التي لا تغيب، فهو دائم التضحية، وحامل لواء الإسلام بيده في أكثر المشاهد، فكان دِرعاً حصيناً للدولة الإسلامية في أثناء خلافته، ولا يفوت الشاعر أن يذكر أنه ابن عم الرسول محمد ﷺ، وصهره، فهو زوج البتول فاطمة الزهراء توفي سنة أربعين للهجرة، ولكن كيف كانت نهاية هذا البطل؟، فقد قتل غيلة على يد الشقي الغادر عبدالرحمن بن ملجم، فيقول ابن مشرّف(٣):

أما علي فلا تحصى مناقبه ... كأنها الشمس إذ تبدو بغير خفا
زوج البتول ابن عم المصطفى أسد ... يوم الهياج، فكم من مشكل كشفا

(١) الديوان، ص٧٨.
(٢) الديوان، ص٧٨.
(٣) الديوان، ص٧٨.

وقوله[١]:

في الأربعين علي كان مقتله
بكف ذي شقوة عن ديننا صدفا

ثم بدأ شاعرنا بفصل جديد وعهد جديد وهو عهد ملوك أشاوس انتزعوا الخلافة بعد وفاة الخلفاء الأربعة، وهم خلفاء بني أمية، ففي بداية القصيدة تحدث عن مؤسس الدولة الأموية معاوية بن أبي سفيان وعدد بعضاً من صفاته:العدل والحلم، ولكنه خلف من بعده ابنه يزيد وليزيد هذا مناقب وأخبار ومثالب كثيرة وعجيبة منها: شرب الخمر، والغناء، وترك الصلاة، والصيد، واتخاذ القيان، وغير ذلك من الجنايات التي ارتكبها في حق الله ثم في حق نفسه ووطنه[٢]، ومن ذلك[٣]:

بنو أمية أملاك غطارفة — حازوا الخلافة بعد السادة الخلفا
منهم معاوية صهر النبي ومن — قد كان بالحلم والإنصاف متصفا
ثم ابنه بعده أعني يزيد، وذا — جان على نفسه لما بغى سرفا

ثم بدأ يعدد خلفاء بني أمية، وذكر منهم: معاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، وعبدالملك بن مروان، وعمر بن عبدالعزيز، وغيرهم وكان آخرهم مروان بن محمد حيث أصيبت الدولة في عهده بحالة تمزق وضعف، مما أفسح المجال للدولة العباسية الدخول في مملكة متدهورة،فأعلن زوال حكم بني أمية، واقتلاعه من جذوره، وإعطاء السلطة لبني العباس بعد مضي ألف وأربعة عشر شهراً على ملكهم أي: إحدى وتسعين سنة بعد سقوطها سنة ١٣٢ للهجرة، فيقول شاعرنا[٤]:

واذكر يزيد وإبراهيم قل وهما — ابنا الوليد ومروان الحمار قفا

(١) الديوان، ص٧٨.

(٢) علي بن الحسين المسعودي. مروج الذهب، ج٣، ص٨١.

(٣) الديوان، ص٧٩.

(٤) الديوان، ص٧٩.

فعدة القوم عشر بعد أربعة ... في ألف شهر تقضي ملكهم ووفا
تاريخه سنة ثنتي عشرة تبعت ... عشرين بعد تمام القرن قد كشفا

أفلت شمس الدولة الأموية بإشراقة شمس جديدة هي شمس الدولة العباسية بعدما سفكت الدماء العربية في خضم مقاومات عنيفة وجبارة تمخضت بالاستيلاء على أملاك وكنوز الدولة الأموية وانهيارها، وضياع ملكها عندما أعلن أبو العباس نفسه خليفة في جامع الكوفة، وقد نجح العباسيون فعلاً في إقامة دولة استشرى فيها النطع والسيف، تزعموها زمناً يزيد على خمسة قرون[1]، ويقول ابن مشرّف في ذلك[2]:

ثم اقتفتهم بنو العباس تضربهم ... بالمشرّفية ضرباً مسرفاً عنفا
حتى احتوى ابن علي[4] كلَّ ما ادخروا ... من الكنوز وحاز الملك والتحفا
وقام جد بني العباس حين بدا ... من سعدهم طالع لا يعتريه خفا
واستنقذوا من بني مروان ملكهم ... فهم أحق به لو حكموا النصفا

وقد تولى زمام الحكم في الدولة العباسية سبعة وثلاثون حاكماً، فكان أولهم أبو العباس السفاح، ثم أبو جعفر المنصور، فهو الساعد الأيمن لأخيه في جميع أموره، ثم تولى زمام الأمور المهدي، ثم الهادي،ثم هارون الرشيد، فقد حباه الله خصالاً حميدة، منها: تقوى الله وخشيته، والزهد،والكرم، وحبه للعلم والعلماء. ومما يدل على ذلك ما روي عنه: «ويروى أنه وقف رجل من بني أمية للرشيد على الطريق وبيده كتاب كالقصة، فإذا فيه أربعة أبيات وهي:

---

(١) عبدالعزيز محمد الميلم . نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية وأثره في قيام مدينة سامراء من ٢٢١ ـ ٢٧٩هـ، ص٣٠.

(٢) الديوان، ص٧٩.

(٣) هو أبو العباس السفاح اسمه عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، بويع سنة ١٣٢هـ المسعودي . مروج الذهب، ج٣، ص٢٦٦.

يـا أمـيـن الـلـه، إنـي قـائـل قـول ذي لـب وصـدق وحسب
لـكـم الـفـضـل عـلـيـنـا، ولـنـا بكم الفضل على كـل العرب
عبدشمس كـان يتلو هاشماً وهـمـا بـعـدُ لأم ولأب
فَـصِـلِ الأرحـامَ مـنـا، إنما عبدشمس عـم عبدالمطلب

[فاستحسن ذلك الرشيد] فأمر له لكل بيت بألف دينار، وقال: لوزدتنا لزدناك[1]: ولما اشتدت علة الرشيد، وصار إلى طوس سنة ثلاث وتسعين ومئة هجرية انكب عليه الأطباء، ولم يعروفوا علته، فأرسل إلى متطبب فارسي كان هناك، فأراه ماءه في قوارير شتى، فلما انتهى إلى قارورته قال: عرِّفوا صاحب هذا الماء أنه هالك فليوصِ، فإنه لا برء له من هذه العلة، فبكى الرشيد وجعل يردد هذين البيتين:

إن الطبيـب بطبّـه ودوائـه لا يستطيع دفـاع محـذور القضـا
مـا للطبيـب يمـوت بالـداء الـذي قـد كان يبـرئ مثلـه فيمـا مضـى؟

واشتد ضعفه، وأرجف الناس، فدعا بحمار ليركبه، فلما صار عليه سقطت فخذاه فلم يثبت على السرج، فقال: أنزلوني صدق المرجفون، ثم دعا بأكفان فاختار منها ما أراد، وأمر بحفر قبر، فلما اطلع فيه قال: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾[2][3].

ومضى في تعداد بقية الخلفاء، ثم انتقل إلى الانتكاسة والنكبة التي حصلت في أيام المستعصم بالله بسبب ضعف شخصيته، وذلك عندما أشار عليه الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي بتقليل العسكر والجند، للقضاء على دولته، ولكنه لم يفطن لدهائه ومكره، فانصاع لمشورته، ثم كاتب ابن العلقمي التتار، وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك،

---

(١) المسعودي . مروج الذهب،ج ٣، ص٣٧٤.
(٢) سورة الحاقة، الآية ٢٨-٢٩ .
(٣) المرجع السابق، ج٣، ص٣٧٨.

وفعلاً أحاطت التتار بدار الخلافة في بغداد، ولكن ليس هناك من يدافع عنها من الجند، فجيوش بغداد في غاية القلة، ونهاية الذلة، فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والمشايخ والكهول والشبان، ومازال القتل يقع في أهلها أربعين يوماً، ولما انقضت هذه الأيام بقيت بغداد خاوية على عروشها.. ثم يتحسر شاعرنا على كل ما سلب من دار الخلافة من ذهب وحلي وجواهر وأشياء نفسية، وليس هذا فحسب، بل زادوا في طغيانهم وكفرهم، فأهانوا الكتب العلمية، والقرآن الكريم بإلقائها في نهر دجلة حتى تغير لون مياه النهر من كثرة الكتب؛ بسبب الأحبار سنة٦٥٦هـ[1] ومن ذلك يقول ابن مشرّف[2]:

كـذاك مستعصم كان الختـام بـه | وكان فـي رأيـه من أضعـف الضعفا
مـن أجلـه كاده ابـن العلقمـي فلـم | يفطـن لحيلتـه الأغبـى ومـا عرفـا
إذ قـال: إعطـاؤك الأجنـاد مـا لهـم | يفنـي الخزائن فاحفظ واترك السـرفا
فليـس فـي كثـرة الأجنـاد فائـدة | والمـال جنـدك لـم نحتـج إليـه كفا
ودس نحـو تتـار الكفـر يخبرهـم | بكيــده وعلــى مـا قـــالـه حلفـا
فأقبلـوا نحـو بغـداد بزحفهـم | فلـم يـروا دونهـا الجند الذي كشـفا
فحكمـوا السـيف فيهـا أربعيـن فلم | يبقـوا عليمـاً وأفنـوا سـائر الخلفـا
وقتلـوا وعثـوا بالسـبي وانتهبـوا | كل النفائـس، يالهفـا ويـا أسـفا
وأودعـوا الكتـب والقـرآن دجلتهـا | حتـى جـرى ماؤها بالحبـر حين طفا
بهـا أهيـن الهـدى، بـل ذل جانبـه | والكفـر عـز وللغيـظ القديـم شـفا

وإذا نظرنا إلى هذا الجانب، فإننا نلاحظ العناية الخاصة من قبل شاعرنا بهذا الغرض، فقد صاغ عدداً من المسائل الدينية في قوالب شعرية تتميز بأسلوبها السهل، ومعانيها الواضحة، ولكن هذا النوع يحد منه

---

(١) عماد الدين القرشي الدمشقي، البداية والنهاية «ج١٣، ص١٩٠، ١٩٣.

(٢) الديوان، ص٨٠.

السبحات الخيالية التي تتيح للشاعر الابتكار في الصور، والتوقد في العاطفة وتجسيدها..ولعل السبب في ذلك يعود إلى التعلق الشديد بعلم من العلوم بحيث تنطبع مصطلحاته، وقوانينه، وشروطه في ذهن الشاعر وتتحول مع الزمن إلى جزء من خياله في أن يبحث لمشاعره وأفكاره عن صورة تجسدها حتى تواتيه تلك القوالب الجاهزة فيصبها فيها، وهذا النوع من الشعر سهل الحفظ، فضلاً عن أهمية الشعر بشكل عام وتأثيره في المجتمع، إلا أنه لا يأخذ من الشعر إلا الموسيقا والوزن، وهذا غير كاف لأن نطلق عليه صفة الشعر. وعلى هذا فهو نظم، وليس شعراً، ويقول أحمد الهاشمي في كتابه «الأسلوب العلمي»: وهو أهدأ الأساليب، وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم، والفكر المستقيم، وأبعدها عن الخيال الشعري؛ لأنه يخاطب العقل، ويناجي الفكر، ويشرح الحقائق العلمية التي لا تخلو من غموض وخفاء، وأظهر ميزات هذا الأسلوب (الوضوح). ولا بد أن يبدو فيه أثر القوة والجمال وقوته في سطوع بيانه، ورصانة حججه، وجماله في سهولة عباراته، وسلامة الذوق في اختيار كلماته، وحسن تقرير المعنى في الإفهام، من أقرب وجوه الكلام[1].

ونلمس إجادة شاعرنا في باب النظم في كثير من قصائده، وذلك لشدة تعلقه بالدعوة السلفية، فقد انصرف في نظمه إلى أهم ما جاءت لنشره، وهوالتوحيد، فكتب في العقيدة: «جوهرة التوحيد»، و«الشهب المرمية على المعطلة والجهمية»، وغيرهما، كما أنشأ منظومة تاريخية شملت العصور الإسلامية حتى نهاية الدولة العباسية.

---

(١) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع «ص٤٣.

- ٨ -

موضوعات أخرى

أ - النصح والإرشاد:

قلما نجد قطعة شعرية لدى ابن مشرّف تخلو من نصح وإرشاد، وتقويم وإصلاح. وقد لجأ شاعرنا إلى هذا اللون؛لأنه من أكبر حاملي ألوية الدفاع عن الدعوة، لما خصه الله به من تعقل، وفصاحة وحكمة، وحس مرهف، يضاف إلى ذلك الظروف الصعبة التي ولدت وترعرت في عصره.. كل هذا وذاك دفع شاعرنا إلى هذا الميدان، وسمح له أن يحمل القسط الأكبر للدفاع عن العقيدة، فمن الصعب أن يقف مكتوف الأيدي، فتفاوتت صيحاته، وتباين صوته بين حث وتحريض وتنديد لقومه ليصحوا من غفوتهم، واضعاً أيديهم على مواطن اضطراب القيادة، منتقداً سياستهم، فاتحاً أعينهم على سبب بلائهم وفرقتهم بكل أدب واحتشام وترفع عن الإفحاش، وزجر مهذب، فله قصيدة واحدة متفردة بالنصيحة مكونة من خمسة أبيات حيث بدأها بنصح المسلمين جميعهم وإرشادهم إلى الحق المبين، وتحذيرهم من الباطل والمبطلين، فهذا يعدّ من الدين. قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1]. وقال الخطابي -رحمه الله- النصيحة: كلمة جامعة معناها: «حيازة الحظ للمنصوح له»[2]،

(١) رواه مسلم في باب الإيمان، الحديث رقم ١٩٦.

(٢) محمد علي السعودي، استئناس الخطيب والواعظ بالخطب والمواعظ، ج٢، ص٢١٧.

ونستشهد على ذلك بقول شاعرنا[(١)]:

وكن ناصحاً للمسلمين جميعهم ... بإرشادهم للحق عند خفائه
ومرهم بمعروف الشريعة وانههم ... عن السوء وازجر ذا الخنا عن خنائه
وعظم بآيات الإله بحكمة ... لعلك تبري داءهم بدوائه
فإن يهد مولانا بوعظك واحداً ... تنل منه يوم الحشر خير عطائه
وإلا فقد أديت ما كان واجباً ... عليك، وما ملكت أمر اهتدائه

وهذا المعنى منقول من قوله ﷺ: «يا علي: فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[(٢)].

ومهما يطل بالإنسان العمر، وينشط به العزم، فعمره قصير، ونشاطه محدود بوقت معين، فلابد من اقتناص الوقت، والحرص عليه بما ينفع، فجاء بإرشادات ونصائح بصورة الأمر «احرص، اجتهد، أنفق»، فهو يحث على طلب العلم، وبذل المال والنفس في جني ثماره، ومن ذلك قوله[(٣)]:

ومن بعد إقراء السلام فقل له ... على العلم فاحرص، واجتهد في اقتنائه
وأنفق جميع العمر في غرس كرمه ... لعلك تحظى باجتناء جنائه[(٤)]

إلى قوله[(٥)]:

ومن أعظم التقوى النصيحة، إنها ... من الدين أضحت مثل أس بنائه
فلله فانصح بالدعاء لدينه ... وطاعته مع خوفه ورجائه
فكن تالياً آي الكتاب مداوياً ... بها كل داء، فهي أرجى رجائه
فمنه ينابيع العلوم تفجرت ... وما فاض من علم فمن عذب مائه

---

(١) الديوان، ص٣٨.
(٢) سنن أبي داود، أول كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، حديث رقم: ١٤١٨.
(٣) الديوان، ص٣٦.
(٤) جنائه: ثماره.
(٥) الديوان، ص٣٦،٣٧.

ومرحلة الشباب من عمر الإنسان جواد مسرج متأهب للطراد، مقبل على الدنيا إقبال الراغب في شهواتها، ولكن على الإنسان ألا ينخدع بقوته وشبابه ودنياه، فاللذة عابرة، والحياة مهما تطل وهم كبير، ولذاتها ظلال راحلة، فإن لم ترحل اللذات عن الإنسان رحل هو عنها، فيجب عليه استثمار قوته وشبابه ودنياه بما ينفعه في أخراه؛ وذلك بتمسكه بدين الحق عن طريق الوقوف في وجه الشهوات والتعالي عليها، والترفع عن الاستجابة إليها؛ لينتهي به المطاف إلى رضاء الله سبحانه وتعالى، ويحذر شاعرنا من التعلق بالآمال بقوله(١):

وإياك والآمال فالعمر ينقضي ... وأسبابها ممدودة من ورائه
وحافظ على دين الهدى فلعله ... يكون ختام العمر عند انتهائه
فدونك مني فاستمعها نصيحة ... تضارع لون التبر حال صفائه

فهي نصيحة صادقة من صديق محب ذي وجه واحد صريح بعيدة من الغش والزيف(٢).

مبرأة من كل غش لأنها ... بدت من ودود صادق في إخائه

ويبصر شاعرنا الإمام فيصل بن تركي، وينصحه حتى لا يقع في الخطأ بأن يستخلص الخيار من الناس ليكونوا له بطانة صالحة، ويبتعد من السفهاء، ومنه(٣):

واجعل بطانتك الخيار ذوي النهى ... واحذر مخالطة السفيه الأرذلِ

وأن يلتمس النصيحة عند ذوي الألباب الأصفياء، ويشاور الأذكياء وذوي الفطنة حتى لا يندم على ما قد يحدث(٤):

---

(١) الديوان، ص٣٩.
(٢) الديوان، ص٣٩.
(٣) الديوان، ص٨٨.
(٤) الديوان، ص٨٨.

لا تستشر إلا لبيبا ناصحاً
بالعقل يختبر الأمور ويجتلي

ويوضح شاعرنا السبب الرئيس في مصاحبة هذه الفئة من الناس فالزمان متقلب لا يؤمن، والشر فيه غالب والشؤم عليه طاغ، والرجل الفطن النبيه هو الذي يستند إلى هؤلاء؛ لما يتميزون به من رجاحة عقل، وصدق وأمانة في زمن فقد كل هذه الخصال الحميدة، ومن ذلك قوله[1]:

وَأسِئْ ظنونك في الزمان فإنه ... من فطنة الرجل النبيه الأنبلِ
ما حسن ظنٍ في الزمان وأهله ... إلا سجية أبله ومغفل
زمن به فقد الأمانة والوفا ... والصدق كالعنقاء غير محصل

وحذر ابن مشرّف الإمام من الوشاة الذين يعملون النصح إذا أقبلت الأمور إليه، ويكونون أعياء إذا أدبرت عنهم، فيتقلبون مثل الأفعى بتقلب موازين الحياة، حيث يقول[2]:

فأحسن إلى من قد رعيت ولا تطع ... بهم واشياً مقصوده الغش والردى
يريكم لدى الإقبال نصح مودة ... وإن عضكم دهريكن أكبر العدا

كما يحذر من النمام، لما ينشره من فساد بين الناس[3]:

ولا تصغ للنمام سمعك إنما
يجيء به الإفساد والإثم حاصله

ويدعو الشاعر إلى وقفة صلبة أمام الأعداء، وعدم التهاون، حتى وإن دفعه ذلك إلى الإقبال على ميادين القتال؛ لكسر شوكتهم، وتقليم أظفارهم، فبذلك ينقاد لهم ألد أعدائهم، وفي المقابل المحسن يعامل بالحسنى، فالجزاء

(١) الديوان، ص٨٨.
(٢) الديوان، ص٥٦.
(٣) الديوان، ص٩١.

من جنس العمل، ويشير شاعرنا إلى ذلك بقوله[١]:

وجاز ذا الحسنى بإحسانه   واسق الأعادي من كؤوس الحمامْ
وحكِّم السيف بمن قد عتا   ينقاد للحق ألد الخصام

ويؤكد على استخدام القوة مع الأعداء والمجاهدة في سبيل الله لإعلاء كلمة التوحيد، والضرب على يد كل معاند، ومن ذلك قوله[٢]:

وقاتل بسيف الوحي كل معاند
فليس له من نبوة حين تضرب

والعدل بين أفراد الرعية، والبعد عن الظلم، والتأليف بين قلوبهم مطلب لتوحيد صفهم، وحماية أرضهم عند النوائب، ومن ذلك قوله[٣]:

وبالعدل سس أمر الرعية واحمهم   عن الظلم كي ينمو لك الخير والأجرُ
وألف بني الأحرار في زمن الرخا   تجدهم إذ الهيجاء شدت لها الأزرُ

وفي الختام ينصح الإمام بشكر الإله على نعمه الفاضلة التي لا تعد ولا تحصى، ففي شكر النعمة حفظ لها وزيادتها لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٤]، فألبس شاعرنا معنى هذه الآية الكريمة أبياته التالية[٥]:

فاحمد إلهك إذ أنالك ملكه   وحباك بالنصر العزيز الأجملِ
وسقاك صفو الملك بعد كدوره   فنهلتنا من عذب ذاك المنهلِ
فاحفظ فواضله بواجب شكره   إن الشكور لفي مزيد تفضلِ

ومجمل القول في شعر النصح والإرشاد عند ابن مشرّف أن نصائحه اصطبغت بالصبغة الدينية، وهذا واضح في الأبيات المبثوتة في طيات الديوان؛

---

(١) الديوان، ص٩٨.

(٢) الديوان، ص٣٤.

(٣) الديوان، ص٦٧.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٥) الديوان، ص٨٨.

لعمق إحساسه الديني، فتأتي ألفاظ القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة دون أن يشعر، كما ينطبع عليها الطابع السياسي، فالمؤامرات والانقلابات هي الباعث الحقيقي لها، فجاءت بأسلوب الحث والتحريض والتنديد؛ للأخذ بمسالك الهدى، وتحقيق الأمن، وإعلاء كلمة التوحيد، فكل هذا يدل على أنها صادرة من إنسان محب صادق؛ لذلك تسمع أصداء الواقعية تتجاوب فيها قوية الوقع منفعلة ومهتاجة.

ب - الوصف:

الوصف من أهم أغراض الشعر[١]، ومن أرحب مجالاته، ولو تأملنا حقيقة الشعر لقلنا: إنه وصف كله[٢]؛ لأن أكثر الشعر يرجع إليه، فهو أحد مقوماته وركائزه الأساسية، لوجوده عند كل الشعراء في جميع الأغراض.. ففي الفخر وصف للحسب والنسب، والشجاعة وعلو الهمة، ومختلف الفضائل، وكذلك في المدح، وفي الغزل وصف لمحاسن المحبوب، وهكذا في جميع الأغراض لابد من اعتماد الوصف في بناء الصورة الشعرية[٣]. وقد فطن لذلك نقادنا القدامى، فابن رشيق مثلاً يرى أن «الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه[٤]. فهو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع كأنه يراه أو يسمع به[٥]. فالوصف يعتمد اعتماداً كلياً على التصوير والتشبيه بمختلف أنواعه البسيطة والمركبة[٦]. ولكننا عندما نبحث بين دفتي ديوان شاعرنا، فإننا لا نعثر على

(١) شعر الأسر والسجن في الأندلس، ص٤٩.
(٢) في الشعر العباسي الرؤية والفن، ص٣٨٠.
(٣) شعر الأسر والسجن في الأندلس، ٤٩.
(٤) العمدة «ج٢، ص١٠٥٩.
(٥) أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ج٢، ص٢٦.
(٦) شعر الأسر والسجن في الأندلس، ص٥٠.

شعر الوصف إلا في قصائد أو أبيات قليلة، مثل وصفه للمحبوبة في مطالع قصائده، فقد اعتمد على الأوصاف المادية والتشبيهات المألوفة التي تقترب -إلى حد كبير - من أوصاف معظم الشعراء الجاهليين، وقد ظل هذا الطراز من الأوصاف مستمراً عبر العصور المختلفة، وإن تنوعت الموصوفات، فنجد الأصالة لدى شاعرنا،حيث يقف على أطلال محبوبته يبكي، ويتذكر الأيام الخوالي وأنت تسمعه تشعر كأنك أمام شاعر جاهلي يبكي على ديار الحبيبة التي درست، وغيّر معالمها هبوب الرياح، ونزول المطر، بعد أن كانت مرتعاً لأوانس كالدمى، عبثت بهن تطاول الأيام، وعملت على تشتيتهن، فتحول عنها الأهل والأحباب، فلا أنيس ولا جليس فيها، واستمر في ذلك أحد عشر بيتاً سبقت الإشارة إليها في باب الغزل، وهي(١):

أراك بشكوى الهجر تهذو وتطنب	وتبكي على أطلال سلمى وتندب
وتستوقف الركب المجدين في السرى	على دارس الأطلال والدمع يسكب
فأضحت رسوماً باليات كأنها	من الدرس خط في الصحائف يكتب
محا رسمها ذاري الرياح وهامع	من المزن سحاً ودقه يتحلب
فلم يبق إلا موقد النار للقرى	وموضع أطناب الخبا، حين يضرب
كأن لم يكن فيها أنيس ولم تكن	بها الكاعب الحسناء للذيل تسحب
ولم تسرح الأنعام بين مروجها	ولم يلتق الحيان: بكر وتغلب
تسائل عن إلف نأي كلَّ راكب	وما صاحب الأشجان إلا معذب
لريح الصبا تصبو وتعروك هزة	إذا ذكرت سعدى لديك وزينب
وتعجب مني إن عذلتك في الهوى	وعشقك بعد الشيب في النفس أعجب

وعندما بعدت الدار زاد الأنين، وانسكب الدمع، وأوى إلى زفرات محرقة تذيب قاسي الحديد، فليس أمامه إلا أنه يرى طيفها في المنام، ويرسم صورتها الجميلة في الخيال، فوصف لنا كل ما يمكن أن تقع عليه

(١) الديوان، ص٣٢.

عيناه وصفاً تفصيلياً دقيقاً مكثراً من الأوصاف القديمة،مما يدل على استيعابه التام لها، والسير على منهاجهم، وذلك عن طريق التشبيه، فوجهها مشرق وضاء كالشمس، بل الشمس تأخذ أشعتها من غرة تلك الحسناء، وشعرها كالليل المدلهم، والقد مياس كأنه الغصن في تثنيه وتمايله، أما اللحظ فسهام قاتلة للعاشقين، وريقها أحلى من الماء العذب الزلال، ونذكر - على سبيل - المثال هذه الأبيات التي يقول فيها[1]:

فتاة كأن الشمس غرة وجهها ... ومن شعرها يبدو لك الليل أسودا
ويفضح غصن البان في الميد قدها ... ويحكي لك اللحظ الحسام المهندا
فكم قتلت من عاشقيها بحده ... وكم قد حمت من سلسل الثغر موردا

ونجول في المواقع الحربية، والحوادث التي حدثت خلال حياة شاعرنا، وكيف وصفها، فتتخير عدسته المصورة الغارة التي شنها عبدالله ابن الإمام على الأعداء،فقد انقض عليهم انقضاض الأسد على فريسته في معركة حامية الوطيس، فقمع الأعداء، وشتت شملهم، فانقسموا إلى قسمين قتلى وأسرى، إذ يقول[2]:

أعد لمن رام الخلاف سليله ... أبا النجم «عبدالله» كالليث مرصدا
فكم غارة قد شنها بعد غارة ... أصار بها شمل العو مبددا
وصيرهم قسمين: هذا مجندل ... قتيل، وهذا في الحديد مصفدا

كما وصف الخارجين عن الهدى بالخفافيش التي لا تخرج إلا في ظلمة الليل، وتختفي في وضح النهار؛ لعدم قدرتها على الرؤية، ولكن هؤلاء تنعدم عندهم الرؤية أيضاً في الظلام، فهذا دليل على جبن هؤلاء وخوفهم من شجاعة الإمام وأعوانه، فهم لا يخروجون أبداً لملاقاته[3].

---

(١) الديوان، ص٦١.
(٢) الديوان، ص٥٥.
(٣) الديوان، ص٣٣.

خفافيش أعشاها النهار بضوئه فوافقها في ظلمة الليل غيهب
فظلت تحاكي الطير في ظلمة الدجا وإن لاح ضوء الصبح للعش تهرب

كما وصف شجاعة الإمام بأنه «مسعر حرب»، وهو وصف عربي قديم، أي: يشعل الحرب، كما يشعل النار في الهشيم، كما وصفه بصفات إنسانية، فهو رؤوف على المساكين، صفوح عن الجاني، سؤول عن العاني، نصير للعلم والدين، ذو أصل كريم عالٍ، وصور هذا كله بأبدع الصور، كما أنه بحر في عطائه، شجاع متأهب للقتال في كل حين، فأسيافه دائماً حادة، ومن ذلك قوله[١]:

وأما إمام المسلمين فإنه لمسعر حرب بالمساكين يرأفُ
صفوحاً عن الجاني وإن كان مجرماً سؤولاً عن العاني[٢] به يتطلف
وينصر أهل الدين والعلم والحِجا ويكرمهم بالمكرمات ويتحف
مطاياه في غزو العدو مشيحة عطاياه تزري بالكنوز وتجحف
هو البحر ينتاب العطاش وروده وكل امرئ يروي المزاد ويغرف
فأسيافه من خصمه ترعف[٣] الدما وأقلامه بالبذل والجود تزغف[٤]

وأبرز سمات الوصف أنه لم يكن غرضاً متفرداً،بل هو داخل في كل الأغراض، فلا نجد قصيدة أوقفها ابن مشرّف مثلاً على وصف روضة، أو معركة، أو فتاة، وإنما نجد الوصف ركناً من أركان القصيدة كالحجر في البناء، أو حلية تجمل الفكرة كالسوار في المعصم، كما نلاحظ غلبة الطابع الحسي على الصور، وقرب المشبه من المشبه به ليزيد المعنى وضوحاً، ويؤثر في العاطفة تأثيراً بيناً، مع محاولة بث الحياة والحركة في الجوامد،

(١) الديوان، ص٨٢.
(٢) العاني: الفقير الذي يكابد الحياة.
(٣) ترعف: تسيل الدماء إلى حد الهلاك.
(٤) تزغف: أي تسيل.

وبعث المشاركة الوجدانية بينه وبين ما يصف لاستثارة المشاعر، واستجاشة النفوس للإحساس بالجمال، ويكون ذلك بمقدار صدق الوصف ودقته في سرد التفصيلات.

ج - الحكم:

درج الشعراء العرب من قديم الزمان على ترصيع قصائدهم بأبيات الحكمة التي يودعون فيها نتاج ثمار تجاربهم في الحياة، ومحصلة خبرتهم بها، ونتاج ثقافتهم، فهي تمثل موقفهم من أحداث الحياة، وصروف الزمان دون قصد إليها.

ولم يقف النقاد عند شعر الحكمة؛ لأنه لم يكن غرضاً خاصاً من أغراض الشعراء يقصدون إليه، وإنما كانوا يصنعون الحكمة في أثناء شعرهم، أو آخر قصيدتهم، ودرجوا على هذا المنوال، فضمنوا قصائدهم نظرتهم في الحياة مركزة في جمل قصيرة موجزة[١]. تمثل أسس التعامل، وتجسد العلاقات الاجتماعية، والأبعاد النفسية للتصرفات الإنسانية ومراميها ومعانيها، فهي ثروة كبرى ينبغي أن نستفيد منها[٢]. بما تفيض من أدب وثقة ودعوة إلى مواجهة المحن والخطوب ونصح وموعظة[٣].

وتتناثر أبيات تحمل ألواناً من الحكمة في تضاعيف شعر ابن مشرّف متوافقة مع مراميه السياسية والدينية، صادرة من إنسان واع، عاقل، مثقف، متدين، صادق الولاء للدولة السعودية، فلمست هذه الحكم أوتار القلوب، وزلزلت كيان الأسود، ودفعتهم إلى التفكير فيها، فكان من نتائج تفكيرهم وتأملاتهم العمل بها، وقد ضرب شاعرنا بسهم وافر من الأخلاق النبيلة على

(١) شعر الأسر والسجن في الأندلس، ص١٦٣.

(٢) هكذا جاءت في المرجع الصواب «أن نفيد منها».

(٣) عبدالله بن حمد الحقيل، على مائدة الأدب، ص٩٢.

ممدوحه، فهو كريم النفس واليد، يعين كل فقير بائس، وهذه الأخلاق طبع وفطر عليها - سبقت الإشارة إليها في باب المدح - فبالبذل والإنفاق تستألف القلوب، وتستر العيوب، كما ينهاه شاعرنا هنا عن الشح والحرص، فالحرص لن يزيد فيما قسم له، ولكن سيقف أعوانه في وجهه معارضين معاندين له بعد أن كانوا مساندين، حيث يقول[١]:

من جاد جاد عليه الله واستترت ... عيوبه وكفى بالجود سربالا
من جاد ساد ومن شحت أنامله ... بالبذل أمست له الأعوان خذالا

ويبين شاعرنا أن خير سلاح للمرء أمام الحوادث والنوازل وهو الصبر الجميل يتدرع به، فإذا اشتدت على الإنسان الكروب، وتوالت عليه المصائب، فليعلم أن الفرج قريب من عند الله، ولكن يلزمه الصبر عند نكبات الحياة، ومفاجآت الدهر، وانغلاق الأبواب، فالله يرفع البلاء، ويدفع الغلاء، ويكشف السوء، ويجعل بعد عسر يسرا، ومن ذلك قوله[٢]:

لا تيأسن إذا الكروب ترادفت ... فلعلها ولعلها ولعلها
واصبر فإن الصبر يبلغك المنى ... حتى ترى قهر العداة أَقَلَّها

فبالصبر ينال الإنسان المجد، ويصل إلى مبتغاه وآماله[٣]:

صبرت فنلت النصر بالصبر والمنى
«وما انقادت الآمال إلا لصابر»

ويجمع شاعرنا بين الصبر وبذل المال في بيت واحد حيث يقول[٤]:

ثنتان كلتاهما للود جالبة
صبر جميل وكف يبذل المالا

---

(١) الديوان، ص٨٤.
(٢) الديوان، ص١٠٣.
(٣) الديوان، ص٦٩.
(٤) الديوان، ص٨٤.

وتتوق نفس الإنسان دائماً إلى العلياء، ولكن كيف يصل؟ فيشير شاعرنا إلى ذلك بقوله: إن من يطلب العلا لابد أن يقدم لها نفسا ملتهبة متجهة نحو ساحة الوغى بسيوف متنمرة على الأعداء، وأخلاق كريمة للأعوان، ومن قوله(١):

وهل يدرك العلياء إلا مهذب
أضاف إلى الإحسان سيفاً مجرَّدَا

ويقول في موضع آخر(٢):

لا تحسب المجد سهلا في تناوله
لولا المشقة كل للعلا نالا

ويبين شاعرنا أن الحياة الدنيا ملأى بالمحن والمتاعب، فهي لا تثبت على حال دائمة التغير والتحول، فمن تكرمه اليوم فقد تهينه غداً، ومن تضحكه فقد ينتهي به المطاف إلى البكاء، فيحذر شاعرنا منها بقوله(٣):

وإياك والدنيا الدنية إنها ... هي السحر في تخييله وافترائه
متاع غرور لا يدوم سرورها ... وأضغاث حلم خادع ببهائه
فمن أكرمت يوماً أهانت له غداً ... ومن أضحكت قد آذنت ببكائه
ومن تسقه كأساً من الشهد غدوة ... تجرعه كأس الردى في مسائه

فهذه الدنيا لا تساوي جناح بعوضة عند الله سبحانه وتعالى، حيث يقول شاعرنا(٤):

فيا رافع الدنيا على العلم غفلة ... حكمت فلم تنصف ولم يصب الحكمُ
أترفع دنيا لا تساوي بأسرها ... جناح بعوض عند ذي العرش يا فدم

---

(١) الديوان، ص٥٥.
(٢) الديوان، ص٨٤.
(٣) الديوان، ص٣٨.
(٤) الديوان، ص٤١.

كما يحذر شاعرنا من الاستهانة والسخرية من الأمور الصغيرة التي تعترض الإنسان، فهي مما لا ينتبه له، ولا يعيرها أي اهتمام، بل يحتقرها ويضعها في زمرة الهين السهل، وإذا هي آفة تفتك به وبكل شيء حولها، فيقول ابن مشرّف[1]:

ولا تحقر الخصم الضعيف لضعفه
فكم خرب الجرذان في سدّ مأرب

حث شاعرنا على طلب العلم، فهو نور للقلوب والعقول والأبصار، فبه تنكشف غيوم الجهل، وتشرق شمس الحياة، حيث يقول[2]:

وما الناس دون العلم إلا بظلمة
من الجهل لا مصباح فيها ولا نجم

ونستخلص مما سبق: أن شعر الحكمة لدى شاعرنا ابن مشرّف هو خلاصة تجارب عاشها، أو استمدها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن التراث الشعري العربي القديم، فقد جاءت منثورة بين الموضوعات الأخرى مكملة لها وموضحة، يغلب عليها الطابع الديني المتمثل في أفكاره وقيمه التي يؤمن بها من طلب علم، وبذل وإنفاق، وصبر، واحتقار للدنيا، وإنكار لبعض الأفعال والعادات، كما أن لغة الشاعر سهلة ليس فيها غرابة ولا خشونة، وتتميز بتكثيف العبارة واختصارها، مما يتناسب مع هذا الغرض الشعري.

(١) الديوان، ص٤٧.
(٢) الديوان، ص٤٠.

الفصل الرابع
الخصائص الفنية

أولاً: خصائص المضمون:

١-التجربة الشعرية.

٢- العاطفة.

٣- الأفكار.

ثانياً: خصائص الشكل:

١- بناء القصيدة.

٢- الألفاظ والتراكيب.

٣- مظاهر الطبع والصنعة.

٤- الصورة الشعرية.

٥- الأوزان والقوافي.

أولاً
خصائص المضمون

١ - التجربة الشعرية:

التمهيد:

عندما يستطيع الإنسان التعبير عما بداخله من مشاعر وأحاسيس، وقد عاش تجربة صادقة، فإن ما يصدره من ألفاظ ومعانٍ يستطيع أن يصل بها إلى قلوب الجميع.

«فلم تصدر التجارب الشعرية العالمية الخالدة؛ إلا عن تجارب عاشها أصحابها وعاشوا لها، وغاصوا في أعماق أنفسهم يتأملون، ويسجلون المشاعر والحقائق فجاءت صوراً نفسية عميقة[1]».

«وهذه التجربة الشعرية، حين تلبس حلتها من الشعر، تسمى تجربة شعرية، وتمتاز إذ ذاك عن بقية التجارب في الفنون الأخرى بما يصاحبها من انفعال حاد، يتحول في الصياغة إلى صور حية متحركة، تثير المشاعر، وتلك طبيعة الشعر، كل ما فيه يتسم بالحرارة والإشارة لشدة لصوقه بالعاطفة والوجدان[2]».

والمتأمل في ديوان الشاعر أحمد بن مشرّف يجد تجربته الشعرية ما بين إسلامية وأصالة شعرية وتاريخية.

---

(١) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ص ٣٩١.

(٢) الرؤية الحضارية في النقد العربي الحديث . محمد عبدالحميد سيد أحمد، ص٣٩١.

فتجربته الشعرية في القصيدة الأولى التي تحمل عنوان «جوهرة التوحيد» إسلامية (عقيدة وتوحيد) يقول ابن مشرّف في مطلع قصيدته[١]:

الحمد لله الإله الواحد ... المتعالي شأنه عن والد
فلم يلد جل ولا يولد ولا ... كفواً له فجل شأناً وعلا
ثم الصلاة والسلام سرمدا ... على الذي أوضح منهاج الهدى

ثم يقول أيضاً[٢]:

والشرك لا يغفره الله حشا ... وغيره يغفره لمن يشا
والسيئات بعضها صغائر ... كما أتى، وبعضها كبائر
فالعمل الصالح للصغائر ... مكفر كالترك للكبائر
فالوضو والجمعة والصلاة ... والصوم والحج مكفرات

ونجد من خلال ما سبق أن أفكار الشاعر قد امتزجت بعاطفته، واستطاع أن يصوغ ذلك في أبياته مع اليسر والوضوح وسار في هذا على طبعه، مع المحافظة على العمود الشعري القديم، وإن كان هذا نظماً كما هو مقرر في نظم العلوم ومتون الفنون.

أما في قصيدته الثانية «أصل التوحيد» فهي كالقصيدة الأولى «جوهرة التوحيد» تكاد الأفكار تتحد في جلها، فنجده عندما يتحدث عن عقيدة ابن أبي زيد في رسالته يقول[٣]:

الحمد لله حمداً ليس منحصراً ... على أياديه ما يخفى وما ظهرا
ثم الصلاة وتسليم المهيمن ما ... هب الصبا فأدر العارض المطرا
على الذي شاد بنيان الهدى فسما ... وساد كل الورى فخراً وما افتخرا
نبينا أحمد الهادي وعترته ... وصحبه كل من آوى ومن نصرا

---

(١) الديوان، ص٩.
(٢) الديوان، ص١٦.
(٣) الديوان، ص١٩.

وأيضاً عندما يتحدث في باب ما تعتقده القلوب، وتنطق به الألسن من واجب أمور الديانات نجده يقول[١]:

وأول الفرض إيمان الفؤاد كذا ... نطق اللسان بما في الذكر قد سطرا
أن الإله إله واحد صمد ... فلا إله سوى من للأنام برا
رب السموات والأرضين ليس لنا ... رب سواه تعالى: من لنا فطرا
وأنه موجد الأشياء أجمعها ... بلا شريك ولا عون ولا وزرا

وعندما نأتي إلى القصيدة الثالثة «الرد على الجهمية والمعطلة» نجد أن تجربة الشاعر فيها دينية مع الدفاع والرد على الجهمية والمعطلة فنجده يقول[٢]:

نفيتم صفات الله، فالله أكمل ... وسبحانه عما يقول المعطلُ
زعمتم بأن الله ليس بمستوٍ ... على عرشه، والاستوا ليس يجهل

أما القصيدة الرابعة، ففيها قضية كانت مثارة بين أهل العلم وهي (قضية القبور) وقد رد على عثمان بن منصور أولاً الشيخ ابن عبدالوهاب وولده الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن عبداللطيف.. ويصوغ الشيخ ابن مشرّف هنا هذه الردود شعراً رائعاً، وفي الرد صور كثيرة تناسب مقام الرد ستتضح في فصل (الألفاظ والتراكيب). فنجده يقول[٣]:

ركيك قواف صاغها فتكسرت ... وحاصلها كالعجل مستوجب الكسر
وقفت على نظم لبعض بني العصر ... تضمن أقوالاً بقائلها تزري

والقصيدة الخامسة ملحقة بالرابعة؛ لأنها مستزادة، فنجده يقول[٤]:

يا ظبية البان، بل يا ظبية الدور ... هل أنت من نسل حوَّا أو من الحور؟
الصبح من وجهك الأسنى الصبيح بدا ... والشعر داج بظلماء وديجور

---

(١) الديوان، ص٢٠.
(٢) الديوان، ص٢٤.
(٣) الديوان، ص٢٩.
(٤) الديوان، ص٣١.

وأما القصيدة السادسة فجاءت في هجاء عين نجم لأسباب شرعية، وتتجلى في الأفكار الثابتة في موضعها تقريبا، ونجده يقول[١]:

ألا فاتركا عيناً تضاف إلى نجم ... فقبتها بالهدم أولى وبالرجم
لأن بها مأوى لمن يقصد الخنا ... وكم فعلوا فيها من الرقص والإثمَ
تشم بها الكبريت أخبث ريحه ... تضر، وطيب الريح أنفع للجسم
وهل ماؤها إلا حميم لحرّه ... يذيب الذي في الكليتين من الشحم

وتأتي القصيدة السابعة على نمط القصيدة السابقة في قبة عين نجم بعد هدمها، يقول[٢]:

يا أيها العين كم تبكيك من عين ... هذا بذنب جرى أم نظرة العين؟
ألم تكوني لأرباب الفسوق ومن ... أراد لهواً ولعباً قرة العينَ؟
فيا خسارة من بالمال شيدها ... الدمع من عينه يجري على العين
ما نال أجراً ولم تحمد صنيعته ... بل صار يقرع بالخسران سِنَّين

وأما قصيدة «شرف العلم» فالتجربة فيها (دينية)،حيث جعل العلم الشرعي هوالذي يورث التقى كما قال[٣]:

وما أحسن العلم الذي يورث التقى ... به يرتقي في المجد أعلى سمائه
ومن لم يزده العلم تقوى لربه ... فلم يؤته إلا لأجل شقائه
وما العلم عند العالمين بحده ... سوى خشية الباري وحسن اتقائه

ويسترسل في ذلك إلى أن قال[٤]:

ومن يتبع رايات سنة أحمد ... يكن يوم حشر الناس تحت لوائه

---

(١) الديوان، ص٣٤.

(٢) الديوان، ص٣٥.

(٣) الديوان، ص٣٦.

(٤) الديوان، ص٣٧.

وتجربة الشاعر في قصيدة «الأخذ بالحديث الشريف» تعليمية إرشادية، فهو يشير ويصرح بتقديم كلام رسول الله ﷺ، فالمقدم بعد القرآن الكريم هو كلام النبي ﷺ، فنجده يقول[١]:

وقدم أحاديث الرسول ونصه ... على كل قول قد أتى بإزائه
فإن جاء رأي للحديث معارض ... فللرأي فاطرح، واسترح من عنائه
فهل مع وجود البحر يكفي تيمم ... لمن ليس معذوراً لدى فقهائه؟
وهل يوقد الناس المصابيح للضيا ... إذا ما أتى رأد الضحى بضيائه؟

وتجربة ابن مشرّف في قصيدة «النصيحة للمسلمين» دينية إرشادية، ففيها نجده يقول[٢]:

وكن ناصحاً للمسلمين جميعهم ... بإرشادهم للحق عند خفائه
ومرهم بمعروف الشريعة وانههم ... عن السوء،وازجر ذا الخنا عن خنائه
وعظهم بآيات الإله بحكمة ... لعلك تبري داءهم بدوائه

وكذلك جاءت قصيدة «ذم الدنيا» على نمط القصيدة السابقة «النصيحة للمسلمين»، فطبق مافيها على نفسه في قصيدة «ذم الدنيا» وهذا دليل على أن الشاعر أخذ حياته بالشرع، وفهم الدنيا بحقيقتها، وأنها خادعة، ومتاعها قليل، وعما قريب ستزول، فنجده يقول في الافتتاح[٣]:

وإياك والدنيا الدنية إنها ... هي السحر في تخييله وافترائه
متاع غرور لا يدوم سرورها ... وأضغاث حلم خادع ببهائه
فمن أكرمت يوماً أهانت له غداً ... ومن أضحكت قد آذنت ببكائه

وفي هذه القصيدة يؤكد زهده في الدنيا، ويقول[٤]:

---

(١) الديوان، ص٣٧.
(٢) الديوان، ص٣٨.
(٣) الديوان، ص٣٨.
(٤) الديوان، ص٣٩.

فدعها فإن الزهد فيها محتم وإن لم يقم جل الورى بأدائه
ومن لم يذرها زاهداً في حياته ستزهد فيه الناس بعد فنائه

والتجربة في قصيدة «رثاء العلم» هي تجربة واقعية للشاعر، فقد رأى من أهل الدنيا بعداً من العلم، وكأن العلم قد مات، فرثاه بهذه القصيدة الطويلة التي عبرت عن تجربة ملأت عليه قلبه وعاطفته وعقله، يقول ابن مشرّف[1]:

على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم ولم يبق فينا منه روح ولا جسمُ
ولكن بقي رسم من العلم دارس وعما قليل سوف ينطمس الرسم
فآن لعين أن تسيل دموعها وآن لقلب أن يصدعه الهم
فإنّ بفقد العلم شرّاً وفتنة وتضييع دين أمره واجب حتم

ونظرة الشاعر في الأبيات السابقة فيها تشاؤم، وتمضي هذه النظرة الدالة على الانفعال إلى قوله[2]:

فهذا أوان القبض للعلم فلينح
عليه الذي في الحب كان له سهم

ونجد تجربته في هذه القصيدة تشتمل على إرشاد ونصح لطلاب العلم وإنه لم تتوافق مع تجربته في بداية القصيدة فنجده يقول[3]:

فجدَّ وأدِّ الجهد فيه فإنه
لصاحبه فخر وذخر به الغنم

ثم بعد أن عقد مقارنة بين أهل العلم وذوي الملك تبعها بإرشاد للأخذ بالعلم والتمسك به، فيقول[4]:

---

(١) الديوان، ص٤٠.
(٢) الديوان، ص٤٠.
(٣) الديوان، ص٤٠.
(٤) الديوان، ص٤١.

فكـن طالبـاً للعلـم حـق طلابـه ... مدى العمر لا يوهنك عن ذلك السأمُ
وهاجـر له في الأرض حتى ولو نأت ... عليـك فإعمـال المطـي لـه حتـم
وأنفـق جميـع العمـر فيه فمـن يمت ... لـه طالبـاً نـال الشـهادة لا هضـم
فـإن نلتـه فليهنـك العلـم إنـه ... هـو الغايـة العليـاء واللـذة الجسـم

وأما قصيدة «غربة الدين» فكأنها امتداد للقصيدة السابقة؛ ولذلك جاءت تجربة الشاعر قوية،فقد تفجع وتوجع على العلم والدين؛ بسبب تفشي الجهل، يقول الشاعر(١):

واغربـة الديـن ! فاعجب مـن تَغَرُّبه ... عنـد المصـدق فضـلاً عـن مكذبـه
ألا تـرى الجهل بيـن الخافقين فشـا ... والعلـم أغـرب مـن عنقـاء مغربـه؟
أعلامـه درسـت فـي كل ناحيـة ... والبـوم يصـدح فـي أعلـى مخربـه
فاندبـه نـدب محـب للحبيـب رثـى ... بحرقـة مـن فـؤاد فـي تلهّبـه

وتجربة ابن مشرّف في قصيدة «الإمام فيصل بن تركي» تجربة شكوى من حوادث الأزمان، وانقلاب حال الأنام، وتجربته مع هذا الإمام صورة حية يقول(٢):

إلـى اللـه نشـكو حادثـات النوائـب ... ودهـراً دهانـا صرفـه بالعجائـب
يـذل أخـا علـم ويكـرم جاهـلاً ... ولسـت علـى ريـب الزمـان بعائـب
وعيـش مشـوب لا يـزال منكّـدا ... فلذاتـه ممزوجـة بالمصائـب

فالشاعر يشكو إلى الله وحده صروف الزمان، حيث العلماء في هوان، والجاهلون في كرم، والزمان كذلك. وتسير الأبيات على هذا النسق من «الشكوى» من مرارة الأيام، وشدائد الزمان، فيقول(٣):

---

(١) الديوان، ص٤٤.
(٢) الديوان، ص٤٥.
(٣) الديوان، ص٤٥.

وساءلت: هل في دهرنا من مساعد ... على جبر مطلوب وإسعاف طالب
فلم أر إلا الألمعي أخا الندى ... إمام الهدى نسل الكرام الأطايب
كريم المساعي فيصل من يراعه ... على طرسه يحكى هتون السحائب

فبعد أن يستعرض الشاعر مدح الإمام فيصل يؤكد أن القتال مطلوب لحماية الدين، ونشر الأمن، فلا أحد يستطيع أن يبني ملكاً أو مجداً إلا بالشجاعة، فهذا الدين لا حماية له إلا بالأسود الأشداء، ثم بعد ذلك يدعو الإمام فيصل بن تركي لقتال هؤلاء الأعراب قائلاً[١]:

فقل لإمام المسلمين وسر له ... بنفسك، أو أبلغه مَعْ كل راكب
وأنشده إن أحسست منه تثاقلا ... إذا لم يسالمك الزمان فحارب
ولا تحقر الخصم الضعيف لضعفه ... فكم خرب الجرذان في سد مأرب
فقم واستعن بالله وانهض إلى العلا ... فكسب الثنا والأجر خير المكاسب

وفي قصيدة «مدح النبي» نرى في شعره تجربة أخرى هي «الحب الصافي» لسيد العالمين، وهذه التجربة لها أثرها الطيب الزكي في نفس المادح وكلامه، يقول[٢]:

هاشمي قرشي طاهر ... حسن الأخلاق زاكي الأصل سمح
جاء بالدين الحنيفي وقد ... طبق الأرض من الإشراك جنح
فأرى الناس الهدى بعد الردى ... فإذا الحق تجلى منه صبح

فقد مدح الشاعر نسب رسول الله ﷺ وأصله، وأنه ﷺ جاء بالحنيفية، وأوضح للناس طريق الهدى بعدما ضلوا الطريق، فبظهوره ﷺ ظهر الحق، وانكشف النور، ونجده يقول أيضاً مادحاً الرسول ﷺ[٣]:

---

(١) الديوان، ص٤٧.
(٢) الديوان، ص٤٩.
(٣) الديوان، ص٤٩، ٥٠.

هو خير الخلق طراً وبه ... للنبيين جرى ختم وفتح
فبه قد بدئوا واختتموا ... فهو كالمسك له في الختم نفح
فاق في حلم وحكم وحجا ... زانه صدق وصبر ثم صفح
عزمه ماض، وأما علمه ... فهو كالبحر فلا يزريه نزح
فهو في يوم الوغا ليث عدا ... وهو في يوم الندى غيث يسح
كفه عارض جود هاطل ... جاد بالجود فلا يعروه شح

ففي الأبيات السابقة أكد أن الرسول ﷺ هو خير الخلق، وأنه آخر الرسل، وأنه اتصف بالحلم والحكمة، ورجاحة العقل، وجملة الصدق، والصبر والعفو، وأن علمه فياض كالبحر، وأنه شجاع لا يخاف الحرب.. ويمضي ابن مشرّف في مدح الرسول ﷺ على هذا النمط معدداً خصاله ﷺ.

كما مدح ابن مشرّف الرسول ﷺ مدح أصحابه فقال فيهم(١):

وله صحب ليوث همهم ... لدم الكفار في الهيجاء سفح
لم يلاقوا أحداً إلا انثنى ... وتولى وله في العدو جمح
فهم الشجعان إن جاء الضيا ... وهم الرهبان مهما جن جنح
وهم القوم إذا ما عبست ... واكفهرت أوجه للحرب كلح
لا ترى فخراً إذا نالوا ولا ... جزعاً إن نالهم في الحرب قرح
كم سقوا حزب العدا كأس الردى ... وهو في الذوق من العلقم صرح
فهم الأنصار للدين لهم ... أبداً في نصرة الإسلام كدح
بذلوا الأنفُس والأنفَس من ... ما لهم لله ماضنوا وشحوا

فقد مدح الشاعر أصحاب الرسول ﷺ، تلاميذ المدرسة المحمدية، فهم أسود وشجعان بذلوا النفس والمال لنصرة الإسلام، وإذاقة عدوهم كأس الموت.

---

(١) الديوان، ص٥٠.

وأما قصيدة رد الشيخ ابن مشرّف على عثمان بن سند البصري التي أقذع فيها، فالتجربة فيها مريرة؛ لأنه يرد الاعتبار للمسلمين؛ ولذا بدأها بقوله(١):

أليل غشا الدنيا أم الأفق مسود؟ ... أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو؟
أم السرج النجدية الزهر أطفئت ... فأظلمت الآفاق إذا أظلمت نجد؟
نعم كورت شمس الهدى وبدا الردى ... وضعضع ركن للهدى فهو منهد

ويبين ابن مشرّف أن ابن سند قد ذم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأقذع في ذمه، ولذا نجده يرد عليه بكل قوة بقوله(٢):

وقد أقذع البصري في ذم شيخنا ... وأنصاره، تباً لما قاله الوغد
أيهجو إماماً هادياً أرشد الورى ... إلى منهج التوحيد فاتضح الرشدُ؟
وبصرهم نهج المحبة فاهتدوا ... وآبوا إلى الإسلام من بعد أن صدوا
سقى روحه الرحمن وابل رحمة ... وعم هتون العفو من ضمه اللحد
وأبناؤه الغر الكرام قد اقتفوا ... محجته المثلى، وفي نصرها جدوا
فكانوا إلى التوحيد يدعون دأبهم ... فكم قد أفادوا من يروح ومن يغدو

ثم بعد ذلك تأتي ثلاث قصائد لابن مشرّف في الإمام فيصل بن تركي، وتجربته مع الإمام تتكامل في هذه القصائد، ففي القصيدة الأولى يظهر حبه للإمام، فيصفه بصفات كالعلا والسؤدد والمجد، حتى ينال شرف الدنيا وكرامة الآخرة، وعدد له أوصافاً تصلح الدنيا فيقول(٣):

أخو همة في شامخ العز قد علت ... فمن مثله في الفضل والبأس والندى
أبو المجد وابن المجد والمجد أصله ... حليف العلا من كان في الفضل أوحدا
إمام همام باسل باذخ العلا ... له بسطتا فضل وفصل على العدى
فأكرم به فرعاً سلالة مقرن ... وآباؤه الغر الكرام أولو الهدى

(١) الديوان، ص٥١.
(٢) الديوان، ص٢٥.
(٣) الديوان، ص٢٥.

ثم بعد ذلك يعدد له أوصافاً للدين كنصرة الدين، وتقويم المعوج من السنة الغراء، وشجاعة في جميع المواقف، وتأمين البلاد وأهلها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنصاف المظلوم، وإحقاق الحق يقول[1]:

لقد نصروا دين الإله وقوَّموا ... من السنة الغراء ما قد تأودا
هو الأسد الضرغام والضيغم الذي ... إذا سيم خسفا وجهه قد تربدا
لقد أمّن الله البلاد وأهلها ... بوطأته الأعدا ومن كان ملحدا
وأصبح بالمعروف يأمر أهلها ... وينهاهم عن سائر الظلم والردى
قد أنصف المظلوم من كل ظالم ... وللحق أضحى ناصرا ومؤيدا

وبعد أن أشاد بالإمام فيصل أخذ في نصحه وإرشاده، وذلك بأن يتقي الله في السر والجهر، وأن يأخذ بيد المظلوم، والضرب على يد الظالم يقول[2]:

عليك بتقوى الله سراً وجهرة ... ففيها جميع الخير حقاً تأكدا
وخذ بيد المظلوم قد حق نصره ... ولا تترك الباغي معيثاً ومفسداً
وكن حافظاً لله فيمن رعيته ... وناصحهم في القول والفعل جاهدا

وفي القصيدة الثانية يمدح الإمام فيصل،فهو كريم ومع ذلك شجاع في لقائه مع الأعداء، يروي حد سيفه بدمائهم، وإلى جانب ذلك عدد له صفات أخرى كالعفاف والحزم والسؤدد يقول[3]:

تعوَّد بسط الكف طبعاً، وإنما ... «لكل امرئ من دهره ما تعودا»
تعيش اليتامى والضعاف بنيله ... ويروي حدود المرهفات من العدا
وهل يدرك العلياء إلا مهذب ... أضاف إلى الإحسان سيفاً مجردا
فأكرم بهذا من إمام لقد حوى ... عفافاً وإقداماً وحزماً وسؤددا

---

(١) الديوان، ص٥٤،٥٣.
(٢) الديوان، ص٥٤.
(٣) الديوان، ص٥٥.

وفي هذه القصيدة نجد عاطفة الشاعر ملأى بالحب القوي التي ظهرت في نعته أو وصفه للإمام فيصل فنجده مثلاً يرشد الإمام إلى شكر الله الذي أمده وأعطاه، كما يرشده ألا يطيع الوشاة الذين يعملون النصح إذا أقبلت الأمور له، ويكونون أعداء إذا أدبرت عنه، يقول ابن مشرّف[1]:

فشكراً إمام المسلمين لخالق ... حباك بإعزاز ونصر وأسعدا
فأحسن إلى من قد رعيت ولا تطع ... بهم واشياً مقصوده الغش والردى
يريكم لدى الإقبال نصح مودة ... وإن عضكم دهر يكن أكبر العدا

وتأتي القصيدة الثالثة على نمط ما سبق، فهو يعيد ما قاله آنفاً، فيقول[2]:

فشكراً إمام المسلمين لما جرى ... من النصر والإعزاز لازلت مسعدا
ولا زلت للإسلام كهفاً ومعقلاً ... وسيفاً على هام العدو مجردا

وبعد هذه القصائد الثلاث تأتي القصيدة التي يرد فيها ابن مشرّف على قصيدة القاضي علي بن الحسين الحفظي، التي يمدح فيها ملك اليمن عايض بن مرعي العسيري، ويذكر فيها مفاخر قومه، وما أعطاه الله عز وجل أميرهم «عايض» من النصر والظفر على الأعداء، ولذا جاءت تجربة ابن مشرّف في هذه القصيدة «مدحاً» للرد على علي بن الحسين.

فنجد القاضي علي بن الحسين يفتخر بأميرهم ويمدحه، ومن ذلك قوله[3]:

قفي وانظري يا أم عبدمعاركاً ... يشيب لها الولدان من كل أمرد
وإن كنت عنها في البعاد فسائلي ... ففيها أسود من (مغيد) بمرصد
وفيها ليوث (الأزد) من كل شيعة ... يصالون نار الحرب حزناً لمفسد
وفيها رئيس «عايض» حول وجهه ... حياض المنايا صدرت كل مورد
خليفة عصر للحنيفي مثقف ... لما اعوجّ منه في حجاز وأنجد

(١) الديوان، ص٥٦.
(٢) الديوان، ص٥٧.
(٣) الديوان، ص٦١.

بعد هذه القصيدة تأتي قصيدة ابن مشرّف التي يتخذ فيها من مدح الإمام فيصل رداً على القاضي ابن حسين فيقول(١):

لقد أصبحت في الغانيات فريدة ... كما انفرد الوالي بحزم وسؤدد
حليف المعالي «فيصل» ناصر الهدى ... مذيق العدا كأس الردى بالمهند
ترى الوفد والأضياف من حول قصره ... عكوفاً كوُرْدٍ حوموا حول مورد
فيصدر كل مدركاً ما يرومه ... من الفضل والجدوى ومن كل مقصد
يقضّي ببذل المكرمات نهاره ... سماحاً ويحيي ليله بالتهجد
لقد ساد أبناء الزمان وفاقهم ... بعفو وإقدام وكف له ندي

وكما مدح ابن مشرّف الإمام فيصل مدح أيضاً الشيخ ابن عبدالوهاب الذي آزره الإمام «فيصل» ومن بعده «سعود» وأولادهم ونشروا الإسلام الحق، ودافعوا عنه باللسان والسنان، يقول ابن مشرّف(٢):

وآووا إماماً قام لله داعياً ... يسمى بشيخ المسلمين محمد
لقد أوضح الإسلام عند اغترابه ... وقد جد في إخفائه كل ملحد
وجدد منهاج الشريعة إذ عفت ... فأكرم به من عالم ومجدد
وأحيا بدرس العلم دارس رسمها ... كما قد أمات الشرك بالقول واليد
وكم شبهة للمشركين أزاحها ... بكل دليل كاشف للتردد
وألف في التوحيد أوجز نبذة ... بها قد هدى الرحمن للحق من هدي
نصوصاً من القرآن تشفي من العمى ... وكل حديث للأئمة مسند
فوازره عبدالعزيز ورهطه ... على قلة منهم وعيش منكد
وقفّى سعود إثره طول عمره ... إلى حين ووري في الصفيح الملحد

كذلك مدح ابن مشرّف الإمام اليماني «عائضاً» كما مدح الإمام «فيصلاً» فقال(٣):

---

(١) الديوان، ص٥٨.
(٢) الديوان، ص٦١، ٦٢.
(٣) الديوان، ص٦٣.

وما زال يغزوهم ويرمي ديارهم بفرسان حرب في الدلاص المسرد
وفتح المخا بالسيف للدين آية وزجر وإنذار لأهل التمرد
فلما تولى عاضنا منه «عائض» إمام همام كالحسام المجرد
فما زال يحمي بالسيوف حمى الهدى ويردي العدا في كل جمع ومحشد

بعد القصيدة السابقة التي يرد فيها ابن مشرّف على القاضي ابن حسين عاد إلى الإمام «فيصل» يمدحه في قصيدة جديدة، فابن مشرّف يصف الإمام «فيصلاً» بصفات: الكرم والنجدة والشجاعة يقول الشاعر[1]:

ليالي المنى جادت علينا بأسعد لدن جمعتنا بالإمام المسدد
حليف المعالي «فيصل» من سمت به مناقبه فوق الثريا وفرقد
تفرع عن روح المكارم وانتمى من الحسب السامي إلى خير محتد
كريم السجايا ماجد من أماجد بنوا في المعالي كل فخر وسؤدد
ولكنه أضحى بأعلى أرومة يقصِّر عن إدراكها كل سيد
إمام الهدى جالي الصدى منهل الندى ومردي العدا بالمشرّفي المهند

وبذلك يمكن القول: إن ابن مشرّف قد أخذ حياته في معظمها من الإمام «فيصل». وما زالت هذه التجربة في مدح ولد الإمام عبدالله فقد انتصر على العجمان في سنة ١٢٧٦هـ، يقول ابن مشرّف في هذه القصيدة[2]:

لقد سرنا ما جاءنا من بشارة فزالت هموم النفس وانشرح الصدر
لدن قيل «عبدالله» أقبل عاديا يقود أسوداً في الحروب لها زأر
رئيس به سيما الخلافة قد بدت وفي وجهه الإقبال والعز والنصر
فصبح قوماً بالصبيحية اعتدوا وقادهم للبغي من شأنه الغدر
فروى حدود المرهفات من الدما كما قد روت منها المثقفة السمر

(١) الديوان، ص٦٣.
(٢) الديوان، ص٦٦.

تحول ابن مشرّف من مدح الإمام «فيصل» وولده إلى الأمير «أحمد السديري» لما تولى (عمان) والتجربة أيضاً واحدة، فنجد ابن مشرّف يقول(١):

تهلل وجه الدين وابتسم الثغر ... وقد لاح من بيض السيوف له النصر
وجلى دياجير الضلالة والردى ... سنا المرهفات البيض فانصدع الفجر
وشمس الأماني بالتهاني لنا بدت ... وبالسعد لاحت فانجلت أنجم زهرُ
وقد جاءنا ذاك البشير مبشراً ... بفتح عمان حين حلّ به السدر
همام له قاد الجيوش بفيلق ... إذا جاش بالأبطال يشبهه البحر
فأوطأهم جمعاً عمانا فأذعنت ... ودان له من أرضها السهل والوعر

ففي هذه الأبيات يمدح ابن مشرّف أمير عمان، وعدد له الصفات، فهو همام استطاع أن يقود الجيوش، ويهزم الجميع حتى دان له من يسكن السهول والجبال، فقد انكشف الظلام ،وظهر الفجر، واتضحت الأماني بتولي الأمير أمر عمان.

تسير التجربة على ما هي عليه «مدحاً» فنرى ابن مشرّف يتبع القصيدة السابقة بقصيدة يمدح فيها من عمَّر جامع الهفوف «فيقول(٢):

يا من أشاد جامعاً ... لله في الأحسا عمر
به يسر كل من ... لله مولانا شكرْ
من بعد أن خربه ... كل ظلوم قد بطر
ليس من يعمره ... كمن بتخريب أمر
بشراك يا عامره ... غداً ببيت من درر
في جنة عالية ... ذات قصور وثمر

وبعد القصيدة السابقة تأتي مقطوعة جواب لبعض أصحابه، وقد أرسلها إليه، والتجربة أيضاً في دائرة «المدح» للإخوان يقول(٣):

---

(١) الديوان، ص٧٢.

(٢) الديوان، ص٣٧.

(٣) الديوان، ص٧٣.

أنظم قريض أم نفيس الجواهر ... له نظمت بالفكر أيدي الخواطر
أم الروضة الغناء قد حاك وشيها ... أنامل وسمي السحاب المباكر؟
أم الطرس يزهو بالبلاغة وسمه ... يكاد لها يبيض حبر المحابر
فأنبأنا عن وجد صب أخي وفا ... تذكر عهداً في السنين الغوابر
وأثنى على شيخ هدته علومه ... إلى نهج أرباب الحِجا والبصائر

بعد ذلك يتحول الشاعر إلى تجربة «الرد» على الشعر الإخواني، فتأتي قصيدة من السيد عبدالجليل تتضمن السلام على الأمير السديري، وهو إذا ذاك أمير في الأحساء سنة ١٢٦٧هـ، وفي القصيدة سلام وتحية، فنجده يقول(١):

بحمد إله يجمع الشمل عطفه ... وأيدي النوى عما يرام تحاجز
أتاني سلام ضاع بالند نشره ... وفاحت به عطراً علينا المفاوز
به رد لي عصر الشبيبة والهوى ... وما الشيب لي عن ذلك العهد حاجز
سلام كعقد الدر في جيد غادة ... بضمن كتاب أبدعته الغرائز

إلى جانب اشتمال القصيدة على السلام والتحية مدح الشاعر الأمير السديري بعدد من الصفات، فنجده يقول(٢):

حبيب كريم الذات والأصل ماجد ... له في أثيل المجد قدماً مراكز
فريد المزايا أحمد الذكر باسل ... نجيب لغايات الثنا متجاوز
أبيٌّ يفي طبعاً عهود إخائه ... ولكن به يشقى العدو المبارز
له خلق كالروض كلله الندى ... سحيراً وغاداه النسيم المجاوز

ففي الأبيات السابقة مدح السيد عبدالجليل الأمير السديري بصفات فهو كريم الذات والأصل ذو مجد عظيم، وفريد في صفاته التي يفوق بها غيره.

---

(١) الديوان، ص٧٤.
(٢) الديوان، ص٧٤.

وبعد قصيدة السيد عبدالجليل يرد عليها ابن مشرّف بتجربة في هذا الميدان بقصيدة يقول فيها[١]:

أنظم بديع هذبته الغرائز ... أم الدر من أصداف بحرك بارز
أم الروض حاكت أدمع المزن وشيه ... فعطر من ذاك النسيم المجاوز
أأبكار فكر قد ضممن لآلئا ... من القول، لا مانظمته العجائز؟
نعم در ألفاظ القريض أتى بها ... بليغ لأنواع الفصاحة حائز
إلى العلويين الكرام قد انتمى ... ففي هاشم أعرافه والمراكز
أجال بميدان البلاغة خيله ... فصار بها يدعى الكمي المناجز
لقد أحجمت فرسانها عن لقائه ... فكل بليغ عن مراميه عاجز

ففي هذه القصيدة مدح شاعرنا الشيخ أحمد بن مشرّف السيد عبدالجليل بأنه كريم الأصل، ينتمي إلى الدوحة العلوية، وأنه بليغ فصيح وصل إلى درجة الكمي المناجز، وأنه لغوي يأتي أحياناً بالألغاز.

لا يزال ابن مشرّف بعد القصيدة السابقة مع الإمام في مدينة «الرياض» مادحاً، يقول ابن مشرّف[٢]:

لقد لاح سعد النيِّرات الطوالع ... وغابت نحوس من جميع المطالع
غداة أنخنا بالرياض ركابنا ... بباب إمام تابع للشرائع
حريص على إحياء سنة أحمد ... وإخماد نيران الهوى والبدائع
يقيم اعوجاج الأمر بالبيض والقنا ... ويحكم بالوحيين عند التنازع
ويحيي دروسا للعلوم بدرسها ... وتقريب ذي علم قريب وشاسع
تقي نقي قانت متواضع ... ما الفخر إلا في التقى والتواضع
وما زال للدين الحنيفي ناصراً ... بتدمير أوثان وتعمير جامع
يعامل قوماً بالأناة، فإن تفد ... وإلا أفادتهم حدود اللوامع

(١) الديوان، ص٧٥.
(٢) الديوان، ص٧٥.

وصف ابن مشرّف الإمام في الأبيات السابقة بأنه أحيا السنة، وأخمد البدعة، ونشر الأمن، وعمر المساجد، وكسر شوكة الأعراب المفسدين، وأنه اهتم بدراسة العلوم، وكذلك تحلى بالتقى والتواضع، وأنه يعامل الناس باللين، إذ أفاد وإلا فالسنان لمن خالف الشريعة.

يعود الشاعر بعد ذلك بمقطوعة صغيرة عن تاريخ مولد الرسول ﷺ وخلفائه الأربعة، فالتجربة هنا تاريخية، يقول ابن مشرّف[1]:

الحمد لله حمداً دائماً وكفى ... شكراً على سيب جدواه الذي وكفا
ثم الصلاة وتسليم الإله على ... ماحي الضلال ومحيي سنة الخلفا
نبينا أحمد الهادي وشيعته ... وكل من عند حد الله قد وقفا
وبعد فالعلم بالتاريخ أنفع ما ... له اللبيب اعتنى أو همَّه صرفا
وهاك نظماً وجيز اللفظ محتوياً ... منه على غرر من سيرة الخلفا

بعد هذه المقطوعة يفرد الرسول ﷺ بمقطوعة أيضاً يقول ابن مشرّف[2]:

قد كان مولد خير الخلق أرخه
على الأصح بعام الفيل من عرفا

ففي هذه المقطوعة يتحدث ابن مشرّف عن مولد الرسول ﷺ، وعن تاريخ نزول الوحي عليه ﷺ، وهجرته إلى المدينة المنورة، ووفاته التي أحزنت أهل الأرض جميعهم.

نرى ابن مشرّف بعد ذلك يصور الخلفاء الراشدين في قصيدة كاملة، وكأنه يعيش بينهم، حيث يقول في مدح أبي بكر الصديق[3]:

وقام من بعده الصديق مقتدياً ... بهديه تابعاً للحق إذ خلفا
ما هاله ذلك الخطب الذي عظمت ... فيه الخروق ولم يوهن وما ضعفا

---

(١) الديوان، ص٧٧.
(٢) الديوان، ص٧٧.
(٣) الديوان، ص٧٧، ٧٨.

سلّ الحسام على من زاغ حين أبوا عن الزكاة وللخرق العظيم رفا
حتى استقام به دين الهدى وسما وردَّ من كان مرتداً ومنحرفا

يذكر ابن مشرّف أن أبا بكر سار على هدى الرسول ﷺ، فلم يخف ممن ارتد عن الإسلام، أو ممن امتنع عن دفع الزكاة، فقد تصدى لهم حتى استقام أمر الدين..ويمضي ابن مشرّف في مدح عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، ثم يذكر ابن مشرّف أن مدة الخلافة الراشدة ثلاثون حولاً كان فيها الهدى لأهل الأرض، فيقول[(١)]:

فخذهم خلفاء الرشد أربعة من يقف هديهم هدي النبي قفا
وفي ثلاثين حولا كان مدتهم فيها الهدى بين أهل الأرض قد عكفا

ثم تأتي قصيدة ثالثة في خلفاء بني أمية، وكانت التجربة على خلاف ما سبق فيها مدح وقدح، فقد أعطى بني أمية حقهم مدحاً وقدحاً، أولهم معاوية رضي الله عنه، فالشاعر هنا يمدح معاوية ويذم ابنه يزيد، فيقول[(٢)]:

بنو أمية أملاك غطارفة حازوا الخلافة بعد السادة الخلفا
منهم معاوية صهر النبي ومن قد كان بالحلم والإنصاف متصفا
ثم ابنه بعده أعني يزيد، وذا جانٍ على نفسه لما بغى سرفا

ونجد ابن مشرّف يذكر آخر خلفاء بني أمية، وهو مروان بن محمد «الحمار»[(٣)]، فيقول[(٤)]:

واذكر يزيد وإبراهيم قل وهما
ابنا الوليد ومروان الحمار قفا

(١) الديوان، ص٧٨.
(٢) الديوان، ص٧٨.
(٣) وأطلق عليه الحمار لأنه في عهده استكمل ملك بني أمية مئة سنة، فاسم الحمار لكل مئة سنة. ثمار القلوب للثعالبي، ج١، ص٥٥٨.
(٤) الديوان، ص٧٩.

وفي القصيدة ذاتها نجد ابن مشرّف يمدح الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز بقوله[١]:

لكن سليمان أفضاها إلى عمر
أكرم به من إمام تابع السلفا

تأتي بعد ذلك قصيدة في بني العباس والتجربة أيضاً فيها تاريخية، فابن مشرّف يعايش الزمان وكأنه يعيش مع أصحابه، فنجده يقول[٢]:

ثم اقتفتهم بنو العباس تضربهم … بالمشرّفية ضرباً مسرفاً عنفا
حتى احتوى ابن علي كل ما ادخروا … من الكنوز وحاز الملك والتحفا[٣]
واستنقذوا من بني مروان ملكهم … فهم أحق به لو حكموا النصفا[٤]
وهاك ضبط الذي من نسله ملكوا … خذهم ثلاثين تتلو سبعة خلفا

بعد القصيدة السابقة يعود الشاعر إلى الإمام «فيصل»، وكانت تجربته في المدح تلح عليه، فتأتي قصيدة في تحريضه على قتال الأعراب، يقول الشاعر[٥]:

كما لام والي المسلمين سفاهة … على نصره الإسلام من ليس ينصفُ
وتحذيره الأعراب أن يسفكوا الدما … وأن ينهبوا الأموال أو يتخطفوا
فكم أفسدوا في الأرض بعد صلاحها … وكم سفكوا الدمَّ الحرام وأسرفوا

مدح الشاعر الإمام «فيصلاً» بقصيدة تلي القصيدة السابقة مباشرة، فالتجربة مثل السابقة يقول الشاعر[٦]:

---

(١) الديوان، ص٧٩.
(٢) الديوان، ص٧٩.
(٣) التحف به: جعله حوله.
(٤) النصفا: العدل.
(٥) الديوان، ص٨١.
(٦) الديوان، ص٨٣.

بنى الأمور على أسّ التقى فرست ... والغير يبني على أوهى شفا جرفُ
سما بهمته نحو العلا فعلا ... حتى استوى فوق هام المجد والشرف
أندى البرية كفّاً وهو أشجع من ... قد هز عطفيه بين البيض والجحف[١]
العفو والحلم والإحسان شيمته ... لا خير في الطيش والإمساك والعنف

وكذلك يمدح ابن مشرّف الإمام «فيصلاً» في قصيدة جديدة، فشاعرنا قد تعلق بالإمام على طول الديوان، فنجده يقول[٢]:

يا فيصل المجد يا من للفخار حوى ... فاستوجب المدح تفصيلاً وإجمالا
أوضحت للسنة الغرا رسوم هدى ... عفت فأحييت للإسلام أطلالا
أتى بك الله من مضْرٍ لملتنا ... نصرا وقهرا لمن عادى وإذلالا

وفي قصيدة جديدة يمدح الشاعر الإمام «فيصلاً» لقتله من قتل والده «تركي»، والتجربة هنا مريرة، يقول ابن مشرّف[٣]:

شكرت يديك يد المقل الآمل ... لنوالها الجم الغفير الأجزلِ
منن رقيت بها إلى فلك العلا ... حتى قعدت على السماك الأعزلِ
ولبست من تقوى الإله ملابسا ... والدين أفضل حلية المتجملِ

ضمن ابن مشرّف هذه القصيدة أيضاً بعض النصائح التي يقدمها إلى الإمام، فهو يدعوه إلى رعاية الرعية بالشرع الشريف، واستخلاص الخيار من الناس، ليكونوا له بطانة صالحة، وكذا استشارة ذوي الألباب الأصفياء، يقول الشاعر[٤]:

وسياسة الشرع الشريف هي التي ... جمعت لكل طريق عدلٍ أسهلِ
فأقم بها عوج الأمور معالجاً ... فهي الدواء لكل داء معضلِ

---

(١) الجحف: هو الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب، ومفرده: جحفة.

(٢) الديوان، ص٨٦.

(٣) الديوان، ص٨٦.

(٤) الديوان، ص٨٨.

واجعل بطانتك الخيار ذوي النهى ... واحذر مخالطة السفيه الأرذل
كم دولة فسدت بآراء العدا ... إذ لاطفوا قاداتها لتحيل
لا تستشر إلا لبيباً ناصحاً ... بالعقل يختبر الأمور ويجتلي

ومازالت التجربة هي هي، فنجد ابن مشرّف يمدح الإمام فيصل بن تركي بقصيدة جديدة، فقد وصفه بالإقدام والإكرام، ووصف وفوده وما يلقون من كرم يقول[1]:

عفاف ثم إقدام وحزم ... وجود بالمكارم والنوالِ
إذا الراجي أتاه لنيل رفد ... حباه الرفد من قبل السؤال

ثم تتحول التجربة من «مدح» إلى «رثاء» بعد وفاة الإمام فيصل، رحمه الله، فنجد ابن مشرّف وفياً للإمام حتى بعد وفاته، فهو يرثيه بقصيدة طويلة، فيقول[2]:

فنشكوا إلى الله الزمان الذي استوى ... لدى أهله قس الكلام وباقله
به اندرست كل العلوم وأقفرت ... فأنكر فضل العلم بالعلم جاهله
وقائلة أقصر فما بعد فيصل ... لذي أدب حظ فماذا تحاوله
أترغب في نظم القريض وجسمه ... موارًى بقبر غيبته جنادله

ونرى ابن مشرّف في قصيدة أخرى يمدح الإمام فيصلاً بما يمدحه في جميع قصائده، فهو يمدحه بأمرين مهمين: الكرم في السلم، والشجاعة في الحرب، وكذلك إقامة العدل والشجاعة للخير والسلم في أرجاء الجزيرة..، وهذا «مفتاح شخصية» الإمام فيصل كما يراها الشاعر فيه وفي أبنائه من بعده، يقول الشاعر[3]:

---

(١) الديوان، ص٨٩.
(٢) الديوان، ص٩٠.
(٣) الديوان، ص٩٢.

إمام للهدى يدعو البرايا ... ويبعث للعدى جيشاً لهاما
وإن ذكر الندى فيداه غوث ... تسح الجود والمنن الجساما
فكم أعطى السوابق[١] مسرجات[٢] ... وكم أعيت عطاياه الكراما
وكم أصلى الأعادي نار حرب ... فكان وقودها جثثاً وهاما

وما زال شاعرنا مع الإمام فيصل يمدحه في قصيدة أخرى لما جار عماله على أهل الأحساء سنة ١٢٧٨هـ، فهو يمدحه - كما سبق - بالكرم والشجاعة، ونصر الدين، وقمع المعتدين، يقول ابن مشرّف[٣]:

يجود بما تحوى اليدان كأنه ... غمام يوالي وبله ويديمُ
وما هو بالنزق العجول إلى الأذى ... ولكنه واعي الجنان حليم
صفوح عن الجاني ولكن عقابه ... لمن رام أسباب الفساد أليم
هو الضيغم الضرغام في كل معرك ... إذا شب من نار الحروب جحيم

وتأتي قصيدة أخرى في مدح الإمام فيصل، فنجد ابن مشرّف يقول فيها[٤]:

هو البحر من أصدافه الدر يجتنى ... وإن طاش بالأمواج لم ينج عائمُهْ
تخلق بالصفح الجميل وبالندى ... وبالحلم مذ نيطت عليه تمائمه
مروءاته أفنت خزائن جمعه ... فهل أنت في فعل المكارم لائمه

وتسير معنا التجربة في حال المدح حتى الآن،فقد قال ابن مشرّف أيضاً قصيدة في الإمام فيصل، وفيها يحرضه على قتال العجمان سنة ١٢٧٦هـ، فنجده يقول[٥]:

(١) السوابق: الخيول.
(٢) مسرجات: معدات.
(٣) الديوان، ص٩٤.
(٤) الديوان، ص٩٥.
(٥) الديوان، ص٩٧.

فإن تأنّى فله عزمة | وهكذا شأن الرئيس الهمام
لكن سلي الله مغيث الورى | أن يحيي الأرض بوبل الغمامَ
فتسرح الأنعام في نبته | ويبعث الوالي بجيش لهامَ
فيه جياد الخيل مجنونة | من كل قبا ألجمت باللجامِ(١)

وتضاف هذه القصائد إلى ما سبق في تجربة مدح ابن مشرّف على أعمال الإمام فيصل وأخلاقه، وتطهير البلاد من الأشرار قتالاً إسلامياً واجباً على أمثاله من الحاكمين والمصلحين، فهو يقول(٢):

وقل له: إن قتال العدا | في ضمنه العز ونيل المرام
وقد أتى النقل عن المصطفى | بأنه في الدين أعلى السنامِ

ونرى قصيدة في الرد على من عاب شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بكتاب ألقاه في بيته خفية، والتجربة هنا جعلته يبدأ بالرد مباشرة بلا مقدمات، يقول(٣):

من ذا يعيب أئمة الإسلام | أهل النهى والفضل والأحلام
أو من يعاديهم سوى ذي ريبة | في الدين ليس بثابت الأقدام؟
فهم النجوم هدى لأصحاب السرى | وهمُ لدين الله كالأعلام
أنصار سنة أحمد كم أسسوا | للمسلمين قواعد الأحكام

وبعد ذلك تأتي قصيدة في «مخاصمة ابن مشرّف مع الحكيم الكوتي» بذلك تغيرت تجربة الشاعر عما سبق، وهذه القصيدة قالها ابن مشرّف ارتجالاً(٤)، كما كان يفعل الشعراء في العصور الماضية، يقول ابن مشرّف(٥):

---

(١) كذا ورد البيت في الديوان. ومعنى «قبا»: من قبوت الشيء إذا ضممته، وهو تقويس الشيء، بمعنى: التوى، واعوج.

(٢) الديوان، ص٨٩.

(٣) الديوان، ص٨٩.

(٤) ارتجالاً بلا إعداد سابق.

(٥) الديوان، ص١٠٤.

ماذا ترى في رجل لئيم　　يدعونه الجهال بالحكيم
أراد أن يسلب وقف المسجد　　لقلة التقوى وعظم الحسد
فاحتال مع جماعة في ورقة　　مكذوبة مصنوعة مخترقة
حوت لكل باطل مزيف　　مثل دم على قميص يوسف

ويلاحظ من كل ما سبق أن تجربة الشيخ ابن مشرّف كانت:

في العلوم الشرعية، ونظم فيها كما في البدء.

في التاريخ الإسلامي قراءة وتحقيقاً ونظماً.

في تاريخ عصره، واهتمامه بالحاكم في زمانه، حتى انعقدت بينهما صلات غلبت عليه، حتى جعلته شاعراً مادحاً في أغلب قصائده.

٢- العاطفة:

استطاع شاعرنا ابن مشرّف أن يعبر في قصائده بعاطفة قوية، تظهر من خلال أفكاره، وما استخدمه من ألفاظ وعبارات، فجاءت عاطفته في القصيدة الأولى «جوهرة التوحيد» دينية، بدليل أن جميع معانيها مقتبسة من القرآن والسنة وأقوال العلماء، فنجده يقتبس من القرآن، ويقول[(١)]:

فلم يلد جل ولم يُولد ولا
كفواً له فجلّ شأنا وعلا

ونجده أيضاً يقتبس معاني من السنة النبوية الشريفة، فيقول [(٢)]:

اعلم بأن الدين مبني على　　خمس دعائم كما قد نقلا
هي الشهادتان والصلاة　　والحج والصيام والزكاة

ونجد ابن مشرّف يأخذ شروط الإيمان من كلام علماء التوحيد، فيقول[(٣)]:

---

(١) الديوان، ص٩.

(٢) الديوان، ص١٠.

(٣) الديوان، ص١٨.

وإن تـرد شـرائـط الإيـمـان | لـكـي تـنـال غـايـة الأمـان
فـإنـهـا عـشـرون شـرطـاً وافـيـة | نـذكـرهـا مـسـرودة مـوالـيـة

وقد توجه الشاعر بهذه القصيدة إلى الله عز وجل لتكون خالصة لوجهه الكريم، كما قال[١]:

وكـونـهـا خـالـصـة لوجهه
مـوجـبـة رضـوانـه مـع عفوه

والعاطفة في القصيدة الثانية كالأولى تماماً فنجده يقول[٢]:

الحمـد للـه ليس حمـداً منحصـرا | علـى أياديـه مـا يخفـى ومـا ظهـرا
ثـم الصـلاة وتسـليم المهيمـن مـا | هـب الصبـا فـأدرَّ العـارض المطـرا
على الـذي شـاد بنيان الهدى فسـما | وسـاد كل الـورى فخراً ومـا افتخرا
نبينـا أحمـد الهـادي وعترتـه | وصحبـه كل مـن آوى ومـن نصـرا

ونرى في القصيدة الثالثة «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية»[٣]. ففيها عاطفة سامية، بل تجلت في الرد عليهم في جميع المعاني والأساليب فنجده يقول:

نفيتـم صفـات اللـه، فاللـه أكمـل | وسـبحانه عمـا يقـول المعطـلُ
زعمتـم بـأن اللـه ليـس بمسـتوٍ | على عرشـه، والاسـتوا ليـس يجهل

ويذكر ابن مشرّف أن المعطلة والجهمية عطلوا صفات الله، وقالوا بالتنزيه عن طريق نفي الصفات، وقد جاء القرآن، وجاءت السنة بخلاف ما قالوا، فنجده يقول[٤]:

فأخلـف قـوم آخـرون فحرفـوا | نصـوص كتـاب اللـه جهـلاً وأولوا

---

(١) الديوان، ص١٩.

(٢) المعطلة: الذين ينفون صفات الله الواجبة له فليس الله عز وجل عندهم بمستوٍ على عرشه.

(٣) الديوان، ص٢٤.

(٤) الديوان، ص٢٥.

فأخلف قوم آخرون فحرفوا نصوص كتاب الله جهلاً وأولوا

ونجد في قصيدة «عقيدة السلف الصالح رضي الله عنهم عاطفة الشاعر قد جاشت، فدعا الله تعالى: بقوله[١]:

فيا رب ثبتنا على الحق واهدنا
إليه، وأنطقنا به حين نسألُ

ويختم الشاعر قصيدة «عقيدة السلف» بالدعاء، وهي عاطفة إظهار المذلة لله عز وجل والحاجة إليه - خصوصاً - ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔاۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[٢]، فنجده يقول[٣]:

فيا رب هب لي شربة من زلاله
بفضلك يا من لم يزل يتفضل

ويدعو الشاعر بعاطفته الجياشة في قصيدة «الإيمان والقدر «دعاءً حاراً يدل على رقة أحاسيسه؛ ولذا استمر في الدعاء نحو ثلاثة أبيات، فنجده يقول[٤]:

فيا رب عفواً منك عما اجترحته من الذنب عن علم وما كنت أجهل
فإني على نفسي مسيء ومسرف وظهري بأوزار الخطيئات مثقل
فهب لي ذنوبي واعف عنها تفضلاً علي. فمن شأن الكريم التفضل

وعاطفة الشاعر في قصيدة «الرد على ابن عثمان» تتجلى في كيفية الرد عليه بصورة مختلفة تدل على عاطفة دينية قوية جياشة، حيث جعل القصيدة كلها تدور حول فكرة واحدة «القبور» والبناء عليها، والدعاء عندها، يقول ابن مشرّف[٥]:

---

(١) الديوان، ص٢٧.
(٢) سورة الإنفطار الآية: ١٩ .
(٣) الديوان، ص٢٨.
(٤) الديوان، ص٢٨، ٢٩.
(٥) الديوان، ص٣٠.

وطافوا عليها خاضعين تقرباً ... إلى ذلك المقبور بالذبح والنذر
وكم سألوا الأموات كشف كروبهم ... ولا سيما في الفلك في لجج البحر
فزادوا على شرك الأوائل إذ دعوا ... سوى الله في حال الرخاء وفي العسر

وفي قصيدتي «هجاء عين نجم» و «قبتها» بعد هدمها نرى عاطفة الثأر والغضب، ويتمازج فيه الفرح بهدم القبة بأمر الإمام فيصل رحمه الله سنة ١٢٧٧هـ، يقول الشاعر[١]:

ومن يعتقد فيه الشفا لم يزل على ... شفا جُرف الإشراك جهلا بلا علم
وإن ظنها تشفي العليل بسرها ... فهذا اعتقاد المشركين بلا وهم
وإن قال من باب التداوي فلم يصب ... فما هي كالحمام في الضبط والحكم
فحسبك ما قال الخليل، وإنه ... لمن خيرة الرسل الكرام أولي العزم

ونجده يقول أيضاً[٢]:

بأمر والٍ طبيب في رعيته ... مبارك الأمر محمود الفعالَيْنِ
إذ قام يحمي من التوحيد جانبه ... وما أصاخ لأهل الزور والمَيْنِ
لكن أطاع هداة المسلمين بما ... أفتوا، وسل حساماً ذا غرارَيْنِ
لما رأوها كعين الشام قد فتنت ... قوماً، فهدمها خير الفريقَيْنِ
فقال: كم قبة للشرك قد هدمت ... بسيفنا في عُمانٍ والعراقَيْنِ؟!!

والعاطفة التي سيطرت على شاعرنا في قصيدته عن العلم وشرفه مشاعر الدين والتقوى، وهي عاطفة جياشة تجعل صاحبها يفدي دينه وشريعة رسوله بنفسه وما يملك، يقول[٣]:

ومن بعد إقراء السلام فقل له ... على العلم فاحرص، واجتهد في اقتنائه
وأنفق جميع العمر في غرس كرمه ... لعلك تحظى باجتناء جنائه

(١) الديوان، ص٣٥.
(٢) الديوان، ص٣٦.
(٣) الديوان، ص٣٦.

فمـا هـو إلا العـز، إن رمـت مفخـراً ... ومـا هـو إلا الكنـز عنـد اجتنائـه
وما أحسـن العلـم الذي يـورث التقى ... بـه يرتقـي فـي المجـد أعلـى سـمائه

وعاطفة الشاعر في قصيدة «الأخذ بالحديث الشريف» تعليمية تتضمن مشاعر المعلم المرشد الأمين، يقول الشاعر(١):

سـلامي علـى أهـل الحديـث فإنهم ... مصابيـح علـم، بـل نجـوم سـمائه
بهـم يهتـدي مـن يقتـدي بعلومهـم ... ويرقـى بهـم ذو الـداء علـة دائـه
ويحيـي بهم من مـات بالجهـل قلبه ... فهـم كالحيـا تحيـا البقـاع بمائـه(٢)

وتأتي مقطوعة «النصيحة للمسلمين» وقصيدة «ذم الدنيا» فنجد عاطفة الشاعر الدينية بنصيحة المسلمين،وخصوصاً بيان حال الدنيا التي أغرتهم حتى سقطوا فيها، يقول الشاعر(٣):

وإيـاك والآمـال فالعمـر ينقضـي ... وأسـبابها ممـدودة مـن روائـه
وحافـظ علـى ديـن الهـدى فلعلـه ... يكـون ختـام العمـر عنـد انتهائـه
فدونـك منـي فاسـتمعها نصيحـة ... تضـارع لـون التبـر حـال صفائـه

وعاطفة الشاعر في قصيدة «رثاء العلم» جياشة لفقد أعز ما يملك المسلم «وهوالعلم»، وقد اشتعلت عاطفته، فأضاءت هذه القصيدة الطويلة يقول الشاعر(٤):

علـى العلم نبكي إذ قد اندرس العلم ... ولـم يبـق فينـا منـه روح ولا جسـمُ
ولكـن بقي رسـم مـن العلـم دارس ... وعمـا قليـل سـوف ينطمس الرسـم
فـآن لعيـــن أن تسـيل دموعهـا ... وآن لقـلـب أن يصـدعـه الهـم

(١) الديوان، ص٣٧.
(٢) اليحاء: المطر.
(٣) الديوان، ص٣٩.
(٤) الديوان، ص٤٠.

وبعد ذلك ينصحه الشاعر بقوله[١]:

فجالس رواة العلم واسمع كلامهم ... فكم كَلِم منهم به يبرأ الكَلْمُ
وإن أمروا فاسمع لهم، وأطع،فهم ... أولو أمرناً من شأنه الفتك والظلم

وقصيدة «غربة الدين» كالسابقة وكأنه فقد أمراً آخر، لذا كانت عاطفته الدينية قوية جياشة يقول الشاعر[٢]:

واغربة الدين ! فاعجب من تغرّبه ... عند المصدق فضلاً عن مكذبه
ألا ترى الجهل بين الخافقين فشا ... العلم أغرب من عنقاء مغربه
أعلامه دُرست في كل ناحية ... والبوم يصدح في أعلى مخربه

وتأتي عاطفة «الحب» للإمام فيصل بن تركي فيمدحه في القصائد والمقطوعات في الصفحات [٤٥، ٤٨، ٧٣،٥٣]، فنجده يقول[٣]:

كريم يرى في وجهه البشر والندى ... وفي كفه الهطال نجح المطالب
هو الغيث يحيي المستنون بخصبه ... هو الليث في الهيجاء بين المقانب[٤]
ونجم به ترمي الغواة من الورى ... ويهدي به أهل السرى في الغياهب[٥]

وهذه العاطفة جعلت الشاعر يتتبع الإمام «فيصلاً» في أعماله وأفعاله مرة، ومهنئاً له بالنصر على الأعداء مرة أخرى، يقول الشاعر[٦]:

وشن على الأعراب غارات محنق ... وأنهلهم صاب الردى بالمصائب
ومزق جماعات الضلال وحزبه ... بريح سموم من لظى الحرب حاصب
وجر عليهم جحفلاً بعد جحفل ... وضاقت عليهم أرضهم بالمقانب

---

(١) الديوان، ص٤٢.
(٢) العنقاء: طائر متوهم لا وجود له.
(٣) الديوان، ص٤٦.
(٤) جمع مقنب: جماعة من الفرسان والخيل تجتمع للغارة.
(٥) جمع غيهب: ظلمة.
(٦) الديوان، ص٤٨.

جيوشاً تريهم ظلمة الليل في الضحى ولمع المواضي كالنجوم الثواقب
إلى أن يكون الدين لله في الضحى وينقاد للإسلام كل محارب

وكان حب الشاعر للإمام وأفعاله قد انتقل إلى «حب» أحمد السديري لما تولى (عمان) من قبل الإمام فيصل، فنجده يقول[1]:

همام له قاد الجيوش بفيلق إذا جاش بالأبطال يشبهه البحر
فأوطأهم جمعاً عماناً فأذعنت ودان له من أرضها السهل والوعر
وحلت بها الخيل السوابق بالقنا وسلّت سيوف الحق فانهزم الكفرُ

وجعلته - هذه العاطفة - «حبه للإمام» مدافعاً عنه بشعر - كما ورد في رده على بعض أصحاب الإمام الذي أرسل إليه خطاباً، يقول ابن مشرّف[2]:

وأثني على شيخ هدته علومه إلى نهج أرباب الحِجا والبصائر
فأصبح في الآداب والعلم والنهى يتيمة دهر، فهو إحدى النوادر
تذكرنا قسّاً فصاحة لفظه وتخبر عن سحبان فوق المنابر

وكذلك نجد عاطفة «حب الشاعر للإمام» في إجابته عن الأبيات الواردة من السيد عبدالجليل للسلام على الأمير، يقول[3]:

إلى العلويين الكرام قد انتمى ففي هاشم أعرافه والمراكز
أجال بميدان البلاغة خيله فصار بها يدعى الكميَّ المناجز[4]
لقد أحجمت فرسانها عن لقائه فكل بليغ عن مراميه عاجز
حوى النحو، مع علم المعاني، فتارة يبين لنا المعنى، وحينا يلاغز[5]

(١) الديوان، ص٧٢.
(٢) الديوان، ص٧٤.
(٣) الديوان، ص٧٥.
(٤) الكمي: الشجاع، المناجز: المحارب، ووردت هنا مرفوعة وصوابها النصب لأنها صفة لمفعول (يدعى).
(٥) يلاغز: يأتي بالألغاز.

وتدخل هنا عاطفة الدين مع «حبه» للإمام [١]، يقول ابن مشرّف:[٢].

مبارك الأمر ميمون نقيبته ... فالله يجزيه بالإحسان إحسانا
لكنه ذكر الحسنى فهيَّجني ... وجد، وزاد غرام القلب أشجانا
والصب تزداد بالذكرى صبابته ... «والأذن تعشق مثل العين أحيانا»

ونرى حب ابن مشرّف يمتد إلى الأمير محمد بن أحمد السديري، فيقول[٣]:

خرجنا والأمير بنجم سعد ... نقود الخيل بالإبل الرسيم[٤]
تدوس بنا الحصا في كل فج ... فتورى القدح في الليل البهيم
نهضنا للقتال بلا توان ... سوى قدر الترحل للمقيم

وكذلك نجد حب الشاعر يمتد إلى ابن الإمام فيقول[٥]:

بالعزم والرأي السديد وإنما ... فيه الأناة وذو الجلال أحلّها
يدعو مخالفه إلى نهج الهدى ... فإذا أبى شهر السيوف وسلّها
فسقى وروّى أرضهم بدمائهم ... قتلا وأنهلها بذاك وعلّها
في كل ملحمة تعيش نسورها ... منها وترتاد السباع محلّها

وهذه العاطفة «الحب» ارتفعت لمدح الرسول ﷺ، ويظهر الشاعر تفجعه على وفاة سيد الخلق، يقول[٦]:

فوا مصيبة أهل الأرض أجمعهم ... بفقده حين واروه، ويا أسفا

---

(١) تمتد هذه العاطفة في الصفحات ٨١ -٨٣ -٨٣ -٩٠ -٩٨ -١٠١ -١٠٢.
(٢) الديوان، ص١٠٢.
(٣) الديوان، ص١٠٠، ١٠١.
(٤) الرسيم: السريع.
(٥) الديوان، ص١٠٢.
(٦) الديوان، ص٧٧.

وكذلك نجد هذه العاطفة في مدحه لخلفاء الرسول ﷺ، ويظهر الشاعر تفجعه على وفاة سيد الخلق، يقول[١]:

وقام من بعده الصديق مقتدياً ... بهديه تابعاً للحق إذ خلفا
ما هاله ذلك الخطب الذي عظمت ... فيه الخروق ولم يوهن وما ضعفا
سلّ الحسام على من زاغ حين أبوا ... عن الزكاة وللخرق العظيم رفا
حتى استقام به دين الهدى وسما ... ورد من كان مرتدا ومنحرفا

ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى بني أمية والعباسيين، فنجده يعبر عن حبه لبعض خلفاء بني أمية، وخص منهم عمر بن عبدالعزيز «خامس الخلفاء الراشدين» سليل البيت «العمري»، وقد عبر عن حبه له بما يليق به، يقول[٢]:

عبدالملك وأبناء له غرر ... في العد أربعة قد أحرزوا الشرفا
هم الوليد سليمان يزيد ومن ... يدعى هشام وكل حين ساس كفا
لكن سليمان أفضاها إلى عمر ... أكرم به من إمام تابع السلفا
أحيا سبيل الهدى من بعد ما درست ... وأظهر العدل وقت الجور حين عفا
وطهّر الأرض من ظلم الولاة بها ... حتى إذا مات لم ندرك له خلفا

وهذه العاطفة تأتي ردوداً على من عاب شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، يقول[٣]:

من ذا يعيب أئمة الإسلام ... أهل النهى والفضل والأحلام
أو من يعاديهم سوى ذي ريبة ... في الدين ليس بثابت الأقدام
فهم النجوم هدى لأصحاب السرى ... وهم لدين الله كالأعلام
أنصار سنة أحمد كم أسسوا ... للمسلمين قواعد الأحكام

---

(١) الديوان، ص٧٧، ٧٨.

(٢) الديوان، ص٧٩.

(٣) الديوان، ص٩٨.

منهم بنجد عالم ومجدد للدين ذو علم وذو إقدام
نصر الهدى ونفى الردى ورمى العدى بثواقب من علمه وسهام

وكذلك عاطفته السابقة في تشطيره لمقطوعة الإمام الشافعي، يقول الشاعر[١]:

بالجد يدنو كل أمر شاسع والجد يفتح كل باب مغلق
وإذا سمعت بأن مجدوداً حوى عودا فأثمر في يديه فصدق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم أفلاك السماء تعلقي

وهنا كانت العاطفة «دينية» مع حبه للأئمة، وكذلك «حبه» للناس.

وخلاصة هذا: أن العاطفة التي سيطرت على الشيخ أحمد بن مشرّف الشاعر هي «الحب لله ورسوله والمؤمنين، وأما «الكراهية» فهي للمفسدين من الأعراب والبدو والجاهلين، وهاتان العاطفتان سيطرتا على شعره من بدء الديوان إلى نهايته حيث بدأ بالتوحيد، وانتهى بالمدائح النبوية، وللإمام فيصل بن تركي.

٣- الأفكار.

أ - مصادر أفكاره

أولاً: الكتاب والسنة:

استنبط شاعرنا ابن مشرّف أفكاره من المصدر الأول للتشريع «القرآن الكريم»، والمصدر الثاني «السنة النبوية المطهرة»، ففي «القصيدة الأولى»:

تحدث عن أضرب التوحيد وأنواعه، وأنها ثلاثة، يقول الشاعر[٢]:

(١) الديوان، ص٨٣.
(٢) الديوان، ص١٠.

واعلم بأن أضرب التوحيد قدر ثلاثة بلا مزيد
توحيد رب الناس في الملك وفي صفاته وفي العبادة اقتف
فالأول: اعتقاد كون الملك لله وحده بغير شرك

ونرى ابن مشرّف قد طوى الحديث عن صفاته عز وجل: السمع، والبصر، والحياة والإرادة، والقدرة؛ لأن علماء العقيدة يتفقون عليها، أما الصفة التي أخذت منهم محاورات كثيرة ومناقشات في مدارس العقيدة فهي صفة: «الكلام»، وبذلك نرى اهتمام الشاعر بصفة الكلام النفسي فأخذت منه تسعة عشر بيتاً من أول[1].

كلم موسى بكلامه الذي من وصف ذاته، فبالحق خذ
والصحف والتوراة والزبور وبعده الإنجيل والمسطور
أعني كتاب أحمد الأواه جميعها عين كلام الله
لفظاً ومعنى عند أهل الحق وإنما المخلوق صوت الخلق
وحبرهم والخط والسجل قضى بهذا العلماء الجل
فالصوت للقارئ والكلام لله ذابه قد استقاموا
فاللفظ والمعنى من القرآن قد نزلا من ربنا الرحمن
تكلم الله به فأسمعا أمينه جبريل نعم مودعا
فبلغ النبي جبرائيل جميع ما حمله الجليل
ثم تلقاه من النبي أصحابه بلفظه القدسي
وأنه الآن على ما قد نزل ولا يزال هكذا ولم يزل
ونحو طس ويس وما ضاهاهما ربي به تكلما
وقد أتى الترتيب منه حسبما لقنه نبينا وعلما
وحسبما أثبت في المصاحف رسما. فلا تصغ إلى مخالف
ثم كلام الله كالقرآن ليس بمحدث ولا بفاني

(١) الديوان، ص١١، ١٢.

واللفظ من ذلك والمعاني في الحكم عند العلما سيانِ
فمن يقل بأنه قول البشر فكافر والله يصليه سقر
ومن يقل بخلقه أو سطره فهو مضل. فاستعذ من شره
هذا هو الحق فدع عنك الهوى . . . .

وهذا يدل على أن ابن مشرّف وقف عند هذه الصفة، ودرس كلام العلماء، وواجه الأقوال، وخرج من ذلك كله بهذا الخلاصة الواقعية.. وفي الأبيات السابقة تطرق ابن مشرّف إلى «القرآن» باعتباره كلام الله تعالى: في: لفظه ومعناه، وفي جمله ومقاصده وسوره، وترتيب الآيات والسور، وأن ذلك كله توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه، لا من نبي مرسل، ولا من عالم أو صحابي مقرب، ومن قال بأنه: قول البشر فذاك يصلى سقر، ومن قال بخلق القرآن فهو ضال مضل، وهذه القضايا كانت في العصر العباسي الأول لها شر مسيطر، والحمد لله الذي - بفضله - انتهت هذه الفتن والمحن.

ثم تحدث الشاعر عن قضية في علم التوحيد أخذت من العلماء مناقشات واسعة وهي: الاستواء على العرش، وجاء كلامه مقتبساً من قوله سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[(١)]. وبين القول الفصل حسب عقيدة أهل السنة والجماعة، وذلك في بيتين ونصف، يقول الشاعر[(٢)]:

. . . . والله ربنا على العرش استوى
لكن بلا كيف ولا تمثيل جل. فنزهه بلا تعطيل
فالواجب الإيمان باستوائه ولا تفسرنه باستيلائه
إليه تعرج الملائك العلا والروح والأمر ومنه أنزلا
والمصطفى به إليه أسري فجاوز السبع الطباق فادر
فطيب القول إليه يصعد وفطرة الخلق بهذا تشهد

(١) سورة طه، الآية: ٥.
(٢) الديوان، ص١٢.

هلا سألت كل عبد يسأل ... هل نفسه تجنح إلا للعلو
وإنه قد رفع ابن مريما ... له وسمى نفسه «من في السما»
وقد أشار المصطفى بالأصبع ... نحو السماء مشهدا في مجمع
فالله ذو العرش على العرش استوى ... .

ومضى الشاعر في مسألة «الاستواء» يتابع المعاني المتصلة بها مثل: عروج الملائكة إليه والروح، والأمر، ومن هذا الباب - أيضا - الإسراء والمعراج، وذكر المعراج بمعناه حيث قال «فجاوز السبع الطباق..»، وكذا طيب القول، ودلل على هذه المعاني عقلاً ونقلاً، ووصل بنظمه في هذه المعاني إلى نهاية الأبيات السابقة.

وأعاد الشاعر الحديث عن الإسراء والمعراج، وذكر أنهما من المعجزات الباهرات، وأنهما كانا بجسم الرسول ﷺ وروحه معاً فكان على البراق في الإسراء، وجاوز السبع الطباق في المعراج، ويجزم الشاعر بوقوع الرؤية لرسول الله ﷺ، وقد دنا من ربه فأوحى إلى عبده ما أوحى كما ورد في سورة النجم، يقول الشاعر[١]:

ثم بمعراج النبي حسبما ... أخبرنا إيماننا قد لزما
أسرى بروحه وبالجسم معا ... على البراق ليله فارتفعا
فجاوز السبع السموات العلى ... وقد رأى الله إلهه علا
وقد دنا من ربه فأوحى ... إليه جل شأنه ما أوحى
هذا هو الحق فدع عنك المرا ... وكم لرسل الله من فضل جرى

وتكلم الشاعر عن صفات الله: منها العلم الشامل لله - سبحانه - في نصف بيت، يقول الشاعر[٢]:

(١) الديوان، ص١٣، ١٤.
(٢) الديوان، ص١٢.

....

وعلمه لكل شيء قد حوى

تحدث ابن مشرّف عن أمور اختلف فيها العلماء - أيضاً - وهي ما يقتضي التشبيه - مثل العين، والوجه، والأصبع، واليدين، وقد وردت بها آيات القرآن الكريم، فبين ابن مشرّف أن الحق فيها أنها «لله» لكن مع التنزيه عن التشبيه بخلقه، والتمثيل، وذلك في دائرة قوله - سبحانه - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1]. يقول الشاعر[2]:

وما اقتضى التشبيه مثل العين ... والوجه والأصبع واليدين
نؤمن به لكن مع التنزيه ... له عن التمثيل والتشبيه
فالله ليس مثله شيء ولا ... له سمي. جلّ شأناً وعلا

كما تحدث ابن مشرّف عن رؤية الله في الآخرة في بيت واحد فقال[3]:

والمؤمنون كلهم في الأخرى ... يرون ربهم عياناً طُرّا

ناقش الشاعر قضية أفعال العباد، فالله خالق لجميع الأفعال، والمحاسب عليها، يقول الشاعر[4]:

فالله خالق لفعل عبده ... جميعه من خير أو من ضده
لأنه قد أوجد العبادا ... وكل ما قد عملوا إيجادا
لكن يلامون على ما كسبوا ... فهوَّ فعلهم إليهم ينسب
فمن يشأ وفقه بفضله ... ومن يشأ أضله بعدله
ثم الشقي ذو الشقاء الأزلي ... كعكسه فليس بالمنتقل

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) الديوان، ص٣.

(٣) الديوان، ص١٢.

(٤) الديوان، ص١٢.

تكلم ابن مشرّف عن «إرسال الرسل «تفضلاً منه - سبحانه - على عباده لقطع أعذارهم، وصفاتهم الموافقة لهذه المهمة: الصدق، والأمانة، والتبليغ، وهناك صفات أخرى. وبين ابن مشرّف أن الأنبياء لا يجوز عليهم الكذب، ولو للمصلحة، ومن أجاز ذلك كان مرتداً، والنبوة هبة، ونضيف أنها «اصطفاء»، فالله عز وجل يقول ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] ويتفاوت الرسل في الفضل، وخاتمهم رسول الله محمد ﷺ، فلا نبي بعده ناسخ ولا سواه، بخلاف بقية الأنبياء السابقين، فقد نسخت شريعته جميع الشرائع.

وبين ابن مشرّف أن النسخ في داخل شريعة رسول الله ﷺ جائز، وهي قضية شريحة من العلماء منهم من أجازها، ومنهم من منع، ولكل رأيه بدليله، وبيان سر ذلك عنده. يقول ابن مشرّف[2]:

وأرسـل الـلـه تـعـالى: الرسلا ... لقطع أعـذار الـورى تفضلا
والـصـدق والتبليغ والأمـانـة ... فـي حقـهـم يـلـزم كالصيانة
عـن مطلق الـذنـوب والـرذائـل ... إذ شـأنـهـم حـيـازة الفضائلِ
ثـم نـبـوة الـنـبـيـيـن هـبـة ... من ربهم ذو الفضل لا مكتسبة
ثـم جميع الأنـبـيـاء والـرسـل ... بينهم تـفـاوت فـي الـفـضـلِ
لكنهم قـد ختـمـوا بالأفضل ... مـنـهـم نـبـيـنـا خـتـام الـرسـلِ
فـلا نـبـي بـعـده، كـلا، ولا ... مـبـشـراً أو مـنـذراً أو مرسلا
فـمـا لـشـرع ديـنـه مـن ناسخ ... ومـا لعقد حكمه مـن فاسخ
وكـل شـرع قـبـل شـرعـه نسخ ... بشرعه الـزاكـي الـذي لا ينتسخ

تحدث ابن مشرّف عن المعجزات التي أيد بها الله عز وجل رسوله محمداً ﷺ منها: معجزة القرآن الكريم، وهي أعظمها، وفصل ابن مشرّف في

(١) سورة الحج، الآية ٧٥ .

(٢) الديوان، ص١٣،١٢.

«معجزة القرآن»، وأنها بحر العلوم مع الإيجاز، يقول ابن مشرّف[١]:

فمعجزات المصطفى لا تحصى … عداً ولا توعى ولا تستقصى
منها كلام الله نعم المعجز … بحر محيط بالعلوم موجز
ما مثله في الحسن والصياغة … قد عجزت عن مثله البلاغة
وقد تحدى الله سائر البشر … والجن من ذاك بأقصر السور
فأحجموا عن ذلك الميدان … ولم يكن لهم به يدان

ثم تحدث ابن مشرّف عن زوجات الرسول ﷺ في بيتين، وبين أن زوجات الرسول محمد ﷺ وكل الرسل - عليهم الصلوات والتسليمات- طاهرات عفيفات، وهذا ما يليق بهن؛ لأن النبي أي نبي مصطفى من الله لإبلاغ رسالات ربه عز وجل فهو ومن معه من الطهر والعفاف بمكان سام، هذا هو الحق، يقول ابن مشرّف[٢]:

ومن جميع السوء زوجات النبي … بَرَا فقد طبن لذاك الطيب
فما زنت زوج نبي قط … حاشا وما زنى،عداه السخط

تحدث ابن مشرّف عن أفضل القرون، وبين أن أفضل القرون الزمانية قرن المصطفى ﷺ ثم الثاني والثالث، وهكذا.. يقول ابن مشرّف[٣]:

وأفضل القرون قرن المصطفى
فمن قفاهم ثم من لهم قفى

تحدث ابن مشرّف عن «الموت» وأنه حق، ومن مات بهدم أو غرق أو حرق أو أكله سبع مات بأجله، وما تقدم سبب، والروح تنفصل ولا تفنى، ولا عجب الذنب، ليكون الحشر على إعادة الجسم كما كان، وبعد الموت: نعيم أو عذاب، إلا أن الشهداء عند ربهم يرزقون، وأرواحهم في حواصل طير

---

(١) الديوان، ص١٢، ١٣.
(٢) الديوان، ص١٣.
(٣) الديوان، ص١٤.

خضر تسرح في الجنة، يقول ابن مشرّف[١]:

والموت حق مالك قد وكلا ... بقبض روح من أتم الأجلا
وكل من مات بهدم أو غرق ... أو قتل أكل أو سباع أو حرق
أو نحوها من كل مزهق حصل ... مات بعمره وقد حان الأجل
والروح لا تفنى ولا عجب الذنب ... ومنه ينشي جسمه الذي ذهب
والروح بعد الموت في نعيم ... أو في عذاب موجع أليم
والشهداء يرزقون أحيا ... عند إلههم كما في الدنيا
أرواحهم في جوف طير خضر ... تجني من الجنة خير الثمر

وتحدث ابن مشرّف عن فتنة القبر، وهي: سؤال الميت عن دينه ورسوله وكتابه، وهذا حق كما ورد في الصحيح، يقول[٢]:

واعلم بأن فتنة القبور ... حق كما في الخبر المأثور
وهي سؤال الهالك الدفين ... حين يوارى عن أصول الدين
عن ربه والدين والنبي ... كما أتى في الخبر المروي

تحدث ابن مشرّف عن الساعة، وصور أهوالها، وما فيها من خلال فهمه للكتاب العزيز، والسنة المطهرة، وفي هذا اليوم: حشر، ونفخ في الصور، وحساب، وصحف، وميزان ومرور على الصراط، ونعيم في الجنة، وعذاب في النار، يقول ابن مشرّف[٣]:

والساعة الدهماء حق واقعة ... ميقاتها أظل وهي القارعة
وهي بأن ينفخ إسرافيل ... في الصور إذ يأمره الجليل
ثم ترى السما تمور موراً ... ثم الرحى حين تدور دورا
وتنثر النجوم منها كالمطر ... وتجمع الشمس هناك والقمر

---

(١) الديوان، ص١٤.

(٢) الديوان، ص١٤.

(٣) الديوان، ص١٥،١٤.

كلاهما صورته مغيرة　　ذا خاسف وهذه مكورة
ثم تصير وردة كالدهن　　والمهل والجبال مثل العهنِ

ويستمرابن مشرّف في الحديث عن يوم القيامة في أبيات كثيرة، منها الأبيات السابقة.

ويتحدث ابن مشرّف عن قضية «الرزق، والتوكل.. ويؤكد أن التوكل لا ينافي الأسباب وهو ينافي التواكل؛ لأن هذا كسل، يقول ابن مشرّف[١]:

والله جل شأنه تكفلا　　لخلقه برزقهم تفضلا
فيرزق الله الحلال المحكما　　ويرزق المكروه والمحرما
ولا ينافي الأخذ بالأسباب　　توكل العبدعلى الصواب

تحدث ابن مشرّف - أيضاً - عما جاء به رسولنا ﷺ وأن ما جاء به على قسمين: ضروري ونظري، يقول ابن مشرّف[٢]:

وكل ما جاء به الرسول　　حق له يلزمنا القبولُ
وهو على قسمين ما قد علما　　مجيئه به ضرورة وما
سواه فالأول من له جحد　　فإنه يقتل كفراً دون حد
وقد تناهى القول في الأسماء　　وفي صفاته على استيفاء

ينتقل ابن مشرّف بعد ذلك إلى «واجب التوحيد» وحديث عن الشرك بأنواعه، فيوضح ابن مشرّف معنى توحيد العبودية: «لا إله إلا الله»، والمعنى: لا معبود بحق إلا الله بحيث يكون العابد لله في جميع أفعاله متوجهاً إليه، كما ورد في نهاية آيات سورة الكهف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ

(١) الديوان، ص١٦.
(٢) الديوان، ص١٦.

إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾(١).

يقول ابن مشرّف:

وحق أن نشرع المقال ... في واجب التوحيد بالأفعالْ
وذلك التوحيد في العبادة ... وهو بمعنى كلمة الشهادة
فهي له في غاية المحبة ... من دعوة ورغبة ورهبة
والذبح والنذور والتوكلِ ... ونحوه من كل تعظيم جلي
فكل ما ذكرته معناه ... تفسير لا إله إلا الله
لأن معناها كما لا يشتبه ... أن يعبد الله ولا يشرك به

وتحدث عن الشرك بنوعية: «الأصغر» وضده، وهو «الأكبر» ثم بين الأصغر، وهذا كله مأخوذ من أحاديث رسول الله ﷺ بالمعنى، وبين من الشرك نوعاً واحداً وهو: الحلف بغير الله، وتكلم على الشرك الأكبر بأقسامه الثلاثة: اتخاذ شريك لله، ومنه التعطيل والتمثيل، ثم الشرك في صفاته وأسمائه، ثم الشرك في العبادة، يقول ابن مشرّف(٢):

والشرك نوعان فشرك أصغر ... وضده وهو الذي لا يغفر
فالأصغر الرياء والتصنع ... للخلق والسمعة ممن يسمع

ويقول(٣):

والأكبر: المحبط للأعمال ... أعاذنا الله من الضلالِ
يحصر في ثلاثة الأقسام ... كل ينافي ملة الإسلامِ

ويقول(٤):

(١) سورة الكهف الآيات، ١٠٧ إلى ١١٠.
(٢) الديوان، ص١٧.
(٣) الديوان، ص١٧.
(٤) الديوان، ص١٧، ١٨.

والقول بالتعطيل من ذا الشرك … منخرط أيضاً بذاك السلك
فاحكم بإشراك أولي التعطيل … ومثلهم أيضاً أولي التمثيل
وإن أردت ثاني الأقسام … فالشرك في الصفات والأسامي
كقوله فيمن له الكذب سمة … لا زلت رحماناً، عنا مسيلمة

تحدث ابن مشرّف عن العبادة وأنها: عقيدة، وقول، وعمل، فالشرك في أي جانب منها محبط لها، ثم شرح العقيدة وبينها، والقول وشرحه بالدعاء والنذور، وشرح العمل ومثل له، وبين ختام كل هذه الأركان العبادية بأن فيها: الذل لله بالركوع والسجود خالصاً لوجهه، ومن أشرك فيها معه سواه فهو كافر على التحقيق، يقول ابن مشرّف(١):

وإن أردت ثالث الأقسام … فالشرك في عبادة العلام
وهي عقيدة وقول وعمل … والشرك محبط لها كيف حصلْ
فالاعتقاد الخوف والرجاء مع … رغبته ورهبة كذا الطمع
والتوب والخشية والتوكل … محلها القلب كما لم يشكلِ
والذل بالركوع والسجود … فهذه عبادة المعبود
يلزم صرفها إلى رب الورى … خالصة له بلا شرك يرى
وكل من أشرك فيها مطلقا … فهو يكون كفره محققا

يتطرق ابن مشرّف إلى شروط الإيمان، وأنها «عشرون»، وقد أخذها من كتاب التوحيد، وقد جمعت هذه الشرائط وهي: الوصول إلى غاية الأمان في الدنيا والآخرة، ثم أخذ في بيان هذه الشرائط إجمالاً ثم تفصيلاً، يقول ابن مشرّف(٢):

وإن ترد شرائط الإيمان … لكي تنال غاية الأمانِ
فإنها عشرون شرطاً وافية … نذكرها مسرودة موالية

---

(١) الديوان، ص١٨.

(٢) الديوان، ص١٨.

حبك لله ومن والاه ... والبغض مع ترك الذي عاداه
وهجرة المرء من الأرض التي ... يصد فيها عن سبيل الملة
والحب لله وللرسول ... أي باتباع شرعه المنقول
وأن يكون راضياً بالله ... رباً وبالإسلام دين الله
دينا له، والله جل أرسلا ... نبينا له نبياً مرسلا
وأن يرى الكفر ضلالا وردى ... وأن يرى الإسلام حقا وهدى
وهكذا محبة الإيمان ... منها كذا كراهة الكفران
وأن يكون مؤمناً ذا طاعة ... قبل علامات وقوع الساعة
وقبل أن يحضره المنون ... فيستقر عنده اليقين
وكونه محلّلا محرما ... لما أحل شرعنا وحرّما
والكفر بالطاغوت من ذاك وأن ... يكذب العراف والذي كهنْ

تحدث ابن مشرّف في نهاية هذه القصيدة عن وقوف المسلم مدافعاً عن دينه، وسنة نبيه ﷺ، وطبق ذلك على قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعزاز أهله باليد، فمن لم يستطع فبلسانه، أي يحرض على القتال، ثم يدعو الله عز وجل لإعزاز المسلمين، ونصرة الإسلام في كل مكان، يقول ابن مشرّف[1]:.

هذا ونصر الدين فرض باليد ... ثم اللسان ثم بالمعتقد
وما وراء هذه الأركان ... حبة خردل من الإيمان
فنصره إن عيق بالقتال ... فبالدعا منه والابتهال
فيا إله الأرض والسماء ... يا مالك المنة والنعماء
ندعوك ربنا بأنا نشهد ... بأنك الله الإله الأحد

وبهذا تمت أفكار الشاعر في هذه الجوهرة.

أما القصيدة الثانية، فإنها تتضمن «العقيدة «التي هي أصل التوحيد، وكأنها مراجعة لما في الأولى من أصول يعتمد عليها المسلم، ولذا كانت

(١) الديوان، ص١٩.

الأفكار على التالي: الإيمان بالقلب، والنطق بالشهادتين، يقول الشاعر[١]:

وأول الفرض إيمان الفؤاد كذا ... نطق اللسان بما في الذكر قد سطرا
أن الإله إله واحد صمد ... فلا إله سوى من للأنام برا

وتحدث ابن مشرّف عن بعض صفات الله تعالى: إله واحد صمد، خالق، قادر، منزه عن الشريك والولد، والصاحبة، والوالد، ثم وصف المولى عز وجل بأنه «الأول والآخر، كما في قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢]يقول ابن مشرّف[٣]:

رب السموات والأرضين ليس لنا ... رب سواه تعالى: من لنا فطرا
وأنه موجد الأشياء أجمعها ... بلا شريك ولا عون ولا وزرا
وهو المنزه عن ولد وصاحبة ... ووالد وعن الأشباه والنظرا
لا يبلغن كنه وصف الله واصفه ... ولا يحيط به علماً من افتكرا
وأنه أَوَّلٌ باقٍ فليس له ... بدء ولا منتهى سبحان من قدرا
حي عليم قديرٌ والكلام له ... فرد سميع بصير ما أراد جرى

تحدث ابن مشرّف عن كلام الله عز وجل المعجز للبشر، وأنه كلام الله القديم، ثم انحدر إلى كلام الله عز وجل لنبيه موسى – عليه السلام – وأن ذلك في طور سيناء حيث كان التكليم بلا واسطة.وبين الشاعر أن نبيه موسى عليه السلام امتلأ بهذا الوحي الشفهي بلا واسطة حتى قال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤]، يقول ابن مشرّف[٥]:

---

(١) الديوان، ص٢٠.

(٢) سورة الحديد، الآية ٣.

(٣) الديوان، ص٢٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٥) الديوان، ص٢٠.

وحي تكلم مولانا القديم به ... ولم يزل من صفات الله معتبرا
يتلى ويحمل حفظا في الصدور كما ... بالخط يثبته في الصحف من زبرا
وأن موسى كليم الله كلمه ... إلهه فوق ذاك الطور إذا حضرا
فالله أسمعه من غير واسطة ... من وصفه كلمات تحتوي عبرا

تحدث ابن مشرّف عن عذاب القبر ونعيمه، فذكر أن الميت استوفى رزقه المقدر، سواء أكان إنساناً أم غيره، وأن رسول الموت يقبض أرواح الأحياء بإذن مولاه في نهاية الأجل، وأن الميت إذا وضع في البرزخ فإنه يُسأل عما فعل، وهذه هي فتنة القبر، وذكر أن السعداء في قبورهم في جنات، والأشقياء بالعكس في جحيم، وهذا مطابق لقول الرسول ﷺ: «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»[١]، يقول ابن مشرّف[٢]:

ولم تمت قط من نفس وما قتلت ... من قبل إكمالها الرزق الذي قدرا
وكل روحٍ رسولُ الموت يقبضها ... بإذن مولاه إذ تستكمل العمرا
وكل منْ مات مسؤول ومفتتن ... من حين يوضع مقبورا ليختبرا

وذكر أيضاً أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، وهذا أيضاً مقطع من حديث اقتبس معناه الشاعر في بيتين، يقول ابن مشرّف[٣]:

لكنْ همُ الشهدا أحيا وأنفسهم ... في جوف طير حسان تعجب النظرا
وأنها في جنان الخلد سارحة ... من كل ما تشتهي تجني بها ثمرا

تحدث ابن مشرّف عن البعث والجزاء في منظومة جيدة النظم اقتبسها من القرآن الكريم، فذكر نفخ إسرافيل في الصور، وجاء ذكره في القرآن الكريم عن قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي

---

(١) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، حديث رقم: ٢٤٦٠.
(٢) الديوان، ص٢٠.
(٣) الديوان، ص٢١.

ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾[1]، تحدث عن الحساب كما في الآية السابقة، وذكر أن المظلوم يأخذ حقه من الظالم في يوم الحساب، كما اقتبس ابن مشرّف معنى الآية الكريمة: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾[2].

واقتبس ابن مشرّف كلامه أيضاً من قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[3].

يقول ابن مشرّف[4]:

وإن نفخة إسرافيل ثانية ... في الصور حقا فيحيي كل من قبرا
كما بدا خلقهم ربي يعيدهمُ ... سبحان من أنشأ الأرواح والصورا
حتى إذا ما دعا للجمع صارخه ... وكل ميت من الأموات قد نشرا
قال الإله: قفوهم للسؤال لكي ... يقتص مظلومهم ممن له قهرا
فيوقفون ألوفاً من سنينهم ... والشمس دانية والرشح قد كثرا
وجاء ربك والأملاك قاطبة ... لهم صفوف أحاطت بالورى زمرا
وجيء يومئذ بالنار تسحبها ... خُزَّانها فأهالت كل من نظرا
لها زفير شديد من تغيظها ... على العصاة وترمي نحوهم شررا
ويرسل الله صحف الخلق حاوية ... أعمالهم كل شيء جل أو صغرا

(١) سورة الزمر، الآيات: ٦٨ - ٧٠.
(٢) سورة الفجر، الآيتان: ٢٣،٢٢.
(٣) سورة الإسراء الآيتان، ١٣،١٤.
(٤) الديوان، ص٢٢.

وتكلم عن ميزان الأعمال؛ وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[١]. وتحدث ابن مشرّف عن مغفرة الذنوب ما عدا الشرك بالله من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٢].

يقول ابن مشرّف[٣]:

ووزن أعمالهم حق فإن ثقلت ... بالخير فاز، وإن خفت فقد خسرا
وأن بالمثل تجزى السيئات كما ... يكون في الحسنات الضعف قد وفرا
وكل ذنب سوى الإشراك يغفره ... ربي لمن شاء ليس الشرك مغتفرا

وأشار ابن مشرّف إلى عدم فناء الجنة والنار، والنظر إلى وجه الله الكريم في الجنة وهذا المعنى من قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[٤]، وذكر أن الموحدين لا يخلدون في النار، ولو سفك دم المسلم المعصوم، وذكر في النهاية أن الشفاعة حق، وقد وردت فيها أحاديث كثيرة بكل كتب فيها مؤلفات، يقول ابن مشرّف[٥]:

وجنة الخلد لا تفنى وساكنها ... مخلد ليس يخشى الموت والكبرا
أعدها الله داراً للخلود لمن ... يخشى الإله وللنعماء قد شكرا
وينظرون إلى وجه الإله بها ... كما يرى الناس شمس الظهر والقمرا
كذلك النار لا تفنى وساكنها ... أعدها الله مولانا لمن كفرا
ولا يخلّد فيها من يوحّده ... ولو بسفك دم المعصوم قد فجرا
وكم ينجّي إلهي بالشفاعة من ... خير البرية عاصياً بها سجرا

(١) سورة الأنبياء، الآية ٤٧.
(٢) سورة النساء، الآية ١١٦.
(٣) الديوان، ص٢٢.
(٤) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢،٢٣.
(٥) الديوان، ص٢٢.

تحدث ابن مشرّف عن الإيمان بحوض نبينا محمد ﷺ كما في قوله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وكيزانه أكثر من نجوم السماء، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً»[(١)]، يقول ابن مشرّف[(٢)]:

وإن للمصطفى حوضا مسافته	ما بين صنعا وبصرى هكذا ذكرا
أحلى من العسل الصافي مذاقته	وأن كيزانه مثل النجوم ترى
ولم يرده سوى أتباع سنته	سيماهم: أن يرى التحجيل والغررا

أما **القصيدة الثالثة**: «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية»، ففيها الأفكار التالية المأخوذة أيضاً من المصدرين الشرعيين: الكتاب والسنة. تحدث عن الاستواء على العرش، وناقش معتقد المعطلة،وأنهم مبطلون، والأدلة على الاستواء في الكتاب والسنة، إلا أنه لابد أن يفهم أن الاستواء معلوم، والكيف مجهول؛لأنه استواء يليق بذاته العلية، وقد أتى المصنف بعدة أدلة من الكتاب اقتبس معناها في الأبيات، وكذلك من السنة، منها: قوله تعالى:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[(٥)]، ومن السنة: معراج النبي ﷺ وهذا وارد في الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم وجميع كتب الصحيح، يقول ابن مشرّف[(٦)]:

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته، رقم الحديث: ٢٢٩٢.

(٢) الديوان، ص٢٢، ٢٣.

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(٤) سورة المعارج، الآية:٤.

(٥) سورة النحل، الآية: ٥٠.

(٦) الديوان، ص١٨.

نفيتم صفات الله، فالله أكمل   وسبحانه عما يقول المعطلُ
زعمتم بأن الله ليس بمستوٍ   على عرشه، والإستوا ليس يجهل
فقد جاء في الأخبار في غير موضع   بلفظ «استوى» لا غير يا متأول

تحدث ابن مشرّف عن رفع نبي الله عيسى - عليه السلام -، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾[1]، وورد في السنة: من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة...» وهو حديث طويل ذكر فيه نبي الله - عيسى عليه السلام - وما يصنعه بالدجال..»[2]، ويقول ابن مشرّف[3]:

وقد رفع الله المسيح ابن مريم   إليه ولكن بعد ذا سوف ينزلُ
فيكسر صلبان النصارى بكفه   وما دام حيًّا للخنازير يقتل
وليس له شرع سوى شرع أحمد   فيقضي به بين الأنام ويعدل

تحدث ابن مشرّف عن زوجات الرسول ﷺ، وخصوصاً السيدة زينب بنت جحش التي نزل فيها قرآن يتلى إلى يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا ﴾[4]. ويقول ابن مشرّف[5]:

وزينب زوج المصطفى افتخرت على   بقية أزواج النبي بلا غلو
فقالت: تولى الله عقدي بنفسه   فزوجني من فوق سبع من العلو
وإن سفيري روحه. وكفى بها   لزينب فخراً شامخاً. فهو أطول

تحدث ابن مشرّف عن قضاء الصحابي الجليل «سعد بن معاذ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بني قريظة بالقتل والاسترقاق، وهذا واضح من السيرة النبوية المباركة،

(١) سورة النساء الآية: ١٥٨.
(٢) أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٥٠، ٢٢٥٥.
(٣) الديوان، ص٢٤.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.
(٥) الديوان، ص٢٤، ٢٥.

فقال النبي ﷺ لسعد بن معاذ رضي الله عنه: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سموات»[(١)]. يقول ابن مشرّف[(٢)]:

ولما قضى سعد الرضي في قريظة ... بأن يسترقوا والرجال تقتل
وأمضى رسول الله في القوم حكمه ... لقد قال ما معناه إذ يتأمل
ألا إن سعداً قد قضى فيهم بما ... قضى الله من فوق السماوات فافعلوا

تحدث ابن مشرّف عن نزول الله - عز وجل - في الثلث الأخير من الليل، وهو نزول يليق به في دائرة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[(٣)] وهو وارد في صحيح السنة كثيراً.

وأورد دليلاً عقلياً على أن الله فوق عباده - كما يليق به عز وجل - حيث إن العباد يرفعون أكفهم إلى ربهم إذا اجتهدوا في الدعاء.

ثم بين أن المعطلة والجهمية عطلوا كل هذه الصفات وقالوا بالتنزيه عن طريق نفي الصفات، وقد جاء القرآن وجاءت السنة بخلاف ما قالوا، وصاحب القصيدة على عمل ودراية بما جاء في الكتاب والسنة، فنظم المعاني بهذا الأسلوب الرائق اللائق بهذه المعاني المقدسة، وفي نهاية القصيدة وجه إليهم اللوم والعتاب، والاستهزاء بهؤلاء المعطلة، ثم رماهم في النهاية بقوله: «ومن يبتدع في الدين فهو مضلل»، يقول ابن مشرّف[(٤)]:

فيا أيها النافي لأوصاف ربه ... لقد فاتك النهج الذي هو أمثلُ
تحيد عن الذكر الحكيم ونصه ... وتزورُّ عن قول النبي وتعدل
وتنفي صفات الله بعد ثبوتها ... بنص من الوحيين ما فيه مجمل
إذا جاء نص محكم في صفاته ... جحدت له، أو قلت: هذا مؤول

---

(١) صحيح مسلم ٤٢٤.
(٢) الديوان، ص٢٥.
(٣) سورة الشورى، الآية ١١.
(٤) الديوان، ص٢٥.

ألا تقتفي آثار صحب محمد ؟ فمنهاجهم أهدى وأنجى وأفضل
فما مذهب الأخلاف أعلم بالهدى من القوم لو أنصفت أو كنت تعقل
ولكنه من بعض ما أحدث الورى ومن يبتدع في الدين فهو مضلل

تحدث ابن مشرّف - أيضاً - عن معان كثيرة تكررت في القصائد السابقة مثل: الاستواء، والحساب، والميزان، والجنة، والقضاء، والقدر، والإيمان عقيدة وعمل، وغير ذلك.. وهذه المعاني سيطرت على الشاعر في المقطوعتين السابقتين، مما يدل على تمكنها في نفسه، فهو يديرها دائماً على لسانه وقلمه في كثير من موضوعاته.

وفي القصيدة الرابعة «الرد على عثمان بن منصور» نرى فكرة واحدة وهي «قضية القبور» التي تتضمن: البناء على القبور، ودعاء الأموات لكشف الكربات، وقد صاغ هذه الفكرة بأساليب بيانية قوية كما سيتضح في فصل «الألفاظ والتراكيب»، يقول ابن مشرّف[1]:

وطافوا عليها خاضعين تقرباً إلى ذلك المقبور بالذبح والنذرِ
وكم سألوا الأموات كشف كروبهم ولا سيما في الفلك في لجج البحر
فزادوا على شرك الأوائل إذ دَعَوْا سوى الله في حال الرخاء وفي العسر

وفي القصيدتين الواردتين في هجاء «عين نجم» و «قبتها» التي هدمت نلاحظ أن الألفاظ تناسب الهجاء، واستعمال الأساليب البيانية التي تتآلف مع هذا القصد، فقد عرض ابن مشرّف القضية «ذهاب الناس إليها، على ظن الاستشفاء بهذه «العين»، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك: ماؤها حميم يجلب الأسقام، ومن اعتقد أن فيه شفاء فقد اعتقد اعتقاد المشركين.

واستعمل ابن مشرّف في علاج القضية ما استعمله أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ

(١) الديوان، ص٣٠.

يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[١]، يقول ابن مشرّف[٢]:

فيا طالباً منه الشفاء بزعمه ... جهلت، فما في مثل هذا سوى السقم
ولو كان في الماء الحميم لنا شفا ... لخص به أيوب يا عادم الفهمَ
ومن يعتقد فيه الشفاء لم يزل على ... شفا جرف الإشراك جهلاً بلا علم

وقصيدة «شرف العلم وفضله» تدور حول فكرة واحدة «العلم الديني» وشرفه ومصادره شريعة الإسلام من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة. يقول ابن مشرّف[٣]:

وما أحسن العلم الذي يورث التقى ... به يرتقي في المجد أعلى سمائه
ومن لم يزده العلم تقوى لربه ... فلم يؤته إلا لأجل شقائه
وما العلم عند العالمين بحده ... سوى خشية الباري وحسن اتقائه

وقصيدة «الأخذ بالحديث الشريف» فيها فكرة «تقديم الأصول على سواها» فالأصل الأول: القرآن، يليه: الحديث الشريف، وهذا ما ورد في القرآن والسنة كذلك، يقول ابن مشرّف[٤]:

وقدم أحاديث الرسول ونصه ... على كل قول قد أتى بإزائه
فإن جاء رأي للحديث معارض ... فللرأي فاطرح، واسترح من عنائه
فهل مع وجود البحر يكفي تيمم ... لمن ليس معذورا لدى فقهائه

وتلي القصيدة السابقة «مقطعة» في نصح المسلمين ويأخذ ابن مشرّف فكرتها من قول الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي عنه: «فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[٥]، يقول ابن مشرّف:[٦]

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٨- ٨٠.
(٢) الديوان، ص٣٤، ٣٥.
(٣) الديوان، ص٣٦.
(٤) الديوان، ص٣٧.
(٥) أخرجه البخاري ٣٧٠١، ومسلم ٢٤٠٦.
(٦) الديوان، ص٣٨.

وكـن ناصحـاً للمسـلمين جميعهم ... بإرشـادهم للحـق عنـد خفائـه
ومرهـم بمعـروف الشـريعة وانههم ... عن السـوء وازجر ذا الخنا عن خنائه
وعظـم بآيـات الإلـه بحكمـه ... لعلـك تبـرى داءهـم بدوائـه

وقصيدة «ذم الدنيا» يأخذ أيضا فكرتها من الشريعة الإسلامية وتطبيق ما فهمه على الحياة، فكان له هنا مصدران شرعيان مع النظر في الحياة، فحذر ابن مشرّف من الدنيا، وأخذ ذلك من قوله تعالى:﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾[1]، وتحدث أيضاً في القصيدة عن الزهد، وصفة الطامعين في هذه الدنيا، وذكر أن الحساب والموت أمران يجب على العبدألا ينسى ذكرهما أبد الدهر، حتى يستعد المرء لهذا الموقف الصعب، وبعد ذلك أكد المحافظة على الدين، يقول ابن مشرّف[2]:

وإيـاك والدنيـا الدنيـة إنهـا ... هـي السـحر فـي تخييلـه وافترائـه
متـاع غـرور لا يـدوم سـرورها ... وأضغـاث حلـم خـادع ببهائـه
فمـن أكرمـت يومـاً أهانـت لـه غدا ... ومـن أضحكـت قـد آذنـت ببكائـه

وأما قصيدة «رثاء العلم» ففيها فكرة واحدة لها فروع كثيرة، وهي «الرثاء» لمفقود عزيز، وهو العلم..فقد ذكر ابن مشرّف ما وصلت إليه نظرته المتشائمة لحال العلم، واقتبس ذلك من قول الرسول ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً، ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقِ عالماً اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأَضلوا»[3].

وتحدث في هذه القصيدة عن العلم وشرفه، وعقد مقارنة بين أهل العلم وذوي الملك، وكذلك عقد مقارنة بين مجلسين: مجلس العلم، ومجلس أهل الدنيا، وأثنى على الأول، وهجا الثاني..وأكد ابن مشرّف أن

---

(١) سورة العنكبوت، الآية ٦٤.
(٢) الديوان، ص٣٨.
(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم الحديث: ١٠٠.

العلم ما جاء من قول الله عز وجل أو رسوله ﷺ، لا من الرأي والظن، ثم أمر باتباع القرن الذي عاش فيه رسول الله ﷺ وصحبه والتابعون - رضي الله عنهم، ويحذر من اتباع الهوى والبدع، وبعد ذلك عاد إلى الحديث عن قضايا تحدث فيها فيما سبق، وهذه القضايا هي: قضية الإيمان وزيادته بالأعمال ونقصانه بنقصها، وقضية الإيمان بالله عز وجل، وصفاته المفصلة، وقضية الإيمان بالاستواء، وقضية الجنة والنار، والخلود فيهما، وقضية رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، وقضية الشرب من حوض النبي ﷺ وصفة الحوض.. والشاعر هنا يدعو لنفسه برؤية وجه الله الكريم، وشربه من حوض نبينا ﷺ.وتحدث عن قضية العذاب للكافرين خالدين فيها أبداً. أما أهل القبلة من الموحدين وإن كانوا عصاة فإنهم يستحقونها، ولكن إلى حين، ثم يخرجون، وذكر أيضاً قضية الشفاعة العظمى لنبينا محمد ﷺ والشفاعات الصغرى لأهل القرآن والعلم والفضل، وهي آخر القضايا في هذه القصيدة، يقول ابن مشرّف[1]:

وما الناس دون العلم إلا بظلمة ... من الجهل لا مصباح فيها ولا نجمُ
فهل يهتدى إلا بنجم سمائه ... إذا ما بدا من أفقه ذلك النجم؟
فهذا أوان القبض للعلم فلينح ... عليه الذي في الحب كان له سهم
وما قبضه إلا بموت وُعاته ... فقبضهم قبض له، وبهم ينمو

ويلاحظ أن هذه الأفكار مصدرها الدين الإسلامي من قرآن وتشريع محمدي آمن به شاعرنا وعاش له، ونشره في هذه الأشعار السابقة.

ثانياً: الحياة الاجتماعية والسياسية.

تأتي قصائد بعد ذلك مصدرها: حياته الاجتماعية والسياسية، وهي كما يلي:

---

(١) الديوان، ص٤٠.

مدح الإمام فيصل بن تركي[١]. وفي هذه القصائد يرى أن الإمام هو المصلح والمعالج لشدائد الزمان، بذلك كان الإمام فيصل هو الألمعي الكريم الأصل المقصود في الحوائج، يقول ابن مشرّف[٢]:

وساءلت: هل في دهرنا من مساعد	على جبر مطلوب وإسعاف طالب؟
فلم أر إلا الألمعي أخا الندى	إمام الهدى نسل الكرام الأطايب
كريم المساعي فيصل من يراعه	على طرسه يحكي هتون السحائب

وفي قصيدة أخرى يمدح الإمام بصفات العلا والسؤدد والمجد، حتى ينال شرف الدنيا، وكرامة الآخرة..وعدد الأوصاف التي تصلح الدنيا: همته العليا، والشجاعة...، وأوصاف للدين: نصرة دين الله، وتقويم المعوج من السنة الغراء، وشجاعة في جميع المواقف، وتأمين البلاد وأهلها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنصاف المظلوم، وإحقاق الحق، يقول ابن مشرّف[٣]:

أخو همة في شامخ العز قد علت	فمن مثله في الفضل والبأس والندى
أبو المجد وابن المجد والمجد أصله	حليف العلا من كان في الفضل أوحدا
فأكرم به فرعاً سلالة مقرن	وآباؤه الغر الكرام أولو الهدى
لقد نصروا دين الإله وقوموا	من السنة الغراء ما قد تأودا

وبعد القصائد التي مدح فيها ابن مشرّف الإمام فيصل تأتي بعض المقطعات والقصائد التي يحرض فيها ابن مشرّف الإمام على الأخذ على يد الأعراب المفسدين[٤]، ونرى فكرة التحريض نابعة من الدين وحبه للإمام،ونجد ابن مشرّف في قصيدة يؤكد أن الأعراب قد أفسدوا، وأن الإمام

(١) امتد هذا المدح في عدة قصائد بالصفحات ٥٣، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٤٥، ٤٨.

(٢) الديوان، ص٥٣.

(٣) الديوان، ص٥٤.

(٤) امتداد ذلك في الصفحات ٨١، ٨٣، ٨٤، ٩٠، ٩٢، ٩٨، ١٠١، ١٠٢.

تألفهم بيد أنهم ظلوا على فسادهم، فقاومهم بحد السيف، وحكم القرآن فيهم، يقول ابن مشرّف[١]:

فقال: ادخلوا في السلم طرّاً وأسلموا ... وإلا فحرب وعده ليس يخلفُ
وأقسم لا نعطي على ديننا الرشا ... وما عندنا إلا حسام ومصحف

وبعد ذلك نجد مدح ابن مشرّف يمتد إلى أحمد السديري لما تولى عمان، فنجده يقول[٢]:

وقد جاءنا ذاك البشير مبشراً ... بفتح عمان حين حل به السدر
همام له قاد الجيوش بفيلق ... إذا جاش بالأبطال يشبهه البحر
فأوطأهم جمعاً عماناً فأذعنت ... ودان له من أرضها السهل والوعر

ومن هذا الباب «المدح» نرى ردوداً على بعض الرسائل الشعرية[٣].

فنجد ابن مشرّف - يرد على من ثلب شيخ الإسلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن في كتاب ألقاه حيث يقول[٤]:

من ذا يعيب أئمة الإسلام ... أهل النهى والفضل والأحلام
أو من يعاديهم سوى ذي ريبة ... في الدين ليس بثابت الأقدامَ
فهم النجوم هدى لأصحاب السرى ... وهمُ لدين الله كالأعلام
أنصار سنة أحمد كم أسسوا ... للمسلمين قواعد الأحكام

ويأخذ ابن مشرّف شعراً للإمام الشافعي، ويشطره، والفكرة «دينية» تتواصل مع أهل العلم، فقد شطر الشاعر أبيات الإمام فجعل كل شطرة أخرى من عنده على امتداد المعنى، ليثري الفكرة، ويجلي المقصود، وهذا من صنيع الشعراء بعضهم في إثر بعض إذا وجدوا للمعنى السابق صدى في نفوسهم، فكأنهم شرحوا الشعر بالشعر في داخل الأبيات، والأبيات كلها من

(١) الديوان، ص٨١.
(٢) الديوان، ص٧٢.
(٣) تاني هذه الردود في الصفحات ٧٣، ٧٦، ٩٨، ٩٩.
(٤) الديوان، ص٩٨.

باب الحكمة، ومرادهم أن المرء يعيش على الأسباب ظاهراً، ورزقه محدود باطناً؛ لأن موزع الأرزاق هو الله - وحده - لا شريك له.

يقول الإمام الشافعي[١]:

بالجد يدنو كل أمر شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق
وإذا سمعت بأن مجدودا حوى ... عودا فأثمر في يديه فصدق

ثالثاً: التاريخ الإسلامي:

وأخيراً هناك أفكار مصدرها التاريخ الإسلامي، وقد سجل أفكاره في مدح رسول الله ﷺ وأصحابه، وبني أمية، وبني العباس[٢]، فنجد ابن مشرّف قد ذكر فصلاً في تاريخ مولد النبي ﷺ، يقول ابن مشرّف[٣]:

قد كان مولد خير الخلق أرخه ... على الأصح بعام الفيل من عرفا
وذاك بعد ألوف سدست ولها ... قاف وسين ودال بعدها ردفا

بعد ذلك يذكر ابن مشرّف فصلاً في الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، وجعل الشاعر مدح الخلفاء الأربعة من خلال خدمتهم للإسلام فتحاً وقتالاً وعلماً، تحدث ابن مشرّف عن الخلفاء الراشدين مستفيداً من قول الرسول ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[٤]. وكانت مدة الخلافة الراشدة ثلاثين حولاً، كما قال «فيها الهدى بين أهل الأرض قد عكفا»، يقول الشاعر[٥]:

فخذهم خلفاء الرشد أربعة ... من يقف هديهم هدي النبي قفا
وفي ثلاثين حولا كان مدتهم ... فيها الهدى بين أهل الأرض قد عكفا

---

(١) الديوان، ص٨٣.
(٢) تأتي هذه المقطوعات والقصائد بالصفحات ٧٧، ٨٠.
(٣) الديوان، ص٧٧.
(٤) سبق ذكره، ص١٦٥.
(٥) الديوان، ص٧٨.

ثم يأتي بعد ذلك فصل في خلفاء بني أمية..وقد أعطاهم ابن مشرّف مدحاً وقدحاً، أولهم معاوية رضي الله عنه، وآخرهم مروان بن محمد الذي لقبه «بالحمار»؛ لأنه كان يتبع رأي «الجعد بن درهم» الذي كان مؤدباً له، وتحدث ابن مشرّف عن عمر بن عبدالعزيز «خامس الخلفاء الراشدين» وسليل البيت «العمري» فنسبه من جهة أمه إلى الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولذا مدحه شاعرنا مدحاً يليق به وما زاد، وقد تعجب قائلاً: «أكرم به من إمام تابع السلفا»، وأبان أنه كان فرداً في محاسنه، حتى قال: «حتى إذا مات لم تدرك له خلفا»، ونجده يبدأ قصيدته بقوله[١]:

بنو أمية أملاك غطارفة ... حازوا الخلافة بعد السادة الخلفا

منهم معاوية صهر النبي ومن ... قد كان بالحلم والإنصاف متصفا

إلى أن يقول[٢]:

فعدة القوم عشر بعد أربعة ... في ألف شهر تقضّى ملكهم ووفا

تاريخه عام ثنتي عشرة تبعت ... عشرين بعد تمام القرن قد كشفا

وأخيراً تحدث ابن مشرّف عن الخلفاء العباسيين، وعدهم، وأشار إلى أهل الصلاح منهم، وخصّ منهم «هارون الرشيد»، ووصفه بالتقوى، والكرم، ثم أشار إلى المستعين، وأن بدره انكسف، وهي عبارة فيها تمثيل حاله بحال البدر، وقد انكسف، وآخرهم قوة: المعتضد بالله، ثم ضاع الملك، وختموا بالمستعصم بالله، وهو الذي أضاع الملك لقلة حذره، فمكر به ابن العلقمي، وأخيراً التتار حالفاً على ما قال، فكانت مضيعة المسلمين وهزيمتهم التي لا تخفى في تاريخ الإسلام إلى يوم الدين، وفي ختام القصيدة، أراد الله عز وجل للدين نصراً، وعوداً إلى الكرامة، فهيأ له من «مصر» جنداً استطاعوا طرد التتار، وإخلاء الأراضي الإسلامية منهم.

---

(١) الديوان، ص٧٨.

(٢) الديوان، ص٧٩.

يقول ابن مشرّف في بداية القصيدة[١]:

ثم اقتفتهم بنو العباس تضربهم ... بالمشرّفية ضرباً مسرفاً عنفا
حتى احتوى ابن علي كل ما ادخروا ... من الكنوز وحاز الملك والتحفا

إلى أن قال[٢]:

تاريخها بمئين سدست وتلت ... تسعاً وخمسين عاماً كان منكشفا
حتى إذا هب من مصر نسيم صبا ... بالنصر للدين مع سلطانها عصفا
فمزق الله أجناد التتار به ... حتى أبيدوا وعاد الدين منتصفا

ب ـ الأصالة المعاصرة:

مزج شاعرنا بين الأفكار الأصلية والأفكار المعاصرة، وذلك كما يلي:

أولاً: الأفكار الأصلية:

١- أفكار أصلية من الكتاب والسنة:

أخذ ابن مشرّف أفكاره الأصلية من عدة مصادر، من هذه المصادر: الكتاب والسنة وما يدور في فلك الحياة، فنجد أفكار الشاعر في **القصيدة الأولى** «جوهرة التوحيد» كلها أفكار أصلية اشتقها من الكتاب والسنة، يقول ابن مشرّف[٣]:

الحمد لله الإله الواحد ... المتعالي شأنه عن والد
فلم يلد جل ولم يولد ولا ... كفواً له فجل شأناً وعلا

ويقول[٤]:

---

(١) الديوان، ص٧٩.
(٢) الديوان، ص٨٠.
(٣) الديوان، ص٩.
(٤) الديوان، ص١٠.

اعلم بأن الدين مبني على   خمس دعائم كما قد نقلا
وَهْيَ الشهادتان والصلاة   والحج والصيام والزكاة

وكذلك تأتي أفكار **القصيدة الثانية** «أصل التوحيد» على نمط أفكار القصيدة الأولى من حيث الأصالة، فنجده يقول[١]:

وأول الفرض إيمان الفؤاد كذا   نطق اللسان بما في الذكر قد سطرا
أن الإله إله واحد صمد   فلا إله سوى من للأنام برا

ويقول[٢]:

وأن موسى كليم الله كلمه   إلهه فوق ذاك الطور إذ حضرا
فالله أسمعه من غير واسطة   من وصفه كلمات تحتوي عبرا

وكذلك **القصيدة الثالثة** «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية» اعتمد فيها ابن مشرّف على الكتاب والسنة ليرد على المعطلة والجهمية، وبين أنهم عَطَّلوا صفات الله عز وجل، وقالوا بالتنزيه عن طريق نفيها،وقد جاء القرآن، وجاءت السنة بخلاف ما قالوا،وصاحب القصيدة فهم الموضوع من خلال الكتاب والسنة، ثم نظم المعاني بهذا النظم الرائع وبهذه المعاني المقدسة، يقول[٣]:

فيا أيها النافي لأوصاف ربه   لقد فاتك النهج الذي هو أمثلُ
تحيد عن الذكر الحكيم ونصه   وتزورّ عن قول النبي وتعدل
وتنفي صفات الله بعد ثبوتها   بنص من الوحيين ما فيه مجملُ
إذا جاء نص محكم في صفاته   جحدت له، أو قلت: هذا مؤولُ
ألا تقتفي آثار صحب محمد؟   فمنهاجهم أهدى وأنجى وأفضل
فما مذهب الأخلاف أعلم بالهدى   من القوم لو أنصفت أو كنت تعقل
ولكنه من بعض ما أحدث الورى   ومن يبتدع في الدين فهو مضلل

---

(١) الديوان، ص٢٠.
(٢) الديوان، ص٢٠.
(٣) الديوان، ص٢٥.

أما **القصيدة الرائعة** ففي «الرد على عثمان بن منصور» فإن الشاعر يوصل كلامه من خلال القرآن والسنة، وكلام الشيوخ في قضية «القبور»، وخصوصاً ابن عبدالوهاب وابنه، يقول ابن مشرّف:[١].

تصدى لها حبر الزمان ونجله ... فردًا وهدًّا ما بناه من القعر
وقد بينا للناس ما في كلامه ... من الزيف والإفراط والحيف والنكر
بأوضح برهان وأقوم حجة ... لها قرر الشيخان بالنظم والنثر
جزى الله عنا شيخنا في صنيعه ... فكم قد شفى بالرد والسد للثغر

و**القصيدة الخامسة** «المستزادة» تكملة لقصيدة الرد على ابن عثمان بإشارة الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن عبدالوهاب، يقول ابن مشرّف:[٢].

وأخلص الشيخ للرحمن دعوته ... لا للعلو ولا أخذ الدنانير
حتى غدت سبل التوحيد عامرة ... وكل مشهد شرك غير معمور
فقام أبناؤه من بعده فدعوا ... إلى الهدى ونهوا عن كل محذور
فمن هجاهم بإفك غير ضائرهم ... لا ترهب الأسد نبح الكلب في الدور

و**القصيدة السادسة** «هجاء عين نجم» كذلك من الأفكار الأصلية، فقد عرض ابن مشرّف قضية ذهاب الناس إليها على ظن الاستشفاء بهذه العين، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك، فماؤها حميم يجلب الأسقام، ومن اعتقد أن فيه الشفاء فقد اعتقد اعتقاد المشركين، يقول[٣]:

فيا طالباً منه الشفاء بزعمه ... جهلت، فما في مثل هذا سوى السقم
ولو كان في الماء الحميم لنا شفا ... لخص به أيوب يا عادم الفهمِ
ومن يعتقد فيه الشفا لم يزل على ... شفا جرف الإشراك جهلاً بلا علم
وإن ظنها تشفي العليل بسرها ... فهذا اعتقاد المشركين بلا وهم

---

(١) الديوان، ص٢٩، ٣٠.
(٢) الديوان، ص٣١، ٣٢.
(٣) الديوان، ص٣٤،٣٥.

وتأتي بعد القصيدة السابقة قصيدة «هدم قبة عين نجم»، التي يعتمد فيها ابن مشرّف على الكتاب والسنة، فنراه يقول عندما أمر الإمام فيصل بهدم القبة(١):

وسار في عصبة للهدم عامدة ... بآلة الهدم والتخريب والحَيْنِ
فغادروها كبنيان الذين بنوا ... على شفا جرف للشك والرَّيْنِ
بأمر والٍ طبيب في رعيته ... مبارك الأمر محمود الفعالَينِ
إذ قام يحمي من التوحيد جانبه ... وما أصاخ لأهل الزور والمَيْنِ

بعد ذلك نرى قصيدة «شرف العلم» ونرى في هذه القصيدة أصالة الفكرة والأسلوب للشاعر، فيدعو إلى التمسك بالعلم الذي يزيد الإنسان تقوى، ويزيد خشيته من الله عز وجل، ويؤكد أن الحرص على غير العلم لا فائدة منه، وليس كالحرص على العلم، يقول(٢):

ومن بعد إقراء السلام فقل له: ... على العلم فاحرص، واجتهد في اقتنائه
وأنفق جميع العمر في غرس كرمه ... لعلك تحظى باجتناء جنائه
فما هو إلا العز؛ إن رمت مفخراً ... وما هو إلا الكنز عند اجتنائه
وما أحسن العلم الذي يورث التقى ... به يرتقي في المجد أعلى سمائه

وتضاف إلى القصيدة السابقة قصيدة «الأخذ بالحديث الشريف»، وفيها يشير الشاعر إلى تقديم كلام الرسول ﷺ، ويمدح أهل الحديث، فالشيخ في ذلك أصيل، يقول الشاعر(٣):

وقدم أحاديث الرسول ونصه ... على كل قول قد أتى بإزائه
فإن جاء رأي للحديث معارض ... فللرأي فاطرح، واسترح من عنائه
فهل مع وجود البحر يكفي تيمم ... لمن ليس معذوراً لدى فقهائه؟

---

(١) الديوان، ص٣٥، ٣٦.

(٢) الديوان، ص٣٦.

(٣) الديوان، ص٣٧.

والناظر في المقطوعة «النصيحة للمسلمين»، وفي قصيدة «ذم الدنيا» يجد للشاعر فيهما أصالة، مع النظر في الحياة بصدق، يقول ابن مشرّف[١]:

وإياك والدنيا الدنية إنها … هي السحر في تخييله وافترائه
متاع غرور لا يدوم سرورها … وأضغاث حلم خادع ببهائه
فمن أكرمت يوماً أهانت له غدا … ومن أضحكت قد آذنت ببكائه
ومن تسقه كأساً من السهد غدوة … تجرعه كأس الردى في مسائه

وقصيدة «رثاء العلم» فيها أصالة ومعاصرة، ويتمثل ذلك في رثائه للعلم والعلماء، ودعوته لطلاب العلم للأخذ به معتمداً في ذلك على الكتاب والسنة، يقول[٢]:

فليس بمبقي العلم كثرة كتبه … فماذا تفيد الكتب إن فُقد الفهمُ؟
وما قبضه إلا بموت وُعاته … فقبضهمُ قبض له، وبهمْ ينمو(٩٣).
فجُدّ وأدّ الجهد فيه فإنه … لصاحبه فخر وذخر به الغنم

٢- أفكار أصلية من التاريخ:

وهذه الأفكار هي التي عليها نظم «مديح» رسول الله ﷺ، وخلفائه الراشدين، وبني أمية، والخلفاء العباسيين[٣].

فنجد ابن مشرّف يذكر تاريخ الرسول ﷺ من مولده إلى وفاته في مقطعة يقول في بعض أبياتها[٤]:

قد كان مولد خير الخلق أرخه … على الأصح بعام الفيل من عرفا
وذاك بعد ألوف سدست ولها … قاف وسين ودال بعدها ردفا
من حين أهبط مولانا خليفته … للأرض مستخلفا بالذنب معترفا

---

(١) الديوان، ص٣٨.
(٢) الديوان، ص٤٠.
(٣) تأتي هذه المقطوعات والقصائد بالصفحات ٧٧، ٨١.
(٤) الديوان، ص٧٧.

وبعد هذه المقطوعة يمدح ابن مشرّف الخلفاء الراشدين الأربعة ويحث على التمسك بسنة الرسول ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، يقول ابن مشرّف[1]:

فخذهمُ خلفاءَ الرشدِ أربعة ... من يقف هديهمُ هدي النبيّ قفا
وفي ثلاثين حولا كان مدتهم ... فيها الهدى بين أهل الأرض قد عكفا

وتأتي بعد ذلك قصيدة في تاريخ بني أمية، وفيها يمدح ابن مشرّف من يستحق المدح، ويقدح من يستحق القدح.. فذكر الشاعر أولهم معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، وآخرهم مروان بن محمد الذي لُقب بالحمار، ومن الخلفاء الذين أثنى عليهم الشاعر الخليفة عمر بن عبدالعزيز خامس - الخلفاء الراشدين، وسليل البيت العمري - يقول ابن مشرّف في بعض أبيات هذه القصيدة[2]:

عبدالمليك وأبناء له غرر ... في العد أربعة قد أحرزوا الشرفا
هم الوليد سليمان يزيد ومن ... يدعى هشاماً وكلٌّ حين ساس كفا
لكن سليمان أفضاها إلى عمر ... أكرم به من إمام تابع السلفا
أحيا سبيل الهدى من بعد ما درست ... وأظهر العدل وقت الجور حين عفا

وبعد ذكر بني أمية يأتي ذكر الشاعر خلفاء بني العباس..فقد ذكر أن عدد من حكم المسلمين منهم سبعة وثلاثون خليفة، وعدهم، وأشار إلى أهل الصلاح منهم، وخصّ منهم هارون الرشيد «ووصفه بالتقوى، والكرم». يقول ابن مشرّف[3]:

وهاك ضبط الذي من نسله ملكوا ... خذهم ثلاثين تتلو سبعة خلفا
سفاح منصور مهديّ وهاديهم ... هارون وهو رشيد ليس فيه خفا
قد كان ذا خشية لله متقياً ... وعارض الجود من كفيه قد وكفا

(١) الديوان، ص٧٨.
(٢) الديوان، ص٧٩.
(٣) الديوان، ص٧٩.

ثانياً: الأفكار المعاصرة: وتتمثل الأفكار المعاصرة في:

١- المدائح للإمام «فيصل بن تركي» [١].

الملاحظ أن الشاعر قد ارتبط بالإمام فيصل بن تركي، فقد مدحه ابن مشرّف بأكثر من قصيدة، فوصفه بالكرم، والشجاعة، والعلا، والسؤدد، والمجد..، يقول الشاعر[٢]:

أخـو همـة في شـامخ العز قـد علت	**فمن مثله في الفضل والبأس والندى**
أبو المجد وابن المجد والمجد أصله	**حليف العلا من كان في الفضل أوحدا**
فأكـرم بـه فرعـاً سـلالة مقـرن	**وآبـاؤه الغـر الكـرام أولـو الهـدى**
لقـد نصـروا ديـن الإلـه وقومـوا	**مـن السـنة الغـراء مـا قـد تـأودا**

يقول ابن مشرّف[٣]:

كريـم السـجايا ماجـد مـن أماجـد	**بنـوا فـي المعالـي كل فخر وسـؤدد**
ولكنـه أضحـى بأعلـى أرومـة	**يقصِّـر عـن إدراكهـا كل سـيد**
إمام الهدى جالي الصدى منهل الندى	**ومـردي العـدا بالمشـرّفيِّ المهنـد**
حمـى أرض نجـد بالصـوارم والقنا	**وأمّنهـا مـن كل بـاغ ومعتـد**

٢- تحريض ابن مشرّف للإمام على محاربة الأعراب المفسدين:[٤].

ففي هذه القصائد يحرض ابن مشرّف الإمام فيصل بن تركي على تعقب الأعراب المفسدين، ويتحدث عن فسادهم، ثم مجاهدة الإمام لهم، يقول[٥]:

---

(١) تأتي هذه القصائد بالصفحات ٤٥، ٤٨، ٥٣، ٧٣، ٧٦.

(٢) الديوان، ص٦٣، ٦٤.

(٣) الديوان، ص٦٣، ٦٤.

(٤) تأتي هذه القصائد بالصفحات ٩٠، ٩٢، ١٠١،٩٨، ٨٣،٨١،١٠٢، ٨٤.

(٥) الديوان، ص٨١.

فكم أفسدوا في الأرض بعد صلاحها | وكم سفكوا الدمَّ الحرام وأسرفوا
وكم قد أغاروا في الدروب وكم عثوا | وكم قطعوا سبل الحجيج وخوَّفوا
فقال: ادخلوا في السلم طرًّا وأسلموا | وإلا فحرب وعده ليس يخلف
وأقسم لا نعطي على ديننا الرشا | وما عندنا إلا حسام ومصحف

٣- مدح الأمير أحمد السديري لما تولى عُمان:

ويقول ابن مشرّف في ذلك[١]:

وقد جاءنا ذاك البشير مبشراً | بفتح عُمان حين حل به السدر
همام له قاد الجيوش بفيلق | إذا جاش بالأبطال يشبهه البحر
فأوطأهم جمعاً عماناً فأذعنت | ولان له من أرضها السهل والوعر
وحلت بها الخيل السوابق بالقنا | وسلت سيوف الحق فانهزم الكفرُ

٤- مدح الأمير محمد بن أحمد السديري:

قال ابن مشرّف هذه القصيدة في الأمير محمد عندما خرج لقتال أهل عنيزة بأمر الإمام فيصل، يقول ابن مشرّف[٢]:

خرجنا والأمير بنجم سعد | نقود الخيل بالإبل الرسيم
تدوس بنا الحصى في كل فج | فتوري القدح في الليل البهيم
نهضنا للقتال بلا توان | سوى قدر الترحل للمقيم

٥- مدح ابن الإمام فيصل:

قال ابن مشرّف هذه القصيدة في مدح ابن الإمام فيصل سنة ١٢٨٣هـ بعد وفاة الإمام حيث يقول[٣]:

فقد ورث المجد المؤثل والندى | لنجل زكت أخلاقه وشمائله
أبو النجم عبدالله حامي حمى الهدى | بغرته بشرى الندى ومخايله

---

(١) الديوان، ص٧٢.

(٢) الديوان، ص١٠١، ١٠٢.

(٣) الديوان، ص٩١.

بنجدٍ حثا المال الجزيل تبرعاً ... فعاشت به أيتامه وأراملـه
وكـم غارة شعواء شـنّ علـى العدا ... وكـم فـارس منـه نعتـه حلائلـه

ويلاحظ أن الشيخ الشاعر: كان «أصيلا» في عقيدته، والأحكام التي أخذها من شريعة الإسلام، وتبع هذا حبه للكتاب والسنة، فكانت الأفكار الأصيلة منهما، ومضى بهذا على التاريخ الإسلامي فأخذ منه، ونظم، ثم نظر في حياة العلماء والأئمة فجاءت أفكاره بهذا أصيلة.

ثم عايش ابن مشرّف عصره فكان مادحاً للإمام فيصل وابنه وبعض الأمراء، ومحرضاً للإمام على تطهير البلاد من أهل البغي والفساد، وكان واقفاً بجانبه، يؤيده ويرد عنه.. كل ذلك من باب المعاصرة.

ج - الأفكار من حيث الوضوح والغموض:

أما من حيث الوضوح والغموض في المعاني والأفكار، فلا أحد يظن أن يأتي الشاعر ابن مشرّف بمعان غير مفهومة، وأفكار غامضة، وألفاظ غريبة، وإن كان هناك بعض الغموض في بعض الكلمات والتراكيب، وهذا قليل بالنسبة إلى وضوح مقاصده.. فأشعار ابن مشرّف تأتي واضحة المعاني، سلسلة، رقيقة، وقد تسهل حتى تقرب من الأسلوب النثري، فهي في الجزء الأول من الديوان نظم يفتقد الخيال المجنح، والتصوير الرائع الدقيق، الذي يرتفع بأسلوبه..وله العذر في أن يتسم شعره بذلك، فهو يعرض قضايا دينية تتطلب الاستشهاد بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وأقوال العلماء، ويلزم العرض والتفصيل، وهذا يصعب الإتيان به في الشعر، بسبب القيود التي يفرضها الوزن والقافية، والوضوح أمر أساسي في الشعر والأدب بعامة، حيث تتحقق به الغاية من الأدب، وهي الإفادة والمتعة إذ «اهتم النقاد بالوضوح وعدّوه مطلباً مهماً في الشعر الجيد الذي يقرب الحقائق، ويحقق الغاية من الأدب..»[1]. ولا سبيل إلى ذلك «إلا أن تسفر العبارة عن معانيها،

---

(١) الفكرة والصورة في شعر زهير بن أبي سلمى . فتحية محمود العقدة، ص٩٣.

وتكشف الألفاظ عن حقيقة ما يراد منها، فلا يتكلف القراء أو المستمعون شيئاً من الجهد والعناء في تأمل ما يقرؤون...»(١).

والبساطة والسهولة والوضوح سمات غالبة في الشعر العربي في مختلف عصوره، فمثلاً: «معاني الشعر العربي القديم في معظمها بسيطة واضحة.»(٢).

وعندما نتأمل القصيدة الأولى في ديوان ابن مشرّف «جوهرة التوحيد» نرى فيها: سهولة الأسلوب، ووضوح الأفكار، وسلامة المعنى، فقد تحدث ابن مشرّف بأسلوب سهل عن:الرزق الحلال، والحرام والمكروه،وأنه من الله، والعبديؤاخذ على الأسباب، يقول ابن مشرّف(٣):

والله جل شأنه تكفلا	لخلقه برزقهم تفضّلا
فيرزق الله الحلال المحكما	ويرزق المكروه والمحرما
ولا ينافي الأخذ بالأسباب	توكّل العبد على الصواب

فالأسلوب سهل، والأفكار إسلامية، فقد ضمنها كثيراً من الآيات والأحاديث النبوية الواردة في العقيدة التي تتسم باليسر والوضوح، وكذلك قصيدة «عقيدة التوحيد»، وقصيدة «الرد على المعطلة والجهمية»، وفي الأخيرة قد فهم ابن مشرّف الموضوع من خلال الكتاب والسنة، ثم نظم معانيه وأفكاره نظماً يليق بالمعاني المقدسة التي اشتملت عليها الأبيات، يقول(٤):

وقد صح أن الله - في كل ليلة	إذا ما بقي ثلث من الليل - ينزلُ
إلى ذي السما الدنيا ينادي عباده	إلى أن يكون الفجر في الأفق يشعل

---

(١) قضايا النقد الأدبي، د. بدوي طبانة، دار المريخ، الرياض ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، ص١٢٠.

(٢) الوضوح والغموض في الشعر العربي القيم، عبدالرحمن محمد القعود، مطابعه الفرذدق، الرياض ط١، ١٤١٠هـ، ص٤٢.

(٣) الديوان، ص٢٥.

(٤) الديوان، ص١٦.

يناديهم: هل تائب من ذنوبه ؟ فإني لغفار لها متقبلُ
وهل منكم داع ؟ وهل سائل لنا؟ فإني أجيب السائلين وأجزل

أما **القصيدة الرابعة** فهي رد على «ابن منصور» في قضية القبور، فجاءت العبارات في داخل الأبيات قوية ومؤثرة؛ وهذه طبيعة الرد على الخصم، وربما جنحت إلى استخدام كلمات وعبارات قوية تحتاج إلى توقف أو كشف عنها في المعجم، ولكن هذا ليس بالكثير، ومن هذه الكلمات: كالعجل، تزرى، عير «وهو الحمار الوحشي والأهلي»، خادعاً، شبه أكاذيب، هد، القعر، الزيف، الإفراط، الحيف، والنكر، ومن العبارات التي استخدمها ابن مشرّف:

تكسرت القوافي: وهي تفيد التحطم.

كالعجل: وتفيد أن هذا العمل فيه فساد كبير.

تزري: أي بقائلها.

أضحت مكشوفة الستر: فقد جعلها كالمرأة التي تبرجت وكشفت سترها، ثم أضاف هذا المعنى إلى القوافي فظهرت شائعة بلا ستور.

فردّا وهدّا ما بناه من القعر: وهذا العبارات أضفت على القصيدة المردود عليها صورة البناء الذي هدم من القعر، أي: من أساسه، ثم عاد إلى المعنى الأصلي، فقال إن الرد كان بالحجة والبرهان نظماً ونثراً.

وقوله(١):

إذا مبطل أجرى من الجهل جدولاً
أتاه بتيار من العلم كالبحر

فهذا البيت دليل على أن الرد كان أقوى من كلام ابن منصور، فكلام ابن منصور كالجدول، والرد عليه كالبحر.

(١) الديوان، ص٢٩.

«فجلى بنور هدى كالفجر» وهذا العبارة أعطت الرد بياناً كاشفاً.

وعندما تعرض ابن مشرّف في هذه القصيدة لقضية البناء على القبور ودعاء الأموات لكشف الكروب استخدم عبارات شديدة في الرد على «ابن عثمان» ومثال ذلك: «فياليت شعري هل تجاهل أو غوى»؟ «ولكنه أبدى موافقة العدا»، و «فهبه كمن أغوى الشياطين في الفلا»، و«ومن ينكر الشمس المنيرة في الضحى» ويقول ابن مشرّف في ذلك[1]:

ركيك قواف صاغها فتكسرت ... وحاصلها كالعجل مستوجب الكسر
وقفت على نظم لبعض بني العصر ... تضمن أقوالاً بقائلها تزري
تخير حرف الراء عجزاً وإنما ... يعدون حرف الراء عير أولي الشعر
عيوباً كساها زخرف القول خادعاً ... فأضحت بحمد الله مكشوفة الستر
بها شبه للجاهلين مضلة ... أكاذيب لا تخفى على كل ذي حجر[1]
تصدى لها حبر الزمان ونجله[2] ... فرداً وهداً ما بناه من القعر

ويقول[4]:

إذا مبطل أجرى من الجهل جدولاً ... أتاه بتيار من العلم كالبحر
فجلى ظلام الجهل كالشهب في السما ... فعالمنا بين الكواكب كالبدر

ثم تأتي **القصيدة الخامسة** «المستزادة» وقد اتسمت بالوضوح في الأفكار والمعاني، يقول[5]:

وقل: جزى الله شيخ المسلمين بما ... أبدى، فجلى ظلام الشرك بالنور
بالعلم بصَّر قوماً قد عموا فهدوا ... وأنقذ الله منهم كل مغرور

(١) الديوان، ص٢٩.
(٢) الحجر: العقل.
(٣) الحبر: هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد عبد الوهاب. وابنه هو الشيخ عبد اللطيف رحمهم الله.
(٤) الديوان، ص٢٩.
(٥) الديوان، ص٣١.

ليس العيون التي للحق مبصرة كالأعين العمي أو كالأعين العور
أدلة جامع التوحيد أودعها من كل نص قرانيّ ومأثور

وقصيدة «هجاء عين نجم» عرض ابن مشرّف القضية، وهي ذهاب الناس إليها ظن الاستشفاء بهذه العين، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك: ماؤها حميم يجلب الأسقام، ومن اعتقد أن فيه الشفاء فقد اعتقد اعتقاد المشركين وكل هذا العرض في أسلوب جميل وأفكار ومعان واضحة اقتبسها من القرآن الكريم، وقد نوَّع ابن مشرّف في الأسلوب، فقد استخدم أسلوباً ينشط الذهن والمشاعر، ولا يفعل هذا إلا الحاذق بالكلام البصير بالأساليب، يقول ابن مشرّف[1]:

ألا فاتركا عينا تضاف إلى نجم فقبتها بالهدم أولى وبالرجم
لأن بها مأوى لمن يقصد الخنا وكم فعلوا فيها من الرقص والإثمَ
تشم بها الكبريت أخبث ريحه تضر، وطيب الريح أنفع للجسم
وهل ماؤها إلا حميم لحره يذيب الذي في الكليتين من الشحم
فيا طالباً منه الشفاء بزعمه جهلت، فما في مثل هذا سوى السقم

وتأتي قصيدة «قبة عين نجم بعد هدمها» واضحة الأفكار، فالكلمات والعبارات سهلة بسيطة، وإن كانت بعض الكلمات تحتاج إلى توضيح مثل: الأين: الإعياء، وهو شدة التعب بعد الكد، والبين: الخراب والفراق، والحين: الهلاك، يقول ابن مشرّف[2]:

وبين حيطانها تبني مزخرفة إذ جاءها الهدم بعد الكد والأين
وبينما الناس تأتي كالورود لها إذ صاح في جانبيها صائح البينِ
فقام يعدو بلال وهو معتجر لحرب من لامه فيها ببردينِ
وسار في عصبة للهدم عامدة بآلة الهدم والتخريب والحين

(١) الديوان، ص٣٤.
(٢) الديوان، ص٣٥.

وفي قصيدة «العلم وشرفه» يقول ابن مشرّف[١]:

سلام يفوق المسك عرف شذائه ... ويفضح لون الصبح نور ضيائه
ويسري إلى من أمه نفح طيبه ... فيعقبه في صبحه ومسائه
على حافظ الود المقيم على الإخا ... ومن قابل الحسنى بحسن ثنائه
فيا راكباً أبلغه مني رسالة ... بها فهمه يذكو بنار ذكائه

ففي هذه القصيدة نجد الأساليب واضحة، وإن كانت هناك بعض الكلمات القليلة التي تحتاج إلى توضيح مثل: العرف: الرائحة الزكية، وأمَّه: قصده، ونفح الطيب: رائحته الطيبة، ويذكو: يزداد ويشتعل.

وقصيدة «الأخذ بالحديث الشريف وتقديمه على الآراء» مثل القصيدة السابقة أفكارها واضحة، يستخدم فيها الشاعر كلمات وأساليب، سهلة، ففي هذه القصيدة يصرح ابن مشرّف بتقديم كلام رسول الله ﷺ، ويمدح أهل الحديث.. ولنتأمل بعض العبارات والكلمات التي استخدمها الشاعر في هذه القصيدة مثل: «إذا ما تردى ذو الردى بردائه» ففيها تكرار لأحرف في كلمات متوالية، وهذا عيب. يقول[٢]:

لهم حلل قد زينتهم من الهدى
إذا ما تردى ذو الردى بردائه

وكذلك الفعل «رغب» فيه المعنى وضده بحسب حرف الجر معه، فإذا قلت: رغب في الوحي فالمعنى: أحب ومال، وإذا قلت: رغب عن هذا الكلام، فالمعنى: تركه، فاستعملها الشاعر في أسلوب واحد. وجعل ابن مشرّف الراغب عن الحديث يتخبط في سبيل مظلم، وكل ذلك في أسلوب جميل، يقول[٣]:

---

(١) الديوان، ص٣٦.
(٢) الديوان، ص٣٧.
(٣) الديوان، ص٣٧.

وكـن راغباً فـي الوحي لا عنـه راغباً
كخابـط ليـل تائـه فـي دجائـه

وبصفة عامة فإن القصيدة محبوكة السبك، ألفاظها مصطفاة، وأساليبها مجردة، تليق بالموضوع.

وتتضح فكرة الشاعر في المقطعة التي جعلها في «النصيحة للمسلمين»، فقد استخدم أوامر إرشادية: «كن، مرهم، وأنههم، وازجر، وعظهم»، وكل ذلك في وضوح وسهولة، يقول[1]:

وكـن ناصحـاً للمسـلمين جميعهم — بإرشـادهم للحـق عنـد خفائـه
ومرهـم بمعـروف الشـريعة وانههم — عن السـوء وازجر ذا الخنا عن خنائه
وعظهـم بآيـات الإلـه بحكمـة — لعلـك تبـري داءهـم بدوائـه

كذلك تتضح فكرة الشاعر في قصيدة «ذم الدنيا»، فالدنيا ما هي إلا لهو ولعب، وأن الأولاد والأموال إنما هي تفاخر بين الناس، ويجب على الإنسان الزهد في الدنيا، وألا ينسى الموت ويوم الحساب، كل هذه المعاني والأفكان طرحها في أسلوب وكلمات واضحة، يقول[2]:

وإيـاك والدنيـا الدنيـة إنهـا — هـي السـحر فـي تخييلـه وافترائـه
متـاع غـرور لا يـدوم سـرورها — وأضغـاث حلـم خـادع ببهائـه
فمـن أكرمـت يومـاً أهانـت لـه غداً — ومـن أضحكـت قـد آذنـت ببكائـه
ومن تسـقه كأسـا مـن الشـهد غدوة — تجرّعْـه مـن كأس الردى في مسـائه

وفي قصيدة «رثاء العلم» وضوح في الأفكار، وإن كانت بعض المفردات والتراكيب تحتاج إلى إيضاح، ففي الأوامر «فنجد، وأد.. للإرشاد والنصح لطلاب العلم، وهذا يناقض النزعة الأولى، ففي البداية رثى العلم، والعلماء، وأنه لم يبق أحد منهم، ثم يأمر هنا طلاب العلم، إذاً فالعلم له رواده

(١) الديوان، ص٣٧.
(٢) الديوان، ص٤٠.

في كل زمان ومكان، يقول [١]:

فجدّ وأدّ الجهد فيه فإنه
لصاحبه فخر وذخر به الغنمُ

ويؤخذ على الشاعر قوله «واللذة الجسم» فالعبارة فيها ركاكة، والمعنى كذلك غير واضح، فالجسم متعب مع أهل العلم، ولكنهم يقابلون هذه المتاعب الجسمية بالمتع العلمية، يقول [٢]:

فإن نلته فليهنك العلم إنه
هو الغاية العلياء واللذة الجسم

واستخدم ابن مشرّف العبارات والكلمات التي توضح فكرته، فنجده يقول[٣]:

وكم كاعبٍ حسناء تكشف خدرها ... فيسفر عن وجهٍ به يبرأ السقمُ
فتلك التي تهوى ظفرت بوصلها ... لقد طالما في حبها نحت الجسم
فعانق وقبل وارتشف من رضابها ... فعدلك عن وصل الحبيب هو الظلم
فجالس رواة العلم واسمع كلامهم ... فكم كَلِمٍ منهم به يبرأ الكَلْمُ

فعجل الشاعر المعنى العلمي كالحسناء تكشف الستور، فنرى وجهها يشفي العلل والأسقام..فهذه صورة قوية البيان توضح ما يفعله المعنى حينما يكشف لطالب العلم، ويعضده المعنى في البيتين الثاني والثالث،ولذا جاء بعده أوامر للإرشاد: فعانق، وقبل، وارتشف، ثم عاد في البيت الرابع إلى العلم ومجالسه فقال: فجالس، واسمع، وأطع.

يقول في قصيدة «حث الإمام فيصل على قتال الأعراب المفسدين»[٤]:

---

(١) الديوان، ص٤٠.

(٢) الديوان، ص٤١.

(٣) الديوان، ص٤٢.

(٤) الديوان، ص٤٧.

لقد كان تخشى بأسهم أسد الشرى ... فصارت بهم تعدو صغار الثعالب
وأنى يحوط الملك إلا سميدع ... يخوض لظى الهيجاء ليس بهائب؟
له غيرة تحمي الرعايا كأنها ... حمية ضرغام جسور مواثب

فنجد ابن مشرّف يستعمل في هذا الموقع كلمات معبرة نحو: السميدع، حمية، الهيجاء، ضرغام، وهي كلمات قوية الوقع، والبحث عنها في المعجم يؤكد أنها تؤدي معنى ليس سهلاً مطروقاً، وإنما فخامة المعنى في حاجة إلى قوة المبنى.

على كل حال نستطيع بعد قراءة ديوان ابن مشرّف أن نرى:

أن الوضوح غالب على شعره، وأن ألفاظه وتراكيبه في جميع قصائده ومقطعاته كانت بهدف إيضاح الفكرة التي سيطرت عليه، إلا أن هناك بعض الغموض في بعض الكلمات، أو التراكيب، وهذا قليل بالنسبة إلى وضوح مقاصده، وهذا عرض لبعض ألوان الغموض. يقول ابن مشرّف في قصيدته عند رده على ابن سند[١]:

وقد أقذع البصري في ذم شيخنا ... وأنصاره، تبا لما قاله الوغد

فيذكر ابن مشرّف أن ابن سند قد ذمّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأقذع في ذمّه، فردّ عليه بكلمة شديدة القسوة، فقال «تبا لما قاله الوغد» فهذه الكلمة تجمع بين الحمق، والدناءة والرذيلة في كل أمر. يقول[٢]:

غطارفة ما إن ينال فخارهم ... ومعشر صدق فيهم الجد والحد

(١) الديوان، ص٥٢.

(٢) الديوان، ص٥٢.

وصف الشاعر أبناء الشيخ بكلمة «غطارفة»، وهي تدل على السيادة والكرم.. وواصل المعاني في مدحهم بأنهم أهل صدق،وجد واستعمل «الجد والحد»؛ لأن الجد منه يقيم الحد على من يستحقه.

وفي قصيدة «القاضي علي بن حسين الحفظي» نجد الشاعر استعمل لبيان معانيه ألفاظاً قوية، بل هناك كلمات صخرية، بدليل أنه لا ينكشف معناها إلا بعد البحث عنها في المعجمات اللغوية الكبرى، وهذا بخلاف ابن مشرّف، فألفاظه دائماً طيِّعة، سهلة، ميسرة، واستعمال الشاعر هذه الألفاظ الوعرة تتعب القارئ والباحث، وربما لا يحتاج المعنى في النهاية إلى هذه الصحراويات من الكلمات، يقول القاضي على بن الحسين[١]:

أيـا أم عبـد مـالـك والتَّشـرد ... ومسـراك بالليـل البهيـم لتبعـد
ومـأواك أوصـاد الكهـوف توحشـاً ... ومثـواك أفيـاء التَّصَـوُّب[٢] وغرقـد

فنجد أن البيت الأول فيه قلق، ويحتاج إلى ضبط الشطر الأول، وقوله[٣]:

تطامـت رقـاب الـروم فيهـا عيوقهـا
كمـا غـاق دود للجـراد المقـدد

نرى في المعجم كلمة (عيوقها) الياء مشددة، وهنا لا بد من تخفيفها من أجل الوزن، وفي قوله[٤]:

ومـر علـى أجـزاع ظلفـع قـف بهـا
قليـلا ومـا يغنيـك عن ضـرب مبعد

فكلمة «ظلفع» في حاجة إلى ضبط.

---

(١) الديوان، ص٥٨.

(٢) أي: التوجُّه أو القصد.

(٣) الديوان، ص٥٨.

(٤) الديوان، ص٥٩.

وفي قصيدة «رد الشيخ ابن مشرّف» نلاحظ بعض الكلمات الغامضة مثل: «القائف»: من يقفو الأثر: و«عسجد»: الذهب، و«زبرجد»: حجر كريم يشبه الزمرد، وفيه ألوان كثيرة، أشهرها: الأخضر المصري، والأصفر القبرصي يقول ابن مشرّف[1]:

فجاءت تجر الذيل خشية قائف ... لمعرفة الآثار بالحدس يهتدي
يؤرج ترب الأرض عرف عبيرها ... وتهدي لسمع الصب وسواس عسجد
أتتك سحُيراً والنجوم كأنها ... دراري ترى في قبة من زبرجد

ونجد ابن مشرّف وهو يمدح الإمام اليماني «عائضاً» قد آثر أن يجاري القاضي علي بن الحسين في اختيار الكلمات الصعبة فنرى منه: الدلاص: الدروع اللينة البراقة، والمسرد: المثقبة ثم يشك طرفا كل حلقتين بمسمار، وفدفد: الصحراء، يقول ابن مشرّف[2]:

وما زال يغزوهم ويرمي ديارهم ... بفرسان حرب في الدلاص المسرد
وفتح المخا بالسيف للدين آية ... وزجر وإنذار لأهل التمرد

ويقول[3]:

ونهزم منهم عسكراً بعد عسكر
ويضرب من هاماتهم كل قمحد

وفي قصيدة «تهنئة الإمام بالنصر» استخدم الشاعر كلمات قوية لمعان كثيرة «واها» التعجبية، و«تشيب» بما فيها من تأثير كبير في المعنى، و«يسمر»، أي: أصبحت هذه الواقعة حديث الركبان، يقول ابن مشرّف[4]:

---

(١) الديوان، ص٦١.
(٢) الديوان، ص٦٣.
(٣) الديوان، ص٦٣.
(٤) الديوان، ص٦٩.

فواهـا لهـا مـن وقعـة عبقريـة تشـيب لرؤياهـا نواصـي الأصاغـر
بها يسـمر الساري إذا جد في السرى ويخطـب مـن يعلـو رؤوس المنابـر

عموماً لا أعتقد أن هناك شعراً في عصره يتفوق على شعره من الناحية الفكرية، بل إنه يمكن أن نعده ضمن شعراء أقلاء على مر العصور حظي شعرهم بهذه الكثافة النوعية والعددية من الأفكار والمعاني الدينية والاجتماعية والخلقية، ولا أعني بهذا الإقلال من قيمة المضمون الفكري لشعر شعرائنا منذ العصور الإسلامية الأولى حتى يومنا هذا، أو الإشارة إلى أن شعراءنا الملتزمين قلة - حاشا لله - فإن ديننا قد هذب النفوس، وزرع مكارم الأخلاق في الصدور، فانطلق الشعراء - قديمهم وحديثهم- يتمثلون هذه القيم السامية، والمناقب الرفيعة التي فاضت بها أشعارهم، ولكنني أقصد توافر مثل هذه الأفكار بتلك الكثافة النوعية والعددية في شعر ابن مشرّف.

ثانياً

خصائص الشكل

١ - بناء القصيدة:

لم تثبت قصائد الشاعر ابن مشرّف على بناء واحد، فنجد بناء القصيدة عنده: منظومات في «العقائد» على طريقة نظم العلوم عند العلماء الأقدمين من ص٩، وص١٩، وقصائد - أيضاً - في «العقائد» ولكنها على طريقة الشعراء المسلمين القدامى الذين يفتتحون قصائدهم بالحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وآله وصحبه، ويكون الختام كذلك، وهذا ما نجده في الصفحات ١٩، و٣٦ ودخل في هذه المقطوعات والقصائد ما يتصل بالعقيدة - كما سيأتي - وبعد ذلك تأتي قصائد في بعض المعاني الإسلامية كقصيدة شرف العلم، وهذه القصائد نرى فيها الشاعر يدخل إلى الغرض مباشرة بلا مقدمات - كما سيأتي - وذلك في الصفحات ٣٦، و٤٥ وتدور حول العلم وفضله، ورثائه، وغربة الدين.. ومع هذا البدء يختم بالصلاة والسلام على المصطفى والآل والأصحاب، وأخيراً يفعل ابن مشرّف هذا البناء في قصائده التي مدح بها الإمام فيصل وولده، وأمير عمان، وابن الإمام[1]. ومع هذا يختم القصائد بخير ختام حيث يصلي على المصطفى ﷺ وآله وصحابته الكرام.

عندما نتأمل القصيدة الأولى «جوهرة التوحيد» نجدها نظماً، فهو لم يسم هذه القصيدة شعراً؛لأن النظم للعلوم لضبط القواعد بالأمثلة لسهولة

(١) ويأتي ذلك في الصفحات ٥٣، ٧٣،٧٦، ٧٧، ٨١، ٨٤، ٩٢، ١٠١، ٤٨،٤٥،١٠٢.

الحفظ في النظم،وكما عُرف أن أشهر نظم هو «ألفية ابن مالك» في النحو والصرف ويستدل على كون القصيدة نظماً بأبيات منها [(١)].

الحمد لله الإله الواحد — المتعالي شأنه عن والد
فلم يلد جل ولم يولد ولا — كفواً له فجلّ شأناً وعلا
ثم الصلاة والسلام سرمداً — على الذي أوضح منهاج الهدى
محمد المبعوث بالإيمان — حين طغت عبادة الأوثان
فأرشد الناس إلى التوحيد — بسيفه وقوله السديد
صلى عليه الله ثم سلما — مضاعفاً رحمته معظما
والآل والأزواج والأصحاب — ما همل الودق من السحاب
لأنها فرض على المكلف — وليتبع فيها سبيل السلف
أكرم به في الدين من سبيل — خلا من التحريف والتبديل
لكنه مندرس، وقد عدل — سعي الورى عن نهجه غير الأقل
من أجل ذا أحببت أن أؤلفا — فيه كتاباً موجزاً كي يعرفا
فاخترت نظمه لكون النظم — أقرب للفهم وضبط الحكم

ويلاحظ أن كل شطرين متوافقان، كما أن الكلام بلا خيال ومجاز، فهو كما قال:

فاخترت نظمه لكون النظم
أقرب للفهم وضبط الحكم

ثم شرح الأبواب: باب في الإيمان والإسلام والإحسان، وباب في أنواع التوحيد، وباب في واجب التوحيد، وباب في أنواع الشرك، وباب في شروط الإيمان، وباب في بيان نصر الدين واجب.

أما القصيدة الثانية «أصل التوحيد»، فهي منظومة - أيضاً - على غرار السابقة بُنيت على ما يأتي:

---

(١) ويأتي ذلك في الصفحات: الديوان، ص٩.

الافتتاح بالحمد كالأولى.

والصلاة والسلام على خير البرية وخاتم المرسلين محمد ﷺ.

عطف الصحابة عليه ﷺ ومن سار على هديهم.

ثم تأتي الأفكار التي أرادها كما هو موضح في مصادر أفكاره.

يقول ابن مشرّف في مطلع هذه القصيدة [١]:

الحمد لله حمداً ليس منحصرا ... على أياديه ما يخفى وما ظهرا
ثم الصلاة وتسليم المهيمين ما ... هَبَّ الصَّبا فأدرَّ العارض المطرا
على الذي شاد بنيان الهدى فسما ... وساد كل الورى فخراً وما افتخرا
نبينا أحمد الهادي وعترته ... وصحبه كل من آوى ومن نصرا

ونجده يقول في الختام [٢]:

محمد خير كل العالمين به ... ختم النبيين والرسل الكرام جرا
وليس من بعده يوحى إلى أحد ... ومن أجاز فحل قتله هدرا
والآل والصحب ما ناحت على فنن ... ورقا، وما غردت قمرية سحرا

والقصيدة الثالثة «الرد على الجهمية والمعطلة» فإنها كما سبق، ونلاحظ أن الختام فيما سبق كالبدء: تحميداً وصلاة بعد الدعاء الموافق لحال المعاني، فنجده يختم هذه القصيدة بقوله [٣]:

وأحسن ما يزهو به الختم حمد من ... بأسمائه الحسنى له تتوسلُ
وأزكى صلاة والسلام على الذي ... به تم عقد الأنبياء وكملوا
محمد المختار ما انهل عارض ... على بلد قفر، وما اخضر ممحل
كذا الآل والأصحاب ما قال قائل: ... نفيتم صفات الله فالله أكمل

---

(١) الديوان، ص٢٤.

(٢) الديوان، ص٢٤.

(٣) الديوان، ص٢٩.

أما قصيدة «الرد على عثمان بن منصور» كأنها من عيون الشعر العربي، ويلاحظ فيها:

أنها لم تبدأ بالحمد وما تلاه - كعادته - بل قال مباشرة:

ركيك قوافٍ صاغها فتكسرت ... وحاصلها كالعجل مستوجب الكسر
وقفت على نظم لبعض بني العصر ... تضمن أقوالاً بقائلها تزري
تخير حرف الراء عجزاً وإنما ... يعدون حرف الراء عير أولى الشعر
عيوباً كساها زخرف القول خادعاً ... فأضحت بحمد الله مكشوفة الستر
بها شُبَهٌ للجاهلين مضلة ... أكاذيب لا تخفى على كل ذي حجر

أدار ابن مشرّف القصيدة حول فكرة واحدة «البناء على القبور» والدعاء عندها، وفي الختام صلى وسلم على المصطفى ﷺ وآله وأصحابه، فقال[1]:

وأزكى صلاة الله ثم سلامه ... على المصطفى ما حي الضلالة والكفر
كذا الآل والأصحاب ما هبت الصبا ... وما لاح في الآفاق من كوكب دري
وما انهل في القفر الغمام، وما بكى ... فأضحك دمع المزن مبتسم الزهر

بنيت القصيدة على حرف روي هو «الراء».

وفي قصيدتي: عين نجم وقبتها «هجاء» نراه يبدأ بقوله «ألا» المفيدة للاستفتاح الدال على أهمية الكلام التالي، كما ورد في القرآن الكريم نحو قوله -سبحانه- ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[2]. يقول[3]:

ألا فاتركا عيناً تضاف إلى نجم
فقبتها بالهدم أولى وبالرجمِ

وفي القصيدة الثانية يبدأ بقوله[4]:

---

(١) الديوان، ص٣٠.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.
(٣) الديوان، ص٣٤.
(٤) الديوان، ص٣٥.

يـا أيهـا العين كـم تبكيك مـن عين
هـذا بذنـب جـرى أم نظـرة العيـنِ؟

ونجده يختم القصيدة الأولى بالصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه، فيقول(١):

وأزكـى صـلاة اللـه مـا مـرت الصبا ... علـى روضـة غنـاء باكرها الوسـمي
صـلاة وتسـليماً بمسـك تضوعـا ... على من لرسل الله كالمسك في الختم
كـذا الآل والأصحـاب ما قـال قائل ... ألا فاتـركا عينـا تضـاف إلـى نجـم

هذه الخاتمة تختلف عن خاتمة القصيدة الثانية، فنجد الشاعر قد مدح الذي هدم القبة حتى نهاية القصيدة داعياً له، يقول (٢):

جـزاه ربـي بنصـر الديـن نصرتـه
ونـال مـن رحمـة الرحمـن كِفْلَيْـنِ

وفي قصيدة «شرف العلم» بنيت على فكرة واحدة هي العلم الديني الموصول بالكتاب والسنة النبوية المطهرة، ومفاهيم أهل العلم فيهما، وبدأها بالسلام، يقول(٣):

سـلام يفـوق المسـك عرف شـذائه
ويفضـح لـون الصبـح نـور ضيائـه

ونجده يختمها بقوله (٤):

ومـن يتّبـعْ رايـات سـنة أحمـد
يكـن يوم حشـر النـاس تحـت لوائه

وكذلك قصيدة «الحث على الأخذ بالحديث الشريف»، فقد أخذ ابن مشرّف الفكرة بدءاً بها، وظلت معه في أساليبه حتى النهاية، ولم يبدأ كعادته

(١) الديوان، ص٣٥.
(٢) الديوان، ص٣٦.
(٣) الديوان، ص٣٦.
(٤) الديوان، ص٣٧.

بالحمد لله، وكذا الخاتمة، فنجده يقول في مطلع القصيدة [١]:

وقدم أحاديث الرسول ونصه ... على كل قول قد أتى بإزائه
فإن جاء رأي للحديث معارض ... فللرأي فاطرح، واسترح من عنائه
فهل مَعْ وجود البحر يكفي تيمم ... لمن ليس معذوراً لدى فقهائه؟
وهل يوقد الناس المصابيح للضيا ... إذا ما أتى رأد الضحى بضيائه؟
سلامي على أهل الحديث فإنهم ... مصابيح علم، بل نجوم سمائه

ونجده يقول في نهايتها [٢]:

وهل يسأل الإنسان عن غير أحمد ... إذا ما ثوى في الرمس تحت ترائه
وهل قوله: يارب قلدت غيره ... لدى الله عذر يوم فصل قضائه
فهيهات لا يغني الفتى يوم حشره ... سوى حبه خير الورى واقتفائه
وإيثاره هدي الرسول وحكمه ... على كل ما يقضي الهوى باقتضائه

ونجد بعد ذلك مقطعة «في نصيحة المسلمين»، وهي خمسة أبيات تبدأ بالأمر الإرشادي «كن، مرهم، وانههم، وازجر، وعظهم»، يقول [٣]:

وكن ناصحا للمسلمين جميعهم ... بإرشادهم للحق عند خفائه
ومرهم بمعروف الشريعة وانههم ... عن السوء وازجر ذا الخنا عن خنائه
وعظهم بآيات الإله بحكمة ... لعلك تُبرى داءهم بدوائه

وكذلك لم تبدأ قصيدة «ذم الدنيا» بالحمد، ولكنها بدأت بالتحذير، يقول [٤]:

وإياك والدنيا الدنية إنها ... هي السحر في تخييله وافترائه
متاع غرور لا يدوم سرورها ... وأضغاث حلم خادع ببهائه

---

(١) الديوان، ص٣٧.

(٢) الديوان، ص٣٨.

(٣) الديوان، ص٣٨.

(٤) الديوان، ص٣٨.

فمن أكرمت يوماً أهانت له غدا ... ومن أضحكت قد آذنت ببكائه
ومن تسقه كأساً من الشهد غدوة ... تجرّعه كأس الردى في مسائه

أما الخاتمة فكانت بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، يقول[١]:

أصلي على طول الزمان مسلماً ... سلاماً يفوق المسك عرف شذائه
على خاتم الرسل الكرام محمد ... وأصحابه والآل أهل كسائه
وأتباعهم في الدين ما اهتز بالربا ... رياض سقاها طلها بندائه
وما غردت قمرية في حديقة ... فجاوبها ورق بصوت غنائه

وقصيدة «رثاء العلم» دليل على أن الشاعر قد تكاملت لديه أدوات البناء، وبدأها بقوله[٢]:

على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم
ولم يبق فينا منه روح ولا جسمُ

وختامها بالصلاة والسلام على النبي ﷺ والآل والأصحاب وبين البدء والختام سارت المعاني، يقول:

وصل إله العالمين مسلماً ... على من به للأنبياء جرى الختمُ
كذا الآل والأصحاب ما قال قائل ... على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم

أما قصيدة «غربة الدين» فهي شبيهة بالسابقة، فقد افتتحها بالندبة، وهي التفجع أو التوجع على أمر أو من شيء يهتم به النادب. لماذا ؟ لفشو الجهل، وغربة العلم، يقول ابن مشرّف في بداية قصيدته[٣]:

واغربة الدين ! فأعجب من تغرّبه ... عند المصدق فضلاً عن مكذبه
ألا ترى الجهل بين الخافقين فشا ... والعلم أغرب من عنقاء مُغْرِبِهِ؟
أعلامه درست في كل ناحية ... والبوم يصدح من أعلى مخربه

(١) الديوان، ص٣٩.
(٢) الديوان، ص٤٠.
(٣) الديوان، ص٤٤.

وفي نهاية القصيدة صلى وسلم على خير خلق الله محمد ﷺ، يقول[١]:

فأسأل من الله تثبيتاً ومغفرة ... ما سمي القلب إلا من تقلبه
ثم الصلاة على الهادي وشيعته ... ما جاد مزن على الزيزا بصيِّبه[٢]

تمضي بقية قصائد الديوان على «الشعر العمودي» ما عدا مقطعات في نهايته، فالشاعر يفعل البناء السابق في قصائده التي مدح بها الإمام فيصلاً وولده وأمير عمان وابن الإمام، ويختمها بخير ختام بالصلاة والسلام على المصطفى ﷺ وآله وصحابته الكرام، فتأتي بعد قصيدة «غربة الدين» قصيدة في مدح الإمام فيصل يقول في مطلعها[٣]:

إلى الله نشكو حادثات النوائب ... ودهراً دهانا صرفه بالعجائب
يذل أخا علم ويكرم جاهلاً ... ولست على ريب الزمان بعائب
وعيش مشوب لا يزال منكداً ... فلذاته ممزوجة بالمصائب.

ويختم ابن مشرّف هذه القصيدة بالصلاة والسلام على سيد الأنام ﷺ، يقول[٤]:

وأزكى صلاة الله ما سلّت الظبا ... وهزّ القنا الفرسان بين الكتائب
على خاتم الرسل الكرام وصحبه ... نبيّ أتاها من لؤي بن غالب

وقصيدة «حث الإمام فيصل بن تركي على قتال الأعراب، المفسدين» قد بدأها الشاعر بالنسيب على عادة الشعراء الأقدمين، فقدم في تسعة أبيات صورة لهذه الحسناء التي قطعت زيارته يقظة، فلما رآها في المنام سحراً عاتبها على هذه القطيعة، ولكنها اعتذرت بأن البلاد متباعدة، وقطاع الطريق مفسدون، وهذا يكفي عذراً لمثلي، يقول[٥]:

---

(١) الديوان، ص٤٥.

(٢) الزيزاء - بكسر الزاي الأولي وفتحها: ما غلظ من الأرض.

(٣) الديوان، ص٤٥.

(٤) الديوان، ص٤٦.

(٥) الديوان، ص٤٦، ٤٧.

أشمس تجلت من خلال السحائب ... أم البدر جلى حالكات الغياهب؟
أم انجابت الظلماء عن لمع بارق ... تلألأ من ثغر لإحدى الكواعب؟
نعم أقبلت سلمى فأشرق وجهها ... بصبح جمال تحت ليل الذوائب
فتاة تفوق الغانيات بحسنها ... كما فاق بدر التم زهر الكواكب
فما للمعنى لا يهيم بذكرها ... وقد كان ذا جسم من الوجد شاحب
تناءت فزارت سحرة بعد هجعة ... وقد نام عنها كل واش مراقب
فنمَّ بريّاها الصبا حين أقبلت ... تميس كغصن البان أو مثل شارب
فحيت بتسليم فأحسنت رده ... وقلت لها قول المحب المعاتب
صليت بنار الهجر أحشاء مولع ... فلم يطفها ماء العيون السواكب

وفي ختام القصيدة صلى وسلم على رحمة العالمين، وإمام المجاهدين محمد ﷺ، يقول[1]:

وصلِّ إله العالمين مسلماً ... على خاتم الرسل الكرام الأطايب
محمد الهادي إلى خير شرعة ... به شرفت ابنا لؤي وغالب
كذا الآل والأصحاب ما هزت القنا ... وما انتدب الفرسان بين الكتائب

وفي قصيدة أخرى في مدح الإمام فيصل لم يبدأها بالنسيب - كعادته - بل صور كرم هذا الممدوح - الإمام فيصل - في صورة الذاهبين إلى قصره لقضاء مآربهم، ولذا قال في البداية إذ أردت السفر إلى بلاد نجد فلا يفوتك أن تدخل هذا القصر المشيد على الدين والكرم لترى فيه أصحاب الحوائج، فلا يعود منهم أحد إلا ومعه حاجته، يقول[2]:

إذا أنت أجمعت المسير لتنجدا ... فلا تعد قصراً في الرياض مشيداً
بناه إمام المسلمين ولم يزل ... يؤسس ما يبني على الدين والهدى
ترى حوله الأضياف تلتمس القرى ... وقوماً يريدون المكارم والندى
فيرجع كل نائلاً ما يرومه ... من العدل والإحسان والفضل والجدا

---

(١) الديوان، ص٤٨.

(٢) الديوان، ص٥٥.

ويختم قصيدته - كعادته - بالصلاة والتسليم على سيد الأولين والآخرين، وآله وصحبه والمهتدين، يقول[(١)]:

وأختم نظمي بالصلاة مسلماً ... سلاماً كنفح المسك يبقى مؤبداً
على خير مبعوث إلى الناس رحمة ... بأفضل دين خاتم الرسل أحمدا
كذا الآل والأصحاب ما لاح بارق ... وما سجع القمري ليلاً وغرّدا

ونرى في قصيدة أخرى تهنئة للإمام لما نصر الله عز وجل ابنه عبدالله على العجمان قد بدأها بالحمد والثناء على الله واهب النعماء التي لا عد لها ولا حصر، يقول[(٢)]:

لك الحمد ياللهم ما نزل القطر ... وما نسخ الديجور[(٣)] من ليلنا الفجر
وما هبت النكبا[(٤)] رخاء وزعزعاً ... على نعم لا يستطاع لها حصر[(٥)]

وفي الختام يصلي ويسلم على المصطفى ﷺ وعلى آله وصحبه رضي الله عنهم، يقول[(٥)]:

وختم نظامي بالصلاة مسلماً ... على المصطفى ما هل من مزنه القطر
كذا الآل والصحب الأولى بقتالهم ... سما وعلا الإسلام وانخفض الكفر

وفي قصيدة أخرى في مدح الإمام فيصل نرى ابن مشرّف قد بدأها بالغزل، وأطال فيها النفس، عدد أبياتها ثلاثة عشر بيتاً.. ومعلوم أن شعر الغزل للعلماء الشعراء المسلمين يكون من باب الخيال في أغلب الأحوال، ومهمته فتح باب المعاني المقصودة في القصيدة المرادة، يقول الشاعر في مطلع هذه القصيدة[(٦)]:

---

(١) الديوان، ٥٦.
(٢) الديوان، ص٦٦.
(٣) الديجور: الظلام.
(٤) النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين كالصبا والشمال.
(٥) الديوان، ص٦٧.
(٦) الديوان، ص٧٠.

قـل للمليحـة فـي القميـص الأحمر ماذا فعلت بعابد مستبصر؟
مـا زال يـدأب فـي العبـادة طالباً للعلـم غيـر مفـرط ومقصـر
تـرك الصبابـة للصبـا متسـلياً عـن ذكـر كل غزالـة أو جـؤذر
فدهشـت مـن ذاك الجمـال وحسـنه ووقفت وقفـة مولـع متحيـر
حسـن بـه شـغف الفـؤاد وهـاج لي شـجنا فَقَـلّ تجلـدي وتصبـري
سُـقْتِ إلـى الجسـم السـقام وراءه مـن ذلـك الطـرف السـقيم الأحـورِ
سبحانه من وهب المحاسن من يشا سبحانه مـن خالـق ومصـور
يـا كاعبـاً تحمـي بصـارم أنفهـا مـن كل صـاد ورْدَ مـاء الكوثـر
شـهد الرضـاب وفيـه خمـر مسـكر فالثـم ولا حـرج بـذاك المسـكر
كلمتهـا مـن بعـد تكليـم الحشـا يـا هنـد إن لـم تسـمحي لـم أصبـرِ
لا تتلفـي بالصـد مهجـة مغـرم فيصيـب قومـك سَـطْوَةٌ مـن قَسْـوَرِ

وفي ختام القصيدة دعا وصلى وسلم على سيد العالمين محمد ﷺ وآله وصحبه، يقول[1]:

وعلـى النبـي وآلـه وصحـابـه أزكـى صـلاة مثـل نفـح العنبـر
تبقـى مـدى الأيـام ماهـب الصبـا سـحراً علـى الروض الأنيـق المزهر

وهكذا تدور مقدمات قصائد المدح عند ابن مشرّف، فنجده يدخل إلى الغرض مباشرة، أو يبدؤها بالغزل والنسيب، أو بالحمد والثناء على الله عز وجل، وفي نهاية كل قصيدة كان يصلي ويسلم على سيد العالمين محمد ﷺ وآله وصحبه.

إذاً الشاعر ابن مشرّف في بنائه للقصيدة يتخذ مسارب مختلفة، فهو يبدأ معظم قصائده بتناول موضوعه مباشرة، أو يبدأ بعض قصائده بالتحميد والشكر لله عز وجل على نعمه التي لا تحصى ولا تعد، والصلاة والسلام على رسوله المرسل للعالمين كافة ﷺ، أو يبدأ بعضها بمقدمات غزلية،

(١) الديوان، ص٧١

لينتقل بعدها إلى غرضه في المدح أو غيره، أو يستفتح بعض قصائده «بألا» الاستفتاحية، وفي الختام يصلي ويسلم على الرسول ﷺ وآله وصحبه، رضي الله عنهم.

٢- الألفاظ والتراكيب:

إن المتأمل في شعر ابن مشرّف يتبين مظاهر مميزة، ويرى ملامح وعلامات بارزة..ولعل في مقدمتها سهولة أسلوبه، ووضوح عباراته وألفاظه في معظم قصائده، مما يُكسب متلقيها والمهتم بها خلفية جديدة، وفهماً شاملاً لمختلف القضايا والأفكار التي يناقشها، ويطرحها في شعره.

فالقصيدة الأولى «جوهرة التوحيد» ألفاظها سهلة، والتراكيب سلسة، مع وضوح المعاني، وكذلك القصيدة الثانية «أصل التوحيد».. وقد استخدم في كل منها بعض التراكيب البليغة،كما كان يفعل القدامى، وهاك نماذج لها:

أولاً: الاقتباس:

وهو أن يضمن المتكلم كلامه شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف دون أن يشعر بذلك، فلا يقول قال تعالى، أو قال رسول الله ﷺ، فإن قال ذلك كان استشهاداً.

وقد ضمن شاعرنا كلامه كثيراً من معاني القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وذلك بحكم الموضوع، فإن أصله مبني على ما في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله – عليه صلوات الله وسلامه – من عقيدة وشريعة.

أ – من الآيات القرآنية:

إن تأثر ابن مشرّف بأساليب القرآن الكريم واضح في هاتين القصيدتين، فهو يقتبس من سورة «الإخلاص» قوله تعالى: ﴿ وَلَمۡ يَكُن

﴿لَهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[١]. يقول[٢]:

فهـو تعالـى الواحـد الفـرد الأحـد
ليـس لـه نــد ولا كفـو أحــد

وعندما تحدث ابن مشرّف عن صفة «الاستواء» جاء كلامه مقتبساً من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [٣].، يقول[٤]:

فالله ذو العرش على العرش استوى
وعلمـه لـكل شـيء قـد حـوى

وعندما تحدث عن الشرك ذكر أن الشرك لا يغفره الله، وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٥].

يقول[٦]:

والشـرك لا يغفـره اللـه حشـا
وغيــره يغفـره لمـن يشــا

وعندما تحدث عن العبادة وأنها: عقيدة، وقول، وعمل، فالشرك في أي جانب محبط لها، ثم شرح العقيدة وبيّنها، والقول شرحه بالدعاء والنذر، وشرح العمل ومثّل له، وبيّن ختام كل هذه الأركان العبادية بأن فيها: تذللاً لله؛ وذلك بالركوع والسجود خالصاً لوجهه، ومن أشرك فيها معه سواه فهو كافر على التحقيق، وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٧].

---

(١) سورة الإخلاص، الآية: ٤.

(٢) الديوان، ص١١.

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(٤) الديوان، ص١٢.

(٥) سورة النساء، الآية: ١١٦.

(٦) الديوان، ص١٥.

(٧) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

يقول ابن مشرّف [١]:

وهـــي عـقـيـدة وقـــول وعمل
والشـرك محبـط لهـا كيـف حصـلْ

إلى [٢]:

وكل مـن أشـرك فيهـا مطلقـا
فـهـو يـكـون كـفـره محققا

وكذلك اقتبس قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٣]، يقول ابن مشرّف [٤]:

وأنـــه أول بـــاقٍ فـلـيس له
بـدء ولا منتهـى سبحان مـن قـدرا

واقتبس من قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [٥]، ومن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [٦].

وقال [٧]:

وأن كرسيه والعرش قد وسعا | كل السموات والأرضين إذ كبرا
ولم يزل فوق ذاك العرش خالقنا | بذاته فاسأل الوحيين والفطرا
أن العلو به الأخبار قد وردت | عن الرسول فتابع من روى وقرا

واقتبس قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ

(١) الديوان، ص١٨.
(٢) الديوان، ص١٨.
(٣) سورة الحديد، الآية:٣.
(٤) الديوان، ص٢٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٦) سورة طه الآية: ٥.
(٧) الديوان، ص٢٠.

فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

عندما تحدث ابن مشرّف عن كلام الله عز وجل لنبيه موسى - عليه السلام- وأن ذلك في طور سيناء حيث كان التكليم بلا حرف ولا واسطة، وبين ابن مشرّف أن نبيه موسى - عليه السلام - امتلأ بهذا الوحي الشفهي «بلا واسطة»، وهذا اقتباس جيد، وفي ذلك يقول ابن مشرّف [٢]:

وأن موسى كليم الله كلمه ... إلهه فوق ذاك الطور إذ حضرا
فالله أسمعه من غير واسطة ... من وصفه كلمات تحتوي عبرا
حتى إذا هام سكرا في محبته ... قال الكليم: إلهي أسال النظرا
إليك. قال له الرحمن موعظة ... أنى تراني ونوري يدهش البصرا؟
حتى إذا ما تجلّى ذو الجلال له ... تصدع الطور من خوف وما اصطبرا

وعند حديث ابن مشرّف عن البعث والجزاء.. ذكر نفخ إسرافيل في الصور، وجاء ذكر ذلك في القرآن عند قوله، تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[٣]، يقول[٤]:

وإن نفخة إسرافيل ثانية
في الصور حقاً فيحيي كل من قبرا

وعندما تحدث عن الحساب اقتبس قوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[٥]، ويقول[٦]:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.
(٢) الديوان، ص٢١،٢٠.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٨.
(٤) الديوان، ص٢٢.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٧٠.
(٦) الديوان، ص٢٢.

قال الإله: قفوهم للسؤال لكي
يقتص مظلومهم ممن له قهرا

واقتبس قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[1]. فقال[2]:

وجاء ربك والأملاك قاطبة
لهم صفوف أحاطت بالورى زمرا

واقتبس قوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾، وقال[3]:

وجيء يومئذ بالنار تسحبها
خُزّانها فأهالت كل من نظرا

واقتبس كلامه من قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾[4]، يقول[5]:

ويرسل الله صحف الخلق حاوية
أعمالهم كل شيء جل أو صغرا

وعندما تحدث عن ميزان الأعمال اقتبس قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[6]، وفي ذلك يقول ابن مشرّف[7]:

ووزن أعمالهم حقاً فإن ثقلت
بالخير فاز، وإن خفت فقد خسرا

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٢.
(٢) الديوان، ص٢٢.
(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٣.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٣.
(٥) الديوان، ص٢٢.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.
(٧) الديوان، ص٢٢.

وتحدث ابن مشرّف عن مغفرة الذنوب ما عدا الشرك بالله من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[(١)]، وفي ذلك يقول[(٢)]:

وكل ذنب سوى الإشراك يغفره
ربي لمن شا وليس الشرك مغتفرا

وتحدث عن فناء الجنة والنار، والنظر إلى وجه الله الكريم في الجنة، وهذا من قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[(٣)]، يقول[(٤)]:

وينظرون إلى وجه الإله بها
كما يرى الناس شمس الظهر والقمرا

وفي قصيدة «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية» أتى ابن مشرّف بعدة أدلة من الكتاب اقتبس معناها في الأبيات؛ وذلك ليرد على المعطلة الذين ينفون صفات الله الواجبة له، فاقتبس قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[(٥)] وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[(٦)]، وفي ذلك يقول ابن مشرّف[(٧)]:

فقد جاء في الأخبار في غير موضع ... بلفظ «استوى» لا غير يا متأولُ
وقد جاء في إثباته عن نبينا ... من الخبر المأثور ما ليس يشكل
فصرح أن الله جل جلاله ... على عرشه منه الملائك تنزل

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٦.
(٢) الديوان، ص٢٢.
(٣) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.
(٤) الديوان، ص٢٢.
(٥) سورة المعارج الآية: ٤.
(٦) سورة النحل، الآية ٥٠.
(٧) الديوان، ص٢٤.

يخافونه من فوقهم، وعروجهم ... إليه. وهذا في الكتاب مفصلُ
وتعرج حقاً روح من مات مؤمناً ... إليه فتحظى بالمنى ثم ترسل

وعندما تحدث ابن مشرّف عن زوجات الرسول ﷺ، وخص منهن: السيدة زينب بنت جحش التي نزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾[1]؛ وهذه الآية دالة على المعنى الذي اقتبسه صاحب القصيدة، يقول فيه[2]:

وزينب زوج المصطفى افتخرت على ... بقية أزواج النبي بلا غلو
فقالت: تولّى الله عقدي بنفسه ... فزوجني من فوق سبع من العلو
وأن سفيري روحه. وكفى بها ... لزينب فخراً شامخاً. فهو أطول

وفي «عقيدة السلف» اقتبس الشاعر المعاني التي تضمنها في أبياته من الكتاب والسنة غالباً، ويتجلى هذا الاقتباس عند قوله [3]:

وللطور مولانا تجلى بنوره ... فصار لخوف الله دكا يزلزل

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾[4].

وفي قصيدة «هجاء عين نجم» استعمل في علاج قضية ذهاب الناس إلى عين نجم على ظن الاستشفاء أسلوب الاستفهام الإنكاري والتقريري، وأخذه - كما قال - من محاجة أبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - وقد اقتبس المعاني من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى

(١) الأحزاب، الآية: ٣٧.
(٢) الديوان، ص٢٤، ٢٥.
(٣) الديوان، ص٢٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية:١٤٣.

وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾[١]، يقول ابن مشرّف[٢]:

مـن الخالق الهادي ومـن يطعم الورى
ويسقي ومن يشفي المريض من السقمِ

وفي قصيدة «قبة عين نجم بعد هدمها» يقول[٣]:

فغـادروهـا كبنيـان الذيـن بنـوا
علـى شـفا جـرف للشـك والرَّيْـنِ

وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾[٤].

وفي قصيدة «تهنئة ابن مشرّف للإمام لما نصر الله ابنه على الأعراب» اقتبس قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[٥]، يقول[٦]:

أمانـي غـرور كالسـراب بقيعـة
يُـرى فـي الفلا وقت الضحـى أنه بحر

ويقتبس قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾[٧] في قصيدة «في تحريض الإمام على قتال الأعراب المفسدين».

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٨ - ٨٠.
(٢) الديوان، ص٣٥.
(٣) الديوان، ص٣٦.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٩.
(٥) سورة النور، الآية: ٣٩.
(٦) الديوان، ص٦٧.
(٧) سورة يس، الآية: ٧٨.

يقول [١]:

أتحسبين الجبن من طبعه
لا والذي يحيى رميم العظام

ويقتبس من قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾[٢]، يقول [٣]:

إلى ثلاثمئة سنينا
يخادعون الله والذينا

ب - من الأحاديث النبوية:

كما اعتمد ابن مشرّف على الكتاب اعتمد - أيضاً - على السنة الغراء، واقتبس منها ما يخدم قضاياه وأفكاره، فنراه في القصيدة الأولى يقتبس قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»، يقول[٤]:

اعلم بأن الدين مبني على ... خمس دعائم كما قد نقلا
وهي الشهادتان والصلاة ... والحج والصيام والزكاة

واقتبس من قوله ﷺ عن الإيمان: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره» وفي ذلك يقول ابن مشرّف[٥]:

وفسر الإيمان خير مرسل ... بأنه الإيمان بالله العلي
وبالملائك العلا ورسله ... والبعث والمقدور أيضا كله
فالخير والشر جميعه صدر ... من أمر ربنا وذا هو القدر

---

(١) الديوان، ص٩٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ٩.
(٣) الديوان، ص١٠٤.
(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان، رقم:١١٣.
(٥) الديوان، ص١٠.

وعندما تحدث عن الإحسان اقتبس قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبدالله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، يقول(١):

وفسر الإحسان سيد الورى | أن يعبد الله كأنه يرى
فالعبد إن لم يره فالله | جلّ قريب شاهد يراه

وفي ختام الحديث السابق سأل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب قائلاً: «ياعمر أتدري من السائل؟» قلت: أي: عمر، الله ورسوله أعلم، فقال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(٢)، وفي ذلك يقول ابن مشرّف(٣):

وقال ما معناه: ذا الأمين
أوضح دينكم، فهذا الدينُ

وأخذ ابن مشرّف قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده،فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(٤)، يقول(٥):

وأول الفرض إيمان الفؤاد كذا
نطق اللسان الذي في الذكر قد سطرا

وذكر أن السعداء في قبورهم في جنات، والأشقياء بالعكس في جحيم، وهذا مقتبس من قوله ﷺ:«القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار»(٦)، يقول(٧):

وأن أرواح أصحاب السعادة في
جنات عدن كطير يعلق الشجرا

---

(١) الديوان، ص١٠.
(٢) الأربعين النووية، من الأحاديث الصحيحة النووية، الإمام النووي، ورواه مسلم، حديث رقم: ٨.
(٣) الديوان، ص١٠.
(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان برقم ١٧٧.
(٥) الديوان، ص١٩.
(٦) الترمذي . كتاب صفة القيامة، حديث رقم: ٢٤٦٠.
(٧) الديوان، ص٢١.

واقتبس في بيتين مقطعاً من حديث الرسول ﷺ: «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة» [(١)]، يقول[(٢)]:

لكنْ همُ الشهدا أحيا وأنفسهم — في جوف طير حسان تعجب النظرا
وأنها في جنان الخلد سارحة — من كل ما تشتهي تجني بها ثمرا

وفي بداية حديثة عن الإيمان بالحوض يقول[(٣)]:

وإن للمصطفى حوضاً مسافته — ما بين صنعا وبصرى هكذا ذُكرا
أحلى من العسل الصافي مذاقته — وأن كيزانه مثل النجوم ترى
ولم يرده سوى أتباع سنته — سيماهم: أن يرى التحجيل والغررا

والمعلومات السابقة يقتبسها ابن مشرّف من قوله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وكيزانه أكثر من نجوم السماء،ومن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً»[(٤)].

وأخذ ابن مشرّف من قول النبي ﷺ: «أفضل الناس قرني ثم الذين يلونهم...»[(٥)]، وقال[(٦)]:

وأن أفضل قرن للذين رأوا — نبينا وبهم دين الهدى نصرا

وأشار إلى الخلاف الحادث بينهم عن اجتهاد، وفي الحديث:عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم، فاجتهد، ثم

(١) سنن الترمذي . كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله، حديث رقم: ١٦٤١ .
(٢) الديوان، ص٢١.
(٣) الديوان، ص٢٣،٢٢.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته، حديث رقم:٢٢٩٢.
(٥) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا، حديث رقم: ٦٠٦٥.
(٦) الديوان، ص٢٣.

أصاب، فله أجران، وإن حكم واجتهد فأخطأ فله أجر»[١]. يقول[٢]:

فـلا تخض في حـروب بينهم وقعت
عن اجتهادي وكن إن خضت معتذرا

وفي قصيدة «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية» أتى ابن مشرّف بأدلة من القرآن والسنة رداً على هؤلاء، ومن الأدلة التي أوردها من السنة: معراج النبي ﷺ، وهذا وارد في الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم وجميع كتب الصحيح، يقول ابن مشرّف[٣]:

وبالمصطفى أسرى إلى الله، فارتقى
على هذه السبع السـموات في العلو

واقتبس ابن مشرّف من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة... وهو حديث طويل ذكر فيه نبي الله عيسى - عليه السلام - وما يصنعه بالدجال.. [٤]. وفي ذلك يقول [٥]:

فيكسـر صلبـان النصـارى بكفـه
ومـا دام حيـا للخنازيـر يقتـلُ

وفي قصيدة «رثاء العلم» اقتبس ابن مشرّف من قول النبي ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[٦]، يقول[٧]:

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/ ٣٨١، وصحيح مسلم ١٧١٦.
(٢) الديوان، ص٢٣.
(٣) الديوان، ص٢٤.
(٤) أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٥٠ - ٢٢٥٥.
(٥) الديوان، ص٢٤.
(٦) صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث رقم ١٠٠.
(٧) الديوان، ص٤٠.

وما قبضه إلا بموت وُعاته
فقبضهم قبض له، وبهم ينمو

ونلاحظ أن ابن مشرّف اقتبس حديث رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، ففي الصحيحين عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم ألّا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا»[(١)]، يقول[(٢)]:

ورؤية سكان الجنان لربهم - تبارك - حق، ليس فيها لهم وهمُ
كرؤيتهم للبدر ليل تمامه أو الشمس صحوا لا سحاب ولا قتم

وفي قصيدة في مدح الإمام «فيصل» يقتبس حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[(٣)]. وفي ذلك يقول ابن مشرّف[(٤)]:

في كل يوم ينادي في الورى ملك وآخر بنداء وهو غير خفي
يا رب يا ربنا ارزق منفقاً خلفاً واحكم على ممسك الأموال بالتلف

ج . التضمين:

يختلف التضمين عن الاقتباس في: أنه لا يكون من القرآن ولا الحديث، وإنما يكون من كلام آخر غيرهما، ولا يكون في النثر، بل هو خاص بالشعر[(٥)]، ومن ذلك أن ابن مشرّف ضمن معنى «الممدود والمقصور» وهما من علم الصرف في الحديث عن طرفها «عينها» التي تظهر مرة مع القصر، وأخرى مع

---

(١) أورده ابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٦٠.
(٢) الديوان، ص٤٣.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، حديث رقم ١٠١٠.
(٤) الديوان، ص٨٢.
(٥) علم البديع، د. بسيوني فيود، ط دار المعالم، ص٢٦٨، ٢٧٠.

المد، يقول[١]:

مـددت للصـب طرفـاً قاصـراً فلـذا
قـد هـام مـا بيـن ممـدود ومقصـور

وفي قصيدة «الحث على الأخذ بالحديث الشريف وتقديمه على الآراء» يقول[٢]:

إذا قلـت: قول المصطفى هو مذهبي
متـى صـح عنـدي لـم أقـل بسـوائه

وهذا البيت متضمن معنى كلام ينسب إلى الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - يقول فيه: «إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط» وقال هذا المعنى في أسلوب آخر: «إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت»[٣]. وقصيدة في مدح الإمام فيصل نلاحظ أن الشاعر استطاع أن يضمن كلامه من قراءته للشعر القديم فقوله[٤]:

صبرت فنلت النصـر بالصبر والمنى
«ومـا انقـادت الآمـال إلا لصابـر»

جاء من قول الشاعر[٥]:

لأستسـهلن الصعـب أو أدرك المنى
فمـا انقـادت الآمـال إلا لصابـر

---

(١) الديوان، ص٣١.

(٢) الديوان، ص٣٨.

(٣) ديوان الإمام الشافعي، محمد عبدالرحيم، ص٥٧، ط دار الفكر.

(٤) الديوان، ص٦٩.

(٥) هذا البيت من شواهد النحاة ذكره ابن هشام في: قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد برقم ١٦، وأوضح المسالك، تحقيق محمد محيي الدين، برقم ٤٩٧، وفي الشذور، تحقيق محمد محيي الدين، برقم ١٤٦، وكذلك الأشموني، وابن عقيل برقم ٣١٨.

وفي قصيدة أخرى في مدح الإمام فيصل بدأها بالغزل، وفي داخل الفكرة بدأ التضمين، إذ أخذ أبياتاً لأحد شعراء المدينة القدامى حيث ورد أحد التجار إليه ومعه أنواع وألوان من «أخمرة» النساء، فبيعت كلها ما عدا الخمار الأسود، فحزن التاجر فأراد الشاعر أن يخفف عنه، فصنع أبياتاً في هذا الخمار الأسود، وهي:

قل للمليحة في الخمار الأسود ... ماذا صنعت بزاهد متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه ... حتى وقفت له بباب المسجد

ردي عليه صلاته وصيامه ... لا تفتنيه بحق دين محمد

فلما سمع الناس هذه الأبيات ذهبت النساء إلى هذا التاجر ليشترين هذه الخُمُر السود فأخذ يغالي في الثمن حتى ربح كثيراً...، فيقول ابن مشرّف في مطلع قصيدته[1]:

قل للمليحة في القميص الأحمر ... ماذا فعلت بعابد مستبصر

ثانياً: التوكيد:

وللتوكيد صور منها: التكرار، فقد أكد ابن مشرّف على الواحدية والوحدانية «بتكرار» الواحد، الفرد، الأحد، يقول[2]:

فهو تعالى: الواحد الفرد الأحد ... ليس له ند ولا كفو أحد

وأكد – أيضاً – أنه – سبحانه – «الملك» ولا شريك في ملكه ولا وزير، ولا مثيل، وجميع ما سواه خلقه، وهم عباده، وهو رازقهم، يقول[3]:

والملك المالك والمليك ... ليس له في ملكه شريك

(١) الديوان، ص٧.

(٢) الديوان، ص١١.

(٣) الديوان، ص١١.

ولا مظـاهـــــــر ولا وزيــــــر حاشـــا ولا مثــــل ولا نظيــــر
بـل كل مـا ســــواه فهـــو خلقـه عبدلـه يجــــري علــيـه رزقـه

وكرر عبارة «ومن نفى صفاته أصلي سقر»وهو رد على طائفة تنفي صفات الله، يقول[1]:

من شـــبه اللـه بخلقـه كفـر
ومـن نفـى صفــاتـه أصلـي سـقر

ثالثاً: التشبيهات:

وقد استخدم ابن مشرّف التشبيه بأدواته: كالكاف، ومثل، يقول[2]:

ثـم تصـــيــر وردة كالـدهـن
والمهــــل والجبـال مثـل العهـنِ

فقد استعمل في التشبيه «مثل» وهي أداة تشبيه اسمية، وتدل على قوة الشبه بين الطرفين أكثر من الحروف «الكاف، كأن»، أما الكاف في قوله «كالمطر» فتدل على تشبيه في أول درجاته، كما في قوله[3]:

وتنثـر النجـوم منـه كالمطـر
وتجمـع الشـمس هنـاك والقمـر

رابعاً: التعريض:

وهو إمالة الكلام وتوجيهه إلى عرض - أي ناحية وجانب - ليدل على مقصود، ولا بد من القرائن التي تساعد على التعريض، بحيث يفهم المقصود من عرض الكلام - كما هو معلوم عند أهل البيان - ففي حديث ابن مشرّف عن «واجب التوحيد» تعريض بمن يأخذ الشهادة قولاً باللسان لا اعتقاداً

---

(١) الديوان، ص١٥.
(٢) الديوان، ص١٥.
(٣) الديوان، ص١١.

بالجنان، ودلل على ذلك بأن قريشاً لو أرادت - كما يُفعل - القول باللسان لكان ذلك سهلاً ولكنهم لم يفعلوا فكفروا، يقول [١]:

وليس معناها كما قد زعما مجرد النطق بلفظها فماَ
إذ لو أريد اللفظ قط لسهل على قريش قولها وما ثقلْ

وفي نهاية القصيدة الثانية «أصل التوحيد» بيّن ابن مشرّف أن الدين الإسلامي هو الناسخ لما سبق، ولن ينسخ أبداً، فقد ختم الله بنبيه محمد ﷺ النبوات، وتمم به الرسالات، فلا نبي بعده ولا رسول، ثم عرض بجماعة خرجوا بإجازة نبي بعده، وهؤلاء كفروا وحل دمهم، يقول[٢]:

محمد خير كل العالمين به ختم النبيين والرسل الكرام جرا
وليس من بعده يوحى إلى أحد ومن أجاز فحل قتله هدرا

خامساً: التقسيم:

وهو أن يذكر المتكلم معنى، ثم يأتي على تقسيمه إلى جميع الأقسام التي تندرج تحته لا يترك منها شيء[٣]، وذلك كما جاء في قوله - تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[٤] وهذا ما فعله ابن مشرّف عند حديثه عن «أنواع الشرك»، يقول[٥]:

والشرك نوعان فشرك أصغر
وضده وهو الذي لا يغفر

(١) الديوان ص١٦.
(٢) الديوان، ص٢٤.
(٣) علم البديع، مرجع سابق، ص٢١٣.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٣٢.
(٥) الديوان، ص١٧.

سادساً: البيان بعد الإبهام:

وهذا يجعل المعنى ثابتاً في النفس،حيث يشوق السامع بالإبهام ثم يأتي البيان، فيزيل هذا الإبهام، ويتمكن المعنى في النفس كل التمكن، ففيه توكيد، واستخدم ذلك عندما تكلم عن الشرك الأكبر بأقسامه الثلاثة: اتخاذ شريك لله عز وجل، ومن التعطيل والتمثيل، ثم الشرك في صفاته وأسمائه، ثم الشرك في العبادة، وكل هذه الأقسام بيان بعد إبهام، يقول[1]:

والأكبر: المحبط للأعمال أعاذنا الله من الضلال
يحصر في ثلاثة الأقسام كل ينافي ملة الإسلام

وبعد ذلك يستمر ابن مشرّف في توضيح هذه الأقسام الثلاثة.

سابعاً: حسن الابتداء:

وهو بدء الحديث بطيب الكلام لجمع القلوب والأفهام، فقد بدأ ابن مشرّف قصيدته «أصل التوحيد» بالحمد لله على السنة والعادة عند أهل الإسلام تصانيفهم، وهكذا السنة في كل أمر ذي بال: يبدأ بالبسملة والحمد لله، ثم ثنى بالصلاة والتسليم على نبينا محمد ﷺ وآله وصحبه - رضي الله عنهم - وهذا يسمى عند البيانيين وأهل البديع «حسن ابتداء»، يقول في بداية قصيدته[2]:

الحمد لله حمداً ليس منحصرا على أياديه ما يخفى وما ظهرا
ثم الصلاة وتسليم المهيمن ما هبَّ الصَّبا فأدرّ العارض المطرا
على الذي شاد بنيان الهدى فسما وساد كل الورى فخراً وما افتخرا
نبينا أحمد الهادي وعترته وصحبه كل من آوى ومن نصرا

(١) الديوان، ص١٧.
(٢) الديوان، ص٢٥.

ثامناً: اللوم والعتاب والاستهزاء بأساليب الخبر والإنشاء:

ففي القصيدة الثالثة «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية»، فقد وجه شاعرنا أبيات من اللوم والعتاب والاستهزاء بهؤلاء المعطلة، ثم رماهم في النهاية بقوله: «ومن يبتدع في الدين فهو مضلل، يقول[١]:

فيا أيها النافي لأوصاف ربه ... لقد فاتك النهج الذي هو أمثلُ
تحيد عن الذكر الحكيم ونصه ... وتزوّر عن قول النبي وتعدل
وتنفي صفات الله بعد ثبوتها ... بنص من الوحيين ما فيه مجمل
إذا جاء نص محكم في صفاته ... جحدت له، أو قلت: هذا مؤول
ألا تقتفي آثار صحب محمد؟ ... فمنهاجهم أهدى وأنجى وأفضل
فما مذهب الأخلاف أعلم بالهدى ... من القوم لو أنصفت أو كنت تعقل
ولكنه من بعض ما أحدث الورى ... ومن يبتدع في الدين فهو مضلل

وفي فصل «اعتقاد السلف الصالح» نلاحظ السير في الألفاظ والتراكيب على ما سبق، فقد استعمل الشاعر لمعاني هذه القصيدة الألفاظ الميسورة، والعبارات السهلة، ولذا فهي لا تخفى على فطنة الباحث الذي له أدنى تأمل، يقول[٢]:

ولكننا والحمد لله لم نزل ... على قول أصحاب الرسول نعولُ
نقر بأن الله فوق عباده ... على عرشه، لكنما الكيف نجهل
وكل مكان فهو فيه بعلمه ... شهيد على كل الورى ليس يغفل

وفي الفصل الأخير من القصيدة «الإيمان بالقضاء والقدر» اعتمد فيها ابن مشرّف على ألوان من البيان، كالتشبيه والاستعارة، فقد تحدث عن القضاء والقدر، وأن الرسول ﷺ خاتم الأنبياء فليس نبي بعده، وأن الإيمان عقيدة وعمل، وهذه المعاني الإسلامية استطاع الشاعر أن يسلكها بتراكيب شعرية

(١) الديوان، ص١٩.
(٢) الديوان، ص٢٦.

شاعرة، وألفاظ سهلة ترتاح لها الأذن، وتصل سريعاً إلى شغاف القلوب، ولنا في أسلوبه هذا بعض الملحوظات.

قال: «جناها» ومعناها: ثمرها، وهذه استعارة لطيفة صورت هذه القصيدة بالثمر على النخيل الداني ثمره للآكلين والمتفكهين، يقول(١):

ودونك من نظم القريض قصيدة
وجيزة ألفاظ جناها مذللُ

قال: «يشبه الدر نظمها» فالمشبه: النظم، والمشبه به: الدر، ثم زاد المشبه بصفات أخرى على المشبه به فقال: أحلى وأغلى وأجمل، يقول(٢):

بديعة حسن يشبه الدَّر نظمُها
ولكنه أحلى وأغلى وأجملُ

ونلاحظ الشاعر يبدأ - غالباً - بالحمد والصلاة على رسوله ﷺ، ويختم بها أيضاً، وعلى سبيل المثال: نجده يختم إحدى قصائده بذلك، يقول(٣):

وأحسن ما يزهو به الختم حمد من ... بأسمائه الحسنى له نتوسل
وأزكى صلاة والسلام على الذي ... به تمّ عقد الأنبياء وكمّلوا
محمد المختار ما انهلَّ عارض ... على بلد قفر، وما اخضر ممحِل
كذا الآل والأصحاب ما قال قائل ... نفيتم صفات الله فالله أكمل

أما القصيدة الرابعة «الرد على ابن منصور»، فإنه لم يبدأ بالحمد وما تلاه، بل بدأ في الرد مباشرة وجعل هذا الحمد والصلاة والسلام على المصطفى ﷺ وآله وصحبه في الختام، أما الألفاظ في القصيدة، فإنها قوية متخيرة للرد، وكذلك التراكيب، ففيها من ألوان البيان، وجودة السبك، وقوة الأسلوب ما يليق بمقام الرد، ومثال لذلك:

---

(١) الديوان، ص٢٨.

(٢) الديوان، ص٢٨.

(٣) الديوان، ص٢٩.

قول: «كالعجل» صورة تشبيهية رائعة تفيد أن هذا العمل فيه فساد كبير، يقول[١]:

ركيك قواف صاغها فتكسرت
وحاصلها كالعجل مستوجب الكسر

وقوله: «أضحت مكشوفة الستر» صورة قوية بها استعارة بالكناية؛ لأنه جعلها كالمرأة التي تبرجت وكشف سترها، ثم أضاف هذا المعنى للقوافي فظهرت شائعة بلا ستور، يقول[٢]:

عيوباً كساها زخرف القول خادعاً
فأضحت بحمد الله مكشوفة الستر

وقوله: «فردّا وهدّا ما بناه القعر» وصورة بها استعارة بالكناية - كما سبق- بيد أنها هنا أضفت على القصيدة المردود عليها صورة البناء الذي هدم من القعر أي من أساسه، ثم عاد إلى المعنى الأصلي، فقال إن الرد كان بالحجة والبرهان نظماً ونثراً، يقول[٣]:

تصدى لها حبر الزمان ونجله
فردًا وهدًا ما بناه من القعر

وقوله: «فجلى بنور هدى كالفجر» صورة تشبيهية جميلة أعطت الرد بياناً كاشفاً، وكذلك قوله: «فعالمنا بين الكواكب كالبدر»، يقول[٤]:

فجلى ظلام الجهل والشك والعمى ... بنور هدى يجلو الغياهب كالفجر
لئن كان أهل العلم كالشهب في السما ... فعالمنا بين الكواكب كالبدر

وفي قوله[٥]:

---

(١) الديوان، ص٢٩.

(٢) الديوان، ص٢٩.

(٣) الديوان، ص٢٩.

(٤) الديوان، ص٢٩.

(٥) الديوان، ص٤٠.

كأن لـم تكـن تتلـى عليـه بـراءة
ولـم يتـل فيهـا «إنمـا» سـائر العمـر

أفادت أنه جاهل، وإشارة «إنما» تفيد ذلك على التوكيد، وزاده «سائر العمر» وعندما شرح ابن مشرّف القضية المثارة وهي: البناء على القبور، ودعاء الأموات لكشف الكروب، استخدم لذلك العبارات الشديدة في الرد عليه، ومن ذلك: قوله[1]:

فهبه كمن أغوى الشياطين في الفلا... تشبيه أخذ من قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]، وقوله[3]:

ومن ينكر الشمس المنيرة في الضحى
إذا لـم يكـن غيم وفـي سـاعة الظهر

صورة تمثيلية فيها تدليل على وضوح هذا الدين.

وقوله[4]:

....
فأضحـك دمع المـزن مبتسـم الزهر

فيه استعارات تؤكد على المعنى المقصود، وهو دوام الدعاء والصلاة على المختار ﷺ.

والقصيد التي استزادها بطلب من الشيخ عبدالرحمن بن حسن – رحمه الله – قد بدأها بالغزل، يقول[5]:

---

(١) الديوان، ص٣٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

(٣) الديوان، ص٣٠.

(٤) المصدر السابق، ص٣٠.

(٥) الديوان، ص٣١.

يـا ظبيـة البـان، بـل يـا ظبيـة الـدور
هل أنت من نسل حوا أو من الحور؟

وهذه عادة عربية في القصائد ونجد في هذا البيت: استعارة الظبية لهذه المرأة، وهي استعارة قديمة في الشعر الجاهلي.

وفي قوله التالي كناية عن الشيخ عبدالرحمن[١]:

فقـام أبنـاؤه مـن بعـده فدعـوا
إلـى الهدى ونهـوا عـن كل محذور

وفي قصيدتي «عين نجم» و«قبتها» بعد هدمها لمسات فنية تليق بمقام الهجاء، فنراه يبدأ قصيدته «عين نجم» بأسلوب الأمر «ألا فاتركا»، واستهل كلامه «بألا» المفيدة للاستفتاح الدال على أهمية الكلام التالي، يقول[٢]:

ألا فاتـركا عينـاً تضـاف إلـى نجـم
فقبتهـا بالهـدم أولـى وبالرجـمِ

وفي ختام القصيدة نفسها نجد الشاعر يوجه نصيحة بصورة الأمر، حيث قال: فجانب هداك الله... وكذلك بصورة الخبر: نصحناك إشفاقاً عليك...، وصورة النهي: فلا تكن من أكبر الخصم....، والأسلوب الدائر بين الخبر والإنشاء ينشط الذهن، والمشاعر، ولا يفعل هذا إلا الحاذق بالكلام، البصير بالأساليب، يقول[٣]:

فجانـب هـداك اللـه كل وسـيلة　　　تـؤول إلـى سـوء وتفضـي إلـى إثـم
نصحنـاك إشـفاقاً عليـك فـلا تكـن　　　لنا بعد بـذل النصح من أكبر الخصمَ

وفي قصيدة «شرف العلم» تتجلى أفكار الشاعر من خلال الألفاظ والتراكيب التي وضعها وضعاً خاصاً يليق بمقام الموضوع، فقد جاء بأسلوب

---

(١) الديوان، ص٣١.
(٢) الديوان، ص٣٤.
(٣) الديوان، ص٣٥.

إنشائي غير طلبي، وهو «التعجب» فقال[١]:

وما أحسـن العلم الذي يورث التقى
بـه يرتقـي فـي المجـد أعلى سـمائه

وجاء - أيضاً - بأسلوب قصر بالنفي والاستثناء في قوله[٢]:

ومـن لـم يـزده العلـم تقـوى لربـه
فلـم يؤتـه إلا لأجـل شـقائه

وأتى بالنصيحة المهمة فقال[٣]:

فكـن تاليـاً آي الكتـاب مداويـاً
بهـا كل داء، فهـي أرجـى دوائـه

وأخذ يشرح مهمة هذا الكتاب العظيم، ثم ضم إليه سنة النبي ﷺ، وختم القصيدة بأسلوب شرط «ومن يتبع... يكن.. تحت لوائه»، يقول[٤]:

ومـن يتبـع رايـات سـنة أحمـد
يكـن يوم حشـر النـاس تحـت لوائه

وكذا قصيدة «الحث على الأخذ بالحديث الشريف وتقديمه على الآراء» نرى ألفاظاً وأساليب إنشائية طلبية، فيبدأ قصيدته بفعل الأمر «قدم» للوجوب مع الإرشاد والنصح، وفي البيت أسلوب شرط، يقول[٥]:

وقـدم أحاديـث الرسـول ونصـه
علـى كل قـول قـد أتـى بإزائـه

(١) الديوان، ص٣٦.
(٢) الديوان، ص٣٦.
(٣) الديوان، ص٣٦.
(٤) الديوان، ص٣٧.
(٥) الديوان، ص٣٧.

وجاء بالاستفهام في البيتين الثالث والرابع الذي يفيد الإنكار والنفي، يقول[١]:

فهل مع وجود البحر يكفي تيمم ... لمن ليس معذوراً لدى فقهائه؟

وهل يوقد الناس المصابيح للضيا ... إذا ما أتى رأد الضحى بضيائه؟

والتشبيه في قوله: «كخابط الليل..» يصور الراغب عن الحديث تصوراً جميلاً، فالمعتمد على رأيه أو كلام غيره فهو يتخبط في سبيل الظلم، يقول[٢]:

وكن راغباً في الوحي لا عنه راغباً

كخابط ليل تائه في دجائه

والاستفهام المتعدد في نهاية القصيدة جاء للتفريغ والنفي[٣].

فسله: أقول الله: ماذا أجبتم؟ ... لمن هو يوم الحشر عند ندائه

أيسألهم: ماذا أجبتم ملوككم؟ ... وما عظم الإنسان من رؤسائه

وفي مقطعة «النصيحة للمسلمين»، نجد الشاعر استخدم أوامر إرشادية «كن، مرهم، وانههم، وازجر، وعظهم»، يقول[٤]:

وكن ناصحاً للمسلمين جميعهم ... بإرشادهم للحق عند خفائه

ومرهم بمعروف الشريعة وانههم ... عن السوء وازجر ذا الخنا عن خنائه

وعظهم بآيات الإله بحكمة ... لعلك تبري داءهم بدوائه

واستخدم أسلوب الشرط في قوله[٥]:

فإن يهد مولانا بوعظك واحداً

تنل منه يوم الحشر خير عطائه

---

(١) الديوان، ص٣٧.

(٢) الديوان، ص٣٧.

(٣) الديوان، ص٣٨.

(٤) الديوان، ص٣٨.

(٥) الديوان، ص٣٨.

وقصيدة «ذم الدنيا» بدأها بالتحذير بقوله: إياك.. أي: أحذرك، فحذف المسند، وأبقى المفعول، يقول[(١)]:

وإياك والدنيا الدنية إنها
هي السحر في تخييله وافترائه

واستخدم أسلوب قصر الموصوف على الصفة في قوله[(٢)]:

ومن يك جمع المال مبلغ علمه
فما قلبه إلا مريضاً بدائه

وتحدث عن الزهد، وصفة الطامعين في هذه الدنيا في سبعة أبيات، وهو تصوير رائع حتى ينتهي إلى الحساب، يقول في بعض هذه الأبيات[(٣)]:

فدعها فإن الزهد فيها محتم ... وإن لم يقم جلّ الورى بأدائه
ومن لم يذرها زاهداً في حياته ... ستزهد فيه الناس بعد فنائه
فتتركه يوماً صريعاً بقبره ... رهيناً أسيراً آيساً من ورائه
وينساه أهلوه المفدى لديهمُ ... وتكسوه ثوب الرخص بعد غلائه

وقصيدة «رثاء العلم» تتجلى فيها للشاعر حسناته في اختيار الألفاظ، ونظم المفردات في سلك التراكيب، حيث جاءت معبرة عن الفكرة أصدق تعبير، ومن ذلك أنه قدم الجار والمجرور، «على العلم نبكي...» في البيت الأول من القصيدة لإفادة التوكيد لما للعلم من أهمية عظمى في حياة الأمة، ولكن هذه نظرة فيها تشاؤم؛لأن الخير في أمة رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، وزاد هذه النظرة، فقال: «ولم يبق فينا منه روح ولا جسم، ورسوم العلم سوف تنطمس» وتمضي هذه النظرة الدالة على الانفعال إلى قوله[(٤)]:

---

(١) الديوان، ص٣٨.
(٢) الديوان، ص٣٩.
(٣) الديوان، ص٣٩.
(٤) الديوان، ص٤٠.

فهـذا أوان القبـض للعلـم فلينُـخ
عليـه الذي فـي الحب كان له سـهمُ

والاستفهام في قوله: «فهل يهتدي... فماذا تفيد الكتب...؟ يفيد النفي والإنكار، وهذا – أيضاً– في دائرة النظرة السوداء، يقول[١]:

فهـل يهتـدى إلا بنجـم سـمائه
إذ مـا بـدا مـن أفقـه ذلـك النجـم؟

وقال [٢]:

فليـس بمبقـى العلـم كثـرة كتبـه
فمـاذا تفيـد الكتـب إن فُقـد الفهم ؟

وهذه الأوامر للإرشاد والنصح لطلاب العلم، وهذا يناقض النزعة الأولى، ففي البداية رثى العلم، والعلماء، وأنه لم يبق أحد منهم، ثم يأمر هنا طلاب العلم، إذاً فالعلم له رواده في كل زمان.

وفي الأبيات الثلاثة التالية بيان لجهل طلاب العلم، وهي صورت بالاستفهام تارة، وبالخبر تارة أخرى، يقول[٣]:

إذا قيـل: مـاذا أوجـب الله يـا فتى ؟ أجاب: بـلا أدري، وأنَّـى ليَ العلمُ؟
وأقبـح مـن ذا لـو أجـاب سـؤاله بجهـل، فـإن الجهـل مـورده وخـم
أيرضى بـأن الجهل من بعض وصفه ولو قيل: يـاذا الجهـل، فارقه الحلم

وفي البيت التالي قصر الشاعر العلم على الحياة، فالعلم إذا سرى في جسم صار حياً، ومن فاته العلم فهو ميت، وهذا قصر موصوف على صفة، يقول:[٤]

(١) الديوان، ص٤٠.
(٢) الديوان، ص٤٠.
(٣) الديوان، ص٤١.
(٤) الديوان، ص٤١.

وما العلم إلا كالحياة إذا سرت
بجسم حيي والميت من فاته العلم

ويمدح ابن مشرّف العلم ويبين شرفه في تسعة أبيات: يزاوج بين الإنشاء والخبر، وخصوصاً الاستفهام التقريري كما في قوله[١]:

ألم تعتبر بالسابقين ؟ فحالهم
دليل على أن الأَجَلَّ هو العلم

وعندما عقد ابن مشرّف في هذه القصيدة مقارنة بين أهل العلم، وذوي الملك استخدم صوراً بيانية لهذه المقارنة القوية، لإظهار فضل العلم على ذوي الملك واليسار، ويعقب على هذه المقارنة بأمر إرشادي حيث يقول[٢]:

فكن طالباً للعلم حق طلابه
مدى العمر لا يوهنك عن ذلك السأم

ويلاحظ أن الشاعر زاوج في إظهار المعاني في القضايا بين أسلوب الخبر المقتبس من الأحاديث الصحيحة وأسلوب الإنشاء الذي يجعل المخاطب مشاركاً المتكلم فيما يقول، كالأمر والنهي والاستفهام بألوانه البلاغية.

وقصيدة «غربة الدين» تمتلئ بالمفردات المصطفاة، والتراكيب القوية الدالة على ما في ذهن الشاعر ومشاعره، فقد افتتح القصيدة بالندبة، وهي التوجع على غربة الدين والعلم، يقول:

واغربة الدين ! فأعجب من تغرّبه
عند المصدق فضلاً عن مكذبه

تأتي بعد ذلك قصائد مدح فيها ابن مشرّف الإمام «فيصلاً»، وقصائد حثه فيها على قتال المفسدين، وقصائد يهنئه فيها بالنصر.. وما نراه هو أن الألفاظ والتراكيب لم تخرج عن الإطار الذي تقدم، وقد نرى في بعض

(١) الديوان، ص٤١.
(٢) الديوان، ص٤١.

مقطعاته وقصائده ألفاظاً غريبة، لكن بعد النظر نرى أن قوة الموضوع أملى عليه هذا الاصطفاء في الألفاظ والتراكيب، فنجد في قصيدة «إجابة الشيخ ابن مشرّف لابن سند» قد تحدث عن تحول الحال إلى أسوأ الأحوال، حتى تغير الزمان..وصور هذا من خلال الاستفهام المفيد للتعجب والحيرة، ثم يجيب: نعم ذهب نور العلم وانهدم الهدى وتفرق الأهل، وصور حرب أنصار الدين بصورة السيوف التي «تشدو» فرحاً بما خربت، وهي استعارة بالكناية لطيفة تؤكد المعنى، يقول(١):

الليـل غشـا الدنيـا أم الأفق مسـود؟	أم الفتنـة الظلمـاء قد أقبلـت تعدو؟
أم السـرج النجديـة الزهـر أطفئـت	فأظلمـت الآفـاق إذ أظلمـت نجد؟
نعم كورت شمس الهدى وبدا الردى	وضعضـع ركـن للهـدى فهـو منهد
لدن حَلَّ بالسمحاء خطب فأوحشت	مسـاكنها وازورّ عيـش بهـا رغـد
تفـرق أهلوهـا وسـلّ علـى الهـدى	سـيوف علـى هامات أنصاره تشـدو

وعند حديث ابن مشرّف عن أبناء الشيخ، فهم - والحمد لله - اقتفوا آثاره من بعده، فكم لهم من آثار حميدة، واستعمال «كم» الخبرية هنا لإفادة كثرة ما فعلوا من الخيرات، ودافعوا عن الدين بأعظم الآيات، ونجد الاستعارة بالكناية، وهي تصور لنا الفخر والمجد بصورة إنسان متهلل مبتسم فرح، يقول(٢):

وكـم فتنـة جلـت فجلـوا ظلامهـا	بنـور الهدى حتى اسـتبان لنا الرشـد
ومهمـا ذكـرت الحـي مـن آل مقرن	تهلـل وجـه الفخـر وابتسـم المجـد

وفي قصيدة في مدح الإمام «فيصل» جاء بعدة صور بطريق الخبر والإنشاء، ففي الخبر يقول(٣):

---

(١) الديوان، ص٥١.

(٢) الديوان، ص٥٢.

(٣) الديوان، ص٥٥.

إذا اجتاز قوم بالنوال أجازهم
فعاشوا بخير كلما راح أو غدا

وفي الإنشاء - مثلاً - يقول[١]:

هو البحر غُص فيه إذا كان ساكناً
على الدر واحذره إذا كان مزبدا

وفي القصيدة التي يردّ فيها ابن مشرّف على شاعر اليمن الميمون، نجد التصوير الجميل لمجيء سعاد «سحيراً»، واستعمل في وصف سعاد ما مرّ في القصائد، يقول[٢]:

فتاة يريك الصبح غرة وجهها ... ويبدو الدجى من شعرها المتجعد
ويعجب غصن البان إن هبت الصبا ... له سحراً من قدها المتميد
يريك ابتساماً لامع البرق ثغرها ... ويسفر عن شهد ودر منضد

وزاد في وصفها حتى قال[٣]:

وقد جمعت كل المحاسن جملة ... فلم يستطع تفصيلها من معدد
وفاقت جمالاً كل هيفاء كاعب ... إذا ما مشت ما بين غِيْدٍ وخرّدِ

وهذا ما يسمى بالمبالغة، والمبالغة لها أنواع منها: المقبول والمردود، فما لا يكون عقلاً وعادة لا يقبل، وما يكون على واحد منها فهو مقبول، خصوصاً إذا دخله أمر يجعله مقبولاً كالتخيل - مثلاً - وهنا دخله الخيال، فصورها بأنها جمعت الحسن كله، فهو خيال يتسع حتى يرى هذا الجمال والكمال فيها، ولذا نراه يقول[٤]:

فعاص جميع العاذلين، ولا تطع
بها كل واشٍ لائم أو مفند

(١) الديوان، ص٥٥.
(٢) الديوان، ص٦١.
(٣) الديوان، ص٦١.
(٤) الديوان، ص٦١.

وفي قصيدة لتهنئة الإمام» فيصل «بالنصر، نجد التشبيه في قوله[١]:

فعالجهـم عـزم الإمـام بفيلـق
رماهـم بـه مثـل الليـوث الخـوادر

ونجد الاستعارة المكنية الجميلة في قوله: «ترى الأكم منها سجداً للحوافر»، وفي «الحوافر» إبراز للجزء، وإرادة الكل، وهي «الأفراس» وهذا الجزء عبر به عن الكل، وهو «أهم أجزاء الفرس» في المعارك، يقول[٢]:

فأقبـل مـن «نجـد» بخيـل سـوابق
تـرى الأكـم منهـا سـجداً للحوافـر

واستخدم الاستفهام المفيد للنفي في قوله[٣]:

فشـكراً إمـام المسـلمين لمـا جـرى
وهـل تثبـت النعمـاء إلا لشـاكر؟

وبعد هذا العرض للألفاظ والتراكيب يمكن أن نسجل اللمحات التالية:

في قصائد النظم للعقائد والعلوم نرى الأسلوب واضحاً فهو أقرب إلى الأسلوب العلمي.

أما في قصائد المدائح، والتاريخ، والسياسة، فاننا نجد الأسلوب أدبياً قوياً.

وفي الأسلوب الأدبي نراه يستخدم العبارات البلاغية، لقوتها المناسبة للموضوع.

(١) الديوان، ص٥٥.
(٢) الديوان، ص٥٥.
(٣) الديوان، ص٦٩.

٣- مظاهر الطبع والصنعة:

أولاً: مظاهر الطبع:

الشاعر مطبوع، ولم يلاحظ عليه في شعره في القصيدة الأولى صنعة، يقول[١]:

إيمـانـنـا قـول وقـصـد وعمل ... إن وافـق الـشـرع بـه نيل الأمـلْ
والـزيـد والـنـقـصـان للإيمان ... يـعـرض بـالـطـاعـة والعصيان
اعـلـم بـأن الـديـن مبني على ... خـمـس دعـائـم كـمـا قـد نقلا
وهـي الـشـهـادتـان والـصـلاة ... والـحـج والـصـيـام والـزكـاةِ

وكذا القصيدة الثانية لا نلاحظ فيها صنعة، بل إن الشاعر فيها - أيضاً- مطبوع، يقول ابن مشرّف[٢]:

وأول الفـرض إيمـان الفـؤاد كـذا ... نطق اللسـان بما في الذكر قد سـطرا
أن الإلـه إلـه واحـد صمـد ... فـلا إلـه سـوى مـن للأنـام بـرا
رب السـموات والأرضيـن ليـس لنا ... رب سـواه تعالـى: مـن لنـا فطـرا
وأنـه موجـد الأشـياء أجمعهـا ... بـلا شـريك ولا عـون ولا وزرا

والقصيدة الثالثة في «الرد على الجهمية والمعطلة»، وفيها يتميز الشاعر بالطبع الشعري، يقول[٣]:

نفيتـم صفـات اللـه، فاللـه أكمـل ... وسـبحانه عمـا يقـول المعطّـلُ
زعمتـم بـأن اللـه لـيـس بمسـتو ... على عرشـه، والاسـتوا ليـس يجهل
فقد جاء في الأخبـار في غير موضعٍ ... بلفـظ «اسـتوى» لا غيـر يـا متـأوّل
وقـد جـاء فـي إثباتـه عـن نبينـا ... مـن الخبـر المأثـور ما ليس يشـكل

---

(١) الديوان، ص٩، ١٠.

(٢) الديوان، ص٢٠.

(٣) الديوان، ص٢٤.

فصرح أن الله جل جلاله ... على عرشه منه الملائك تنزل

يخافونه من فوقهم. وعروجهم ... إليه. وهذا في الكتاب مفصّل

أما قصيدة «الرد على ابن منصور»، ففيها طبع، وصنعة.. فنلاحظ استخدام الشاعر ألفاظاً وعباراتٍ دالةً منها: تكسرت القوافي: وهي تفيد التحطيم، وقوله: أضحت مكشوفة الستر: صورة قوية بها استعارة بالكناية؛ لأنه جعلها كالمرأة التي تبرجت وكشفت سترها، ثم أضاف هذا المعنى للقوافي، فظهرت شائعة بلا ستور،وقوله: فردًّا وهدًّا ما بناه من القعر: صورة بها استعارة بالكناية - كما سبق - بيد أنها هنا أضفت على القصيدة المردود عليها صورة البناء الذي هدم من القعر، أي: من أساسه، ثم عاد إلى المعنى الأصلي،فقال الرد كان بالحجة والبرهان نظماً ونثراً، يقول[1]:

ركيك قوافٍ صاغها فتكسرت ... وصاحبها كالعجل مستوجب الكسر

وقفت على نظمٍ لبعض بني العصر ... تضمن أقوالاً بقائلها تزري

تخير حرف الراء عجزاً وإنما ... يعدون حرف الراء عير أولى الشعر

عيوباً كساها زخرف القول خادعاً ... فأضحت بحمد الله مكشوفة الستر

بها شُبَهٌ للجاهلين مضلة ... أكاذيب لا تخفى على كل ذي حجر

تصدى لها حبر الزمان ونجله ... فردًّا وهدًّا ما بناه من القعر

ونجد التشبيه في قوله[2]:

فهبه كمن أغوى الشياطين في الفلا

....

ونجد الشاعر يأتي بصورة تمثيلية في[3]:

(١) الديوان، ص٢٩.

(٢) الديوان، ص٣٠.

(٣) الديوان، ص٣٠.

ومن ينكر الشمس المنيرة في الضحى
إذا لـم يكـن غيم وفـي سـاعة الظهر

وهذا يدل على وضوح هذا الدين.

وفي «المستزادة» نجد استعارة الظبية للمرأة التي بدأ الشاعر بغزلها، وهي استعارة قديمة في الشعر الجاهلي، ونجد - أيضاً- استخدامه للاستفهام الذي يدل عل الحيرة والتعجب، يقول[١]:

يـا ظبيـة البـان، بـل يـا ظبيـة الـدور
هل أنت من نسل حوّا أو من الحور؟

ونجد الشاعر قد جعل الصبح يأخذ بياضه من وجهها، وشعرها الأسود قطعة من الليل، يقول[٢]:

الصبح من وجهك الأسنى الصبيح بدا
والشـعر داج بظلمـاء وديجـور

ونرى الشاعر يعبر عن هوان الذين هجاهم في القصيدة بقوله[٣]:

فمـن هجاهـم بأفـك غيـر ضائرهـم
لا ترهب الأسد نبح الكلب في الدور

ونلاحظ في قصيدة «شرف العلم وفضله» استخدام الشاعر إرشادات ونصائح بصيغة الأمر، يقول[٤]:

ومـن بعـد إقـراء السـلام فقـل لـه: على العلم فاحرص، واجتهد في اقتنائه
وأنفـق جميـع العمـر في غـرس كرمه لعلـك تحظـى باجتنـاء جنائـه

(١) الديوان، ص٣٠.

(٢) الديوان، ص٣١.

(٣) الديوان، ص٣٢.

(٤) الديوان، ص٣٧.

ونرى التشبيه في قصيدة «الأخذ بالحديث الشريف» في قوله[١]:

وكـن راغباً فـي الوحي لا عنـه راغبا ... كخابـط ليـل تائـه فـي دجائـه
وهل يوقـد الناس المصابيـح للضيا ... إذا مـا أتـى رأد الضحـى بضيائـه

والشاعر مازال على طبعه في مقطعة «النصيحة للمسلمين»، وقصيدة «ذم الدنيا»، وفي قصيدة «رثاء العلم» نجد استخدام الشاعر للاستفهام الذي يفيد النفي والإنكار، يقول:[٢]:

فليـس بمبقـي العلـم كثـرة كتبـه
فمـاذا تفيـد الكتـب إن فُقـد الفهم؟

وفي الأبيات الثلاثة التالية بيان لجهل طلاب العلم، وهي صورة بالاستفهام تارة، وبالخبر تارة أخرى، يقول[٣]:

إذا قيـل: مـاذا أوجـب اللـه يـا فتى؟ ... أجاب: بـلا أدري، وأنَّى لـَي العلمُ؟
وأقبـح مـن ذا لـو أجـاب سـؤاله ... بجهـل، فـإن الجهـل مـورده وخـم
أيرضى بـأن الجهل من بعض وصفه ... ولـو قيل: يا ذا الجهـل، فارقه الحلم

ونرى استخدام الشاعر صورة استعارية في قوله[٤]:

فللـه كـم تفتـض مـن بكـر حكمـة
وكـم درة تحظـو بهـا وصفهـا اليتـم

وأما قصيدة «غربة الدين» فإن الشاعر بطبعه تكلف، وقد أخذ شعره طبيعة الشعر العمودي، يقول الشاعر[٥]:

---

(١) الديوان، ص٤٠.
(٢) الديوان، ص٤٠.
(٣) الديوان، ص٤١.
(٤) الديوان، ص٤١.
(٥) الديوان، ص٤١.

واغربة الدين ! فأعجب من تغرّبه ... عند المصدق فضلاً عن مكذّبهَ
ألا ترى الجهل بين الخافقين فشا ... والعلم أغرب من عنقاء مُغْرِبهِ؟
أعلامه دُرست في كل ناحية ... والبوم يصدح في أعلى مخرّبهِ

ولو أننا تتبعنا قصائد الديوان جميعها لوجدنا مظاهر الطبع تأخذ حظها من الشعر عنده، وأما الصنعة البديعية التي نراها مبثوثة، فإنها تأتي على الطبع، ونستطيع أن نتبين ذلك في الشواهد الآتية:

١ - في قصيدة الحث على الأخذ بالحديث الشريف جاء قوله:

سلامي على أهل الحديث فإنهم ... مصابيح علم، بل نجوم سمائه
بهم يهتدي من يقتدي بعلومهم ... ويرقي بهم ذو الداء علة دائه
ويحيى بهم من مات بالجهل قلبه ... فهم كالحيا تحيا البقاع بمائه
لهم حلل قد زينتهم من الهدى ... إذا ما تردَّى ذو الرّدَى بردائه

فبين قوله: «يحيى ومات» طباق، وقوله: «كالحيا وتحيا» جناس ناقص، وكذا: «تردى والردى» جناس ناقص أيضاً.

الاقتباس كما في قول الشاعر في قصيدة: «رثاء العلم»[1]:

وما قبضه إلا بموت وُعاته ... فقبضهمُ قبض له، وبهمْ ينمو

فهذا مقتبس من قول النبي ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضّلوا»[2]، وهناك مواضع كثيرة للاقتباس في الديوان، وقد تم عرضها في باب الألفاظ والتراكيب.

---

(١) الديوان، ص٤٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم برقم ١٠٠.

ثانياً: مظاهر الصنعة:

أ- التكرار:

كما في قوله(١):

فهـو تعالـى: الواحـد الفـرد الأحـد
ليـس لـه نـد ولا كفـو أحـد

فقد أكد ابن مشرّف على «الواحدية والوحدانية» بتكرار «الواحد، الفرد، الأحد».

وكرر عبارة «ومن نفى صفاته أُصلي سقر»، وهو رد على طائفة تنفي صفات الله، يقول (٢):

مـن شـبه اللـه بخلقـه كفـر
ومـن نفـى صفاتـه أُصلـي سـقر

وفي قوله: «إذا ما تردى ذو الردى بردائه» تكرار لأحرف في كلمات متوالية، وهذا يفيد الجناس تارة، ولكن توالي الأحرف معيب، يقول(٣):

لهـم حلـل قـد زينتهـم مـن الهـدى
إذا مـا تـردى ذو الـردى بردائـه

وفي قصيدة «مدح النبي ﷺ» نجد تكرار كلمة «هم» وهو المسند إليه؛ لإفادة المدح الكامل لهم في هذا المقام، يقول(٤):

فهـم الشـجعان إن جـاء الضيـا   **وهـم الرهبـان مهمـا جـن جنـح**
وهـم القـوم إذا مـا عبسـت   **واكفهـرت أوجـه للحـرب كلـح**

---

(١) الديوان، ص١١.
(٢) الديوان، ص١٢.
(٣) الديوان، ص٣٧.
(٤) الديوان، ص٥٠.

ويقول: [١].

فهم الأنصار للدين لهم أبدا في نصرة الإسلام كدح

ب- حسن التخلص:

وهو الانتقال من معنى إلى آخر مع إيجاد مناسبة بينهما، ولو كانت من باب الادعاء، وخصوصاً إذا كان الانتقال من الحديث عن المرأة إلى الغرض المقصود، يقول القزويني في «الإيضاح»: «ونعني به الانتقال مما شبب به – وصف جمال المرأة.. – الكلام من تشبيب أو غيره إلى المقصود مع مراعاة الملاءمة بينهما»[٢]، ويظهر ذلك في «المستزادة» حيث بدأ ابن مشرّف القصيدة بالغزل، وهذه عادة عربية في القصائد، واستمر في غزل هذه المرأة إلى قوله: «لا عيب فيها»؛ وهذا تصريح بأنها تكاملت، سوى أنها تؤرقنا بخلف الوعد، وهذا من الزور، ولذا رد عليه خيالها: إن كنت كاذبة فعليك أوزار ابن منصور، يقول[٣]:

لا عيب فيها سوى إخلاف موعدها أو أنها لم تجد يوماً بميسور
كم واعدت بمزار غير موفية والخلف للوعد معدود من الزور
فقلت وجداً بها: إن كنت كاذبة عليك آثام عثمان بن منصور

وبدأ بعد هذا الانتقال الجميل إلى الغرض الأصلي، وهو: «الرد على ابن منصور»، وهجاه بالأبيات التالية التي تبعها بأبيات في مدح الشيخ عبدالرحمن، يقول[٤]:

---

(١) الديوان، ص٥٠.
(٢) شرح خفاجي ٤/ ١٥٣.
(٣) الديوان، ص٣١.
(٤) الديوان، ص٣١.

غـدا يهاجـي إلـى التوحيـد مشـتغلاً ... بمـدح قـوم خبيـث فعلهـم بـور
قـد خالفـوا السـنة الغـراء وابتدعـوا ... والشـرك جـاؤوا بحـظ منـه موفـور
لم يسـلكوا منهـج التوحيد بـل فتنوا ... بـكل ذي جـدث فـي اللحـد مقبـور
هـذا يطـوف، وهـذا فـي تقرّبـه ... يأتـي إليـه بمنحـور ومنـذور
وذا بـه مسـتغيث فـي شـدائده ... يرجـو الإجابـة فـي تيسـير معسـور
فاحكـم بتكفير شـخص لا يكفرهم ... فالحـق شـمس، وهـذا غيـر معذور
واقذف جنود ابن جرجيس وشـيعته ... بـكل هجـو بمنظـوم ومنثـور

وفي قصيدة في مدح الإمام «فيصل»، شكا فيها ابن مشرّف إلى الله وحده عز وجل صروف الزمان حيث العلماء في هوان، والجاهلون في كرم، والزمان، كذلك، وتسير الأبيات من بداية القصيدة على هذا النسق من «الشكوى» من مرارة الأيام، وشدائد الزمان، وبعد ذلك نرى تخلصاً جميلاً، فشدائد الزمان، في حاجة إلى مصلح، فكان الإمام «فيصل» هو الألمعي الكريم الأصل المقصود في الحوائج، يقول(١):

وسـاءلت: هل في دهرنا من مساعد ... على جبر مطلوب وإسـعاف طالب؟
فلـم أر إلا الألمعـي أخـا النـدى ... إمـام الهـدى نسـل الكـرام الأطايب
كريـم المسـاعي فيصـل مـن يراعـه ... على طرسـه يحكي هتون السحائب

وفي القصيدة التي حث فيها ابن مشرّف الإمام فيصلاً على قتال الأعراب المفسدين، قد بدأها بالنسيب على عادة الشعراء، فقدم في تسعة أبيات صورة لهذه الحسناء التي قطعت زيارته يقظة، فلما رآها في المنام سحراً عاتبها على هذه القطيعة، ولكنها اعتذرت بأن البلاد متباعدة، وقطاع الطريق مفسدون، وهذا يكفى عذراً لمثلي، ثم ينتقل انتقالاً –حسن التخلص– إلى وصف هؤلاء الأعراب المفسدين في الأرض وصورتهم عند الشاعر واضحة، يقول(٢):

(١) الديوان، ص٤٥.
(٢) الديوان، ص٤٧.

أنـا فـي رُبـا نجـد وأنـت ببلـدة ... أحاطـت بها الأعداء مـن كل جانب
يُغيـرون فـي أطرافهـا وسـروحها ... جهاراً ولا يخشـون سـوطاً لضارب
فكـم قعـدوا للمسـلمين بمرصـد ... وكـم أفسـدوا فـي سُـبلها بالنهائـب

ج- الجناس:

ونلاحظ ذلك في قصيدة «قبة عين نجم بعد هدمها» في قوله[1]:

يـا أيهـا العيـن كـم تبكيك مـن عين ... هـذا بذنـب جـرى أم نظـرة العيـن؟

فنجد جناساً تاماً بين «العين»، و«عين»، فالأولى لعين نجم، والثانية للإنسان.

٦- رد الأعجاز على الصدور:

ونجد ذلك في أغلب قصائده في العقيدة، فنلاحظ ذلك في قصيدة «هجاء عين نجم»، يقول في بداية قصيدته[2]:

ألا فاتـركا عينـا تضـاف إلـى نجـم ... فقبتهـا بالهـدم أولـى وبالرجـم

ثم يختم قصيدته بالصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه، ولا ينسى أن يرد العجز على الصدر، فيقول[3]:

............مـا قـال قائـل ... ألا فاتـركا عينـا تضـاف إلـى نجـم

ونرى ذلك أيضاً في قصيدة «رثاء العلم»، فيقول في مطلعها[4]:

---

(١) الديوان، ص٣٥.
(٢) الديوان، ص٣٤.
(٣) الديوان، ص٣٥.
(٤) الديوان، ص٤٠.

على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم
ولـم يبـق فينـا منـه روح ولا جسـم

ثم يختم القصيدة بالصلاة والتسليم على خير المرسلين، وآله وصحبه والتابعين، ويعود إلى البداية ليرد الأعجاز على الصدور فيقول[١]:

............مـا قـال قـائـل
علـى العلم نبكي إذ قد اندرس العلم

وأما اعتماد ابن مشرّف على مظاهر الطبع فها هوذا سبيله في جميع قصائده، وخصوصاً:

١- التشبيهات:

ومثال ذلك قوله[٢]:

ثـم تصـيـر وردة كالدهـن
والمهـل والجبـال مثـل العهـنِ

فقد استعمل ابن مشرّف في التشبيه «مثل» وهي أداة تشبيه اسمية، تدل على قوة الشبه بين الطرفين أكثر من الحروف «الكاف، وكأن»، أما الكاف في قوله «كالمطر «فتدل على تشبيه في أول درجاته، والمعنى: تصوير يوم القيامة على قدر ما فهم الشاعر من صورتها في القرآن والسنة، فقد انشقت السماء ودارت، واجتمع القمر والشمس، في صورة متغايرة، وصارت السماء وردة كالدهان، والجبال كالعهن «الصوف».

ونجد التشبيه أيضاً عندما تحدث عن «الإيمان بالحوض»، يقول[٣]:

---

(١) الديوان، ص٤٣.
(٢) الديوان، ص١٥.
(٣) الديوان، ص٢٢، ٢٣.

وإن للمصطفى حوضاً مسافته ... ما بين صنعا وبصرى هكذا ذُكرا
أحلى من العسل الصافي مذاقته ... وأن كيزانه مثل النجوم ترى

ففي البيت الأول تمثيل صوّر فيه مسافة حوض المصطفى ﷺ كالمسافة بين «صنعاء» و «بصرى»، ووجه الشبه: الاتساع التام ليشمل كل مسلم يشرب من هذا الحوض تكريماً ورحمة، وأما ماؤه فأحلى من العسل، وكيزانه أكثر من نجوم السماء.

ونجد التشبيه في قوله[1]:

فهبه كمن أغوى الشياطين في الفلا ... فأصبح حيرانا بمهمهة قفر

وهذا التشبيه أخذه من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[2].

٢- المجازات «الاستعارة، المجاز المرسل»:

فنجد الاستعارة في قوله[3]:

عيوباً كساها زخرف القول خادعاً ... فأضحت بحمد الله مكشوفة الستر

ففيه صورة قوية بها استعارة بالكناية،لأنه جعلها كالمرأة التي تبرجت وكشفت سترها، ثم أضاف هذا المعنى إلى القوافي فظهرت شائعة بلا ستور.

ونجد – أيضاً – الاستعارة في قوله[4]:

(١) سورة الأنعام، الآية ٧١.
(٢) الديوان، ص٣٧.
(٣) الديوان، ص٢٩.
(٤) الديوان، ص٢٩.

تصدى لها حبر الزمان ونجله
فردًّا وهدًّا ما بناه من القعر

ففيه استعارة بالكناية - كما سبق - بيد أنها أضفت على القصيدة المردود عليها صورة البناء الذي هدم من القعر، أي: من أساسه.

وفي قصيدة «المستزادة» نجد ابن مشرّف يبدأ بالغزل، يقول [(١)]:

يا ظبية البان، بل يا ظبية الدور
هل أنت من نسل حوا أو من الحور؟

فقد استعار الشاعر الظبية لهذه المرأة، وهي استعارة قديمة في الشعر العربي.

ونجد الاستعارة في قوله[(٢)]:

أتتك من «الأحساء» ترفل في الحلى
وتختال في برد الشباب وتعجب

ونلاحظ فيه صورة استعارية، حيث صورها عروساً ليلة الزفاف.

ونجد الاستعارة في قوله[(٣)]:

إليه أتى الوفاد من كل وجهة
يؤمون ذا مجد كثيرٍ المواهب

استعارة مكنية جميلة حيث صوّر همة الإمام «فيصل» بصورة من يصعد فوق النجوم «تخييلاً». وتتبع الاستعارة السابقة استعارة أخرى في نهاية القصيدة، يقول

أتتك تجر الذيل في رونق الضحى
ولم تخش من واشٍ بها أو مراقب

---

(١) الديوان، ص٣١.

(٢) الديوان، ص٣٤.

(٣) الديوان، ص٤٦.

٣- الاستفهام بألوانه المختلفة:

فنجد الاستفهام الإنكاري في قوله [١]:

فيا ليت شعري هل تجاهل أو غوى
فشتان ما بين الهداية والكفر

ونجد استفهاماً يدل على الحيرة، والانبهار، والتعجب في مطلع القصيدة التي استزادها ابن مشرّف، يقول[٢]:

يا ظبية البان، بل يا ظبية الدور
هل أنت من نسل حوّا أو من الحور؟

واستعمل ابن مشرّف الاستفهام بـ (هل) في أربعة أبيات يفيد «الإنكار والتوبيخ مع التعجب»، وجاء بالمعاني مع (هل) متوالية متناسبة، يقول:

وهل سن هذا المصطفى في زمانه ... أو الخلفا أو بعض من كان يصحب؟[٣]
وهل سنة من كان للصحب تابعاً ... إذا قام للتأذين يوماً يثوب ؟
وهل قاله النعمان ؟ أو قال مالك ... به ؟ أورواه الشافعي وأشهب؟
وهل قاله سفيان ؟ أو كان أحمد ... إليه إذا نادى المؤذن يذهب؟

واستعمل الاستفهام الإنكاري التقريري في قوله[٣]:

وهل ماؤها إلا حميم لحره
يذيب الذي في الكليتين من الشحم

وعندما تحدث ابن مشرّف عن (عين نجم) بعد هدمها استخدم الاستفهام الذي يفيد الاستخفاف والتحقير، يقول[٤]:

---

(١) الديوان، ص٣٠.
(٢) الديوان، ص٣١.
(٣) الديوان، ص٣٤.
(٤) الديوان، ص٣٥.

ألـم تكونـي لأربـاب الفسـوق ومن
أراد لهـواً ولعبـاً قـرة العيـن؟

واستخدم في نهاية هذه القصيدة الاستفهام الذي يفيد النفي والإنكار في قوله[١]:

فقـال: كـم قبـة للشـرك قـد هدمت بسـيفنا فـي عمـان والعراقَيْـن؟!
فكيـف نرضـى بهـا تبنـى مشـيدة في أرضنـا وهي ما بين الخميسَـيْنِ؟

وفي قصيدة «الأخذ بالحديث الشريف وتقديمه على الآراء» استخدم الشاعر الاستفهام في البيتين الثالث والرابع الذي يفيد الإنكار والنفي، يقول[٢]:

فهـل مَعْ وجـود البحـر يكفـي تيمم لمـن ليـس معـذوراً لـدى فقهائـه؟
وهل يوقـد الناس المصابيـح للضيا إذا مـا أتـى رأد الضحـى بضيائـه؟

وفي نهاية القصيدة نفسها نجده يستخدم الاستفهام بصورة متعددة، وذلك للتقريع والنفي، يقول[٣]:

فسـله: أقـول اللـه: مـاذا أجبتـم؟ لمـن هـو يـوم الحشـر عنـد ندائـه
أيسـألهم: مـاذا أجبتـم ملوككـم؟ ومـا عظـم الإنسـان مـن رؤسـائه
أم اللـه يـوم الحشـر يمتحـن الورى بمـاذا أجابـوا الرسـل مـن أنبيائـه
وهل يسـأل الإنسـان عن غيـر أحمد إذا مـا ثـوى فـي الرمس تحـت ثرائه
وهـل قولـه: يـا رب قلـدت غيـره لـدى اللـه عـذر يـوم فصـل قضائـه

وفي قصيدة «رثاء العلم» استخدم الاستفهام في قوله» فهل يهتدي.. فماذا تفيد الكتب..؟ الذي يفيد النفي والإنكار، يقول[٤]:

(١) الديوان، ص٣٦.
(٢) الديوان، ص٣٧.
(٣) الديوان، ص٣٨.
(٤) الديوان، ص٤٠.

فهل يهتدى إلا بنجم سمائه
إذا ما بدا من أفقه ذلك النجمَ؟

ويقول[١]:

فليس بمبقي العلم كثرة كتبه
فماذا تفيد الكتب إن فُقد الفهم؟

وفي قصيدة «حث الإمام فيصل على قتال الأعراب المفسدين» استخدم أسلوب الاستفهام مع استخدام الحرف «أم» مرتين،وأفاد ذلك التعجب والحيرة، ويقول[٢]:

فيا ليت شعري هل سراة حماتها
نيام ؟، فهم ما بين لاهٍ ولاعب

أم الحد منهم كَلَّ ؟ أم زندهم كبا؟
أم القوم غرُّوا بالأماني الكواذب

٤- الكناية:

استخدم الشاعر الكناية عندما مدح الإمام فيصل سنة ١٢٨١هـ في قصيدته، فعبر بقوله: «نيطت عليه تمائمه» كناية عن صغر سنة حيث يقول:[٣]:

تخلق بالصفح الجميل وبالندى
وبالحلم مذ نيطت عليه تمائمه

ومن الكنايات قوله[٤]:

كتاب حبيب حالف الجود كفَّه
وها هو في نوع المروءة فائز

(١) الديوان، ص٤٠.

(٢) الديوان، ص٤٧.

(٣) الديوان، ص٩٥.

(٤) الديوان، ص٣١.

٥- ألوان أخرى من المعاني:

ومن المعاني التي استخدمها حسن الختام، كما هو في أغلب قصائده، وذلك بالدعاء، ثم الصلاة والسلام على خير الأنام وصحبه الكرام، ولنأخذ مثالاً على ذلك، فقد ختم قصيدته «المستزادة» بقوله[(١)]:

وهاك نظماً بديعاً فائقاً حسناً — والحمد لله حمداً غير محصور
ثم الصلاة وتسليم الإله على — من قد وعى فضله موسى على الطور
محمد خير مبعوث وشيعته — وصحبه الغر حتى النفخ في الصور

واستخدم النصح والإرشاد كما في قصيدة «هجاء عين نجم»، ففي ختام القصيدة وجه النصيحة بصورة الأمر، حيث قال[(٢)]:

فجانب هداك الله كل وسيلة
تؤول إلى سوء وتُفضي إلى إثم

واستخدم التقديم كما في قصيدة «شرف العلم وفضله»، يقول[(٣)]:

سلام يفوق المسكَ عرفُ شذائه
ويفضح لونَ الصبحِ نورُ ضيائه

حيث قدم المفعول به «المسك»و «لون الصبح» للاهتمام، والتوكيد، وفي قوله[(٤)]:

ومن بعد إقراء السلام فقل له:
على العلم فاحرص، واجتهد في اقتنائه

قدم «المتعلق» الجار والمجرور وهو «على العلم» ليفيد القصر، فالحرص على غير العلم لا فائدة منه، ولا يكون كالحرص على العلم، وفي قوله[(٥)]:

---

(١) الديوان، ص٣٢.
(٢) الديوان، ص٣٥.
(٣) الديوان، ص٣٦.
(٤) الديوان، ص٣٦.
(٥) الديوان، ص٣٦.

فلله فانصح بالدعاء لدينه
وطاعته مع خوفه ورجائه

فقدم الشاعر «فلله» على الفعل «فانصح» لإفادة القصر.

وفي قصيدة «رثاء العلم»، يقول[١]:

على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم
ولم يبق فينا منه روح ولا جسم

حيث قدم «الجار والمجرور» لإفادة التوكيد لما للعلم من أهمية عظمى في حياة الأمة.

واستخدم أسلوب القصر في قصيدة «ذم الدنيا» في قوله[٢]:

ومن يك جمع المال مبلغ علمه
فما قلبه إلا مريض بدائه

وهو قصر الموصوف على الصفة «القلب على المرض بداء الدنيا».

ونجد أسلوب القصر أيضاً في قوله[٣]:

فلا دين إلا بالقتال قوامه
ولا أمن إلا بعد سل القواضب

واستخدم أسلوب الشرط، حيث ختم قصيدة «شرف العلم وفضله» به، يقول[٤]:

ومن يتبع رايات سنة أحمد
يكن يوم حشر الناس تحت لوائه

(١) الديوان، ص٤٠.
(٢) الديوان، ص٣٩.
(٣) الديوان، ص٤٧.
(٤) الديوان، ص٣٧.

واستخدام أسلوب الشرط -أيضا- في مقطوعة «النصيحة للمسلمين»، يقول[١]:

فـإن يهـد مولانـا بوعظـك واحـداً
تنـل منـه يـوم الحشـر خيـر عطائـه

واستخدم أسلوب الأمر، فنجد في مقطوعة «النصيحة للمسلمين «يستخدم أوامر إرشادية، يقول [٢]:

وكـن ناصحـاً للمسـلمين جميعهم ... بإرشـادهم للحـق عنـد خفائـه
ومرهـم بمعـروف الشـريعة وانههم ... عن السـوء وازجر ذا الخنا عن خنائه
وعظهـم بآيـات الإلـه بحكمـة ... لعلـك تبـري داءهـم بدوائـه

واستخدم الأمر في قصيدة «رثاء العلم»، يقول: [٣].

فجـد وأد الجهـد فيـه فإنـه
لصاحبـه فخـر وذخـر بـه الغنـمُ

وقد خرجت الأوامر السابقة للإرشاد والنصح لطلاب العلم.

ونجد الأمر أيضاً للإرشاد والتوجيه في قوله[٤]:

فقم واسـتعن بالله وانهض إلى العلا
فكسـب الثنا والأجر خير المكاسب

واستخدم الأمر للحث في عدة أبيات في قصيدة يحث فيها الإمام «فيصل» على قتال الأعراب، يقول[٥]:

وشـن على الأعـراب غـارات محنق ... وأنهلهـم صـاب الـردى بالمصائـب

---

(١) الديوان، ص٣٨.
(٢) الديوان، ص٤٠.
(٣) الديوان، ص٤٠.
(٤) الديوان، ص٤٧.
(٥) الديوان، ص٤٨.

ومـزق جماعـات الضـلال وحزبـه ... بريح سموم من لظى الحرب حاصبِ
وجـر عليهـم جحفـلاً بعـد جحفـل ... وضاقـت عليهـم أرضهـم بالمقانبِ

واستخدم أسلوب النهي في القصيدة نفسها، والذي أفاد الإرشاد في قوله[١]:

ولا تـرض إلا مقعـد العـز مقعـداً ... علـى ظهـر مهـر للعنـان مجـاذبِ
ولا تسـتطب ظلاً سـوى ظل قسطل ... وظـل القنـا الخَطّـيّ بيـن الكتائـبِ

وبعد هذا العرض يمكن أن نقرر الحكم الذي وصلنا إليه، وهو أن الشاعر مطبوع، وتأتي صنعته بطريق العفوية والطبيعة الشاعرة، وهذا البديع الذي لا تصنع فيه هو البليغ، كما هو معروف عند أهل الفن.

٤-الصورة الشعرية:

القصيدة الأولى «جوهرة التوحيد» نظم لا شعر؛ لأن النظم في العلوم، والشعر للشعور والأحاسيس؛ وذلك أن العلماء يحاولون بهذا «النظم» ضبط القواعد، والتمثيل عليها بصورة هي أدعى للحفظ،ولذا جعل ابن مشرّف كل شطرين على حرف واحد، يقول[٢]:

إيماننـا قـول وقصـد وعمـل ... إن وافـق الشـرع بـه نيـل الأمـل
والزيـد والنقصـان للإيمـان ... يعـرض بالطاعـة والعصيـان
اعـلـم بـأن الديـن مبنـي علـى ... خمس دعائـم كمـا قـد نقـلا
وهـي الشـهادتان والصـلاة ... والحـج والصيـام والزكـاةِ
فشـرحـه عقيـدة الجنـان ... والنطـق والخـدمـة بالأركـان

وكذلك القصيدة الثانية نظم مثل الأولى، يقول[٣]:

---

(١) الديوان، ص٩، ١٠.
(٢) الديوان، ص٩، ١٠.
(٣) الديوان، ص١٩.

فهـــذه جوهـــرة التوحيـــد تمّتْ بقـول موجـز مفيـد
فالحمـــد لله الـذي ســهلها وإننـي أرجـوه أن يقبلـها
وكونهـــا خالصـــة لوجهـه موجبـة رضـوانه مَعْ عفـوه
ثـم الصلاة والسلام السرمدي على الرسول المجتبى محمـد
وآلـــه وصحـــبه الكـــرام وتابعيهـــم إلى القيـــام

وأما القصيدة الثالثة «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية» ففيها صورة الشاعر الذي يقوم بالرد على الجهمية والمعطلة من خلال مشاعره القائمة على فكر صحيح ومعتقدٍ صافٍ، يقول(١):

نفيتم صفـات اللـه، فالله أكمـل وسبحانه عمـا يقـول المعطلُ
زعمتـم بـأن اللـه ليـس بمستوِ على عرشـه، والاستوا ليس يجهل
وقد جاء في الأخبار في غير موضع بلفظ «استوى» لا غير يا متأوّل
فقـد جـاء فـي إثباتـه عـن نبينا من الخبـر المأثـور ما ليس يشكل
فصـرح أن اللـه جـلّ جلالـه علـى عرشـه منـه الملائك تنـزل
يخافونـه مـن فوقهـم. وعروجهـم إليـه. وهـذا فـي الكتـاب مفصّـل

وفي القصيدتين الرابعة والخامسة «الرد على ابن منصور»، وما بعدها لاحقة لها، فهو شعر قوي متماسك يدور حول فكرة واحدة هي «الرد والدفاع» من خلال كلام الشيخ ابن عبدالوهاب، يقول(٢):

جـزى اللـه عنا شـيخنا فـي صنيعه فكـم قد شـفى بالـرد والسـد للثغر
إذا مبطـل أجرى من الجهل جدولا أتـاه بتيـار مـن العلـم كالبحـر
فجلى ظلام الجهل والشك والعمى بنور هدى يجلـو الغياهب كالفجر
لئن كان أهل العلم كالشهب في السما فعالمنـا بيـن الكواكـب كالبـدر
فمـا لابن منصـور رأى هجـو قومه صوابـاً فـأزرى بالقريـب وبالصهر

(١) الديوان، ص٢٤.
(٢) الديوان، ص٢٩.

ولما استزاده ألحق بها ثانية بنفس القوة، والقافية فيهما واحدة، يقول[١]:

وقل: جزى الله شيخ المسلمين بما ... أبدى، فجلَّى ظلام الشرك بالنور
بالعلم بصر قوماً قد عموا فهدوا ... وأنقذ الله منهم كل مغرور
ليس العيون التي للحق مبصرة ... كالأعين العُمي أو كالأعين العُور
أدلة جامع التوحيد أودعها ... من كل نص قرانيٍّ ومأثور
لا يستطيع لها دفعاً مخاصمة ... ولا يحرفها تأويل ذي زور
غزا بها عصباً للشرك قد نصروا ... فأصبحوا بين مقتول ومأسور

وعندما نمعن في قصيدة: «عين نجم» و «قبتها بعد هدمها» وقصيدة: «شرف العلم وفضله» وقصيدة: «الأخذ بالحديث الشريف وتقديمه على كل الآراء» نجد الصورة واحدة:

يقصد إلى المعنى المنشود «كالهجاء» في الأوليين، والإرشاد والحث في الأخريين.

يقوم بالدوران حول الفكرة حتى ينتهي منها إلى تمام الغاية التي في نفسه.

ويعرض في قصيدة «هجاء «عين نجم» قضية ذهاب الناس إلى «عين نجم» وهذا الذهاب على ظن الاستشفاء بهذه العين، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك: ماؤها حميم يجلب الأسقام، ومن اعتقد أن فيه الشفاء فقد اعتقد اعتقاد المشركين، يقول[٢]:

ومن يعتقد فيه الشفا لم يزل على ... شفا جرف الإشراك جهلا بلا علم
وإن ظنها تشفي العليل بسرها ... فهذا اعتقاد المشركين بلا وهم
وإن قال من باب التداوي فلم يصب ... فما هي كالحمام في الضبط والحكم
فحسبك ما قال الخليل،وإنه ... لمن خيرة الرسل الكرام أولي العزمِ

(١) الديوان، ص٣١.

(٢) الديوان، ص٣٥.

وفي قصيدة «شرف العلم وفضله» يؤكد الشاعر أهمية العلم والتمسك به، يقول(١):

فكن تالياً آي الكتاب مداوياً ... بها كل داء فهي أرجى دوائه
فمنه ينابيع العلوم تفجرت ... وما فاض من علم فمن عذب مائه

وفي قصيدة «الأخذ بالحديث وتقديمه على الآراء» نجد الشاعر يشير ويصرح بتقديم كلام رسول الله ﷺ، ويمدح أهل الحديث، يقول(٢):

سلامي على أهل الحديث فإنهم ... مصابيح علم، بل نجوم سمائه
بهم يهتدي من يقتدي بعلومهم ... ويرقي بهم ذو الداء علة دائه
ويحيى بهم من مات بالجهل قلبه ... فهم كالحيا تحيا البقاع بمائه
لهم حلل قد زينتهم من الهدى ... إذ ما تردى ذو الردى بردائه

وأما قصيدة «ذم الدنيا» وقبلها مقطعة «النصيحة للمسلمين» فإنها بدأت بالإرشاد، يقول(٣):

وكن ناصحاً للمسلمين جميعهم ... بإرشادهم للحق عند خفائه
ومرهم بمعروف الشريعة وانههم ... عن السوء وازجر ذا الخنا عن خنائه
وعظم بآيات الإله بحكمة ... لعلك تبري داءهم بدوائه

وبدأت قصيدة «ذم الدنيا» بقوله(٤):

وإياك والدنيا الدنية إنها ... هي السحر في تخييله وافترائه
متاع غرور لا يدوم سرورها ... وأضغاث حلم خادع ببهائه
فمن أكرمت يوماً أهانت له غدا ... ومن أضحكت قد آذنت ببكائه

والصورة الشعرية لقصيدة «رثاء العلم» كالتالي:

---

(١) الديوان، ص٣٦، ٣٧.
(٢) الديوان، ص٣٧.
(٣) الديوان، ص٣٨.
(٤) الديوان، ص٣٨.

تبدأ بالبكاء على العلم الذي دُرس.

تتفرع أفكارها على هذا المعنى.

الختام بالصلاة والسلام على خير الأنام.

فنجده يقول في مطلع القصيدة(١):

على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم ... ولم يبق فينا منه روح ولا جسمُ

ولكن بقي رسم من العلم دارس ... وعما قليل سوف ينطمس الرسم

فآن لعين أن تسيل دموعها ... وآن لقلب أن يصدعه الهم

وبعد هذه المقدمة ينصح طلاب العلم، ويبين جهلهم به، ثم يمدح العلم، ويبين شرفه في تسعة أبيات.ويعقد مقارنة بين أهل العلم، وذوي الملك، وكذا عقد مقارنة بين مجلسين: مجلس العلم، ومجلس أهل الدنيا، وأثنى على الأول، وهجا الثاني، وعرض الشاعر بعد ذلك لقضايا أخرى ثم عرضها في بداية ديوانه، يقول(٢):

فكن طالباً للعلم حق طلابه ... مدى العمر لا يوهنك عن ذلك السأم

وهاجر له في الأرض حتى ولو نأت ... عليك فإعمال المطي له حتم

وأنفق جميع العمر فيه فمن يمت ... له طالباً نال الشهادة لا هضم

فإن نلته فليهنك العلم إنه ... هو الغاية العلياء واللذة الجسم

ونجده يقول في نهاية القصيدة(٣):

وصلّ إله العالمين مسلماً ... على من به للأنبياء جرى الختم

كذا الآل والأصحاب ما قال قائل ... على العلم نبكي إذ قد اندرس العلمُ

وبالجملة فالصورة عند القدماء تقوم على الفنون البلاغية، كما تقدم في مظاهر الطبع.أما عند المحدثين: فهي «الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ

---

(١) الديوان، ص٤٠.

(٢) الديوان، ص٤١.

(٣) الديوان، ص٤٤.

والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة؛ مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتراكيب والإيقاع، والحقيقة والمجاز، والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس، وغيرها من وسائل التعبير».

وعلى هذا يمكن أن تتضح الصورة الشعرية بالنظر إلى العرض السابق للطبع والصنعة.

٥- الأوزان والقوافي:

أولاً: الوزن:

اقتصر الشاعر أحمد بن مشرّف في نظم قصائده على ستة أبحر فقط من البحور الستة عشر..وهذه الأبحر هي: الطويل، والبسيط، والرجز، والكامل والوافر، والرمل.

فنجد شاعرنا قد أكثر في نظم قصائده على بحر الطويل، حيث نظم عليه (٣٢) قصيدة من (٦٦) قصيدة – الجزء الخاص بالدراسة[1]. أي أنه استخدم بحر الطويل بما يعادل (٤ ,٤٨٪)، ونجد بحر البسيط يأتي في المرتبة الثانية، فنظم عليه ابن مشرّف (١٥) قصيدة بنسبة (٧ ,٢٢٪)، ويأتي بحر الرجز في المرتبة الثالثة، فقد نظم عليه (١٠) قصائد بما يعادل (١ ,١٥٪)، ثم يأتي بحر الكامل في المرتبة الرابعة، فقد نظم عليه ابن مشرّف (٤) قصائد بما يعادل (٦٪)، ويأتي بحر الوافر في المرتبة الخامسة، فقد نظم عليه (٣) قصائد بما يعادل(٥ ,٤٪) من قصائده، ثم يأتي بحر الرمل في المرتبة الأخيرة فقد نظم عليه ابن مشرّف قصيدة واحدة هي قصيدته في مدح الرسول ﷺ بما يعادل (٥ ,١٪) من قصائده.

---

(١) نقصد مجموع القصائد ما عدا القصائد الخاصة بالإخوانيات.

أما بالنسبة إلى عدد الأبيات، فإن هذه النسبة العالية التي حظي بها بحر الطويل تزيد حتى تصل إلى (١ , ٥٢٪) فعدد أبيات هذا البحر التي قالها شاعرنا (١٠٥٩) بيتاً تقريباً، وهو أمر طبيعي، فمعظم قصائده في شعر الدفاع عن الدعوة والرد على مخالفي التوحيد، وكذلك قصائد مدح الإمام «فيصل».أما عدد أبيات بحر البسيط في الديوان فهي ما يقرب من (٤٠٨) أبيات بما يعادل (١ , ٢٠٪)، ويبلغ عدد أبيات بحر الرجز – في الجزء الخاص بالدراسة – (٣١٣) بيتاً، وهو ما يعادل (٤ , ١٥٪)، وعدد أبيات بحر الكامل (١٠٥) أبيات تقريباً بما يعادل (١ , ٥٪)، ثم يأتي بحر الوافر بعدد(٨٥) بيتاً، وذلك بما يعادل (١ , ٤٪) تقريباً، وأخيراً يأتي بحر الرمل بعدد (٦٠) بيتاً بما يعادل (٩ , ٢٪).

الأوزان:

١- بحر الطويل:

يعد بحر الطويل أكثر البحور حظوة عند ابن مشرّف، فقد استخدمه اثنتين وثلاثين مرة، ولعل هذا يأتي امتداداً لاهتمام القدامى وعنايتهم بهذا البحر؛ وذلك بإكثارهم من النظم عليه، فليس «بين بحور الشعر ما يضارع بحر الطويل في نسبة شيوعه، فقد جاء ما يقارب من ثلثي الشعر العربي القديم من هذا الوزن»[1].

ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى إكثاره من النظم على هذا البحر أن عدداً كبيراً من قصائده نظمت للدفاع عن العقيدة الإسلامية، وفي مدح الإمام «فيصل» الذي جعله ابن مشرّف الإمام العادل الذي يصلح المجتمع.

وفي هذا البحر يكثر حذف الحرف الخامس الساكن من التفعيلتين الأولى والثالثة من صدر البيت وعجزه، فأصبحت «فعولن» «فعول» وهو

(١) موسيقا الشعر، د. إبراهيم أنيس، ص٩٦.

نوع من أنواع الزحاف يسمى «القبض»، أما العروض فكما هي القاعدة في هذا البحر «لم تستعمل إلا مقبوضة»[(١)].

فنرى القصيدة الثالثة - مثلاً - من بحر «الطويل» وبناؤه على «فعولن مفاعلين، فعولن مفاعلن»، يقول الشاعر في قصيدة «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية»[(٢)]:

نفيتم صفات الله، فالله أكمل
وسبحانه عما يقول المعطِّلُ

٢- بحر البسيط:

ويأتي في المرتبة الثانية بعد بحر الطويل، فقد استخدمه ثماني عشرة مرة، فنرى القصيدة الثانية من بحر «البسيط» وبناؤه على «مستفعلن فاعلن» مرتين في كل شطر، ويكثر في هذا المجال دخول الزخاف وهو حذف ثواني الأسباب الساكنة من التفعيلة الأولى من صدر البيت ومن عجزه، وهو ما يسمى «الخبن» فتصبح «فاعلن» «فعلن»، ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة «قبة عين نجم بعد هدمها»[(٣)]:

يا أيها العين كم تبكيك من عين
هذا بذنب جرى أم نظرة العين؟

٣- بحر الكامل[(٤)]:

وهو من البحور الشعرية التي استخدمها شاعرنا في ثلاث قصائد ويكثر في بحر الكامل تسكين الحرف المتحرك الثاني، وهو ما يسمى «الإضمار».

---

(١) الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، ص٢٢.

(٢) الديوان، ص٢٤.

(٣) الديوان، ص٣٥.

(٤) انظر: قصائد هذا البحر - مثلاً - في الديوان، ص٧٠، ٨٣، ٩٨، ١٠٢.

حيث تصبح «مُتَفاعِلن» «مَتْفاعِلن» فتنقل إلى «مستفعلن». «ولهذا يحق لنا أن نعد المقياس «مستفعلن» مقياساً للبحر الكامل مثله مثل متفاعلن سواء بسواء؛ إذ نسبة شيوع «مستفعلن» في وزن بحر الكامل لا تقل عن نسبة شيوع «متفاعلن» «إن لم تزد عليها»(١)، ويكثر في هذا البحر - أيضاً - حذف الحرف الساكن الثاني الذي كان في الأصل متحركاً فسكن حيث كان «متفاعلن» ثم سكن فأصبح «متْفاعلن» فنقل إلى «مستفعلن» ثم حذف الساكن الثاني فأصبح «مُتَفْعِلُنْ» فنقل إلى «مفاعلن». ويسمى «موقوصاً»(٢)، ومثال هذا البحر قول الشاعر في قصيدة في مدح الإمام فيصل(٣):

قـل للمليحـة فـي القميـص الأحمر
مـاذا فعلـت بعابـد مسـتبصر؟

٤- بحر الوافر:

كذلك استخدم عند شاعرنا في ثلاث قصائد، ويكثر في بحر الوافر تسكين الحرف الخامس المتحرك، وهو نوع من أنواع الزحاف، يسمى «العَصْب»، وبه تصبح «مُفاعَلَتُنْ» «مُفاعَلْتُنْ». فتنقل إلى «مفاعيلن» أما العروض والضرب فلم ترد إلا على هيأة واحده فقط، كما هي القاعدة في هذا البحر «فعولن»، ومثال ذلك البحر قول الشاعر في قصيدة «في مدح الإمام فيصل»:

علـى الوالـي المهـذب خيـر والٍ
إمـام المسـلمين أخـي المعـالي

٥- بحر الرجز:

وقد استخدمه ابن مشرّف عشر مرات، ويبنى هذا البحر على «مستفعلن ست مرات في البيت الواحد «مع تغير القوافي؛ لأنه نظم، كما نرى، في المتون

(١) موسيقا الشعر، إبراهيم أنيس، ص٧٤.

(٢) الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، ص٦٤.

(٣) الديوان، ص٧٠.

العلمية، وقد استخدمه ابن مشرّف في القصيدة الأولى «جوهرة التوحيد»، وفي قصيدة «تاريخ بناء جامع الهفوف»، وفي قصيدة في «الإمام يحرضه»، وكذلك في قصيدة «المخاصمة مع الكوتي»

ولنأخذ مثالاً على هذا البحر من القصيدة الأولى، يقول[1]:

إيماننا قول وقصد وعمل — إن وافق الشرع به نيل الأمل
والزيد والنقصان للإيمان — يعرض بالطاعة والعصيان
اعلم بأن الدين مبني على — خمس دعائم كما قد نُقلا

٦- بحر الرمل:

وقد نظم عليه ابن مشرّف قصيدة واحدة في مدح «الرسول ﷺ» وبناء هذا البحر على «فاعلاتن» ست مرات، كل شطر ثلاث مرات، ومثال ذلك قول الشاعر[2]:

بات ساهي الطرف والشوق يلح — ولبحر الدمع من عينيه سفح

استخدام الحروف روياً:

استخدم الشاعر أحمد بن مشرّف ما يقرب من نصف الحروف الأبجدية روياً في شعره موضوع الدراسة[3]، دون القصيدة الأولى «جوهرة التوحيد»، والقصيدة الأخيرة «في مخاصمته مع الحاكم الكوتي» فهما من بحر الرجز الذي يتغير فيهما الروي، وقد بلغت هذه الحروف اثني عشر حرفاً، وهي الراء في (١٦) قصيدة، عدة أبياتها (٤٢٨) بيتاً، واللام في (٧) قصائد، عدة أبياتها (٢٨٨) بيتاً، والميم في (٩) قصائد، عدة أبياتها (٣٢٩) بيتاً، والدال في (٧) قصائد، عدة أبياتها (٢٩٨) بيتاً، وحرف الباء في (٤) قصائد، عدة

(١) الديوان، ص٩، ١٠.
(٢) الديوان، ص٤٩.
(٣) القصائد التي تنتهي بحرف روي واحد.

أبياتها (١٦٣) بيتاً، وحرف الفاء في (٤) قصائد عدة أبياتها (١٤٢) بيتاً، وحرف الهمزة في (٣) قصائد، ومقطوعة، وعدة أبياتها (٨٠) بيتاً، وحرف الحاء في قصيدة واحدة وعدد أبياتها (٦٠) بيتاً، وحرف الزاي في قصيدة واحدة، وعدد أبياتها (٣٨) بيتاً، وحرف النون في قصيدتين، وعدد أبياتها (٣٣) بيتاً، وحرف الهاء في قصيدة واحدة، وعدد أبياتها (٣٠) بيتاً، وحرف العين في قصيدة واحدة وعدد أبياتها (٢٠) بيتاً، وحرف القاف في قصيدة واحدة وعدد أبياتها (١٨) بيتاً..

إذاً يتبين أن أكثر الحروف التي استخدمها روياً في شعره هو حرف الراء، ثم اللام، ثم الميم، ثم الدال، ثم الباء، ثم الفاء، ثم الهمزة، ثم الهاء، ثم الحاء، ثم الزاي، ثم النون، ثم الهاء، ثم العين، ثم القاف، وهي كما رأينا تتقارب من حيث عدد القصائد والأبيات.

استخدام الحروف روياً بحسب الأوزان:

أما بالنسبة لاستخدام هذه الحروف روياً بحسب الأوزان في موضوع الدراسة(١)، دون القصيدة الأولى «جوهرة التوحيد»، والقصيدة الأخيرة «في مخاصمته مع الحاكم الكوتي «فهما من بحر الرجز الذي يتغير فيه الروي، فقد استخدم ثمانية حروف للطويل، وهي الدال في (٧) قصائد، والراء في (٦) قصائد، والميم في (٥) قصائد، والفاء والعين والزاي كل في قصيدة واحدة، وفي البسيط استخدم خمسة حروف، وهي الراء في (٨) قصائد، والفاء في (٣) قصائد، والنون في قصيدتين، واللام في قصيدتين، والباء في قصيدة واحدة، وفي الكامل استخدام أربعة حروف، وهي الراء، والقاف، والميم، والهاء، وكل حرف له قصيدة، وللوافر استخدم حرفين هما الميم في قصيدتين، وحرف اللام في قصيدة واحدة، وللرجز استخدم حرفين، هما الراء في قصيدة، والميم في قصيدة، وللرمل حرف واحد في قصيدة واحدة.

---

(١) القصائد التي تنتهي بحرف روي واحد.

ثانياً: القوافي:

جاءت القافية:

مختلفة في البدء والختام؛لأن نظم العلوم وشعر الإخوانيات يتحمل هذا الاتساع، وقد عرفت الفنون في نظم العلوم من هذا النمط، وهو مقبول عند العلماء، ويكون من البحر الواسع «الرجز» الذي يكون تاماً ومجزوءاً ومشطوراً ومنهوكاً ؛ وذلك لكثرة تداوله واستعماله.

- بروي واحد كالشعر العربي القديم، وما جاراه في الأزمان المتوالية إلى يومنا هذا هو الأصل الذي يكون به الشاعر شاعراً أصيلاً، وهذا في أغلب قصائده.

ويلاحظ أن بعض الأبيات تحتاج إلى ضبط، وربما تقدم فيها لفظ على آخر أو احتاج إلى تعديل، ويبدو هذا في النادر، ولعله من آثار الطباعة، وخطأ القائم على المراجعة، ونسيانه، والكمال لله وحده.

القوافي من حيث التأسيس والوصل والخروج:

أما من حيث التأسيس[١] والوصل[٢] والخروج[٣] والردف[٤] فقد وردت (١٢) قصيدة، منها (٤) قصائد موصولة، و(١٦) قصيدة موصولة، منها(٤)

---

(١) التأسيس: ألف بينها وبين الروي حرف يكون بعدها وقبله يسمى الدخيل .

(٢) الوصل: حرف يكون بعد الروي متصل به، ويكون أحد أربعة أحرف «الواو، والألف، والياء، والهاء» وقد تكون الهاء في الوصل أربعة حالات «ضم وفتح وكسر وسكون»، ولا يكون بعدها إلا ساكناً.

(٣) الخروج: حرف متولد من هاء الصلة المتحركة، فإن كانت حركتها ضمة كان الخروج واواً وإن كانت فتحة كان الخروج ألفاً، وإن كانت كسرة كان الخروج ياءً.

(٤) الردف: هو خروج حرف العلة الواقع قبل الروي من غير فاصل بينهما وقد يكون ألفاً أو واواً أو ياءً.

قصائد مؤسسة، وقصيدة مردفة، و(٨) قصائد مردفة، منها قصيدة موصولة وأخيراً قصيدة خارجة.

عيوب القافية:

بطبيعة الحال لم يسلم شعر أحمد بن مشرّف من بعض عيوب الشعر التي لايكاد - أو كما يقول خليل أبو ذياب - «لم يسلم منها شاعر ولم يخل منها شعر في عصر من العصور»[١]، وفي مقدمة العيوب في شعره «الإيطاء» وهو «اتفاق القوافي في اللفظ والمعنى، ولا خلاف في كون هذا عيباً إذا تقارب، فإن تباعد سهل مثل أن يأتي بعد سبعة أبيات فأكثر»[٢]، وكان الخفاجي قد سبق بالإشارة إلى هذه النقطة، بقوله: أما «إذا بُعد ما بين القافيتين المتكررتين في القصيد كان أصلح، وإن كان الإيطاء عيباً على كل حال»[٣]، ويقول الخليل بن أحمد - واضع هذا العلم -: «يتحقق الإيطاء بتكرار الكلمة ولو بلفظها فقط»[٤]، ففي قصيدة رثاء العلم كرر الشاعر كلمة «فدم» مرتين في القافية قبل ثلاثة أبيات، يقول[٥]:

كفى شـرفاً للعلم دعـوى الورى له	جميعاً وينفى الجهل من قبحه الفدمُ
فلسـت بمحـص فضلـه إن ذكرتـه	فقد كَلَّ عـن إحصائه النثـر والنظمُ
فيـا رافـع الدنيـا علـى العلـم غفلة	حكمت فلم تنصف ولم يصب الحكمُ
أترفـع دنيـا لا تسـاوي بأسـرها	جناح بعوض عند ذي العرش، يا فدمُ

(١) النابغة الجعدي، حياته وشعره، ص٤٧٤.

(٢) كتاب الكافي في علم القوافي لأبي بكر محمد الشنتريني، ص١٠١.

(٣) سر الفصاحة، ص١٨٥، ولمزيد من الإيضاح يحسن الرجوع إلى العمدة لابن رشيق ج١، ص٣١٩-٣٢٢، وانظر: أيضاً القافية د. أحمد كشك، ص١٠٨ - ١١٠.

(٤) أهدى سبيل إلى علمي الخليل، مصطفى السقا، ط١٣، وصبيح وأولاده، ص١٣٢.

(٥) الديوان، ص٤١.

الضرورات الشعرية:

الضرورة الشعرية هي: «كل ما يلجأ إليه الشاعر لإقامة الوزن من مخالفة قواعد اللغة العربية ضمن حدود معينة»[1]. ونجد ابن مشرّف يلجأ أحياناً إلى الضرورات الشعرية، ومن ذلك قصر الممدود، ومن الأسماء الممدودة التي قصرها الشاعر (السماء، الأحساء، الوفاء، يشاء..) ومن شواهد قصره للمدود قوله[2]:

حين دعاهم إليه المصطفى
مع علمهم بالسبق منه والوفا

وقوله[3]:

والشرك لا يغفره الله حشا
وغير يغفره لمن يشا

خصائص عامة:

- استخدم ابن مشرّف البحور التامة الطويلة الرصينة كالطويل والكامل والبسيط، وإذا استثنينا ما له من قصائد في القصص والنصائح قصيرة البحور.
- استخدم ابن مشرّف الشعر في نظم المتون فجاء شعره علمياً ليس له من الشعر إلا هذا الإطار من الوزن والقافية.
- افتتح ابن مشرّف ما يقرب من (١٥) قصيدة بالتصريع، والتصريع في أوائل القصائد من الأمور المستحسنة كما يشير إلى ذلك الخفاجي بقوله: «والذي أراه أن التصريع يحسن في أول القصيدة ليميز بين

(١) فن التقطيع الصوتي والقافية، د. صفا خلوصي، ص٤٢٦.
(٢) الديوان، ص١٦.
(٣) الديوان، ص١٥.

الابتداء وغيره، ويفهم قبل تمام البيت روي القصيدة وقافيتها»[١]، ثم استشهد بقول أبي تمام:

وإنما يروقك بيت الشعر حين يصرع

واستدل ابن رشيق على فضل التصريع؛ لكون كثير من الفحول «جعلوا التصريع في مهمات القصائد وما يتأهبون له من الشعر[٢].

* إن استخدام ابن مشرّف حروفاً معينة روياً في شعره بكثرة كالراء والميم واللام والدال والباء والنون - كما مر من قبل - وخلو رويه من حروف معينة كالذال والغين والشين والطاء والضاد والظاء والصاد والخاء والجيم يأتي موافقاً لبعض الإحصائيات[٣] التي قسمت الحروف باعتبار مجيئها روياً من حيث الكثرة أو القلة أو الوسيطة أو الندرة، حيث لا يعزو إبراهيم أنيس «كثرة الشيوع أو قلتها إلى ثقل في الأصوات أو خفة بقدر ما تعزى إلى نسبة ورودها في أواخر كلمات اللغة فالدال -مثلاً- تجيء في أواخر كلمات اللغة العربية بكثرة»[٤]، ويرى آخر «أن ندرة الأصوات ترجع في المقام الأول إلى ندرة ما ورد منها في استعمال العرب، وحوشية ما وجد، وفي المقام الثاني إلى صعوبة عضوية حققتها هذه الأصوات في صيغ اللغة، وبخاصة إذا كان الاعتماد عليها نهاية إيقاع يحتاج إلى ضغط؛ لأننا وقتها سوف نجمع بين جهدين، جهد الصوت الآتي قافية، وجهد النبر أو الضغط على المقطع الأخير»[٥].

---

(١) سر الفصاحة، ص١٨١.

(٢) العمدة، ج١، ص٣٢٩.

(٣) مثل الإحصائيات التي قام بها د. إبراهيم أنيس في موسيقا الشعر، ص٢٧٥-٢٧٦، والإحصائية التي قام بها د. عبدالرحمن في كتابه: «العروض والقافية» ثم موافقة أحمد كشك في كتابه «القافية» لهما في إحصائيات، ص٦٦، معتمداً على عدد من الدواوين الشعرية.

(٤) موسيقا الشعر، ص٢٧٦.

(٥) القافية، أحمد كشك، ص٧١.

* وبعد هذا العرض يمكن من خلال الجدول التالي معرفة القصيدة وصفحتها في الديوان وعدد أبياتها وبحرها ورويها:

م	عنوان القصيدة	الصفحة	عدد أبياتها	البحر	الروي
١	قال الشيخ الجليل	٩	١٢	الرجز	يتغير حرف الروي لأنه نظم كما في المتون العلمية
٢	باب في الإيمان	٩	١٥	الرجز	
٣	باب في التوحيد	١٠	١٤٣	الرجز	
٤	فصل في واجب التوحيد	١٦	١٩	الرجز	
٥	فصل في أنواع الشرك	١٧	٢٣	الرجز	
٦	فصل في شروط الإيمان	١٨	١٣	الرجز	
٧	فصل في بيان أن نصر الله واجب	١٩	٨	الرجز	
٨	أصل التوحيد «عقيدة ابن أبي زيد في رسالته»	١٩	٦	البسيط	حرف الراء الذي يتبعه ألف الإطلاق
٩	باب ما تعتقده القلوب	٢٠	٢٣	البسيط	
١٠	الإيمان بالقضاء والقدر	٢١	٨	البسيط	
١١	عذاب القبر وفتنته	٢١	٧	البسيط	
١٢	البعث	٢٢	٢٠	البسيط	
١٣	الإيمان بالحوض	٢٢	٢٧	البسيط	
١٤	الشهب المرمية	٢٤	٣٨	الطويل	
١٥	اعتقاد السلف	٢٦	٥١	الطويل	حرف اللام
١٦	الإيمان بالقدر	٢٨	٢١	الطويل	
١٧	الرد على عثمان بن منصور	٢٩	٣٥	الطويل	حرف الراء
١٨	تم استزاده الشيخ	٣١	٢٧	البسيط	حرف الراء
١٩	الرد على من يفعل التذكير	٣٢	٦٠	الطويل	حرف الباء
٢٠	هجاء عين نجم	٣٤	١٨	الطويل	حرف الميم

م	عنوان القصيدة	الصفحة	عدد أبياتها	البحر	الروي
٢١	هدم قبة عين نجم	٣٥	١٦	البسيط	حرف النون
٢٢	شرف العلم وفضله	٣٦	٢٠	الطويل	حرف الهمزة
٢٣	الأخذ بالحديث الشريف	٣٧	٢٥	الطويل	حرف الهمزة
٢٤	النصيحة للمسلمين	٣٨	٥	الطويل	حرف الهمزة
٢٥	ذم الدنيا	٣٨	٣٠	الطويل	حرف الهمزة
٢٦	وقال: مصدراً معجزاً	٤٠	٨	البسيط	الهمزة
٢٧	رثاء العلم	٤٠	٩٤	الطويل	حرف الميم
٢٨	غربة الدين	٤٤	٢٣	البسيط	حرف الباء
٢٩	في الإمام فيصل بن تركي	٤٥	٣٠	الطويل	حرف الباء
٣٠	في الإمام فيصل بن تركي	٤٦	٥٠	الطويل	حرف الباء
٣١	في مدح النبي ﷺ	٤٩	٦٠	الرمل	حرف الحاء
٣٢	إجابة ابن مشرّف لابن سند	٥١	٣٧	الطويل	حرف الدال
٣٣	في الإمام فيصل بن تركي	٥٣	٣٩	الطويل	حرف الدال بعد ألف الإطلاق
٣٤	في الإمام فيصل بن تركي	٥٥	٣٨	الطويل	حرف الدال بعده ألف الإطلاق
٣٥	في الإمام فيصل بن تركي	٥٦	٢٧	الطويل	حرف الدال بعد ألف الإطلاق
٣٦	قصيدة القاضي الحفظي	٥٨	٧٢	الطويل	حرف الدال
٣٧	رد ابن مشرّف	٦٠	٦٧	الطويل	حرف الدال
٣٨	في الإمام فيصل	٦٣	١٨	الطويل	حرف الدال
٣٩	في الإمام فيصل	٦٤	٣٨	البسيط	حرف الراء
٤٠	في تهنئة الإمام فيصل بن تركي	٦٦	٣٩	الطويل	حرف الراء

الروي	البحر	عدد أبياتها	الصفحة	عنوان القصيدة	م
حرف الراء	الطويل	٤٩	٦٧	تهنئة الإمام فيصل بالنصر	٤١
حرف الراء	الكامل	٣٩	٧٠	في الإمام «مادحاً»	٤٢
حرف الراء	الطويل	٧١	٧١	في الإمام «مادحاً»	٤٣
حرف الراء	الطويل	٢٠	٧٢	مدح الأمير أحمد السديري	٤٤
حرف الراء	الرجز	٧	٧٣	تاريخ بناء جامع الهفوف	٤٥
حرف الراء	الطويل	١٢	٧٣	جوانب كتاب	٤٦
حرف الزاي	الطويل	٣٨	٧٤	السلام على الأمير وجوابه	٤٧
حرف العين	الطويل	٢٠	٧٦	في الإمام «مادحاً»	٤٨
حرف الفاء بعد ألف بعده ألف الإطلاق	البسيط	٣٣	٧٧	مدائح الرسول والخلفاء	٤٩
حرف الفاء بعد ألف الإطلاق	البسيط	٤٨	٧٨	في بني أمية وبني العباس	٥٠
حرف الفاء	الطويل	٣٤	٨١	تحريض الإمام ومدحه	٥١
حرف الفاء	البسيط	٢٧	٨٢	في الإمام «مادحاً»	٥٢
حرف الفاء	الكامل	١٨	٨٣	للإمام وتشطيرها	٥٣
حرف القاف	البسيط	٤٤	٨٤	في الإمام «مادحاً»	٥٤
حرف اللام بعده ألف الإطلاق	البسيط	٥٩	٨٦	في الإمام «مادحا»	٥٥
حرف اللام	الوافر	٣٣	٨٨	في الإمام «مادحا»	٥٦
حرف اللام	الطويل	٤٢	٩٠	في الإمام «بعد وفاته»	٥٧
حرف الميم بعده ألف الإطلاق	الوافر	٣٢	٩٢	في الإمام «مادحا»	٥٨

م	عنوان القصيدة	الصفحة	عدد أبياتها	البحر	الروي
٥٩	في الإمام «مادحا»	٩٣	٤٦	الطويل	حرف الميم
٦٠	في الإمام «مادحاً»	٩٥	٣٠	الطويل	حرف الميم
٦١	في الإمام «يحرضه»	٩٦	٤٠	الرجز	حرف الميم
٦٢	رد على من عاب شيخ الإسلام	٩٨	٢٤	الكامل	حرف الميم
٦٣	رثاء الإمام	٩٩	٢٥	الطويل	حرف الميم
٦٤	مدح الإمام والأمير محمد بن أحمد	١٠٠	٢٠	الوافر	حرف الميم
٦٥	في الإمام فيصل	١٠١	١٧	البسيط	حرف النون بعده ألف الإطلاق
٦٦	مدح الإمام وابنه	١٠٢	٣٠	الكامل	حرف الهاء بعد الإطلاق
٦٧	المخاصمة مع الكوتي	١٠٣	٢٨	الرجز	القافية متغيرة

الفصل الخامس

موازنة وتقويم

موازنة موضوعية وفنية بينه وبين سليمان بن سحمان

نبذة من ترجمة الشاعر:

هو الشيخ الإمام الجليل الفاضل النبيل، العالم العلامة سليمان ابن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الفزعي الخثعمي[1]. وقد اختلف في تحديد سنة ميلاده التي راوحت بين أعوام ١٢٦٦هـ و١٢٦٩هـ، فذكر في ديوانه عقود الجواهر، أنه ولد سنة ١٢٦٦هـ[2]. وأورد الدكتور عبدالله الحامد في كتابه: أنه ولد سنة ١٢٦٧هـ[3] أما الزركلي فحددها بسنة ١٢٦٨هـ[4]، وأثبت في قلائد الجمان ميلاده بسنة ١٢٦٩هـ[5]. في قرية «السقا» التابعة لمنطقة أبها جنوب الجزيرة العربية[6]. وتربى على يد أبيه تربية حسنة، فنشأ في عبادة الله في بيت علم وشرف ودين، فقرأ القرآن، وحفظه في مدرسة أبيه، وتعلم مبادئ الكتابة والقراءة وهو لم

---

(١) أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، قلائد الجمان في بيان سيرة آل سحمان، ص١٦ ، وصالح بن سليمان بن سحمان وعبدالرحمن بن عبدالعزيز بن سحمان، مجموع النفايس الشعرية ، ص١ .

(٢) سليمان بن سحمان، عقود الجواهر المنضدة الحسان، ص٧، والبسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ط، ٢٧٩، ومحمد عثمان بن صالح بن عثمان القاضي، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد، ١٢٥ .

(٣) الحامد، الشعر في ظلال دعوة الإمام، ص١٠٧ .

(٤) الزركلي، الإعلام، ج٣، ص١٢٦ .

(٥) قلائد الجمان في بيان سيرة آل سحمان، ص١٧ ، و د. محمد بن سعد بن حسين، من شعراء الإسلام، ص١٢٩ .

(٦) عقود الجواهر المنضدة الحسان، ص٧.

يتجاوز العاشرة من عمره، وانتقل مع أبيه وشقيقه إلى الرياض[١] إبان حكم الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله، فنزل ضيفاً مكرماً على ذلك الإمام، فأكرم وفادته، ونزل تحت كنفه ورعايته، وأوصى بهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وابنه عبداللطيف آل الشيخ[٢]. فانصرف سليمان إلى طلب العلم، ثم تدريسه، ووهب حياته للرد على شبه الملحدين، فأصبح يكتب لشيخه عبداللطيف جميع رسائله وردوده وتحرير فتاواه، فانتفع بذلك، فكان من المقربين إليه، كما تأثر به تأثراً كبيراً في رسائله وردوده[٣]. وفي سنة ١٣٣١هـ كف بصره إلا أن بصيرته مازالت نيرة متوقدة[٤]. فيعد من فحول الشعراء والكتاب في زمانه. كما كان عالماً واسع الاطلاع، وقد وافاه الأجل المحتوم بعد عمر طويل وذلك سنة ١٣٤٩ للهجرة[٥]. وقد ألف هذا العالم أكثر من ثلاثين مؤلفاً في توضيح المعتقد السلفي، والرد على الشبهات. وكل تلك المؤلفات والكتب تتحدث عن المعارك والمطاحنات الفكرية الشائعة آنذاك[٦]. منها: «عيون الرسائل والأجوبة على المسائل» و«الأسنة الحداد في الرد على الحداد»، و«الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية» و «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» و«الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق»، و«الجواب المستطاب على ما أورد المرتاب»[٧]، وغيرها. وله ديوان مطبوع يسمى «عقود الجواهر المنضدة الحسان» طبع للمرة الأولى

---

(١) سليمان بن سحمان حياته وشعره، ص٥٧.

(٢) روضة الناظرين، ص١٢٥، والنفايس الشعرية والغرائب الشهية، ص٣٦.

(٣) سليمان بن سحمان، ص٥٨.

(٤) علماء نجد خلال ستة قرون، ص٢٨١.

(٥) عقود الجواهر، ص١٤، والنفايس الشعرية، ص٤٠.

(٦) المرجع السابق، ص٢٠.

(٧) سليمان بن سحمان حياته وشعره، ص١٣٣، وعلماء نجد خلال ستة قرون، ص٢٨٠، ٢٨١، وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ص١٢٧ .

في الهند في حياته سنة ١٣٣٧ هـ، أما الطبعة الثانية، فهي بمطابع الأهرام بالقاهرة بمصر سنة ١٩٧٧م تحتوي على (١٢٣) قصيدة عدد أبياتها (٨١٥٦) بيتاً[١]. وأشرف على طباعته الشيخ عبدالرحمن الرويشد[٢]. وقد اشتمل ديوانه الذي لم يجمعه هو، ولم يكن شاملاً لكل ما قاله من الأشعار، كل أغراض الشعر المعروفة المتداولة قديماً مثل المديح والاستعطاف والفخر والشكوى والغزل..فهو شاعر مطبوع لم يكن يتكلف الشعر، ولم يكن يحفل به، ومرد ذلك إلى أنه عالم ضليع يكره من أعماق نفسه أن يوصف بالشعر، أو أنه شاعر، وإنما كان الشعر عنده ضرورة ألجأته إليها ظروف القتال والحياة[٣]. ويتميز شعره بأنه من السهل الممتنع اللطيف الذي كان محفوظاً وجارياً على كل الألسنة لسهولته وجزالة لفظه، وظرف معناه، حتى عرف بأنه عالم وشاعر مضارب مقاتل بالكلمات والألفاظ[٤]. فهو يملك موهبة عبقرية تتجلى في قدرته على التلوين والاستيعاب والإحاطة بالموضوع مع الابتعاد عن الإغراق في الخيال. لكن تصويره البديع واختياره اللفظ قد سجلا انطباعاً مقنعاً بقدرة ذلك الناظم على الارتفاع والصعود إلى قمة شعر جزل اللفظ قوي المعنى، ساطع الديباجة فضلاً عن سهولة اللفظ، وطول النفس، وكفاءة فوق مستوى الجودة في التلوين والاستيعاب في نواحي القول، مع الوضوح وقوة البناء[٥].

---

(١) سليمان بن سحمان، ص١٢٤.

(٢) هو الشيخ عبدالرحمن بن سليمان الرويشد من مواليد مدينة الرياض سنة ١٣٤٧هـ. حفظ القرآن الكريم، ثم تلمذ للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم التحق بدار التوحيد بالطائف، ثم عاد إلى الرياض، والتحق بالمعهد العلمي بعد افتتاحه. حصل على شهادة كليتي اللغة العربية والشريعة سنة ١٣٧٧هـ، وعمل في عدة وظائف تعليمية وإدارية. أسس مجلة «الشبل» سنة ١٤٠٣هـ، وهو شاعر وكاتب، له عدة مؤلفات.

(٣) عقود الجواهر المنذدة الحسان، ص٢١.

(٤) المرجع السابق، ص٢٠.

(٥) المرجع السابق، ص١٥.

فهو واحد من أبرز الشعراء العلماء والفقهاء الذين حفل بهم تاريخ الإسلام، رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته.

فإذا أجرينا موازنة بين كل من الشاعرين أحمد بن مشرّف وسليمان بن سحمان من خلال النظر في ديوان كل منهما نلاحظ أن هناك مواطن التقاء ومواطن اختلاف بينهما، ويرى ابن الأثير «أن الموازنة بين الشاعرين، وتفضيل أحدهما على صاحبه تكون أكثر اتضاحاً، وأشد بياناً، إذا توارد الاثنان منهما على مقصد من المقاصد، يشتمل على عدة معان، كتوارد البحتري والمتنبي على وصف الأسد مثلاً؛ لأن ذلك يظهر مقدرة الشاعر على الغوص على المعاني، والتفنن في إيرادها، وحسن تنسيقها، وهذا بين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد، يصوغه هذا في بيت من الشعر أو بيتين، ويصوغه الآخر في مثل ذلك، فإن طول القصيدة يظهر ما عند الرجلين من مقدرة[1].

ويقول ابن رشيق: «وأكثر نقاد العرب من الموازنات بين الشعراء، فوازنوا بين القدماء بعامة، وبين المحدثين بعامة أيضاً، ففضل بعضهم الأقدمين تفضيلاً مطلقاً على المحدثين، لا يرى الفضل لغير السابقين من الشعراء. أما المتأخرون فما كان من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم، ليس النمط واحداً، ترى قطعة ديباج، وقطعة مسح، وقطعة نطع. بينما يرى آخرون أن المتأخر من الشعراء في الزمان لا يضره تأخره إذا أجاد، كما لا ينفع المتقدم تقدمه إذا قصر، وإن كان له فضل السبق فعليه درك التقصير، كما أن للمتأخر فضل الإجادة أو الزيادة[2]. وأعلن ابن قتيبة أنه ينظر بعين الإنصاف إلى الفريقين، إذ يقول: «لم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت إلى

(١) ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، ج٣، ص٣٢٨، واظر «أسس النقد الأدبي، ص٥٤٦».

(٢) العمدة، ج٢، ص٥٧، وانظر أسس النقد، ص٥٤٦، ٥٤٧.

المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين، وأعطيت كلا حقه، ووفرت عليه حظه، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف، لتقدم قائله، ويضعه موضع متخيره، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، ورأى قائله. ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده، وجعل كل قديم منهم حديثاً في عصره[١]. ففي بداية المطاف نتحدث عن:

أ- أوجه الاتفاق والالتقاء بينهما، وهي:

١- بناء القصيدة:

اتفق كلا الشاعرين في بناء القصيدة مثل الموضوعات الدينية، فهي مقسمة ثلاث شرائح، **وأولى هذه الشرائح:**

تتمثل في أغراض الشعر «براعة الاستهلال بالغزل» الذي يقع في مفتتح القصائد إذا كان الجو المخيم عليه هو الجو نفسه المخيم على القصيدة الأصلية. والواقع أن الشاعر الذي يسيطر عليه غرض خاص، يخيم عليه جو يناسب هذا الغرض، وحينئذ يكون الغزل الذي في مفتتح القصيدة مسيطراً عليه هذا الجو، فيكون الغزل مزحاً إن كانت القصيدة مزحة، وحزيناً إن كانت حزينة، ومفتخراً إن كانت فخراً، ومعاتباً إن كانت عتاباً، ومخاصماً إن كانت القصيد خصاماً[٢]. فهذه المطالع القديمة تستأثر بشعر القدامى، فسار كلا الشاعرين على نهجهم، فهي في معظمها مقدمات تتحدث عن عاطفة الحب،ونعرض كيف تفنن الشاعران في عرض هذه الصور حيث ذكرا أوصاف الحب المختلفة، وجسَّدا ذكريات الهوى في شعرهما وما تثيره هذه

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٧، وانظر أسس النقد، ص٥٤٧.

(٢) أسس النقد الأدبي، ص٣٠٧.

الذكريات من الحنين والألم والحزن، كما وصفا حالهما في نأي الحبيب وما ينتابهما من الشوق والصبابة والهيام، ومثول طيف الحبيبة ودوام الانشغال بذكرها، والنزعة إلى لقائها، والحنين إلى زيارة أرضها، والبكاء لفراقها، والاستخبار عنها، ومن ذلك قول ابن مشرّف[1]:

بشير سعاد جاء نحوك فاسعد ... وقد وعدت وصلاً فأوفت بموعد
لقد عرفت وقت المزار فأقبلت ... إليك وقد نامت عيون لِحُسَّدِ
فجاءت تجر الذيل خشية قائف ... لمعرفة الآثار بالحدس يهتدي
يؤرج ترب الأرض عرف عبيرها ... وتهدي لسمع الصب وسواس عسجد
أتتك سحيراً والنجوم كأنها ... دراري تُرى في قبة من زبرجد
فلما حوتها عرصة الدار سلمت ... سلام حبيب زائر ذي تودد
فقرَّ بنيل الوصل عيناً وطالما ... تبيت لذكراها بليلة أرمد

ويقول ابن سحمان[2]:

قلب المحب من الهجران مكلوم ... ودمعه من فراق الصحب مسجوم
وصبره عيل فاعتلت جوارحه ... كأنه من جواء البين محموم
يشكو العباد ولن يشفيه من أحد ... إلا أمون تُسلي الهمَّ علْكوم
تغرى الهجير إذا ما احتثها فرقا ... كأنها كوكب بالجو مرجوم
أو كالمهات أحست ركض مقتنص ... يسعى بغضف لهن الصيد معسوم
أقول للراكب المزُجي لمائرة ... كأنها مطاوح بالآل مزموم
يا أيها الراكب المزجى مطيته ... يطوي المطاوح بالأخطار مهموم
بالله عرج على الأحباب إن عرضت ... بك المقادير واستحثك الكوم
وبلغنها على شط النوى قلقا ... من شائق وامق بالبين مغموم
قد باح بالهجر مكنوناً يكاتمه ... فصبره بعد هذا البين معدوم

(١) ديوان، ابن مشرّف، ص٦٠، ٦١.
(٢) ديوان، ابن سحمان، ص٤٨٦.

والله مامرَّ يوم بعد فرقتكم ... إلا وفي القلب من ذكراه يحموم
يبيت يرعى نجوم الليل من وله ... وذاك عند جميع الناس معلوم
ياليت شعري على الهجران أوجب لي ... وفيم حبل اتصال الود مصروم

كما يرسم الشاعران بريشتيهما أجمل الخطوط التي توضح أوصاف محبوبتهما حيث يتلألأ فمها بالدر، وتفوح رائحته بالمسك، أما في مشيتها فهي متمايلة ناعمة لينة، وهي طويلة ممشوقة خميصة البطن، دقيقة الخصر، وفي وجهها الحسن المنير كأنه البدر، فنستشهد على ذلك بقول شاعرنا ابن مشرّف[1]:

فتاة يريك الصبح غرة وجهها ... ويبدو الدجى من شعرها المتجعد
ويعجب غصن البان إن هبت الصبا ... له سحراً من قدها المتميد
يريك ابتساماً لامع البرق ثغرها ... ويسفر عن شهد ودر منضد
وقد جمعت كل المحاسن جملة ... فلم يستطع تفصيلها من معدد
وفاقت جمالاً كل هيفاء،كاعب ... إذا ما مشت ما بين غِيْدٍ وخُرَّدِ

ويعرض ابن سحمان صورة لفم محبوبته فهي صورة بصرية وذوقية وسمعية حيث يقول[2]:

فتاة تحلت بالمحاسن كلها ... وقد برئت من كل سوء وباطل
لها مقلة نجلاء يسليك دَلُّها ... بنغمتها تُسبي بها كل فاضل
ووجه كضوء البدر في الحسن والبها ... وفرع كديجور من الليل حافل
وثغر يضيء البرق عند ابتسامه ... نضيد الثنايا من أقاح الخمائل
إذا ذقتة قلت المدامة شابها ... من الصيب المشمول صافي المناهل

فغزلهما عفيفُ لا يبين عن شيء من شهوات الجسد الضاربة التي تقتحم قصائد الآخرين[3].

---

(١) ديوان، ابن مشرّف، ص٦١.
(٢) ديوان، ابن سحمان، ص٤٤.
(٣) سليمان بن سحمان، حياته وشعره، ص٥١٢.

أما الشريحة الثانية فهي اتفاقهما في بدء عدد قليل من قصائدهما بالحمد والشكر، لله والثناء الحسن الجميل عليه سبحان وتعالى، ثم الصلاة والسلام على النبي العربي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين[١]. يقول ابن مشرّف[٢]:

لـك الحمـد ياللهـم يـا خيـر ناصـر ... لديـن الهـدى مـا لاح نجـم لناظـر
ومـا انفلق الإصباح مـن مطلع الضيا ... فجـلَّ وجلَّـى حالـكات الدياجـر
لك الحمد ما هب النسـيم من الصبا ... ومـا انهل ودقُ المعصـرات المواطر
على الفتح والنصر العزيز الذي سما ... فقـرّت بـه منـا جميـع النواظـر
وإظهـار ديـن قـد وعـدت ظهـوره ... علـى الدين طُـرّاً في جميـع الجزائر
وعـدت فأنجـزت الوعود ولـم تزل ... معـزاً لأربـاب التقـى والبصائـر
لـك الحمـد مولانا على نصـر حزبنا ... علـى كل بـاغ فـي البـلاد وفاجـر

وسار ابن سحمان على المنوال نفسه، إذ يقول[٣]:

الحمـد للـه حمـداً دائمـاً وكفـى ... حمـداً كثيراً فكـم أعطى وكـم لطفا
ثـم الصـلاة علـى المعصـوم سـيدنا ... أوفـى البريـة بـل أزكاهـمُ شـرفا
والآل والصحـب ثـم التابعيـن لهـم ... والتابعيـن علـى منهـاج مـن سـلفا

أما ختام قصائدهما فيتفقان على ختمهما بالصلاة والسلام على النبي ﷺ، وهي ظاهرة أغرم بها الشعراء حتى لا يكادون يتركونها، فقد التزم الشاعر أحمد بن مشرّف هذه النهاية التي قفل بها جميع قصائده، بينما هناك عدد من قصائد الشاعر ابن سحمان لم تختم بهذه الخاتمة[٤]. ولكنهم لا يكتفون بالصلاة الواحدة فأحيانا يستكثرون ويعدونها بعدد ما ناح من الحمام، وما

(١) سليمان بن سحمان: حياته وشعره، ص٥١٢.
(٢) الديوان، ص٦٧، ٦٨.
(٣) الديوان، ص١٣٠.
(٤) سليمان بن سحمان حياته وشعره، ص٥١٢.

طلع من النجوم وأفل، وما هطل من السحاب، وعدد طلوع شمس النهار[١]. كما قال ابن مشرّف[٢]:

ثم الصلاة على الهادي وعترته ... ورحمة تشمل الأصحاب والآلا
ما لاح برق وما غنى الحمام وما ... سح الغمام بجود الودق فانهالا

وقوله[٣]:

ثم الصلاة على خير البرية ما ... هبّ النسيم قضيب البان فانعطفا
وآله الغرّ والصحب الكرام ومن ... تلا سبيلهم من بعدهم وقفا

ويقول ابن سحمان[٤]:

وصلّ إلهي كلما آض بارق ... وما انهطلت جون الغمائم بالمطر
على المصطفى والآل والصحب كلما ... تلألأ نور الحق في الخلق وانتشرْ

وقوله[٥]:

وأزكى صلاة يبهر المسك عرفها ... على السيد المعصوم تترى مدى الأمل
وأصحابه والآل والتابعينهم ... ومن كان يقفوهم على صالح العمل
بعدَّ وميض البرق والرمل والحصى ... وما ناء في الآفاق نجم وما أفل
وما طلعت شمس وما هب ناسم ... وما انهل ودق المدجنات وما انهمل

وكما ذكرنا آنفاً أن كثيراً من الشعراء التزموا هذه الخاتمة في كل قصيدة، كما في شعر ابن مشرّف – سبق الحديث عنه – وابن عثيمين، حتى يستطيع الباحث إدراك تمام قصائد الشاعرين من نقصها بتتبع الصلاة على المصطفى ﷺ[٦].

---

(١) الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، ص٣٦٤.
(٢) الديوان، ص٨٦.
(٣) الديوان، ص٨٦.
(٤) الديوان، ص١١٨.
(٥) الديوان، ص٢١٨.
(٦) الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، ص٣٦٥.

أما الشريحة الثالثة: فتتناول الغرض مباشرة سواء بالدفاع أم بالمدح أم بالرثاء، وغيرها من الأغراض[1]. فحين يصدر الشاعر قصائده بالغرض مباشرة، فهذا يدل على الاهتمام بالجد ومجابهة الهزل، فكلا الشاعرين عاشا أغلب مدد حياتهما في صراع عنيف لا يهدأ في مكان إلا ليثور في مكان آخر، فنلمس القوة في التعبير، ورسوخاً في الألفاظ، حيث يتدفق الشعر من أعماق نفسيهما، فيحكي ما يختلج فيهما من مشاعر، وما يضطرب من أحاسيس وانفعالات تدور في ذهنيهما، قد ملكت عليهما لبهما فاستبدت بإحساسهما، وتسربت معانيهما بصدق وإخلاص، مما دفع الشاعرين إلى الاستغناء عن هذه المقدمات خصوصاً في الموضوعات الدينية دون باقي الأغراض، ومن ذلك قول ابن مشرّف[2]:

وا غربة الدين ! فاعجب من تغرّبه ... عند المصدق فضلاً عن مكذّبه
ألا ترى الجهل بين الخافقين فشا ... والعلم أغرب من عنقاء مُغْرِبه
أعلامه درست في كل ناحية ... واليوم يصدح في أعلى مخربه
فاندبه ندب محب للحبيب رثى ... بحرقة من فؤاد في تلهبه
لم يبق منه سوى الأطلال بالية ... فارحل إليه وبالغ في تطلبه

وفي قصيدة أخرى يمدح الإمام فيصل بن تركي بما يبذله من كرم، فسيله جار؛ إذ لا تنقص آباره الدافقة مهما كثر العطاء والطلب، كما يمتزج ذلك الكرم بالشهامة والبطولة والإقدام والحزم والتضحية، فابن مشرّف يصدر قصيدته بالغرض الرئيس، فيقول [3]:

على الوالي المهذب خير والٍ ... إمام المسلمين أخي المعالي
سلام فاق عرف المسك نفحاً ... بنظم مثل منظوم اللآلي[4]

(١) الشيخ سليمان بن سحمان، حياته وشعره، ص٥١٢.
(٢) الديوان، ص٤٤.
(٣) الديوان، ص ٨٨، ٨٩.
(٤) العَرْف: الرائحة طيبة أو منتنة، وأكثر استعماله في الطيبة.

تضمن مدحه بخصال «نجد» ... حواها وهي من خير الخصالِ
عفاف ثم إقدام وحزم ... وجود بالمكارم والنوالِ
إذا الراجي أتاه لنيل رفد ... حباه الرفد من قبل السؤال [١]
وإن أعطى الملوك لهم عطاء ... فنزر في عطاياه الجزال[٢]
يجيء المسنتون له وفودا ... على الإبل الملهدة الهزال [٣]
فيلقون الربيع إذا أناخوا ... بساحته وحطوا للرحال
بشاشته تبشرهم بأن لم ... يخب شكوى المطي من الكلال[٤]
وكم ضيف يرون لديه ثاوٍ ... ونار للقرى فوق القلال[٥]
وعن إقدامه سل كل قرمٍ ... من الشجعان أبطال القتال
ينبئك الأداني والأقاصي ... بشدة بأسه عند النزال
وكم جيش يجر إلى الأعادي ... كتائبه كأعراض الجبال
يدمر كل غدار وباغٍ ... ويرجع وهو محمود الفعال
فإن تطلب له في العصر مثلاً ... فقد حاولت إدراك المحال

وقول ابن سحمان في الهجاء والدفاع[٦]:

ضلال ما يؤمله اللئام ... وآل لامع ذاك المرامُ
سيلقى من يؤمله تباباً ... ويلقى من يغرّ به الحمام
وهل بالقيل يسمو ذو شقاق ... وساع بالنميمة مستهام
فما أحلى مقالتهم وأشهى ... زخارف ما تموهه اللئام
فما يلقونه فمجاج نحل ... ولكن في تحسيه سمام
فأبصرهم وأمهلهم رويداً ... ستنجاب الغمامة والقتام

---

(١) حباء: إعطاء.

(٢) نزر: قليل.

(٣) المسنتون أصابتهم سنة جدباء: قليلو الخير.

(٤) الكلال: الإعياء.

(٥) القلال: الخشب المنصوبة للتعريش.

(٦) الديوان، ص٢٨٩.

وقوله [١]:

أرى كل ما قد قدر الله يكتب ... وليس عن المولى مفر ومهرب
قضاء من الرحمن جل جلاله ... وما قدر الرحمن لا شك أغلب

وقال [٢]:

أضرب من السحر الذي أنت ناظمه ... أم اللؤلؤ المنضود في الرّق راقمُهْ
بلى إنه السحر الحلال وإنما ... تحل عويص المشكلات عزائمُهْ
وعقد لإعقاد العقائد عاقد ... ومحض ودادٍ يختلى الهجر صارمه
أبنت به ما بيننا قبل بيننا ... فلا البين يغنيه ولا الهجر ثالمه
وقد كنت فيما قبل أدعوك هاجرا ... فبان بما أفصحت ما أنا كاتمه
وهيج لي من ذكرك العهد لوعة ... تأرق منها الجفن وانهل ساجمه
فلله ذاك العهد لوعاد لا نجلت ... هموم وأهمت بالسرور غنائمه
وعاد حزين القلب فرحان جاذلاً ... وغنت بهاتيك المغاني حمائمه
وإني بربع الحب مازلت بارحاً ... مقيماً على العهد الذي أنت عالمه
فلا تحسبن الحال حالت وإنني ... تناسيت عهداً الود أو أنا صارمه

وقال في دحض التضليل [٣]:

تجانف هذا المارق الماذق الأشقى ... فقال وقد أخطا وقد جانب الصدقا
بدت فتنة كالليل قد غطت الأفقا ... وشاعت وكادت تبلغ الغرب الشرقا
بل السنة الغراء يا فدم قد بدت ... وقد كان ليل الشرك قد طبق الأفقا
وسمَّى الهدى غيّا لخبث مرامه ... وعدوانه لما ارتضى الكفر والفسقا
وحاد عن التقوى جهاراً وما ارعوى ... إلى الرشد لما أن بدا حين ما انشقا
فسماه هذا الفدم بالبغي فتنة ... ولكنه قد جانب الحق والصدقا

---

(١) الديوان، ص٥٠٠.
(٢) الديوان، ص٥٠٨.
(٣) الديوان، ص١٤١.

٢- طريقة الانتقال:

ويقصد به ما ذكره ابن رشيق في كتابه: «وذلك بأن يخرج الشاعر مما بدأ كلامه به من النسيب مثلاً إلى المدح أو غيره بلطف تحيّل، ومع رعاية الملاءمة بينهما، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني، لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما قد أفرغا في قالب واحد فلا يكاد السامع يفرغ من التشبيب حتى يجد نفسه قد انتقل إلى الغرض الذي أنشأ الشاعر له قصيدته»[١]. ولا تخرج القصيدة عند الشاعرين أحمد بن مشرّف، وسليمان بن سحمان عن التقليد المتعارف عليه من البدء بالغزل، ثم التخلص إلى غيره من الأغراض كالمدح أو الهجاء بحيث لا يشعر القارئ بأنه فوجئ بالانتقال من غرض إلى سواه، فكان مسلكهما متشابهاً تقريباً في الانتقال عن طريق المحاورة بينه وبين محبوبته التي زارته في المنام يقظه في إحدى الليالي[٢]. فتظهر قدرة الشاعر على الخيال التام من خلال هذه المحاورة اللطيفة التي ينقلها لنا ابن مشرّف حيث يقول[٣]:

نعم أقبلت سلمى فأشرق وجهها ... بصبح جمال تحت ليل الذوائب
فتاة تفوق الغانيات بحسنها ... كما فاق بدر التم زهر الكواكب
فما للمعنَّى لا يهيم بذكرها ... وقد كان ذا جسم من الوجد شاحب
تناءت فزارت سحرة بعد هجعة ... وقد نام عنها كل واش مراقب
فنم بريّاها الصبا حين أقبلت ... تميس كغصن البان أو مثل شارب
فحيت بتسليم فأحسنت رده ... وقلت لها قول المحب المعاتب
صليت بنار الهجر أحشاء مولع ... فلم يطفها ماء العيون السواكب
فقالت: ألم تعذر، فكم حال بيننا ... من المهمة الزيزا وبعد السباسب

(١) العمدة، ج١، أسس النقد الأدبي، ص٣٠٨.
(٢) سليمان بن سحمان، حياته وشعره، ص٥١٣.
(٣) الديوان، ص٤٧.

أنا في ربا نجدٍ وأنت ببلدة ... أحاطت بها الأعداء من كل جانب
يغيرون في أطرافها وسروحها ... جهاراً ولا يخشون سوطاً لضارب

ثم ينتقل انتقالاً لطيفاً بحسن تخلص إلى وصف هؤلاء الأعراب المفسدين في الأرض، وهم عربان «بريدة» من مطير بعد أن يذكر أفعالهم الشائنة من قتل ونهب وإفساد، وقطع طرق، فيقول ابن مشرّف محرضا الإمام فيصل بن تركي على قتال هذه الفئة الضالة الخارجة عن الدين، فيقول[1]:

وأنى يحوط الملك إلا سميدع ... يخوض لظى الهيجاء ليس بهائبِ
له غيرة تحمي الرعايا كأنها ... حمية ضرغام جسور مواثب
فلا دين إلا بالجهاد قوامه ... ولا أمن إلا بعد سَلِّ القواضب
ولا ملك حتى تخضب البيض بالدما ... من السهم في أطرافه والجوانب
ولا مجد إلا بالشجاعة والندى ... وجر العوالي فوق مجرى السلاهب

ويسير ابن سحمان على خطا ابن مشرّف في إحدى قصائده متخذاً من هذه الصورة الفنية الرائعة في حواره مع محبوبته مدخلاً لمدح الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي حيث يقول بعد أن يعدد بعض صفاته من نهوض بأمور الدين، وطلب للمعالي، ومن كرم حيث يستقبل القاصدين وإبعاد الجوع عن من حلّ بكنفه، يقول[2]:

أأهجر من إذا أقبلتَ هَشَّتْ ... وأولتني التحية والسلاما
وقالت بالبشاشة زرت ليلاً ... ألم تسمع مقالة من ألاما
أترجو أن تنال مناك يوماً ... وأن تحظى لما تهوى انتظاما
فقلت استنظري فرجاً قريباً ... وخسفاً للحواسد واهتضاما
فإني قد حللت بطود عزّ ... وجاورت الإمام فلن أضاما
إماماً قد سما شرفاً ومجداً ... وحاذى الفرقدين فلن يراما
غياثاً للورى غيثاً مريعاً ... هزبراً في الوغى عَضْباً حساما

(١) الديوان، ص٤٧.
(٢) الديوان، ص٤٦٤، ٤٦٥.

ويتخذان طريقة أخرى للانتقال، حيث يعددان صفات المحبوبة الجميلة الحسناء ليقولا: إنها تماثل وتشابه صفات الممدوح النبيلة، وخصاله الحميدة[١]. فكانا يقصدان من هذا الحديث مدخلا إلى غرضهما الأصلي..ومن هنا فإنهما لم يجدا غضاضة في اشتمال القصيدة على أكثر من غرض واحدٍ على طريقة شعراء التقليد، ثم يخلصان بعد ذلك إلى غرضهما المدح، فابن مشرّف يمدح الإمام فيصل بن تركي بعد أن يعدد صفات المحبوبة فيقول[٢]:

لقد أصبحت في الغانيات فريدة ... كما انفرد الوالي بحزم وسؤدد
حليف المعالي «فيصل» ناصر الهدى ... مذيق العدى كأس الردى بالمهند
ترى الوُفَّد الأضياف من حول قصره ... عكوفاً كورد حُوَّم حول مورد
فيصدر وكل مدرك ما يرومه ... من الفضل والجدوى ومن كل مقصد
يقضي ببذل المكرمات نهاره ... سماحاً ويحيي ليله بالتهجدِ
لقد ساد أبناء الزمان وفاقهم ... بعفو وإقدام وكفّ له ندي
وميراث مجد ناله عن أئمة ... سموا للعلا حتى استووا فوق فرقد

ويقول ابن سحمان في مدح الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي[٣]:

لعمري لقد فاقت وحازت محاسنا ... كما حازها الشهم الأشم المقدمُ
إمام الهدى بحر الندى معدن الوفا ... رحيب الفنا شمس البلاد المعظم
حليف العلا سامي الذرا بهجة الورى ... وبدر الدجى والسمهري المقوّم
هو المجد عبدالله من ظل ذكره ... يغور لعمري في البلاد ويتهم
تولى فجلّى كل جلاء عضلة ... وكان لعمري بالغوامض أفهم

ويظهر طبع الشاعرين في القصيدتين، فالألفاظ لا يظهر فيها التكلف والتراكيب سبكتها سجيتهما، ويذكر الصمعاني: ولعلنا نلمس فيما استشهدنا

(١) الديوان، ص٤٧٨.
(٢) سليمان بن سحمان، حياته وشعره «ص ٥١٤.
(٣) الديوان، ص٦١.

به تفوقاً لمصلحة ابن سحمان، فهو أجزل أسلوباً، وأجود سبكاً، وأفخم عبارة، وأنسب إيقاعاً[١].

٣- نوعية الأفكار والمعاني:

إذا نظرنا إلى ديواني الشاعرين أحمد بن مشرّف، وسليمان بن سحمان، فإننا نلمح توافقاً وتماثلاً في نوعية الأفكار والمعاني التي يطرحها كلٌّ منهما، فنظرتهما واحدة إلى جميع الأمور والقضايا التي اعترضت عصريهما، فهناك الذعر والفساد وإراقة الدماء في المجتمع الذي عاش فيه كلا الشاعرين فرسما صورته كاملة في شعرهما، كما طغت الأفكار الدينية والسياسية النابعة من عقيدة صافية، مثل: محاربة الشرك، والقضاء على مظاهره، والأمر بإقامة الشعائر الدينية في كل البقاع الإسلامية، والتحسر والبكاء على إهمالها، وفقد مظاهرها، والنهي عن الأمور المنكرة المخالفة للدين، والحث على التصدي لمن يفسدون في الأرض، والتحريض على القتال، ومدح الإمام بالصفات الدينية[٢]. من بر ورحمة، وسعي بالمؤمنين إلى الرشاد، ونصر سنة أحمد ﷺ بسمر القنا، وبيض الصفائح، فقد حمل السلاح بيد، ورفع القرآن بالأخرى، فأزيلت بذلك البدع، ورد الناس جميعاً إلى الدين القويم، فكانت فتوحاته انتصاراً، للدين، وإعزازاً لأهله، وتمكيناً له في الأرض، ومن ذلك تصوير ابن مشرّف كفاح الإمام ابن تركي عندما حارب الأعراب المفسدين حتى أخضعهم وضمهم تحت لوائه، يقول[٣]:

لما استباح من الأعراب بيضتهم ... بعسكر من بني الإسلام جرّار
أباد خضراءهم بالسمر إذ شجرت ... وكل أبيض ماضي الحد بتارِ
وعفّ عن حرمات الحي عن كرم ... فلم يرعها، ولم يكشف لأستار

---

(١) سليمان بن سحمان، حياته وشعره، ص٥١٤.

(٢) الديوان، ص٦٥.

(٣) الديوان، ص٦٥.

إلى قوله[1]:

ألا فسيروا بهجر آمنين على ... دين الهدى بين جنات وأنهارِ
وأبشروا واشكروا لله أنعمه ... لما جلا الظلم والظلما بأنوار
فما استقمتم فإنا نستقيم لكم ... عهداً وفياً لوافٍ غير غدار
لقد حكينا لكم من بعض سيرته ... وليس ينبيك مثل العالم الداري
فلا تظنوا به منّاً لما وهبت ... يداه، حاشاه من بخل ومن عار

وابن سحمان يطرق المعاني والأفكار ذاتها حيث يعرض لنا بطولة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في ضم الأحساء، ومن ذلك قوله[2]:

بمهد هِزَبْرٍ ألمعي مهذب ... يقود أسوداً في الحروب بها جردُ
وغيظ على أعداء دين محمد ... وأحزابهم ممن عن الدين قد ندّوا
أتاهم بها إذ غاب نجم مشعشع ... وقائده الإقبال والعز والسعد
لسبع من الساعات في غسق الدجى ... وقد هجع الأحراس والترك والجند
فما راعهم إلا وآساد جنده ... قد اقتحموا فيها وما مسهم نكد
وصاحوا بها من كل قطر وجانب ... شعارهم التهليل والذكر والحمدُ
وقد ملكوا أبوابها وبروجها ... ومن كل نهج نحو أعدائها تَعْدُو
يقودهمو ليث همام سميدع ... أبي وفي فاتك إن عتا الضِّد
يخوض عباب الموت والموت ناقع ... إذا استعرت نار لها في الوغى وقد
ويركب هول الخطب والخطب معضل ... وقد هابه الأبطال رعباً وقد ندّوا
هو الملك السامي إلى منتهى العلا ... وقد أمَّه في نيلها الطالع السعد
إمام الهدى عبدالعزيز الذي به ... تضعضعت الأفلاك واستعلن الرشد
لقد فاق أبناء الزمان وفاتهم ... بعفوٍ وإقدام وساعِدُه الجِدُّ

كما توليا الرد على مخالفي عقيدة التوحيد، ودافعا عن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، ومدحوه وأسرته، على اختلاف كبير بينهما في هذا

(١) الديوان، ص٣٩٠، ٣٩١.
(٢) الديوان، ص١٥.

المجال، حيث كان نصيب ابن مشرّف في هذا الجانب - في ديوانه - أربع قصائد(١).

ومن ذلك قوله(٢):

هموا نصروا التوحيد بالبيض والقنا ... فنال المنى بالنصر كل موحد
وآووا إماما قام لله داعياً ... يسمى بشيخ المسلمين محمد
لقد أوضح الإسلام عند اغترابه ... وقد جد في إخفائه كل ملحد
وجدد منهاج الشريعة إذ عفت ... فأكرم به من عالم ومجدد
وأحيا بدرس العلم دارس رسمها ... كما قد أمات الشرك بالقول واليد
وكم شبهة للمشركين أزاحها ... بكل دليل كاشف للتردد
وألف في التوحيد أوجز نبذة ... بها قد هدى الرحمن للحق من هُدُوا

وقوله أيضاً(٣):

وأكرم بني الشيخ الرئيس الذي نهى ... عن الشرك لما شاع في الأرض باطلُهْ
وألف في التوحيد تأليفه الذي ... شجت في حلوق المشركين دلائله
كذا عبدالرحمن أعني: حفيده ... بنور الهدى يهدي، فمن ذا يعادله
ينافح عن دين الهدى كل مبطل ... فيبطل تمويهاته ويناضله
وعبداللطيف الحبر لا تنس فضله ... إمام هدى بالعلم تزهو محافله
فمن رام خذلانا لهم وتنقّصاً ... لقدرهمُ بالبغي فالله خاذله

بينما كان نصيب الإمام محمد بن عبدالوهاب من ديوان ابن سحمان كبيراً، فقد بلغت عدد القصائد التي أشاد به فيها نحو تسعٍ وتسعين قصيدة، ومن ذلك قوله(٤):

---

(١) الشيخ سليمان بن سحمان، حياته وشعره، ص٥١٥، بتصرف.

(٢) الديوان، ص٦١ -٦٢.

(٣) الديوان، ص٩١.

(٤) الديوان، ص١٨.

أقول لعمري ما أصبت ولم تكن ... على منهج ينجيك عن زورك المُردي
فقد كان شيخ المسلمين محمّدٌ ... على المنهج الأسنى وكان على الرشد
فسار على منهاج سنة أحمد ... ومنهج أصحاب النبي ذوي المجد
وما قاتل الشيخ الإمام محمد ... سوى أمةٍ حادوا عن الحق والقصد
ينادون زيداً والحسين وخالداً ... ومن كان في الأجداث من ساكن اللحد
وقد جعلوا لله جل جلاله ... نديداً، تعالى الله عن ذلك الند
وقاتلهم لما أبوا وتمردوا ... وقد شرّدوا عن دعوة الحق للضد

وقد ذكرنا سالفاً أنهما عرضا أفكاراً سياسية واجتماعية في أشعارهما وهي لا تنفصل عن الأفكار الدينية، بل هي متصلة بها، ومنها الحث على قتال قطاع الطرق والمفسدين الذين يتعرضون للناس، ويهاجمون قراهم ومدنهم.. فنجد أصداء الدعوة إلى الذود عن دين الله، والقتال في سبيله بقوة وحزم، وعدم تهاون معهم، كما يحثان على حماية الضعفاء وقرى الضيف بالكلام قبل الطعام، وتجنبه المن والأذى، وإكرام الرعية والجند بخاصة، والإنفاق عليهما، وبذل الخير في غير بطء ولا تردد، وبسط اليد إلى أقصى حد، وغير ذلك من الأفكار القيمة المبثوثة في غضون أشعارهما[١]. يقول ابن مشرّف محرضاً الإمام فيصل بن تركي على القتال[٢]:

فقم واستعن بالله وانهض إلى العلا ... فكسب الثنا والأجر خير المكاسب
فكيف تنام العين منك عن العدا ... وقد أوقدوا للحرب نار الحباحب
ولاترض إلا مقعد العز مقعداً ... على ظهر مهر للعنان مجاذب
ولا تستطب ظلّاً سوى ظل قسطل ... وظل القنا الخطي بين الكتائب
وشُنَّ على الأعراب غارات محنق ... وأنهلهم صاب الردى بالمصائب
ومزق جماعات الضلال وحزبه ... بريح سموم من لظى الحرب حاصب

(١) سليمان بن سحمان، حياته وشعره، ص٥١٥، بتصرف.

(٢) الديوان، ص٤٧، ٤٨.

وَجُـرَّ عليهـم جحفـلاً بعـد جحفـل   وضيّـقْ عليهـم أرضهـم بالمقانـب
جيوشاً تريهم ظلمة الليل في الضحى   ولمـع المواضـي كالنجـوم الثواقب
إلـى أن يكـون الديـن للـه كلـه   وينقـاد للإسـلام كل محـارب
ومـن كان معوجـاً فقومـه بالظبـا   إذا لـم يفـد بـذل الحبـا والمواهـب
فبالبيض مع سـمر القنـا تدرك المنى   وبالجـود والإقـدام نيـل المطالـب

وفي قصيدة أخرى نلحظ حرص شاعرنا على الإمام فيصل بن تركي من خلال هذه النصيحة التي يقدمها له على طبق من مَرْمَرٍ حيث يقول[١]:

لقـد أمـن اللـه البـلاد وأهلهـا   بوطأتـه الأعـدا ومـن كان ملحـدا
وأصبـح بالمعـروف يأمـر أهلهـا   وينهاهـم عـن سـائر الظلـم والردى
لقـد أمـن اللـه البـلاد وأهلهـا   بوطأتـه الأعـدا ومـن كان ملحـدا
وأصبـح بالمعـروف يأمـر أهلهـا   وينهاهـم عـن سـائر الظلـم والردى
وقـد أنصـف المظلوم مـن كل ظالم   وللحـق أضحـى ناصـرا ومؤيـدا
أيـا ملـكاً تـاج الملـوك حـذاؤه   وهِمَّتَـهُ فـي الدهـر عضبًـا مهنـدا
عليـك بتقـوى اللـه سـراً وجهـرة   ففيهـا جميـع الخيـر حقـاً تأكّـدا
وخـذ بيـد المظلـوم قـد حـق نصره   ولا تتـرك الباغـي معيثـاً ومفسـدا
وكـن حافظـاً للـه فيمـن رعيتـه   وناصحهم فـي القول والفعل جاهدا
لتجـزى مـن اللـه الكريـم بفضلـه   مبـوأُ صـدقٍ فـي الجنـان مخلـدا

ويسير ابن سحمان على خطا ابن مشرّف حيث جاءت نفسيته منسجمة مع نفسية شاعرنا، فجمال العبارة هنا يعود إلى حسن أداء الكلمات لمعانيها، وما بين معاني الألفاظ من الاتساق، فالغرض واحد، والفكرة واحدة..فابن سحمان يؤدي الدور الذي أداه ابن مشرّف، فنجده هنا مع الإمام عبدالله ابن فيصل حيث يحذره، وينبهه إلى طمع ابن رشيد في نجد بعد اختلافهم

(١) الديوان، ص٥٤.

وضعفهم، ويحرضه على مواجهة عدوه بقوة وحزم يقول(١):

فبادر فهذي فرصة قد تمكنت ... وعين العدا يقظى فلا تعتزم رقدا
ومن لم تخف منه العدا في بلادها ... أخافته في أوطانه وختضت غمدا
ومن لم يشاركهم على كل ما هوى ... فإن لهم فيما حوى ذلك القصدا
ومن طلب العليا تفضل وانتضى ... لكل العدا عزماً وعضبا له قدا
وجانب لذات النفوس ولم تكن ... له همة دون العلا فارتقى مجدا
ومن رام عزاً للرعايا وراحة ... أخاف الأعادي فانثنى فيهم رشدا
فإن رمت أن تحيا عزيزاً مؤيداً ... وكل الرعايا بالفلَى رَتْعَى ورغدا
فجرد بحد سيف عزمك صاعداً ... لنيل العلا قصدا ورم هامها عمدا
وأن لها أسّا على ذاك ينبني ... لمن رام تشييداً لما انحلّ وانهدّا
ملازمة التقوى على كل حالة ... فإن بها تقوى على كل من صدا
وعن طاعة المولى فكن غير غافل ... مديماً عليها جاهداً تكتسب حمدا
وأحسن فبالإحسان تنصر دائماً ... وكم ملك الإحسان من لم يكن عبدا

ويقول في قصيدة أخرى مخاطباً ومادحاً الملك عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- بالصفات المتداولة، من كرم وتقى وشجاعة، كما يقدم له بعض النصائح، وأهمها الحزم في جميع الأمور(٢):

فيا نجل سادات الملوك ذوي التقى ... ومن فاق في جود أطيد وفي مجد
عليك بشكر الله والحمد والثنا ... وإظهار دين الله جهراً على عمد
وإعزاز أهل الدين واللطف بالورى ... وعفو عن الجاني المسيء بلا قصد
وبالحزم في كل الأمور فإنما ... تنال المنى بالحزم والعزم والمجد
ومن جرب الأشياء يكفيه ما جرى ... ومن لم يجربها يعض على اليدِ
ومن لم تنبهه الحوادث بالذي ... يحاذره يوماً يكون على كمد

---

(١) الديوان، ص٣٨٧.
(٢) الديوان، ص٣٦٤.

وشاور إذ ما رمت أمراً تريده فبالحزم والشورى تنل غاية القصد
ولا تتكل يوماً على رأي عاجز يميل إلى الإخلاد ليس بذي رشد

٤- الصور:

استأثر شعر الدفاع عن العقيدة، والرد على مخالفيها من خصوم دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، أو من غيرهم بمعظم الصور الشعرية من الناحيتين الكمية والنوعية، ويليه شعر الغزل.أما أغراضهما الأخرى فإن نصيبها من هذه الصور، وحظها من هذا الخيال أقل بكثير من سابقها، وأفضلها شعر المديح الذي تتوافر فيه كمية من الصور، وإن كانت محدودة[١]. وسنعرض أولاً للصور الشعرية، وتوظيفها في هجاء مخالفي العقيدة عند ابن مشرّف، فقد أمده طبعه الشاعري الخصب بقدرة فائقة على التصوير الحي، فكسا شعره بطائفة من الصور الرائعة التي جسمت معانيه، وأبرزتها في أجمل الحلل، وأوضح الأشكال بصورة عفوية، ومأخذ قريب، وزينتها ألفاظه المتناسقة.. ولعل في مقدمة صوره الشعرية، التي تعد علامة مميزة للناظر في شعره، ومظهراً متميزاً من مظاهر أسلوبه هو تشبيه خصومه ببعض الحيوانات والطيور غير المحببة، وغير المقبولة في مجتمعه، فهو يشبه خصومه بطائر الخفاش الذي يعجز عن مواجهة ضوء الشمس، فيلوذ منه مختبئاً يرقب سكون الظلام ليجول في ليل الضلالة والهوى، وحين تشرق الشمس، ويقهر نورها جحافل الظلام تشعر تلك الخفافيش بالخطر، فهي غير قادرة على المجابهة العملية والصمود في وجه الأضواء.. فشاعرنا هنا يصور هؤلاء الخارجين على الهدى بقوله[٢]:

خفافيش أعشاها النهار بضوئه فوافقها من ظلمة الليل غيهب
فظلت تحاكي الطير في ظلمة الدجى وإن لاح ضوء الصبح للعش تهرب

(١) سليمان بن سحمان، حياته وشعره، ص٤٣٦، بتصرف.
(٢) الديوان، ص٣٣.

ويسير ابن سحمان على نهج ابن مشرّف فهو يكرر تشبيه خصومه بطائر الخفاش الذي يمضي نهاره مختبئاً ساكنا غير قادر على مواجهة إشعاعات الشمس الحارقة، فيظل منتظراً حلول الظلام، فإذا أرخى الليل سدوله، وهجعت الطيور إلى أعشاشها صال وجال، وتحرك بحرية، فهو يتحين الفرص، وينتظر الأوقات المناسبة لكي ينشر جهله وكذبه وبهتانه، فإذا سطعت شمس الحقيقة توارى عن الأنظار، فليس لديه الجرأة على التصدي والمواجهة، ومن ذلك قوله[1]:

ولكن أهل الزيغ في غمراتهم ... فليس لهم عن مهيع الكفر مُرتما
خفافيش أعشاها عن الحق شمسه ... وأعماها إشراق له إذ تبسما
فلما دجا ليل الضلالة أقبلت ... وجالت وصالت حين جنَّ وأظلما

وقوله أيضاً[2]:

وأحجر كالخفاش حتى إذا بدا ... من الغي ليل جال فيه وغمغما
بجهل وبهتان وسُبّة مفتر ... وفشر وهذا شأن من كان معدما
إذا فاته التحقيق لبَّس بالهوىً ... وأوهم أن قد قال حقاً وأحكما

فهذه الهيئة أثارتها الكلمات الشعرية، فهي، كما رأينا، هيئة معبرة وموحية في آن واحد ناتجة من انفعال صاحب الخيال الناضج المبدع، فأصبح نوعاً من الوصل بين الإحساس والفهم، وقد عدّ هذان الشاعران حركتهما الأدبية معركة فكرية، فكانا وسيلة للتقويم والعلاج، فقد وقفا منذ فجر الدعوة الوهابية سنداً لها، وظلّا على مر التاريخ يهاجمان الأوضاع الفاسدة، والفرق الزائغة، ويخلصان النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وتعجب حينما يستعرض كل منهما مشاهد الطبيعة كما جاءت في القرآن الكريم، فهي من أروع ألوان الجمال التي تهش لها النفس، وتستجيب لها في

---

(١) الديوان، ص٢٢٢.

(٢) الديوان، ص٢٣٥.

فرحة وانطلاق، فمن اللقطات المثيرة منظر السراب، فيشبه كل منهما الدنيا ببهجتها ومتاعها ولذاتها العاجلة الزائلة بالسراب الذي يلمع في الصحراء، فيسير معه الظمآن سيراً طويلاً جاهداً حتى يصل إلى مكان السراب، فلا يجده شيئاً، فهنا روعة المفاجأة أنه لا شيء هناك، فالظمآن ينخدع به، ومن ذلك قول ابن مشرّف[1]:

ألا إنها للمرء من أكبر العدا ... ويحسبها المغرور من أصدقائه
فلذاتها مسمومة ووعودها ... سراب فما الظامي يرى من عنائه

ويورد ابن سحمان المشهد نفسه، ولكنه يجسده في صورة امرأة تميل إلى الأنذال، وتراعيهم، وتعرض عن أهل المعالي والهمم العالية، ومنه قوله[2]:

وما المرء في الدنيا وإن عاش بالغا ... مناه بها إلا على غير طائلِ
فما هي إلا كالسراب بقيعة ... يغر بها الظمآن من كل جاهلِ
فدعها ولا تركن إلى فَيْءِ ظلّها ... فلم أرها يشفى بها كل عاقل
خدوع لمن صافت سريع زاولها ... ويسأمها أهل النهى والأفاضل
قليل مصافاها ذوي الخير والتقى ... كثير مراعاها الرعا والأسافل
تميل إلى الأنذال من كل جاهلٍ ... وتعرض عن أهل العلا والفواضل
فمن رامها بالود تغريه بالهوى ... كما اغتر فيها كل نذل وخامل

كما حرص الشاعران في مدائحهما على إبراز جانب أو أكثر اشتهر به الممدوح، فيحرصان على تصوير شجاعته، وإقدامه.. فالمجتمع الذي عاش فيه الشاعران مجتمع فاعل ناشط،حيث تتابعت صور الحرب فيه، فالإنسان يجاهد من أجل المحافظة على الأمن الداخلي، والصفاء الروحي، والسلام النفسي لأفراده، وقبل هذه وتلك من أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد

(١) الديوان، ص٣٩.
(٢) الديوان، ص٤٣٧.

رسول الله، فيعرض لنا ابن مشرّف أولاً بعض الصفات العامة التي اعتمد عليها، حيث وصف ممدوحه بالأسد تارة، وبالبحر أخرى، وبالنجم ثالثة، وغيرها من الصور التقليدية القديمة المتوارثة، يقول[١]:

هو الأسد الضرغام والضيغم الذي
إذا ريم خسفاً وجهه يتربدا[٢]

وقوله[٣]:

نصر الهدى وحوى الشجاعة والندى
ليث وغيث للمقل المعسر

ويستخدم ابن سحمان الأوصاف نفسها فيشبه ممدوحه أيضاً بالأسد في شجاعته وقوته وإقدامه، ومن ذلك قوله[٤]:

ووثبة ضرغام أبيّ سميدع
إذا الحرب ألقت بالدواهي الشدائد

أما وصف الممدوح بالبحر فيقول ابن مشرّف [٥]:

هو البحر غص فيه إذا كان ساكنا
على الدر واحذره إذا كان مزبدا

ويذكر ابن سحمان البيت نفسه في ديوانه، فهذا دليل على شدة تأثره بابن مشرّف حيث يقول [٦]:

هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً
على الدرّ واحذره إذا كان مزبدا

(١) الديوان، ص٥٣.
(٢) الخسف: الذل. تربد: تغير.
(٣) الديوان، ص٧٠.
(٤) الديوان، ص٣٦٧ .
(٥) الديوان، ص٥٢.
(٦) الديوان، ص٣٨٤.

فقد أمكن لهذه الصور أن تحقق رمزاً عاماً ارتبط بمخزون من الشعور الشخصي والجماعي؛ مما زاد في فاعلية الصور وشموليتها،حيث غطت كل الاهتمامات في تلك المجتمعات، والذي أسهم في ظهور هذه النظرة الوضع الذي كان عليه مجتمعهما الغارق في متاهات الحروب المدمرة، والانحلال والاختلال والانحراف.

٥- السرد القصصي:

اتفق الشاعران أحمد بن مشرّف، وسليمان بن سحمان في قصائد وأبيات قليلة يمكن أن ندرجها ضمن هذا الغرض،حيث اعتمدت على السرد أو الوصف القصصي..ويظهر هذا الأسلوب جلياً واضحاً عند ابن مشرّف في مخاصمته مع الحكيم الكوتي، فهو يذكر في هذه القصيدة قصة تامة، يبدؤها بحمد الله سبحانه وتعالى: الذي أبطل بشرعه جميع الحيل، ثم يدخل مباشرة في سرد وقائع قصته التي حاكها من أنسجته الشعرية الواقعية، فساق القصة في أسلوب مؤثر مصوراً كيف احتال هذا الرجل على هذه الجماعة من الناس، مصوراً انفعال شاعرنا حيال هذا الرجل الذي نسي الله سبحانه وتعالى، فعرض لنا استجوابه أمام القاضي، وكيف اكتشفت حيلته وتزويره، فالإسلام لا ينكر أن في البشرية ضعفاً، ولكنه لا يريد أن يسوّغ هذا الضعف، ويهونه في نفوس الناس، فشاعرنا عرض هذا رغبة في بيان بشاعة هذا الواقع، وسعياً إلى الارتفاع بالإنسان، وإعلاء غرائزه، والسمو بها في أسلوب قصصي يوحي بالجمال، ويقدم إلى السامع أو القارئ متعة جمالية، وتلذذا فنياً، ومن ذلك قوله [١]:

الحمد لله الذي قد أبطلا ... بشرعة حيلة من تحيّلا
ورام بالحيلة أن يحللا ... ما حرم الشرع له وعطلا
وبعد ذا فأفضل التحية ... نهدي إلى ذي الشيم المرضية

(١) الديوان، ص١٠٣، ١٠٤.

إلى قوله [١]:

ماذا ترى في رجل لئيم ... يدعونه الجهال بالحكيم؟
أراد أن يسلب وقف المسجدَ ... لقلة التقوى وعظم الحسَد
فاحتال مع جماعة في ورقةْ ... مكذوبة مصنوعة مخترقة
حوت لكل باطل مزيف ... مثل دم على قميص يوسف
فساقنا الشيخ إلى القاضي الذي ... قدمته أكرم به من جهبذي
أحضرنا واستنطق الخصم فما ... رأى لديه حجة واستعجما
حتى رآه مشبه المبرسم ... يهذي وما يحسن في التكلم
ولم يزل عن أمره يستخبر ... حتى بدا الأمر الذي لا ينكرَ
صك عليه ختم قاضي البلد ... لا يستطيع جحده من أحد
أثبت أن النخل وقف المسجد ... فزال ليل الشك والتردد
وقد أبان أنما الحكيم ... مزور، وإنه أثيمُ
بجحده لذلك العقار ... وبيع مائه الزلال الجاري
قد باعه بمائتي ريالِ ... بصيغة المخادع المحتالِ
وجاء بالتمويه للعبارة ... مطولا لمدة الإجارة
إلى ثلاثمئة سنينا ... يخادعون الله والذينا
تلاعب بالدين واستهزاء ... كأنهم لم يقرؤوا الأحياء
فما ترى في مثل ذا المزور ... هل هو بالتأديب والحبس حري
أو أنه يستوجب النكالا ... كما نرى في ديننا محتالا
فامنن علينا بالجواب الشافي ... في ردعكم للظالمين كافي
لا زلتم للعالمين منهلا ... ورادعين كل من تحيلا
ثم صلاة الله والسلام ... ما اختلف الضياء والظلامُ
على النبي العربي أحمدا ... وآله ومن بهديه اهتدى

---

(١) الديوان، ص١٠٤، ١٠٥.

ونجد السرد القصصي عند ابن سحمان أيضاً، ومن ذلك عندما عالجه الطبيب البريطاني في البحرين على نفقة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - فذكر رحلته العلاجية وعدم نجاحها، ومعاناته بكل جزئياتها وتفصيلاتها في أسلوب يذيب القلب، ومن ذلك قوله[1]:

إلى الله في كشف المهمات نرغب ... ونسأله الفضل العظيم ونطلب
فذو العرش أولى بالجميل ولطفه ... وآلاؤه الحسنى بها نتقلب
ليكشف عنا الهم والغم والأسى ... فنحن على أوصابها نترقب
من الله إفراجاً ولطفاً ورحمة ... فلولاه ما كنا عن الإلف نذهب
ولا عن رياض المجد والدين والهدى ... إلى بلد فيها من الكفر أضرب
ولكننا نرجو رضاه وعفوه ... وإحسانه والله بالخير أقرب
ولولا رجاء الله جل ثناؤه ... لما كنت للبحرين في الفلك أركب
وقد صابنا من خوفه وركوبه ... غموم وأوهام عضال وأكرب
إلى أن وصلنا دختراً ذا دراية ... ومعرفة في الطب والحذق منجب
فقرب أهوالاً لدينا مخوفة ... وكرخانة من نارها تتلهب
وأشياء لا ندري بها غير أنها ... يحار بها العقل السليم ويعجب
فغسل من أجفاننا قبل ضربها ... بأدوية شتى بها يتقلب
فميل يسر العين مني بميله ... وميل ومن عثمان من كان يصحب
كمثلي وأرجانا ليالي قليلة ... لينتظر البرء الذي هو يطلب
وأبصرت في كف الحكيم أناملاً ... يحركها من بعد أن كان يضرب
وعثمان بعد الضرب وجهه[2] ... وكفاً له يسمو بها ويصوب
وقد جاء هذا بأشياء لم يكن ... ليفعلها من كان للقدح ينسب
فشد على العينين منا بخرقة ... لتسعة أيام تشد وتعصب
وألزمنا ألّا نزيل عصائباً ... إلى أن يجيء الوقت ذاك المرتب
وما كان هذا فعل من كان قد أتى ... إلى أرضنا من حجزه يتطبب

(١) الديوان، ص٤٩٧، ٤٩٨.
(٢) كذا في الديوان.

ولا كان هـذا شـأنه وصنيعـه ... ولا كان هـذا حالـه حيـن يضـرب
فهـذا الذي قـد كان من بعض شـأنه ... علـيّ ومـا نخفيـه مـن ذاك أعجـب

ويقول في أبيات أخرى[١]:

فلـم أر ممـا كنـت أبصـرت أولاً ... يحركهـا مـن كفـه ويصـوب
وقـد صار فـي عيني غـاوش وحمرة ... وأوسـاخ مـا يطفـو عليهـا ويحجب
مـن الغم للعينين والعصب والأسـى ... وإمـرار مـا قـد كان يـؤذي ويوصب

فهذه النماذج التي ذكرناها تبين إجادة الشاعرين لهذا الفن وضلعهما فيه، وحسن تناولهما للموضوع في تضاعيف الشعر المقفى الذي تناوله كل منهما، واتخذ مادته من تلك الحكايات والمغامرات الواقعية، وليس هذا فحسب، وإنما نجد السرد القصصي أيضاً لديهما في عرض بعض المعارك، ومحاورة المحبوبة وذكر أوصافها.

٦- الأوزان:

أغرم شعراء الدعوة الإسلامية بالبحور الطويلة الكثيرة التفاعيل، وكان من يبن هؤلاء: الشاعران: أحمد بن مشرّف، وسليمان بن سحمان، فقد اتفقا على نظم قصائدهما على عدة أبحر من البحور الستة عشر، وهي: الطويل، والبسيط، والكامل، والوافر، وزاد ابن مشرّف الرجز، والرمل.

ومن الملاحظ أن البحر الطويل يتصدر قائمة البحور لدى شاعرينا،حيث نظما جل شعرهما فيه، وقد استهوى الشعراء منذ العصور القديمة هذا البحر على الرغم من طوله، فلربما دعت الحالة الشعورية للتعبير عن أغراضهم المختلفة أو الضرورة إلى اعتماده، كما دعت الحاجة لدى شاعرينا إلى نظم معظم قصائدهما، أوكل قصائدهما التي تناولت الأغراض الجدية، فهما شاعران يدافعان وينافحان عن الدعوة؛ وهذا يدعوهما إلى الإطالة، كما يمتاز

---

(١) الديوان، ص٥٠٠.

كلاهما بالثقافة اللغوية والدينية التي تساعدهما على ذلك، ومن ذلك مانظمه ابن مشرّف حيث يقول [(١)]:

تهلل وجه الدين وابتسم الثغر ... وقد لاح من بيض السيوف له النصر

وجلى دياجير الضلالة والردى ... سنا المرهفات البيض فانصدع الفجر

ويقول ابن سحمان على الوزن نفسه[(٢)]:

أبكي وما مثلي يُضن بدمعه

فوا غربة الإسلام وا قلة العلم

ويليه البحر البسيط من حيث الكم الشعري لديهما، ونستشهد على ذلك بقول ابن مشرّف [(٣)]:

واغربة الدين ! فاعجب من تغرّبه ... عند المصدق فضلاً عن مكذّبه

ألا ترى الجهل بين الخافقين فشا ... والعلم أغرب من عنقاء مُغْرِبه؟

ونذكر قول ابن سحمان[(٤)]:

أنا الغريب فلا أهل ولا وطن

أنا الوحيد فكن لي في الملمات

وهذان البحران - الطويل والبسيط - «أطول بحور الشعر العربي وأعظمها أبهة وجلالة، وإليهما يعمد أصحاب الرصانة، وفيهما يفتضح أهل الركاكة والهجنة - والطويل أفضلهما وأجلهما وهو أرحب صوراً من البسيط، وأطلق عناناً، وألطف نغماً» [(٥)].

---

(١) الديوان، ص٧٢.

(٢) الديوان، ص٢٩٣.

(٣) الديوان، ص٤٤.

(٤) الديوان، ص٣٤٦.

(٥) شعر الأسر والسجن في الأندلس، ص٢٠٥.

ويرى الدكتور مصطفى الجوزو: «أن المتتبع لكلام الشعراء في جميع أوزانهم التي استعملوها يجد أن الكلام تختلف أنماطه باختلاف ما يجري فيه من أوزان، وأن الافتنان في بعض الأعاريض أعم من بعض، وهو لذلك يجعل للأعاريض درجات، لكنه لا يشير إلى المقياس المستعمل في تحديدها. فأعلاها عنده الطويل والبسيط،... أما سبب هذا التقديم فكامن في المعايير الفخمة والرصينة - التي تصلح لمقاصد الجد، كالفخر ونحوه، ففي الطويل أبداً بهاء وقوة، وتجد للبسيط بساطه وطلاوة. ويتلوهما الوافر والكامل، وذلك أن مجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره[١].

ويؤكد ذلك الدكتور محمد غنيمي هلال حين يقول: كانت البحور الغالبة في الأغراض القديمة هي: الطويل والكامل والبسيط والوافر[٢].

وقد اتفق الشاعران على البحر الوافر حيث يقول ابن مشرّف في مدح الإمام فيصل بن تركي[٣]:

إمام للهدى يدعو البرايا ... ويبعث للعدا جيشاً لُهاما

ويقول ابن سحمان على الوزن نفسه[٤]:

ومن يدعو إلهاً غير ربي ... من الأملاك أو من مرسلينا
ومن صحب وآل أو ولي ... وغير الأوليا كالصالحينا
فذا كفر وإشراك مبين ... فتبّاً للغواة الظالمينا

---

(١) نظريات الشعر عند العرب في الجاهلية والعصور الإسلامية، ط١، ص٣٠، وانظر منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، ص٢٦٨.

(٢) النقد الأدبي الحديث، ص٤٤١.

(٣) الديوان، ص٩٢.

(٤) الديوان، ص٣٢٠.

وقد ظلت هذه البحور الأربعة موفورة الحظ ليس لدى الشاعرين فقط، وإنما في كل العصور يطرقها كل الشعراء، ويكثرون النظم منها، وتألفها آذان كل الناس في بيئة اللغة العربية[١].

٧- الدفاع عن الدعوة:

إن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب استوقفت وجذبت علماء جيلها من رجال السياسة، والدين والأدب، وانقسموا تجاهها إلى فريقين: فريق أيدها وناصرها بعد معرفة أهدافها، وقام بنشر مقاصدها والدفاع عنها بالقلم واللسان، وفريق آخر عارضها، مع اختلاف دوافع عوامل المعارضة لديهم[٢]، فسيطرت بذلك الدعوة سيطرة كاملة على موضوعات الأدب منذ نشوئها[٣]. وبدأت بشكل الدفاع المجرد، وشرح أفكار الدعوة بأسلوب هادئ، ثم تطور إلى أسلوب قوي حاد، ثم ظهرت النقائض من شعرا ء الدعوة[٤]. فقد هيأ الله لها علماء أجلاء، جمع الله لهم العلم والشعر معا، وزودهم من أفياء الحقيقة والخيال بأوفر زاد، فنفع الله بهم الأمة، وحمى بأمثالهم الملة، فكانوا عوناً للمؤمنين الصابرين، وشجاً في حلوق الملحدين المعاندين، ومن أبرز أنصار الدعوة الشاعر الأحسائي أحمد بن مشرّف الذي خلف ابن غنام في منهجه في الدفاع ونشر الدعوة حتى وفاته، وسار على نهجه محامي الدعوة الوهابية المعروف سليمان بن سحمان[٥]. فكان أكثر علماء الدعوة نشاطاً، ولعل ذلك يعود إلى أن الدعوة انتشرت أقصى انتشارها في تلك المدة أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر... فتصدى ابن سحمان لكل من ظهر

---

(١) إبراهيم الفوزان، إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، ص١٨٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٨٩.

(٣) د. محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث في نجد، ص٢٣٩.

(٤) د. عبدالله الحامد، الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، ص١٤.

(٥) إقليم الحجاز، ص١٩٧.

على مسرح الشغب حتى قاربت كتبه الثلاثين كتاباً، أكثرها، إن لم يكن كلها، في الدفاع عن الدعوة[١]. ويستثير الإعجاب هذه الكثرة الكاثرة من قصائد الدفاع عن الدعوة، سواء في جانبها الفكري من شرح لأفكارها، وعرض ودعوة إليها، أم في دفع شبه أعدائها الذين نقدوها بكثير من الحيف، وقليل من الإنصاف[٢]. والمتتبع لهذا الشعر يلاحظ سمة بارزة فيه وهي الحرص على المطالع الموضوعية التي تتصل بالموضوع الذي يتحدث عنه الشاعر مباشرة، وهذا ما يتطلبه الغرض نفسه، وليس معنى هذا القول أن الشعراء أهملوا المقدمة الطللية، بل إن المقدمة الغزلية سارت بجانب المطالع الموضوعية جنباً إلى جنب، وكان أكثر الشعراء مجافياً المقدمة الطللية، وليس إهمالهم المقدمة الطللية ناتجاً من وعي أدبي أو حركة نقدية، بل هو الفطري الطبيعي، الذي نتج من اهتمامهم بالجد، ومجانبتهم الهزل[٣]. ومن بين هؤلاء ابن مشرّف وابن سحمان، فنحن أمام شاعرين مطبوعين يتدفق الشعر من أعماق نفسيهما، فيحكيان ما يختلج فيها من مشاعر وما يضطرب من أحاسيس وانفعالات، ولا غرو أن يتميز شعرهما بالأصالة والطبع، فهما الشاعران اللذان سلكا في الشعر سبيل التعبير عن أفكارهما وخواطرهما التي تدور في ذهنهما، والتي ملكت عليهما لبّهما، واستبدت بإحساسهما، فنلمس القوة في التعبير، ورسوخ الألفاظ[٤]. ونستشهد على ذلك بقول ابن مشرّف في قصيدة يثني فيها على أنصار سنة النبي محمد ﷺ، ومن بينهم الشيخ محمد ابن عبدالوهاب بقوله[٥]:

---

(١) الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، ص٧٠.

(٢) الشعر في ظلال دعوة الإمام، ص١٨٣.

(٣) المرجع السابق، ص١٧٩.

(٤) إقليم الحجاز، ص١٩٧.

(٥) الديوان، ص٩٨، ٩٩.

أنصار سنة أحمد كم أسسوا ... للمسلمين قواعد الأحكامِ
منهم بنجد عالم ومجدد ... للدين ذو علم وذو إقدامِ
نصر الهدى ونفى الردى ورمى العدا ... بثواقب من علمه وسهامِ
وحمى حمى التوحيد من شبه العدا ... وضلالهم أكرم به من حامِ
وأدلة التوحيد ألف شملها ... فأزاح ليل الشك والأوهامِ
ومشاهد الإشتراك هد بناءها ... بديل وحي قاطع وحسامِ

وفي قصيدة ثانية يمدح فيها فيصل بن تركي بن عبدالله، ويذكر فيها دور ابن عبدالوهاب ومما جاء فيها [١]:

لقد أوضح الإسلام عند اغترابه ... وقد جَدَّ في إخفائه كلّ ملحد
وجدد منهاج الشريعة إذ عفت ... فأكرم به من عالم ومجدد
وأحيا بدرس العلم دارس رسمها ... كما قد أمات الشرك بالقول واليد
وكم شبهة للمشركين أزاحها ... بكل دليل كاشف للتردد
وألف في التوحيد أوجز نبذة ... بها قد هدى الرحمن للحق من هُدِي

ومن هذه المطالع الموضوعية قول ابن سحمان في الهجاء والدفاع [٢]:

فإن كان دينا خامساً دين أحمد ... شفيع الورى الهادي إلى منهج الرشدِ
لديكم ومن يأتي به متوهب ... على خير دين المصطفى الكامل المجد
بدعوى ذوي الإشراك والكفر والردى ... وتلقيبهم أهل الهدى بالذي يردي
فنشهدكم أنا على ذلك الذي ... أتانا به المعصوم أفضل من يهدي
وإن كان قد سماه أعداء دينه ... ليشنأ ديناً خامساً قول ذي اللد
فذلك لا يجدي لدى كل منصف ... عليم بما يجدي وما ليس بالمجد
ومن كان لا يدري وليس بعالم ... فأقواله مردودة عند ذي النقد
وما ضرنا أن قد تجارى بسبنا ... ذوو الغي والإشراك من كل مرتد

(١) الديوان، ص٦١، ٦٢.
(٢) الديوان، ص٦٢.

فليس يضر السحب كلبٌ بنبحه   كذلك سب المعتدي لذوي الرشد
ودونك ما أبداه عِمران ذو التقى   وذو العلم والإنصاف في كل ما يبدي
فقد قال ما يشفى الأوام من الصدى   ويكمد أكباد الغواة ذوي الجحدِ

ويعدّ ابن سحمان لسان الدعوة الناشر لها والمدافع عنها، فهو رائد في كثرة إنتاجه؛ لثقافته الدينية والأدبية، وملكته الشعرية التي لا يشك فيها من قرأ إنتاجه وأدرك مقدرته على السرد، ومن نماذج شعره قوله في الرد على خصم الوهابية يوسف النبهاني اللبناني في قصيدة رائية بلغت أبياتها (٤١٧) بيتاً، ومنها[1]:

وقفت على نظم حوى الكفر والشرا   وصاحبه خب لئيم وقد أجرى
ينابيع كفر في تقاسيم عينه   فحرّر في تقسيمه الإفك والشعرا
ولم يأتنا منها سوى الخامس الذي   تهور فيه الفدم بالكفر واستجرا
يذم به أهل التقى وذوي النهى   فسحقاً له سحقاً فقد أظهر الكفرا
فكان علينا واجباً متعيناً   إجابته لما هَذَى وأتى هجرا
ولم أك في ردى عليه تعمقاً   بتعقيد ألفاظ كمنظوم ذي الأطرا
ولكن بلفظ مستقيم نظمته   ليفهمه القاري ومن كان لا يقرا
فطوراً أرد الهمط من زور غيه   وأبدي له خزياً وأنثره نثرا
وأعكسه طوراً عليه لأنه   بأرجاسه أولى وأركاسه أحرى
فهأنذا أنبيك بعض نظامه   لتعلم أن الفدم ما أحكم الأمرا

إلى قوله[2]:

وما هذه إلا مقالة آفك   أراد بها التنفير إذ عظم الأمرا
وما رجل منا بتصغير شأنهم   تقرب يا من قال بالزور واستجرا
سوى أن حق الله لله وحده   جعلنا ولم نجعل لأحبابه شطرا
وتعظيمهم بالاتباع على الهدى   على المنهج الأسنى نقرره جهرا

---

(١) الديوان، ص٨٩.
(٢) الديوان، ص٩٣.

ويطول بنا العرض لو تتبعنا الحركة الشعرية التي أحدثتها الدعوة الوهابية في ديواني الشاعرين أحمد بن مشرّف، وسليمان بن سحمان. وكلما زاد الظلام الفكري يلتمع الإسلام دائماً بإعجازه ليحدد للإنسان معالم الطريق ؛ذلك أن الإسلام أنزل وتكامل ليكون الشريعة الأخيرة للبشرية، ولكن الظروف التاريخية، والمبادئ المنحرفة هي التي مزقته داخلياً، فهب الشعراء بصرخات انبثقت من روح مؤمنة لا تستحيل صدى، فبالصرخة المؤمنة يتهاوى الركام، وتتلاشى الجدران التي أقامها أعداء الدعوة ليفتح الطريق بالفكر الإسلامي، ويلتقي الناس على حب الله وحب رسوله عليه الصلاة والسلام.

٨- الشعر التعليمي:

نظم الشاعران أحمد بن مشرّف، وسليمان بن سحمان في هذا الغرض، فهو من أوفر الأغراض حظاً عندهما، وقد اقتصرا في نظمهما على بيان أصول الدعوة وفروعها، فكانت مساهمة ابن سحمان في هذا المجال أكبر، إلا أن ابن مشرّف كانت له أفضلية السبق، كما تميزت بعض قصائده مثل قصيدته في مدح النبي ﷺ[١]. وأخرى في التاريخ لمولده، وبعثه[٢]، ولمن جاء بعده من الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم[٣]، ثم خلفاء بني أمية [٤].

وحتى نهاية العصر العباسي[٥]. ومن ذلك قوله[٦]:

قد كان مولد خير الخلق أرّخه
على الأصح بعام الفيل من عرفا

(١) الديوان، ص٤٩.
(٢) الديوان، ص٧٧.
(٣) الديوان، ص٧٧.
(٤) الديوان، ص٧٨.
(٥) الديوان، ص٧٩.
(٦) الديوان، ص٧٧.

إلى قوله [١]:

ومات في طيبة في شهر مولده
في حادي العشر للجنات قد زلفا

وقد اتفقا في نظمهما في العقيدة ومسائلها [٢].

ومن ذلك ما قاله ابن مشرّف عن توحيد الأسماء والصفات [٣].

والثاني: أن يوحد الله على — أسمائه وفي صفاته العلا
وكل ما به تعالى: وصفا — لنفسه على لسان المصطفى
فإن وصفه به جل لزم — والحكم في أسمائه كذا التزم
فمن صفاته البقاء والقدم — جل ابتداء ودواماً عن عدم
إذ هو أول بلا بداية — وآخر يبقى بلا نهاية
ليس له من والد ولا ولد — حاشا ولا صاحبة جلّ الصمد
فهو تعالى: الواحد الفرد الأحد — ليس له ند ولا كفو أحد

ولقد نحا ابن سحمان منحى ابن مشرّف، فإنا نراه يقول في الموضوع نفسه [٤]:

وثانيهما توحيد أسماء ربنا — وأوصافه سبحانه كامل المجد
وأفعاله سبحانه وبحمده — لقد جلّ عن شبه وكفوٍ وعن ند
فليس كمثل الله لا في صفاته — ولا ذاته شيء تعالى: عن الضد

ب - مواطن الاختلاف:

لقد قمت بدراسة أوجه الاتفاق بين الشاعرين، وإننا بحاجة إلى دراسة أوجه الاختلاف بينهما أيضاً، فإذا تصفحنا ديواني الشاعرين أحمد بن مشرّف،

---

(١) الديوان، ص٧٧.

(٢) سليمان بن سحمان حياته وشعره، ص٥١٧.

(٣) الديوان، ص١٠.

(٤) سليمان بن سحمان، حياته وشعره، ص٥١٨.

وسليمان بن سحمان فإن أول ما نلمح:

١- مدح الرسول ﷺ:

فقد تفرد ابن مشرّف بمدحة نبوية أشاد فيها بالرسول ﷺ وبرسالته الربانية، فهي من أجمل قصائده في الديوان، وقد أشار إلى هذا الدكتور محمد بن سعد بن حسين بقوله: «وعندي أن قصيدته الحائية التي مدح بها النبي ﷺ من أجمل شعره، ثم هي من جميل ما نظم في هذا...»[١]. وفيها يبدأ بمقدمة غزلية تستغرق اثني عشر بيتاً، ثم يخلص إلى مدحه ﷺ ويحاول إبراز خلق الرسول الكريم، ومثاليته كنموذج لكل خلق إسلامي، وأثره في هداية البشر، فقد كان مرشداً في العقيدة، وأنموذجاً في الأخلاق، وموجهاً للسلوك وحسن المعاملات، وراسماً في مدرسته المتكاملة أسس القيم التي ترغبها المجتمعات، وتتوق إليها المثاليات، وتتطلع إليها النفوس، كما دافع عن الدعوة برقة في غير ضعف مع الاعتزاز بعزة الإسلام، وبالافتخار بانتصاراته على المشركين، ومن ذلك قول ابن مشرّف[٢]:

أحمد الهادي إلى سبل الهدى ... كم بدا منه لأهل الأرض نصح
هاشمي قرشي طاهر ... حسن الأخلاق زاكي الأصل سمح
جاء بالدين الحنيفي وقد ... طبق الأرض من الإشراك جنح
فأرى الناس الهدى بعد الردى ... فإذا الحق تجلى منه صبح

إلى قوله[٣]:

هو خير الخلق طرّاً وبه ... للنبيين جرى ختم وفتح
فبه قد بدئوا واختتموا ... فهو كالمسك له في الختم نفح

---

(١) الأدب الحديث، ج٢، ص١٣٨.
(٢) الديوان، ص٤٩.
(٣) الديوان، ص٤٩، ٥٠.

فاق في حلم وحكم وحجا ... زانه صدق وصبر ثم صفح
عزمه ماض، وأما علمه ... فهو كالبحر فلا يزريه نزح

ويسترسل ابن مشرّف في مدحه ﷺ ومدح صحابته، كما يشيد بشجاعته، وسن سار على طريقه ﷺ، وقد ارتضاه الله لخير أمة أخرجت للناس والخسارة لمن حاد عن هذا الطريق لقول شاعرنا[1]:

وله صحب ليوث همهم ... لدم الكفار في الهيجاء سفح
لم يلاقوا أحداً إلا انثنى ... وتولى وله في العدو جمح
فهم الشجعان إن جاء الضيا ... وهم الرهبان مهما جن جنح
وهم القوم إذا ما عبست ... واكفهرت أوجه للحرب كلح
لا ترى فخراً إذا نالوا ولا ... جزعاً إن نالهم في الحرب قرح
كم سقوا حزب العدا كأس الردى ... وهو في الذوق من العلقم صرح
فهم الأنصار للدين لهم ... أبدا في نصرة الإسلام كدح
بذلوا الأنفس والأنفس من ... مالهم لله ما ضنوا وشحوا
حسبهم من مالهم سابغة ... وجواد ثم صمصام وسمح
برسول الله قد نالوا العلا ... وبه تم لهم نصر وفتح

فمن خلال هذه القصيدة نلمس المشاعر الصادقة لدى شاعرنا، والعواطف الملتهبة المنبعثة من عقيدته الإسلامية المتأججة الراسخة، فهو يثير روح الاعتزاز بالإيمان بالله في عدة مواقف وبخاصة في مواقف القتال حين تحتاج النفوس إلى من يثبتها، والدماء إلى من يرخصها، وهذا من مجاهدة النفس، فقد انطبع في نفس شاعرنا نتيجة المؤثرات الإسلامية التي دخلت مجتمعه، فاستجاب لها استجابة مطلقة وأثر فيمن حوله؛ لأنه تأثر بالتربية الإسلامية والتوجيه النبوي الشريف.

---

(١) الديوان، ص٥٠.

٢- النظم التاريخي:

إن أول ما يشد انتباهنا في ديوان ابن مشرّف الحديث عن مولد خير البرية محمد ﷺ، وحامل مشعل الهداية، ونبراس الحق، الذي أشرق من غار حراء، وهو في الأربعين من عمره، فلقي من قومه وأقرب الناس إليه ما لقي، وتصارع الحق مع الباطل كالشرارة في الأفق، فاستجاب الذين أراد الله هدايتهم إليه، وظل أهل الباطل على باطلهم، ثم ذكر ما حلّ بأهل الأرض عند فقده، حيث يقول ابن مشرّف [١]:

قد كان مولد خير الخلق أرخه	على الأصح بعام الفيل من عرفا
وذاك بعد ألوف سدست ولها	قاف وسين ودال بعدها ردفا
من حين أهبط مولانا خليفته	للأرض مستخلفاً بالذنب معترفا
وحين كمل سن الأربعين أتى	إليه بالوحي روح الله واختلفا
إليه بضعة عشر قبل هجرته	من مكة ثم عشر بعدهن وفا
ومات في طيبة في شهر مولده	في حادي العشر للجنات، قد زلفا
فوا مصيبة أهل الأرض أجمعهم	بفقده حين واروه، ويا أسفا

واقتضب بعد ذلك سيرة الخلفاء الراشدين الأربعة، رضوان الله عليهم، فبعد وفاة الرسول ﷺ اضطرب أمر المسلمين، وقامت مشكلة الخلافة، من يخلف رسول الله ﷺ، ويتولى أمر المسلمين، وأسفرت في النهاية عن مبايعة أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، فواجه خصوم الإسلام بثبات وقوة وحزم، حيث واجه حركة الردة، فكانت بمنزلة الخطر الذي دهم، وهدد كيان الدين، ولكن بحزم الصديق، وحسن تدبيره، وبعد نظره قضى على هذه الفتنة، وأخمدت فاستقرت الأمور إلى جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة حيث توفي الصديق، فيسرد ابن مشرّف ذلك في قوله [٢]:

---

(١) الديوان، ص٧٧.

(٢) الديوان، ص٧٧.

وقام من بعده الصديق مقتديا ... بهديه تابعاً للحق إذا خلفا
ما هاله ذلك الخطب الذي عظمت ... فيه الخروق ولم يوهن وما ضعفا
سلّ الحسام على من زاغ حين أبوا ... عن الزكاة وللخرق العظيم رفا
حتى استقام به دين الهدى وسما ... وردّ من كان مرتداً ومنحرفا
وفي ثلاثة عشر مات مجتهداً ... وقلد الأمر أقواهم بغير خفا

وتقلد الأمر من بعده عمر بن الخطاب، وبفضل حزمه وشدته، استقرت أمور الحياة الإسلامية، واتسعت أرض المسلمين، وتفتحت الأمصار، ولكنه قتل غدراً بطعنة الوغد أبي لؤلؤة المجوسي سنة ثلاث وعشرين للهجرة، ويذهب عمر، ويأتي عثمان، وحصلت فتنة في عهده انتهت بمصرعه، وبويع علي بن أبي طالب إلا أن أجله كان على يد أحد الأوغاد، وهو عبدالرحمن بن ملجم المرادي، فكانت مدة خلافتهم ثلاثين عاماً ساروا فيها على الطريق الذي رسمه القرآن الكريم، وانتهجه مثلهم الأعلى محمد ﷺ ، وذلك بمجاهدة النفس والصبر على الأذى، وتحمل المكايد، وأعمال المشركين طمعاً فيما أعد الله من أجر، وانتظار الفرج يأتي من عند الله، حيث يقول شاعرنا[١]:

فخذهمُ خلفاء الرشد أربعة ... من يقف هديهم هدي النبي قفا
وفي ثلاثين حولاً كان مدتهم ... فيها الهدى بين أهل الأرض قد عكفا

ثم ذكر حكام بني أمية وأسماءهم، وحكام الدولة العباسية؛ وذلك حسب توليهم أمر الخلافة، ويقول الدكتور محمد بن سعد بن حسين: «فهو إن لم يكن نظما تاريخياً حسب المفهوم الصحيح لهذا الفن إلا أنه تجديد لهذا الفن على أي حال»[٢].

---

(١) الديوان، ص٧٧.

(٢) «من شعر الإسلام»، ص١١٩.

كما أرَّخ ابن مشرّف لبناء جامع الهفوف في الأحساء سنة ١٢٧٨هـ وذلك المسجد الذي أسس على تقوى من الله، وبشر من أسهم في إعماره ببيت من درر في جنات الخلد، حيث يقول[١]:

يــا مــن أشــاد جامعــاً ... لله فــي الأحســا عمــر
بــه يســر كــل مــن ... لـلـه مولانــا شــكر
مــن بعــد أن خربــه ... كــل ظلــوم قــد بطــر
وليــس مــن يعمــره ... كمــن بتخــريب أمــر
بشــراك يــا عامــره ... غــداً بيــت مــن درر
فــي جنــة عاليــة ... ذات قصــور وثمــر
مــن أجــل ذا تاريخــه ... مــحــرر عــز أغــر

فهنا نلمس في شعر ابن مشرّف تعلق المؤمن الصادق بربه وعقيدته، حيث يحمل روحه على كفه مستبشراً، مقبلا غير مدبر بكل حماسة هدفه رضى الله سبحانه وتعالى: والجنة.

٣- الرثاء:

في كل زمان ودولة تلقانا مراثي الشعراء، فلا يموت سلطان أو حاكم أو عالم إلا ويكثر الشعراء من تأبينه، وذكر خصاله، وأعماله وما نهض به في دولته، وهذا ما اتفق عليه جميع الشعراء، ومن بينهم أحمد بن مشرّف، وسليمان بن سحمان حيث تمتلئ هذه المراثي بالمشاعر الصادقة مشاعر شخص اكتوى قلبه على حبيب أو عزيز، ولم يعد أمامه إلا أن ينظم فيه أشعاراً تعبر عن لوعته، وما يكتظ به فؤاده من حزن وأسى. فاقتصر رثاء ابن مشرّف على الإمام فيصل بن تركي - وقد ذكرنا ذلك سابقاً - فنلاحظ أنه لا يخوض كثيراً في هذا الميدان، أما ابن سحمان فقد نظم في هذا الفن نحو تسع قصائد، فجرى كل منها مجرى الشعراء السابقين من تعدد لصفات المرثي، ومحاسن

---

(١) الديوان، ص٧٣.

أخلاقه، وأفعاله الجميلة، والإشادة بمآثره وبأعماله، ولكن الذي لفت انتباهنا في ديوان ابن مشرّف تفرده بنوع آخر من الرثاء، ألا وهو رثاء المدن، فلم نجد إلا قصيدة فريدة لا شريك لها في الأدب السعودي، كانت في رثاء الدرعية عندما اكتسحها إبراهيم باشا بن محمد علي باشا في حربه مع عبدالله بن سعود، وقام بتخريبها وتدميرها[١]، فتحسر ابن مشرّف عليها، فبكاها في لوعة وأسى وحرقة، وبكى حال أهلها الذين سفكت دماؤهم، وانتهكت حرماتهم، وقتلوا بوحشية وهمجية، وقد كان لهذه النكبة صداها المدوي في نفس شاعرنا، حيث يقول[٢]:

الليل غشا الدنيا أم الأفق مسود؟ ... أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو؟
أم السرج النجدية الزهر أطفئت ... فأظلمت الآفاق إذ أظلمت نجد؟
نعم كورت شمس الهدى وبدا الردى ... وضعضع ركن للهدى فهو منهدُّ
لدن حَلَّ بالسمحاء خطب فأوحشت ... مساكنها وازورّ عيش بها رغد[٣]
تفرق أهلوها وسلّ على الهدى ... سيوف على هامات أنصاره تشدو
وفلّ حسام الدين، بل ثل عرشه ... لدن غاب من آفاقه الطالع السعد
بأيدي غواة مفسدين لقد عثوا ... وجاسوا خلال الدار وانتثر العقد
قضاء من الرحمن جار بحكمه ... ولله من قبل الأمور ومن بعد
فآه لها من وقعة طار ذكرها ... وكادت تميد الراسيات وتنهدّ
وفاضت دموع كالعقيق لما جرى ... وكادت لعظم الخطب تنصدع الكبد

ومع هذا، فإن هذه القصيدة تبقى دون مستوى رثاء البصرة لابن الرومي، ورثاء الأندلس للرندي[٤].

---

(١) الحركة الأدبية، ص٢٦٧.

(٢) الديوان، ص٥١، ٥٢.

(٣) البيت مكسور فلو قال: «لاح بالسمحاء خطب» أو «صار» لصح البيت معنى ووزناً.

(٤) الحركة الأدبية، ص٢٦٧.

وعلى هذا، فإننا نعتبر هذا العمل تجسيداً لتجربة هي في جوهرها عاطفية صادقة، فهذا إحساس نجده منتشراً في أجزاء العمل الفني الذي تنساب في كيانه كما تنساب العصارة الخضراء من الجذر إلى الساق إلى الأغصان إلى الأوراق فتلون الشجرة كلها بلون واحد.

٤- طول القصائد:

إذا قرأنا في شعر الدعوة، فإننا نلحظ طول النفس لدى الشعراء، واختيار البحور الطويلة، وكل ذلك يمثل المذهب الفني الذي يؤثرونه، فيطنبون دون أن يملوا، ولتطويلهم هذا أكثر من سبب[١]، حيث كانت ظروف الحياة السياسية والاجتماعية ملأى بالأحداث والقضايا والأفكار، مما يجعل الشاعر يسترسل، ويستمد أفكاره من معين لا ينضب، لكن الشيء الذي أعطى القصائد أكبر حجم من الطول، عرضها لقضايا العقيدة، والخوض مع المعارضين في مسائل من الفقه والتوحيد والعقائد[٢]. وقد اختلف الشاعران بشكل كبير، فعند النظر في ديوان ابن مشرّف، فإننا نجد أن أطول قصائده تبلغ نحو (١٤٠) بيتاً تناولت أنواع التوحيد، ومنها قول الشاعر[٣]:

واعلم بأن أضرب التوحيد — قدر ثلاثة بلا مزيد
توحيد رب الناس في الملك وفي — صفاته وفي العبادة اقتف

إلى قوله[٤]:

---

(١) عبدالله الحامد «في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية»، ص٣٧.

(٢) الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، ص١٨٣، وانظر الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، ص١٩١.

(٣) الديوان، ص١٠.

(٤) الديوان، ص١٦.

وكل ما جاء به الرسول — حق له يلزمنا القبول
وهو على قسمين ما قد علما — مجيئه به ضرورة وما
وقد تناهى القول في الأسماء — وفي صفاته على استيفاء

أما ابن سحمان فهو يفوق ابن مشرّف في طول نفسه بشكل خاص، وشعراء عصره بشكل عام، فهو أطول الشعراء نفسا، كما في قصيدته التي رد بها على دحلان، وقد بلغت خمسمئة بيت[١].

ومنها قوله[٢]:

وأشهد أن الله لارب غيره — تعالى: عن الأمثال والجعل للند
وأشهد أن الله أرسل عبده — محمداً الهادي إلى منهج الرشدِ
عليه صلاة الله ما آض بارق — وما انهل من صوب وقهقه من رعد[٣]
وبعد فإني قد رأيت رسالة — لدحلان لا تدعو لخير ولا تهدي
تجاوز فيها الحد وانحط في الردى — وسطر همطاً لا يفيد ولا يجدي
وأودعها من كل زور ومنكر — وفحش وبهتان وأقذع في الرد
وجاوز في إطرا من الحد ماله — تداعى الجبال الراسيات إلى الهد
بتعظيمه المعصوم خيرة خلقة — محمد الهادي إلى أكمل الرشد
فبالغ في التعظيم بغياً بصرف ما — به الله مختص إليه على عمد
بخالص أنواع العبادات كلها — كذبح ونذر والدعاء وبالقصد
إذا لم يعظم بالربوبية التي — بها الله موصوف فجل عن الند
وأورد بيتاً قاله بعض من غلا — فتبّاً له من ماذق مارق وغد

إلى قوله[٤]:

(١) الشعر في ظلال دعوة الإمام، ص١٨٣.
(٢) الديوان، ص٣٠.
(٣) آض بارق: لمع واختفى.
(٤) الديوان، ص٥٧.

فبـاء بإثـم الظلـم والإفـك إذ غـدا ... يقـول بـلا علـم ويظلـم ذا مجـد
فتبـا لـه مـن زائـغ مـا أضلـه ... وأبعـده عـن منهـج الحـق والرشـد
لقـد قـال مزبـوراً مـن الـزور منكـراً ... تداعـى لـه الشـم الشـوامخ بالهـد
فيـا رب ثبتنـا بفضـل ورحمـة ... علـى الملـة السـمحاء طيبـة الـورد
ويـا سـامع النجوى ومن هـو قد علا ... على العرش يَدْرِي ما تسرُّ وما تُبْدِي
أعذنـا مـن الأهـواء والبـدع التـي ... أكـب عليهـا الناكبـون عـن القصـد

وله قصيدة أخرى قاربت الخمس مئة بيت أيضاً، وأربع قصائد تزيد على أربع مئة بيت، وجميعها في الدفاع عن الدعوة، وغيرها كثير(١).

فشاعرنا ابن سحمان مصلح وعالم سياسي وأخلاقي يضع الكلمة لخدمة الإسلام بعد أن ينظر للحياة بصورة مباشرة متأثراً بمجريات العصر حتى إنه ذاب فيها، وأبحر في زورقها، فارتدّ صداها على شعره.

فالشاعر الإسلامي هو الذي ينطق في إطار المناسبة ويطيل فيها ليكون مجاهداً بلسانه وقلمه، مثلما جاهد الذين من قبله حسان وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة فجاهد شعراء الدعوة الإصلاحية من بعدهم، وساروا على خطاهم(٢).

٥- الصناعة اللفظية أو العبث اللفظي:

إن شعراء الدعوة الإسلامية قد أولوا اللفظ عناية فائقة، ومن بينهم ابن مشرّف، وابن سحمان، إذ اهتما بالفخامة والجزالة، التي هي سمة شعر القدماء، كأبي تمام، والبحتري، وغيرهما؛ إلا أن ابن سحمان قد انزلق وحاد عن هذا المسار بعض الشيء متصيداً ألوان البديع والأسلوب المزخرف أكثر من تصيده المعاني الصحيحة والرفيعة، فتخير ألفاظاً وتراكيب تنفر منها الأذن

(١) سليمان بن سحمان، حياته وشعره، ص١٧١.
(٢) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية، ص٣٧.

والذوق الحديث الذي يميل إلى العبارة المأنوسة، والكلمة المهموسة، ومن ذلك ما نظمه في تعليم الكتابة حيث يقول(١):

اكتب ككتبي كما قد كنت أكتبه ... كتباً ككتبي لهذا الكتب في الكتب
كذاك كنا فكن في الكتب كيف نكن ... إلا تكن كيف كنا كنت ذا كئب
سطراً بسطر كهذا السطر أسطره ... سطراً سليماً سوياً تسمو في الرتب
حرفا بحرف على حرف كأحرفه ... واحذر من الحيف في حرف بلا سبب
هذا كهذا وهذا هكذا بدا ... وذا لهذا كهذا غير منقلب
والشكل كالشكل في شكل يشاكله ... كما يشاكل هذا الشكل بالشنب
ويشهد الشهدان الشكل يشبهه ... في كل شيء بلا شك ولا ريب
ياصاح إن كنت صاح قد تحصحص ما ... حصحصته من صحيح غير مضطرب
فاعلم كعلمي بتعلمي لتعليمه ... وتعلم العلم عن علم بلا تعب
وانظر بعين كعين العين عنّ لها ... عين العدا والمعنّى جدَّ في الطلب

إلى قوله(٢):

انطق بنطق طليق غير ذي شطط ... واخطط بخط كهذا الخط للخطب
وابحث وباحث وحثحث في مباحثه ... وحيث حدثت عن بحث فعن سبب
ونهنه النفس عمّا تهتوي وهوى ... تهواه تهوي به في هُوة العطب

إلى آخر القصيدة المملوءة بالحروف المكررة، وطبيعي أن هذا ليس شعراً، وإنما هو صورة من الرصف لألفاظ ينطبق على مجموعها وزن من الأوزان، وأما أشعاره الأخرى فليس فيها هذه الألاعيب ولكنها لا تخرج من حدود النظم(٣).

---

(١) الديوان، ص٣٣٩.

(٢) الديوان، ص٣٣٩،٣٤٠.

(٣) الحركة الأدبية، ص٣٧٨، وانظر «الأدب الحديث في نجد»، ص٢٥.

٦- ختم القصيدة:

إذا نظرنا في ديواني الشاعرين أحمد بن مشرّف، وسليمان بن سحمان، فإننا نلاحظ بروز ظاهرة لدى ابن مشرّف، وهي ختم القصيدة بما ابتدئت به، وذلك بأن يعاد صدر البيت المطلع عجزاً لبيت الختام[١]. وقد تكررت هذه الظاهرة في عدة قصائد، ومن ذلك قوله في هجاء عين نجم [٢]:

ألا فاتـركا عينـا تضـاف إلـى نجـم
فقبتهـا بالهـدم أولـى وبالرجـم

وفي الختام وبعد الصلاة والسلام على النبي المصطفى ﷺ يقول[٣]:

صـلاة وتسـليماً بمسـك تضوّعـا ... على من لرسل الله كالمسك في الختم
كـذا الآل والأصحاب مـا قال قائل ... ألا فاتـركا عينـا تضـاف إلـى نجـمِ

وفي موضع آخر يهنئ الإمـــام فيصـــل بن تركي بالنصر سنة ١٢٧٧هـ حيث يقول[٤]:

لـك الحمـد ياللهـم يـا خيـر ناصـر
لديـن الهـدى مـا لاح نجـم لناظـر

وفي ختام القصيدة يقول [٥]:

وأختـم نظمـي بالصـلاة مسـلماً ... على مـن إليـه الحكم عند التشـاجر
محمـد المختـار والآل بعـده ... وأصحابـه الغـر الكـرام الأكابـر
مـدى الدهـر والأزمـان ما قـال قائل ... لـك الحمـد اللهـم[٦] يـا خيـر ناصر

---

(١) الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، ص٣٣٦.
(٢) الديوان، ص٣٤.
(٣) الديوان، ص٣٥.
(٤) الديوان، ص٦٧.
(٥) الديوان، ص٦٩.
(٦) كذا، ويستقيم الوزن بقطع همزة (اللهم) في الدرج، أو بأن يقال: يا اللهم.

رأي الباحث من خلال الموازنة بينهما:

أولاً: شعر الدفاع عن الدعوة وصاحبها:

إن من ينظر في ديواني الشاعرين: أحمد بن مشرّف، وسليمان بن سحمان يظهر له أن كلّاً منهما أخذ على عاتقه أمانة الدفاع عن العقيدة وتخليصها من الشبهات، والهجوم على خصومها، فهي القضية الأولى لديهما حيث سعى كل منهما إلى تخليص العقيدة مما لحق بها من شوائب أو بدع، كي تظل أبداً نقية طاهرة، وخير مثال على ذلك قصيدة لابن مشرّف رد بها على شاعر بصري مخاصم يسمى عثمان بن سند البصري شتم فيها نجداً وأهلها وشيخها، فانبرى له الشاعر وحمل عليه[1]، حيث يقول[2]:

وأثنى على قوم طغام بكونهم ... بنوا في القرى تلك المساجد للذكر
كأن لم تكن تتلى عليه براءة ... ولم يتل فيها «إنما» سائر العمر
ولم ينظر الشرك الذي فيهم فشا ... فكم قبة قد شيّدوها على قبر
وطافوا عليها خاضعين تقرباً ... إلى ذلك المقبور بالذبح والنذر
وكم سألوا الأموات كشف كروبهم ... ولا سيما في الفلك في لجج البحر

وهذه المخالفات حاربها علماء الدعوة، وشددوا في إنكارها ؛ لأنهم نظروا في أحوال الناس فوجدوها على خلاف ما أراد الله ورسوله[3]. وحين نظم عثمان بن سند البصري قصيدة يبارك فيها هدم الدرعية على يد إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣ للهجرة تصدى له ابن مشرّف أيضاً بقوله[4]:

---

(١) الحركة الأدبية، ص٩٠.
(٢) الديوان، ص٣٠.
(٣) حسين بن فهد الهويمل «النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، ص٦٨».
(٤) الديوان، ص٥٢.

وقد أقذع البصري في ذم شيخنا ... وأنصاره تباً لما قاله الوغد
أيهجو إماماً هادياً أرشد الورى ... إلى منهج التوحيد فاتضح الرشدُ
وبصّرهم نهج المحبة فاهتدوا ... وآبوا إلى الإسلام من بعد أن صدوا

كما تصدى ابن سحمان لخصوم الدعوة ومخالفيها، فأكثر شعره وأهمُّه ما قاله في الدفاع عن الدعوة، وله في ذلك قرابة أربعين قصيدة، وهذا من ناحية العدد يشكل ثلث شعره، لكن من حيث كثرة الأبيات لا يقل عن ثلثي الديوان، وهذا ما جعله يضع الدفاع في صدر الديوان، وهو لا يسترسل على طبعه، ولا يأتي من القول بالقويِّ المبين إلا في هذا الغرض حين يدافع ويناقش بلسان حاد يدفع بالحجة، ويسلب الخصم شخصيته العلمية لينهال عليه ضربا بالهجاء الحاد سخرية بعلمه وبمنصبه، مفرغاً عليه ما شاء أن يفرغ من ألفاظ، وأوصاف لها وقع السوط الملتهب على الجسد العاري،[1]. ومن ذلك قوله[2]:

فقل للغبيّ الفدم أقصر عن الخطا ... فباعك عن تفصيل ذا قاصر الطولِ
فهلا ببرهانٍ أجبت وحجةٍ ... أقمت على دعواك يا واهي الجدل
تذم الملاحيَ ثم تفعل فعله ... وما منكما من كان حقا ولا استدل
فذاك بإفراط وجور وفرية ... وأنت بتفريطٍ وجهلٍ به دغل
وفي بعضِ ما قد قلتماه تجازف ... وفيه صوابٌ لو تخلّى من الزلل
فإن كنت تدري بالصواب من الخطا ... وبالعدل والإنصاف لا القول بالخطل
فبين لنا الفرقان بالنص لا تحد ... كما حاد من لا قال حقا ولا استدل

كما دافعا عن حامل لواء العقيدة، وهو الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي ورد ذكره في أربع قصائد في ديوان ابن مشرّف، وتسع وتسعين قصيدة في ديوان ابن سحمان بلغت أبياتها أكثر من سبعة آلاف وثماني مئة بيت، فقد

(١) الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، ص١٥١.
(٢) الديوان، ص١٩٧، ١٩٨.

جاء الشيخ في زمن اشتد فيه الجهل والكفر، وتغرب فيه الدين، بل زالت معالمه بعد أن طمسه الملحدون بأباطيلهم وشركهم، فدعا إلى التوحيد وعاداه كثيرون فما وهن ولا فشل[١]. ومن ذلك قول ابن مشرّف[٢]:

لقد أوضح الإسلام عند اغترابه وقد جدّ في إخفائه كل ملحد
وجدد منهاج الشريعة إذ عفت فأكرم به من عالم ومجدد

ويقول ابن سحمان[٣]:

فالشيخ مازاغ عن نهج الهدى ولقد أرسى وأطد للإسلام أركانا
وظلَّ يحمي حمى الإسلام عن شبه بل هد للكفر والإشراك بنيانا

فشاعت ألفاظ القذف الديني من كفر وإلحاد، وفسق، وزندقة، وضلالة وردة، فضلاً عن ألفاظ القذف الشخصي لدى شاعرينا، ومن ذلك ما قاله ابن مشرّف في عثمان بن منصور[٤]:

فاحكم بتكفير شخص لا يكفرهم
فالحق شمس وهذا غير معذور

فأصبحت كلمات الكفر متداولة بين شعراء هذا العصر حيث يقول ابن سحمان[٥]:

وكم من كفور مغتر ذي ضلالة كمثلك قد أقذى وأقذع في الرد
فلو كلّ من يعوي يلقّم صخرةً لأصبح صخرُ الأرض أغلى من النقد

إلى قوله[٦]:

---

(١) الحركة الأدبية، ص٨٠.

(٢) الديوان، ص٦١، ٦٢.

(٣) الديوان، ص٣١٣.

(٤) الديوان، ص٣١.

(٥) الديوان، ص٣٥.

(٦) الديوان، ص٥٤.

ومـن قـال دين الكفـر أهـدى طريقة ومذهبهـم خيـرٌ وأبـداه عـن عمـد
ومـن لـم يكفـر كافـراً فهـو كافـر ومن شـك في تكفيره من ذوي الطردِ
ومـن كان ديـن الكفـر أحسـن عنده وأكمـل هدياً من هدى كامل الرشـد

ويمكن إجمال موضوع الدفاع بأنه دفاع عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حروبه، وشرح مذهبه، والرد على مخالفي أهل السنة مستخدماً ألفاظ القذف الديني بصورة لم يسبق أن استخدمها أحد من علماء الدعوة، أو شعرائها كالرمي بالكفر والزندقة حتى أدخلا بشراً كثيراً في الكفر. فمن خلال هذا الغرض نلمح توافقاً وتماثلاً في أسلوبهما ومعانيهما[١]. إلا أن ابن مشرّف له أفضلية السبق على الرغم من تفوق ابن سحمان، فقد كان أكثر علماء الدعوة نشاطاً، ولعل ذلك يعود إلى أن الدعوة انتشرت أقصى انتشارها في أواخر القرن الثالث عشر، وأوائل الرابع عشر، وإلى أن أعداء الدعوة الذين كانوا يسكتون إبان قوتها قد ظهروا على الساحة، وكشفوا خباياهم، فكان ابن سحمان يتصدى لكل هؤلاء حتى قاربت كتبه الثلاثين كتاباً، أكثرها إن لم تكن كلها في الدفاع عن الدعوة[٢].

ثانياً: المديح:

إذا نظرنا إلى المديح لدى شاعرينا، فإننا نجد أن هذا الفن يحتل المرتبة الأولى من بين الفنون التي طرقها شاعرنا ابن مشرّف، وكان متخصصاً بنظم القصائد في مدح الإمام فيصل بن تركي كلما وقع حدث، أو حلّ موسم، وأطلّ عيد، بل لم يمدح رجلاً غيره إلا ابنه الإمام عبدالله بن فيصل في مرثية لأبيه، وأمير الأحساء في ذلك الوقت، أحمد السديري «بقصيدتين فقط، وأخرى في محمد بن أحمد السديري[٣]. ففي كل قصيدة يذكر فضائل وخلال الممدوح

---

(١) سليمان بن سحمان «حياته وشعره»، ص٥٢٠.

(٢) الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين، ص٧٠.

(٣) سليمان بن سحمان «حياته وشعره»، ص٥٩ بتصرف.

ويشيد بفضائله الكريمة، وخصاله الحميدة من غير مبالغة أو مغالاة مع إبراز الخصال الإسلامية الواضحة المتمثلة في شخصية الممدوح، ومن ذلك قوله في الإمام فيصل بن تركي في إحدى قصائده[١]:

لقد لاح سعد النيِّرات الطوالع ... وغابت نحوس من جميع المطالع
غداة أنخنا بالرياض ركابنا ... بباب إمام تابع للشرائع
حريص على إحياء سنة أحمد ... وإخماد نيران الهوى والبدائع
يقيم اعوجاج الأمر بالبيض والقنا ... ويحكم بالوحيين عند التنازع
ويحيي دروساً للعلوم بدرسها ... وتقريب ذي علم قريب وشاسع
تقي نقي قانت متواضع ... وما الفخر إلا في التقى والتواضع
ومازال للدين الحنيفي ناصراً ... بتدمير أوثان وتعمير جامع
يعامل قوماً بالأناة، فإن تفد ... وإلا أفادتهم حدود اللوامع
فإن كنت عن علياه يوماً محدثاً ... فحدث وقرط بالحديث مسامعي
هو المنهل الطامي بَلَّ به الصدى ... فرده ودع آل البقاع البلاقع
به أمَّنَ الله البلاد فأصبحت ... لنا حرماً في الأمن من كل رائع

إلى قوله[٢]:

وكم بائس عار كساه برفده ... وكم أشبعت يمناه من بطن جائع
قصدناه من هجر نؤمل رفده ... فجاد علينا بالمنى والمنافع

أما عند ابن سحمان فإن المديح لا يعد غرضا أصيلاً يقصد لذاته فيما عدا قصائده في مدح شيخه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ لما جمع رسائله، ومقطعة ومشجرة في مدح الملك عبدالعزيز، وقصيدة بعث بها إلى الشيخ عبدالله بن خاطر فيما عدا ذلك أتت مدائحه في تضاعيف القصائد[٣].

---

(١) الديوان، ص٧٦.

(٢) الديوان، ص٧٦.

(٣) سليمان بن سحمان، حياته وشعره، ص٢٣٨.

ونورد إحدى قصائده التي مدح فيها الإمام عبدالله بن فيصل بقوله[(١)]:

لقد ضل من أبدى القريض بمدحه ... ألا امتدح العضب الحسام المجردا
أخا المجد عبدالله من شاع ذكره ... وغار لعمري في البلاد وأنجدا
هو العارض الهطال بالجود والندى ... إذا كنت عن شيم الحقيقة أرمدا
فإن عد كعب في السماح أبت له ... أنامل تهمي عسجداً أو زبرجدا
وحاتم طي قد تضاءل جوده ... إلى جنب من يعطي الجزيل إذا جدا
يهاب ويرجى نيله فكعارض ... مخيفٍ وَقُلْ إن كنت في الشعر منشدا
هو البحر غُصْ فيه إذا كان ساكنا ... على الدر واحذره إذا كان مزبدا
هو المنهل الطامي لمن رام شربة ... يزيح بها عنه الحرارة والصَّدى
هو الضيغم العادي إذا استعر الوغى ... وشب ضرام في الوطيس وأوقدا
فكم من قتيل ثَمَّ صار مجندلاً ... وكم من أسيرٍ في الحديد مصفّدا

ويقارن الصمعاني بين هاتين القصيدتين بقوله: «في هذه الأبيات يتشابه الشاعران ابن مشرّف، وابن سحمان في المعاني والصفات التي عرضاها، والتي تدور حول الكرم والجود والسماحة والشجاعة والقوة واللين في المعاملة، ولكن ابن سحمان يعرضها بصورة تفوق فيها على زميله ابن مشرّف، إذ ظهرت أبياته أجزل أسلوباً، وأجود سبكا، ووفق في إظهار صفات ممدوحه وتأكيدها بمقارنتها بمن اشتهروا في هذه الصفات مثل حاتم في الكرم، وكعب بن مامة في السماحة، ثم في تضمينه بيت المتنبي لإيضاح صفتين متقابلتين متضادتين في ممدوحه، وهما القوة واللين، ثم أجاد في وصفه بالكرم والسخاء والشجاعة بحيث جعله منهلاً طامياً، وضيغماً عادياً إذا اشتدت المعركة.. مما سبق نطمئن إلى القول بتفوق ابن سحمان على زميله ابن مشرّف»[(٢)]. فليس من الممكن أن نحكم على شاعر ما بأنه أجاد

(١) الديوان، ص٣٨٣، ٣٨٤.

(٢) سليمان بن سحمان، حياته وشعره، ص٥٢٤.

أو أخفق من خلال استعراض قصيدة واحدة من ديوانه مع أن شاعرنا ابن مشرّف لديه ديوان زاخر بقصائد المديح، فنظم في الإمام فيصل بن تركي ستاً وعشرين قصيدة، فلو أننا استعرضنا جميع قصائد المدح التي قيلت فيه لحكمنا بتفوق ابن مشرّف في هذا الغرض على ابن سحمان لتميزه بشرف المعنى وصحته، وخلو ألفاظه وتراكيبه من أي عيب، ومن ذلك قوله (١):

فدونـك مـن أصـداف بحـري لآلئـا ... إلـى نظمهـا لا يهتـدي كل شـاعر
وبكـراً عروسـاً أبـرزت فـي خبائهـا ... شـبيهة غـزلان اللـواء النوافـر
إلى حسـنه يصبـو وينشـد ذو الحِجا ... لـك الخيـرُ حدثنـي بظبيـة عامـر

أما ابن سحمان فإننا نلاحظ بعض الألفاظ والتراكيب التي تنفر منها الأذن، كما يستخدم الألفاظ الغريبة والوحشية التي تحتاج إلى معجمات لفهمها، ومن ذلك قوله(٢):

صابـاً مصيبـاً لـذي غـيٍّ وذي دغـل ... غيثـاً لـذي الـود سـمحاً غيـر نـزاع

وقوله(٣):

واغضض كغضي عن العضلا إذا عرضت ... واكظم من الغيظ عند الغيظ والغضب
وجـد واجهـل وجاهـد واجتهـد أبـداً ... واترك لجاجة ذي التلجيج والشجب

كما أن الألفاظ والعبارات والأفكار التي ساقها ابن سحمان في القصيدة والتي فضّله بها على ابن مشرّف هي نفس الألفاظ والعبارات والأفكار التي أوردها ابن مشرّف، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر.

قوله (٤):

---

(١) الديوان، ص٦٩.
(٢) الديوان، ص٤٢٣.
(٣) الديوان، ص٣٣٩.
(٤) الديوان، ص٤٨.

وجـرّ عليهـم جحفـلاً بعـد جحفـل
وضيّـق عليهـم أرضهـم بالمقانـب

وقوله[١]:

وصيرهـم قسـمين: هـذا مجنـدل
قتيـل وهـذا فـي الحديـد مصفـدا

ويذكر المعنى نفسه في قصيدة أخرى[٢]:

وصيرهـم صنفيـن مـا بيـن هالـك
وبيـن أسـير فـي الحديـد مصفـد

فمن خلال ماعرضنا يتضح لنا أن ابن سحمان أخذ يطلع على شعر ابن مشرّف في تلك المدة أسلوباً وجزالة، واستفاد الشيء الكثير، فتأثر به وغرست في نفسه الأساليب والمعاني العميقة نفسها بعد أن حفظها الشاعر دون وعي، وأثرت فيه عندما نظم الشعر.

فإذن ابن سحمان لم يأت بجديد، وإنما أخذ هذه المعاني من ابن مشرّف، فكيف يتفوق عليه ؟

ثالثاً: الرثاء:

حفل شعر الدعوة الإسلامية بروح الحزن والأسى، فجاء شعر البكاء والرثاء، حيث كان تصويراً لبعض حقب التاريخ الغائمة التي عاشها إنسان هذه الدعوة، فقد رثى الشعراء الأعلام والحكام والديار المنكوبة، ومرابع العلم والدروس ومراتعه المهجورة، فكان لبكاء الديار، واضطراب الأمن، وضيعة الدين، وتفرق مجالس الإخوان، وذهاب السلطة من أهلها، وذلة الإسلام أقوى حزناً وأشدّ لوعة؛ لأنه يمثل روح المؤمن الصادق الذي يحس

(١) الديوان، ص٥٥.
(٢) الديوان، ص٦٣.

ضربات قلبه في طيات أبياته، وتلمس عاطفته الدينية الغيورة منبعثة من كل كلمة تضمنتها قصيدته، يدافع عن قضايا أمته بكل ما أوتي من قوة، ولا يستسلم ولا ييأس، بل يظل فاتحاً قلبه يرجو من الله كل خير.

أما رثاء الأشخاص من علماء وزعماء وأمراء فيبدو منه الشعراء أقل استرسالاً، وأضعف لوعة، ولعل ذلك يرجع إلى عدم عناية الشاعر بالأمور الشخصية، وخير من يمثل ذلك شاعرنا أحمد بن مشرّف، فعلى الرغم من مدحه للإمام فيصل بن تركي بثلاثين قصيدة إلا أن زنده يكل في الرثاء، فلم يستطع أن يقول فيه غير أحد عشر بيتاً ليس فيها روح الحزن والبكاء(١). ومن ذلك قوله (٢):

على فيصل بحر الندى والمكارم ... بكينا بدمع مثل صوب الغمائم
إمام نفى أهل الضلالة والخنا ... بسمر القنا والمرهفات الصوارم
فكم فل من جمع لهم جاء صائلا ... وأفنى رؤوساً منها في الملاحم(٣)
يجر عليهم جحفلا بعد جحفل ... ويرميهم في حربه بالقواصم
فما زال هذا دأبه في قتالهم ... تُغِيرُ بِنَجْدٍ خيله والتهائم(٤)
إلى أن أقيم الدين في كل قرية ... وأصبح عرش الملك عالي الدعائم
وأخلى القرى من كل شرك وبدعة ... وما زال ينهى عن ركوب المحارِمِ
ويعطي جزيل المال محتقراً له ... سماحاً، ويعفو عن كثير الجرائم
مناقب جود قد حواها جبلة ... فحاز الثنا من عربها والأعاجم
تغمده المولى الكريم برحمة ... وأسكنه الفردوس مع كل ناعم
فلا جزع مما قضى الله فاصطبر ... وإلا ستسلو مثل سلو البهائم

(١) الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، ص٧٢.
(٢) الديوان، ص٩٩، ١٠٠.
(٣) الشطر مكسور ولعلها: «وأفنى رؤوسا مثلها في الملاحم» حتى يستقيم الوزن.
(٤) التهائم: جمع تهامة، وهي المنطقة المعروفة غرب المملكة.

فعلى الرغم من أهمية الأمير الخاصة لدى الشاعر؛ إلا أن هذه العاطفة افتقرت إلى مشاعر الحزن الصادقة والعميقة التي نحسها في قصائد الرثاء غالباً.

وإذا قارنا هذه القصيدة بقصيدة ابن سحمان التي يرثي بها الشيخ محمد بن سلطان حيث العاطفة التي تحس بها مبثوثة وسط الأبيات والخيال الذي مكنه من التصوير الرائع لهذا الحدث والمصاب الجلل بفقد هذا الشيخ الفاضل[١]، التي يقول في مطلعها[٢]:

طار الكراء وفاض الدمع وانسجما ... من فادح حادث بالناس قد دهما
وثلمة فرجت في الدين وانثلمت ... لا يستطيع امرؤ سداً لما انثلما
بعالم عام في بحر العلوم فلم ... يترك لمنتقد قولاً ولا كلما
وفاضل حُمدت في الناس سيرته ... بالحلم فاق على أقرانه فسما

إلى أن يقول[٣]:

خُبْرٌ تقضت به الأيام وانصرمت ... حتى اغتدى رهن رمس بالثرى أرما
لما نمَى موته الناعون أنّ به ... ريب المنون أناخ الرحل فاخترما
طاشت حلوم ذوي الألباب وانصدعت ... منا القلوب لهذا الخطب إذ عظما
وضافنا بعده هَمٌّ فأرقنا ... وليس عما قضاه الله منهزما
إني وقد أظلمت كل البلاد وقد ... عم البلاء فأبد القلبُ مالتما
وفاض في الناس هذا الجهل واندرست ... معالم العلم حتى غاض وانصرما
من فقد كل إمام جهبذٍ ثقةٍ ... قد اعتنى بحماء الشرع فانتضما
كالفاضل الثقة الموهوب تكرمة ... فضلاً على الناس بالعلم الذي علما

وابن سحمان في هذه الأبيات استطاع أن ينقل لنا تجربته، ووفّق في توصيلها حتى جعلنا نشاركه هذا الموقف المؤثر، ونحس بعظم فقده، وفقد

(١) سليمان بن سحمان حياته وشعره، ص٥٢١.
(٢) الديوان، ص٤٧١.
(٣) الديوان، ص٤٧١، ٤٧٢.

الناس هذا العالم الجليل[1]. والقصيدة ما هي إلا بلورة لشعور مملوء بالحزن لفقدان عزيز، فعندما ضاق صدره بعث بهذه النفثات الحارة التي خشي كتمانها، فأطلقها من أسرها الداخلي وقدمها في شكل شعري مؤثر.

٢ - آراء النقاد في شعره:

التمهيد:

خلف الشاعر أحمد بن مشرّف تراثاً شعرياً يقرب من (٢٦٢٠) بيتاً، وتميز شعره بأنه أوسع سجل شعري لغزوات الإمام فيصل وحروبه، وقد طرق ابن مشرّف عدداً من موضوعات الشعر، فأكثر من المديح وأكثر مدائحه في الإمام فيصل الذي أعاد للدولة السعودية عزّتها بعد ذلّ، ووظّف شعره كذلك في خدمة عقيدة التوحيد، فشرح ودافع وناقض، ونجد ذلك إما في قصائد مستقلة وإما في أثناء القصائد.

وقد سجل شعر ابن مشرّف الأحداث السياسية، وصوَّر الأحوال الاجتماعية، فتضمن شعره جميع الأغراض، والموضوعات الشعرية من مدح، وهجاء، وحكمة، ووعظ، وإخوانيات، وبكاء، وشكوى، وشعر سياسي، وتهان..

إن ابن مشرّف بهذا التراث الخالد، وبهذا التوجه المحمود، وبهذا التفرد والتميز، أصبح القاسم المشترك في كل حديث عن الشعر في الجزيرة العربية، ونجد خاصة، فقد اعتمد شعره ضمن الشعر النجدي في الحكم على خصائص الشعر النجدي، بل الحديث عن الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب لا يكتمل إلا بالحديث عن شعر ابن مشرّف، فهو من شعرائها ومحاميها، وألسنتها، وقد ذاعت شهرة ابن مشرّف فلم يغفل ذكره أحد، وفي مقدمة من أولوه اهتماماً خاصاً، وأكثر من تحدث عن شعره د. عبدالله الحامد في مؤلفيه «الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب»، و «الشعر

(١) سليمان بن سحمان، حياته وشعره، ص٥٢٣.

في الجزيرة العربية نجد والحجاز والأحساء والقطيف خلال قرنين ١١٥٠-١٣٥٠» د. محمد بن سعد بن حسين في مؤلفاته «الأدب الحديث تاريخ ودراسات»، و «من شعراء الإسلام»، و «الأدب الحديث في نجد» تحقيق د. عبدالسلام سرحان، ثم د. بكري شيخ أمين في كتابه «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية» يلي هؤلاء من ذكر رأيه أو وصف شعر ابن مشرّف على شكل إشارات خفيفة، مثل: د. عثمان الصالح العلي الصوينع في مؤلفه «حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر»، ثم محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر الأنصاري الأحسائي في مؤلفه «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد»، ثم د. عبدالفتاح محمد الحلو في مؤلفه «شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر».

آراء النقاد: عرض وتقويم:

أ - الأستاذ الدكتور عبدالله الحامد:

تحدث د. عبدالله الحامد في مؤلفه «الشعر في ظلال دعوة الإمام بن عبدالوهاب» عن شعر أحمد بن مشرّف بصفة مستقلة، وتحدث عنه ضمن الخصائص والسمات المشتركة مع معاصريه وسابقيه، وهم ابن عثيمين، وابن بليهد، وابن سحمان، فيذكر أن شعره أوسع سجل شعري لغزوات الإمام فيصل وحروبه، فقد واكبه منذ البداية إلى الانتهاء، ويبدو أنه أدرك وهو شاب كارثة الدرعية سنة ١٢٣٣هـ(١٨١٨م)؛ لان له شعراً فيها، ولم يؤثر له شعر قبل نكبة الدرعية، وبعد وفاة الإمام فيصل فلم يقل شيئاً إبان الخلاف بين أولاد فيصل، وقد توفي في أثنائه[١].

يذكر د. عبدالله الحامد في البداية عن الموضوعات التي طرقها ابن مشرّف في شعره، فيقول: «قد طرق المديح، وأكثر منه، وأكثر مدائحه في

(١) د. عبدالله الحامد، الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، ص٩٦.

الإمام فيصل، الذي أعاد للدولة السعودية جدتها بعد بلى، وعزتها بعد ذل، وكان رجلاً شجاعاً كريماً معطاء، ومدائحه لغير فيصل قليلة، ولا نجد له مشاركة في الأحداث السياسة قبل اتصاله بالإمام فيصل، والشيء الغريب الذي يجدر بالدارس الوقوف عنده أن الرجل يطلب المكافأة على شعره[١]:

فلولاه لم ترقص بنا العيس في الفلا ... من البيد تطوى فدفداً بعد فدفد
نرجي نوالاً لم تجد كف هوذة ... به قط للأعشى ولا كف أجود
فلما أناخت عيسنا بفنائه ... قضت كل مأمول وسول مقصد

بينما نجده في بعض قصائده سياسياً جريئاً، يوبخ الحاكمين، ويعرض عليهم مشكلات البلد، ويعرض تخاذلهم عن قمع اللصوص بأسلوب ساخر[٢].

وشعره في **المديح يضم ثلاثة أنواع**: المديح الخالص من المناسبات، والتهاني بفتح، أو الظفر على عدو، أو مسير جيش، والثالث ليس من المديح، ولكنه اتصل به عرض بعض القضايا السياسية التي تتصل بالأمن، وظلم العمال وغارات الأعراب، وتقارب قصائده في هذا الغرض العشرين[٣].

وهو كشعراء الدعوة يركز في المديح على نصر الإسلام والتدين، قال في آل سعود[٤]:

همو نصروا التوحيد بالبيض والقنا ... فنال المنى بالنصر كل موحد
وكم غارة شعواء شنوا على العدا ... وكم طارف منهم حووه ومتلد
وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا ... وكم هدموا بنيان شرك مشيدِ

---

(١) الديوان، ص٦٤.

(٢) د. عبدالله الحامد، الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد عبدالوهاب، الطبعة الأولى، دار الكتاب السعودي، الرياض، ص٩٦.

(٣) المرجع السابق، ص٩٧.

(٤) ديوان ابن مشرّف، ص٦١، ٦٢.

مع الصفات التي جرت عادة الشعراء امتداحها في الحاكمين، قال في مدح فيصل[(١)]:

تـراه لفعـل المكرمـات مشـمراً   إذا الجـود والإقـدام للنـاس أقعـدا
يعامـل مـن يرعـى برفـق ورحمـة   ويقمـع منهـم مـن طغـى وتمـردا
إذا اجتـاز قـوم بالنـوال أجازهـم   فعاشـوا بخيـر كلمـا راح أو غـدا

ويتحدث د. الحامد بعد ذلك عن شعر ابن مشرّف الديني، فيقول: أما شعره الديني في الدعوة شرحاً ودفاعاً، ومناقضة، فهو كثير سواء نظرنا إلى قصائده المستقلة أم إلى تردده في أثناء القصائد[(٢)].

تحدث عن غربة الزمان، واندراس العلم، وتكالب الفتن، حتى استغرب الشاعر أفعال المتمسكين بالدين فضلاً عن المتهاونين[(٣)].

واغربـة الديـن فاعجـب مـن تغرّبـه
عنـد المصـدق فضـلاً عـن مكذّبـه

ونعى على الناس ذهابهم إلى «عين نجم» في جو تسوده الخرافة والأسطورة، وكثير من اللهو والخنا، وكانت عليها قبة[(٤)]:

ألا فاتـركا عينـاً تضـاف إلـى نجـم
فقبتهـا بالهـدم أولـى وبالرجـمِ

بعد ذلك يتحدث د. الحامد عن شعر ابن مشرّف السياسي، فيقول: «أما شعره السياسي، فقد تحدث فيه عن غارات الأعراب على الأحساء، وشكا فيه جور عمال الصدقة، ونقد وحرض الإمام فيصلاً، ودعاه إلى النكاية بالمفسدين»[(٥)].

(١) الديوان، ص٥٥.
(٢) الشعر في ظلال دعوة الإمام، ص٩٨.
(٣) الديوان، ص٤٤.
(٤) الديوان، ص٣٤.
(٥) الشعر في ظلال دعوة الإمام، مرجع سابق، ص١٠٠.

يقول في ظلامته(١):

إليك شـددت العيس أشكو ظلامتي   فقـد رام خسـفي حاسـد وظلـومُ
وجـار علـيّ العاملـون بخرصهـم   وظلم الـورى يـوم الحسـاب وخيم

أما الأعراب فقد وصف عبثهم بالأمن، في ثلاث قصائد، يقول في قصيدته الرائية: إن الأعراب أساؤوا الظن بالإمام فقالوا (٢):

نغيـر علـى بلدانـه ونخيفهـا   ليعرفنـا الوالـي وينمـو لنـا الوفـر
فـإن لـم نصـب مـا قـد أردنـا فإنـه   صفوح عن الجاني ومن طبعه الصبر

وكلمة الصبر هذه كناية أراد بها التحريض، وقد صرح في قصيدته البائية بنحو من هذه المقالة، واستخدم كناية عن التخاذل جديدة، حين زعم أن حبيبته رفضت وصاله، وقالت (٣):

أنـا فـي ربـا نجـد وأنـت ببلـدة
أحاطـت بها الأعداء مـن كل جانب

ويذكر د. الحامد أن ابن مشرّف يستخدم في شعره السياسي الصراحة بينه وبين الحكام وعدم المواربة، يدعوهم إلى القوة، وفي البائية استخدم الشاعر كل الأساليب من وصف للمأساة، وتعريض، وتصريح، وتحذير، وتحريض(٤).

ويقول – أيضاً – وابن مشرّف في شعره السياسي إضافة إلى صراحته يدعو إلى القوة، وربما أرسل الحكم بصيغ التعريض الحارقة(٥)، يقول للإمام(٦):

---

(١) الديوان، ص٦٦.
(٢) الشعر في ظلال دعوة الإمام، مرجع سابق، ص١٠١.
(٣) الديوان، ص٤٦.
(٤) الشعر في ظلال دعوة الإمام ص١٠١.
(٥) المرجع السابق، ص١٠٢.
(٦) الديوان، ص٩٨.

ما جرّد الصمصام ذو همة ... عند اعوجاج الأمر إلا استقام
والمجد لا يدركه مولع ... بلثمة الحسناء ذات اللثام

ويتحدث د. الحامد عن شعر الغزل عند ابن مشرّف، فيقول: وغزل الشاعر تقليدي، خاص بمطالع القصيد، لا يأتي في قصيدة مستقلة، حسي متتابع التشبيهات للحبيبة التي تكون غزالاً وبدراً يكتنفه الليل[1]، يقول[2]:

فتاة كأن البدر غرة وجهها ... سوى أنه حيناً إذا تم يكسف
ترى الصبح يبدو نوره من جبينها ... وفي شعرها جنح من الليل يعكف

ويضيف د. الحامد أن الشاعر فيما يبدو يجيد من أغراض الشعر ما يتصل بالقوة، ولذلك يجيد في المديح، ووصف الفتوح والمعارك، ويحسن التحريض، لكن زنده يكل في الرثاء، مات فيصل بن تركي، الذي مدحه الشاعر بأكثر من ثلاثين قصيدة، فلم يستطع أن يقول فيه غير أحد عشر بيتاً، ليس فيها روح الحزن أو البكاء[3]، على طراز قوله[4]:

تغمده المولى الكريم برحمة ... وأسكنه الفردوس مَعْ كل ناعم
فلا جزع مما قضى الله فاصطبر ... وإلا ستسلو مثل سلو البهائم

ويتحدث د. الحامد بعد ذلك عن الشعر التعليمي عند ابن مشرّف. ومن ذلك منظومات في أصول الدين، منها نظمه رسالة القيرواني، وقصيدة الشهب المرمية في الرد على المعطلة والجهمية، قرابة مئة بيت[5]، ومطلعها[6]:

نفيتم صفات الله فالله أكمل
وسبحانه عما يقول المعطلُ

---

(١) الشعر في ظلال الدعوة، ص١٠٢.
(٢) الديوان، ص٨١.
(٣) الشعر في ظلال دعوة الإمام، ص١٠٣.
(٤) الديوان، ص١٠٠.
(٥) الشعر في ظلال دعوة الإمام، ص١٠٣.
(٦) الديوان، ص٢٤.

إلى جانب ما سبق نجد د. الحامد يتعرض للشاعر ابن مشرّف في كتابه «الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب»، ففي الباب الأول من الكتاب «المواصفات» نجد د. الحامد يتحدث عن شعر الدفاع، وعن «شعر النقائض» يقول: قال عثمان بن منصور مبتدئاً يمدح داود بن جرجيس، مرسلاً قصيدته من ربا نجد إلى خليله في عالية العراق[1]، حيث يقول[2]:

سرت من ربا نجد تجر ثيابها ... معطرة الأدران كالنفل المثري
من الخل عثمان التميمي نظمها ... على نقض زيف من طغام صدى وكر

ويمدح فيها داود، ويثني على حسبه ونسبه[3]:

سمي نبي الله داود ليتني ... تميلت منه الأنس في ساعة العمر
إلى جده جرجيس بالأصل ينتمي ... لبنت رسول الله عالية الخدر
فدم واستقم ما دمت في الله قامعاً ... لشيعة جند النهرواني والجبر

وقد ناقضه ابن مشرّف بقصيدتين مطلع الأولى[4]:

وقفت على نظم لبعض بني العصر ... تضمن أقوالاً بقائلها تزري

والثانية مطلعها[5]:

يا ظبية البان بل يا ظبية الدور ... هل أنت من نسل حوا أو من الحور

ويقول د. الحامد: أما الأضرحة على القبور فقد كان المعارضون أقل احتفالاً بها، وإن كانوا يحتجون بالعامة دائماً، قال ابن مشرّف ينعى عليهم

---

(١) الشعر في ظلال دعوة الإمام، مرجع سابق، ص٢٠.
(٢) الديوان، ص٥٩.
(٣) الديوان، ص٣٩٨.
(٤) الديوان، ص٢٩.
(٥) الديوان، ص٣١.

الطواف بها، والاستغاثة بها، والدعاء لها [١]، حيث يقول [٢]:

قد خالفوا السنة الغراء وابتدعوا ... والشرك جاؤوا بحظ منه موفور
لم يسلكوا منهج التوحيد بل فتنوا ... بكل ذي جدث في اللحد مقبور
هذا يطوف وهذا في تقربه ... يأتي إليه بمنحور ومنذور
وذا به مستغيث في شدائده ... يرجو الإجابة في تيسير معسور

ويضيف د. الحامد: وفي مسائل التوحيد كثرت النقائض، وألفت المنظومات، هؤلاء يدافعون عن مذهب أهل السنة والجماعة، ويسمون خصومهم بالمعطلة والجهمية والقدرية، وأولئك ينادون بآراء المعتزلة، والأشاعرة، والجهمية، ويسمون الآخرين المجسمة والخوارج، إلى غير ذلك من القضايا التي شغل الفقهاء بها أنفسهم كل يكفر الآخر، وكل يدعي أنه الوسط، وأنه الفرقة الناجية التي استثناها الرسول من الثلاث والسبعين فرقة، التي كلها في النار إلا واحدة، وغير ذلك من القضايا التي فرقت بين الأمة الإسلامية، واتخذت من النوافذ أبواباً، ومن الفروع أصولاً، حتى توسع الخلاف وصعب على الناس العودة إلى القرآن والسنة بالفطرة، دون شحن الدماغ بقضايا فلسفية تضل حاملها أكثر مما تهديه، ودون التضييق في فهم الكتاب والسنة، واستخدام ألفاظ الكفر بين العلماء. ومن القصائد التي عنيت بمذهب أهل السنة والهجوم على أعدائهم قصيدة ابن مشرّف التي سماها «الشهب المرمية في الرد على المعطلة والجهمية» [٣]، ومطلعها [٤]:

نفيتم صفات الله فالله أكمل ... وسبحانه عما يقول المعطلُ

---

(١) الشعر في ظلال دعوة الإمام، مرجع سابق، ص٢١.
(٢) الديوان، ص٣١.
(٣) الشعر في ظلال دعوة الإمام، ص٢٧.
(٤) الديوان، ص٢٤.

وعند حديث د. الحامد عن شعر المديح، يقول: وفي شعر المديح والثناء أشاد الشعراء بعلماء الدعوة، وأولهم الشيخ محمد وآله، وأتباعه من حماة الدعوة والعلماء المدافعين عنها في خارج الدولة وداخلها، مسهبين في الحديث عن سعة علمهم، وتحقيقهم، وتحريهم وإكبابهم على الدرس والإملاء لنشر الدعوة بالرسائل والكتب، ومديح علماء الدعوة يأتي في قصائد مستقلة قليلاً، ويأتي كثيراً ضمن أغراض شتى كقصائد الحرب والحماسة ومديح الأمراء وهجاء أعداء الدعوة والمناقضات وغيرها [١]، قال ابن مشرّف[٢]:

لقد أوضح الإسلام عند اغترابه ... وقد جدّ في إخفائه كل ملحد
وجدّد منهاج الشريعة إذا عفت ... فأكرم به من عالم ومجدّد
وأحيا بدرس العلم دارس رسمها ... كما قد أمات الشرك بالقول واليد

وعن مديح الأمراء يقول د. الحامد: ولقد كان الأمراء يجيزون شعراء المديح؛ لأنهم في مرحلة أشد ما يكونون بحاجة إلى الدعاية، للدعوة ورجالها وأفكارها، وليس لدينا نص يدل على هذه الإجازة، لكن كثرة مديح الشعراء لفيصل بن تركي توحي بذلك [٣].

قال ابن مشرّف يمدح فيصلاً [٤]:

همو نصروا التوحيد بالبيض والقنا ... فنال المنى بالنصر كل موحد
وآووا إماماً قام لله داعياً ... يسمى بشيخ المسلمين محمد
فوازره عبدالعزيز ورهطه ... على قلة منهم وعيش منكد
فما خاف في الرحمن لومة لائم ... ولم يثنه صولات باغ ومعتد

---

(١) الشعر في ظلال دعوة الإمام، ص٥٤.
(٢) الديوان، ص٦١، ٦٢.
(٣) الشعر في ظلال دعوة الإمام، ص٤٨.
(٤) الديوان، ص٦١، ٦٢.

وكم غارة شعواء شنوا على العدا؟ وكم طارف منهم حووه ومتلد؟
وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا؟ وكم هدموا بنيان شرك مشيد؟

ووصف الشعراء الأمراء بالصفات التي عرفوا إتقانها منذ الجاهلية من الشجاعة، إلى الكرم، إلى العقل، إلى المدح بالعدل والحلم[١]، قال ابن مشرّف في مديح فيصل [٢]:

تراه لفعل المكرمات مشمرا إذا الجود والإقدام للناس أقعدا
يخوض لظى الهيجاء فرداً وكفه سحاب ندى يهمي لجيناً وعسجدا
يعامل من يرعى برفق ورحمة ويقمع منهم من طغى وتمردا
إذا اجتاز قوم بالنوال أجازهم فعاشوا بخير كلما راح أو غدا

وعند حديث د. الحامد عن وصف المعارك والفتوح، يقول: واكب الشعر الحركة منذ بدايتها، وكان أول ما قيل من الشعر في وصف المعارك، والفتوح، والتهاني بالنصر، وأول الشعراء ابن غنام..، ثم ابن مشرّف الذي عاصر الدولة السعودية الثانية...[٣]. ووصف ابن مشرّف معارك الإمام فيصل بالأعداء وتنكيله حيث قال[٤]:

وكم قد أغاروا في الدروب وكم عثوا وكم قطعوا سبل الحجيج وخوفوا
فقال ادخلوا في السلم طرّاً وأسلموا وإلا فحرب وعده ليس يخلف
وأقسم لا نعطي على ديننا الرشا وما عندنا إلا حسام ومصحف
فمن لم يقومه الكتاب أقامه حدود الظبا والسمهري المثقف
فهل يستقيم الدين إلا بدعوة إلى الله يتلوها سنان ومرهف
فلما أبوا إلا الخلاف تمرداً رماهم بما يؤذي النفوس ويتلف
بجيش لُهام حشوه الخيل والقنا تهب رياح الموت منه وتعصف

(١) الشعر في ظلال الدعوة، ص٥١.
(٢) الديوان، ص٥٥.
(٣) الشعر في ظلال دعوة الإمام، مرجع سابق، ص٥٥.
(٤) الديوان، ص٨١.

وعند حديث د. الحامد عن الشعر السياسي، يقول: «والشعر السياسي الذي يحرض على الحروب، ويدعو الحكام إلى الحزم، وأخذ الحيطة من الأعداء في الداخل والخارج، وترك الهوادة واللين في معالجة أمور الأمة، وجد كثيراً مثلما وجد منه الشعر الذي يعرض قضايا الأمة أمام الحكام، ويطالبهم بإصلاحها، وفي عهد الإمام فيصل كان لسان ابن مشرّف قوياً حاداً لا يهاب[1]، قال يشكو عمال الأحساء وجورهم في تقدير الزكاة»[2].

إليك شددت العيس أشكو ظلامتي ... فقد رام خسفي حاسد وظلومُ

وجار عليّ العاملون بخرصهم ... وظلم الورى يوم الحساب وخيم

وإنك للمظلوم كهف ومعقل ... يلوذ به مستضعف ويتيم

ويعرض د. عبدالله الحامد آراء أخرى في كتابه «الشعر في الجزيرة العربية (نجد، والحجاز، والأحساء، والقطيف) خلال قرنين ١١٥٠-١٣٥٠هـ»، يذكر في الفصل الثالث «سمات وخصائص عامة»، نقصد بذلك سمات وخصائص شعر ابن مشرّف ومن عاصره، يقول د. الحامد عن مطالع القصائد:

«إن المقدمة الغزلية سارت بجانب المطالع الموضوعية جنباً إلى جنب، وكان أكثر الشعر مجافياً المقدمة الطللية، وليس إهمالهم المقدمة الطللية ناتجاً من وعي أدبي أو حركة نقدية، بل هو الفطري الطبيعي، الذي نتج من اهتمامهم بالجد، ومجابهتهم الهزل»[3]. ومن هذه المطالع قول ابن مشرّف[4]:

واغربة الدين ! فاعجب من تغربه ... عن المصدق فضلاً عن مكذبه

(١) الشعر في ظلال دعوة الإمام، ص٥٨.

(٢) الديوان، ص٩٥.

(٣) الشعر في الجزيرة العربية، ص١٨٩.

(٤) الديوان، ص٤٤.

ويذكر د. الحامد أن هؤلاء الشعراء رغبوا في البحور التامة الطويلة الرصينة كالطويل والكامل والبسيط، إلا ما نجده عند ابن مشرّف من قصائد في القصص والنصائح قصيرة البحور[1].

ويقول أيضاً عن هؤلاء الشعراء: «وأطالوا في القصائد، في نفس شعري ممتد لا يتوقف، حتى بلغت ثلاث مئة وخمس مئة وسبع مئة... »[2].

ويتحدث د. الحامد في هذا الفصل أيضاً عن «مضامين الشعر» بقوله: «أما مضامين الشعر فإن أهم ما يستبد بالاهتمام، ويستثير الإعجاب هذه الكثرة من قصائد الدفاع عن الدعوة، سواء في جانبها الفكري، من شرح لأفكارها، وعرض ودعوة إليها، أو دفاع شبه أعدائها الذين نقدوها بكثير من الحيف، وقليل من الإنصاف، وأكثر ما قيل من الشعر في هذا الجانب، أم في مسيرتها الحركية السياسية، وما يتصل بها من وصف للجيوش، والمعارك والحروب، وإشادة بالفتوح، وتهان بالانتصار، ورثاء للقتلى وبكاء، وحض للهمم وتحريض.. وقد شارك الشعراء كلهم في كل الجوانب: الحركي السياسي، والفكري العلمي، فوقف ابن مشرّف وسطاً يمزج جانب السياسية بجانب العلم سواء، وغلب على ابن سحمان الجانب الفكري، وغلب على ابن عثيمين الجانب السياسي. كان ابن مشرّف يشهد قوة الصراع بين أعداء الدعوة في الميدانين المتوازيين، الدعوة والحركة، فكان شعره متواكباً مع الجانبين»[3].

ويقول د. الحامد أيضاً: «وشيوع فلسفة القوة في الشعر شيء رائع في هذا الشعر، فالمتتبع له يجد فيه روح الكفاح والنضال والقتال، والذب عن الحرمات، وهو بذلك صورة للقوة التي استخدمت في هذا العصر الذي تشابه فيه حيوان الغابة، وإنسان القرية، بله إنسان البادية الذي جمع من البيئتين ما

---

(١) الشعر في الجزيرة العربية، ص١٩١.

(٢) المرجع السابق، ص١٩١.

(٣) الشعر في الجزيرة العربية، ص١٩٣.

فيها من قسوة وفتك وانتهاز، كما عاصر الزعماء الذين يرون سلطانهم ينافي سلطان الله، فرغبوا عن الإصلاح، واستبدت بهم شهوات السيطرة والقوة والقتل. فكانت القوة في العدل علاجاً ناجحاً للفوضى القوية»[١].

كما قال ابن مشرّف[٢]:

ما جـرد الصمـام ذو همـة
عنـد اعوجـاج الأمـر إلـى اسـتقام

ويخصص د. الحامد الباب الثالث في كتابه «الشعر في الجزيرة العربية «للحديث عن الشعر في الأحساء، وتحدث في فصله الثالث عن: «سمات وخصائص عامة» يقول فيه: «واختفاء رنة الحزن والبكاء من شعرهم سمة واضحة، وما أقل ما يبكون وما يحزنون، وما أضعف رثاءهم وشكواهم، وحتى غزلهم وما فيه من شكوى، قليلة ضعيفة، رغم أن الغزل لا يمثل إطار الحزن العام ؛ لأن أكثره يأتي مقدمة، أو لهواً وعبثاً يقوله المشايخ ليدفعوا عنهم سأم الدروس الثقيلة، وتعب حتى الركب للتعليم، بالرغم من أنهم يختلطون ببيئة التشيع التي أجادت شعر البكاء والرثاء، بصورة لا تراها في شعر الغابرين أو المعاصرين.

ربما كان من أسباب ذلك البيئة المترفة، التي يغدو فيها الناس ويروحون مطمئنين إلى رزقهم ومعاشهم، ولو لم يكن في هجر إلا التمر الذي شهرت به في القديم والحديث لكفى القوم رغداً في عصر كان أهل نجد يأكلون القد الملوي، والأخضر واليابس. والذين يعتادون النعمة وظلالها مهما كانت قليلة، يعجزهم التعبير عن مواقف البكاء حتى ابن مشرّف رغم حماسه الكثير للدعوة، وشدة إيمانه بها إلا أنه لم يقل شيئاً ذا بال يمكن أن يوازي شاعريته في نكبات الدرعية والرياض»[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص١٩٣.

(٢) الديوان، ص٩٨.

(٣) الشعر في الجزيرة العربية، ص٣٣١.

ويتحدث د. الحامد عن قيمة الشعر، ويقسم الشعر ثلاثة أقسام:

«قسم له روح العلم، أو فيه الضعف والركاكة أو فيه التكلف، أو الرداءة، وذكر د. الحامد أن بعض شعر ابن مشرّف يندرج تحت هذا القسم»[١].

وشعر وسط ولم نجد شعر ابن مشرّف من هذا القسم.

وشعر جيد، وذكر د. الحامد أن بعض شعر ابن مشرّف في السياسة والمديح يندرج تحت هذا القسم[٢].

ويقول د. الحامد: ولابن مشرّف دور بارز أيضاً في مواكبة قضايا الأمة، فقد واكب فتوح الدعوة الإصلاحية ونقد بعض القضايا السياسية، والأمنية[٣].

ويقول: «امتطى الشعراء والعلماء صهوات الشعر لنظم المتون والفتاوى، وتسجيل المسائل للحفظ، كما نجد في شعر ابن مشرّف في التاريخ والأخلاق»[٤].

ويقول أيضاً: «وتابع الشعراء سابقيهم العثمانيين ختام القصيدة بما بدأت به، واهتموا خاصة بختم القصيدة بالصلاة على المصطفى، ولعلهم ولعوا ولوعاً أكثر من سابقيهم، وبخاصة شعراء الدعوة الإصلاحية كابن مشرّف وابن عثيمين اللذين لا يكادان يتركانها»[٥].

ب - الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين:

١- شعر ابن مشرّف عنده:

تحدث د. محمد بن حسين عن ابن مشرّف في أكثر من كتاب فنجد

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٢٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٣١.

(٤) الشعر في الجزيرة العربية، ص ٤٣٧.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٤١.

له كتاب «من شعراء الإسلام، وكتاب «الأدب الحديث تاريخ ودراسات»، وكتاب «الأدب الحديث في نجد»، ويكاد يكون حديث د. محمد بن حسين عن ابن مشرّف واحداً في الكتب الثلاثة.

يقول أ.د محمد بن سعد بن حسين عن شعر ابن مشرّف: «قد نشأ ابن مشرّف في أيام كانت علوم الدين فيها على أشدها، فليس من الغريب أن ينطبع بتلك الأيام، فاصطبغت بصبغتها المشرفة روحه الشاعرة، فتنفست بأنسامها العطرة نفسه المؤمنة، فجاء شعره ونظمه صورة لذلك الانطباع»[1].

وإن شئت أن تلمس ذلك بنفسك فاسمع من شعره - مثلاً - قوله - وهو من منظومة بعنوان «الشهب المرمية على المعطلة والجهمية»[2].

نفيتم صفات الله فالله أكمل	وسبحانه عما يقول المعطلُ
زعمتم بأن الله ليس بمستو	على عرشه والاستوا ليس يجهل
فقد جاء في الأخبار في غير موضعٍ	بلفظ «استوى» لا غير يا متأول
وقد جاء في إثباته عن نبينا	من الخبر المأثور ما ليس يشكل
فصرح أن الله جل جلاله	على عرشه منه الملائك تنزل
يخافونه من فوقهم وعروجهم	إليه وهذا في الكتاب مفصل

«إنه شاعر وناظم مجيد على الرغم من ظهوره في عصر لم يكن فيه للأدب دولة، ولا للشعر سلطان، ولعل هذا سر كثرة النظم فيما قال، إذ يبلغ النظم أكثر من ثلث ما ترك، رحمة الله عليه[3].

(١) محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث تاريخ ودراسات الجزء الثاني، الطبعة الخامسة، ١٤١١هـ (١٩٩٠م)، ص١٣٤.
(٢) الديوان، ص٢٤.
(٣) الأدب الحديث وتاريخ ودراسات ج٢.

وابن مشرّف يتمتع بشاعرية متدفقة وشعره يدل على ملكة أصلية، ولكنه مع ذلك كان يحاكي الأقدمين، ويترسم خطاهم، فشأنه في ذلك شأن شعراء عصره في البلاد العربية الأخرى»[١].

ويضيف د. ابن حسين: «بل ابن مشرّف يعد فيهم الفحل الأول، وإن شئت تبين ذلك فوازن بينه وبين أي واحد منهم مثل السيد أحمد البيروتي وعلي أبي النصر المنفلوطي، وأمثالهما، بل نستطيع أن نقول أكثر من هذا:

وهو أن ابن مشرّف استطاع أن ينزع بالشعر إلى عهد فحول القرن السابع الهجري، كعلي بن المقرب العيوني، وبهذا خلص الشعر من سيطرة المحسنات البديعية، ومن الركاكة والضعف في اللغة والأساليب، وأن ينحو به نحواً فيه يسر وسهولة إلى ما فيه من فصاحة وأصالة»[٢].

٢- موضوعات شعر ابن مشرّف:

يقول أ. د. ابن حسين حول موضوعات شعر ابن مشرّف:

«يمكننا أن نقسم شعر ابن مشرّف من حيث الموضوع إلى خمسة أقسام:

نظم بعض المسائل العلمية، كقصيدته الشهب المرمية السالفة، ونظم التاريخ من أيام النبي ﷺ إلى أيام العباسيين[٣].

١-**المدح**: لم يتخذ ابن مشرّف المدح حرفة ولا وسيلة اكتساب، بدليل أنه لم يمدح كثيراً فقد ضمن مدائحه الإمام فيصل الشكوى من بعض الحالات التي تقع من بعض العمال فيؤذى بها الناس، ولذا يكون ابن مشرّف لسان حال مجتمعه في مجلس الإمام.

(١) المرجع السابق، ص١٣٥.
(٢) المرجع السابق، ص١٣٧.
(٣) المرجع السابق، ص١٣٨.

لقد نظم في مدح الإمام ٢٦ قصيدة، جلّها من جيد الشعر، ونظم في واليه على الأحساء والخليج أحمد السديري قصيدتين، أما أسمى مدائح ابن مشرّف فالحائية التي مدح بها المصطفى ﷺ» (١). وهي التي يقول فيها(٢):

طفلة جمّلها حسن البها ... لا مقاليد وأقراط ووشح
بل بها الحلية قد زانت كما ... زين الشعر لخير الخلق مدح
أحمد الهادي إلى سبل الهدى ... كم بدا منه لأهل الأرض نصح
هاشمي قرشي طاهر ... حسن الأخلاق زاكي الأصل سمح
جاء بالدين الحنيفيِّ وقد ... طبق الأرض من الإشراك جنح

٢-**الحكم**: ولابن مشرّف في هذا نظم كثير فيه نصح وإرشاد ودعوة إلى مكارم الأخلاق، كالعفة والصدق والإخلاص، والنهي عن الصفات السيئة، كالكذب والخيانة والفسق والفجور، ومما دعا إليه التناصح والتآخي، وزيارة الإخوان ومؤانستهم، ونحو ذلك مما تتضمنه منظوماته(٣).

٣- **الرثاء**: وقد رثى الإمام فيصل بن تركي بقصيدتين هما من الرثاء التقليدي، مثل قوله (٤):

على فيصل بحر الندى والمكارم ... بكينا بدمع مثل صوب الغمائم
تغمده المولى الكريم برحمة ... وأسكنه الفردوس مع كل ناعم
فلا جزع مما قضى الله فاصطبر ... وإلا ستسلو مثل سَلْوِ البهائم

٤-**الهجاء**: ولم يدفعه إلى ذلك الدفاع عن النفس أو الانتصار لها، وإنما كان غرضه الدفاع عن العقيدة والذب عنها وعن أهلها والانتصار لهم(٥).

---

(١) الأدب الحديث وتاريخ ودراسات، ص١٣٨.

(٢) الديوان، ص٤٩.

(٣) الأدب الحديث، ص١٣٨.

(٤) الديوان، ص١٠١، ١٠٢.

(٥) الأدب الحديث وتاريخ ودراسات ص١٣٩.

ومن ذلك قوله في هجاء «عين نجم» وهي بالأحساء[(١)]:

ألا فاتركا عينا تضاف إلى نجم ... فقبتها بالهدم أولى وبالرجم
لأن بها مأوىً لمن يقصد الخنا ... وكم فعلوا فيها من الرقص والإثم
تشم بها الكبريت أخبت ريحة ... تضر وطيب الريح أنفع للجسم
وهل ماؤها إلا حميم لحرّه ... يذيب الذي في الكليتين من الشحم
فيا طالباً منه الشفاء بزعمه ... جهلت فما في مثل هذا سوى السقم
فلو كان في الماء الحميم لنا شفا ... لخص به أيوب يا عادم الفهم

٥- **الغزل:** ويقول الدكتور ابن حسين: وأما الغزل فإن ابن مشرّف يفخر بأنه لا ينظم فيه؛ وذلك في مثل قوله[(٢)]:

بدا من أديب لم يقل متغزلا
«عيون المها بين الرصافة والجسر»

لكنه مع هذا يأتي في مطالع قصائده بأرق نسيب وأعذبه، ولعله لم يعدّ ذلك غزلاً، لكونه جرى فيه مجرى الشعراء السابقين من اتخاذهم إياه وسيلة للوصول إلى الغرض المقصود[(٣)]. وذلك مثل قوله في مطلع قصيدة في الإمام فيصل بن تركي، يقول[(٤)]:

أشمس تجلت من خلال السحائب؟ ... أم البدر جلى حالكات الغياهب؟
أم انجابت الظلماء عن لمع بارق ... تلألأ من ثغر لإحدى الكواعب
نعم أقبلت سلمى فأشرق وجهها ... بصبح جمال تحت ليل الذوائب
فتاة تفوق الغانيات بحسنها ... كما فاق بدر التم زهر الكواكب
فما للمعنّى لا يهيم بذكرها ... وقد كان ذا جسم من الوجد شاحب؟

(١) الديوان، ص٣٤، ٣٥.
(٢) الديوان، ص٣٠.
(٣) الأدب الحديث وتاريخ ودراسات، ص١٤٠ .
(٤) الديوان، ص٤٦، ٤٧.

تناءت فزارت سحرة بعد هجعة — وقد نام عنها كل واش مراقب
فنم برياها الصبا حين أقبلت — تميس كغصن البان أو مثل شارب
فحيت بتسليم فأحسنت رده — وقلت لها قول المحب المعاتب
صليت بنار الهجر أحشاء مولع — فلم يطفها ماء العيون السواكب
فقالت ألم تعذر فكم حال بيننا — من المهمه الزيزا [١] وبعد السباسب
أنا في ربا نجد وأنت ببلدة — أحاطت بها الأعداء من كل جانب

ونجد في طيات كتاب الدكتور محمد بن سعد بن حسين «الأدب الحديث تاريخ ودراسات» الكثير من الآراء عن ابن مشرّف، ومن ذلك:

في أثناء حديثه عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأنها عامل من عوامل النهضة الأدبية، يقول: «أما تأثيرها - أي الدعوة - في الأسلوب والعبارة فقد تأخر ذلك حتى زمن ابن مشرّف، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن حيث كان على يديهما محاولة إحياء الشعر العربي، على أنها محاولة لم تنجح إلا بقدر يسير حتى ظهر ابن عثيمين وعبدالعزيز بن عبداللطيف المبارك، وإبراهيم الأسكوبي، ومحمد بن بليهد، وعلي السنوسي، فتقدموا خطوات حسنة وظهر أثر الدعوة في أساليبهم وعباراتهم إضافة إلى شرف اللفظ والموضوع» [٢].

ويضيف: وكانت كفة الجانب الديني هي الراجحة في شعر ابن مشرّف الذي نظم مسائل التوحيد، ومدح زعماء الدعوة، ووقف في وجه أعدائهم وأعطى النظم في الأخلاق والسلوك نصيباً» [٣].

وعند حديث الدكتور ابن حسين عن مقدمة النضهة الأدبية (الشعر السعودي)، يقول: «ولقد كان لعلماء الدعوة في ميدان الشعر صولات

(١) الأدب الحديث وتاريخ ودراسات، ص١٤٠ .

(٢) المرجع السابق، ص١٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص١٤٠.

وجولات بدأت في أيام الإمام، واشتدت في آخر القرن الثالث، عشر وأول القرن الرابع عشر.

ومن طلائع الشعراء في أيام الإمام الأمير محمد الصنعاني والشيخ حسين بن غنام، ثم الحفظيون، فالشيخ أحمد بن مشرّف، والشيخ عبداللطيف ابن عبدالرحمن وعبدالعزيز بن طوق، وغيرهم كثير»[١].

ويضيف: «وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري، ظهر في الأحساء شاعر مجيد هو الشيخ أحمد بن مشرّف الأحسائي... ومن الملاحظ أنه عندما نشط الشعر في (الأحساء)، والشرقية بعامة، ثم (نجد) على أيدي أحمد بن مشرّف وعبداللطيف بن عبدالرحمن.... تبعه نشاط في المناطق الأخرى...»[٢].

وعند حديث الدكتور ابن حسين عن الاتجاهات الفنية في الشعر السعودي «الاتجاهات الموضوعية»، يقول: «حين قامت دعوة الإمام محمد ابن عبدالوهاب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري كانت الأغراض الشعرية إذ ذاك تدور حول مدح الدعوة والقائمين عليها، وشرح أفكارها من خلال نظم المسائل الدينية وشرحها أو الرد على أعداء الدعوة، ثم رثاء من اختارهم الله من رجال الدعوة من العلماء أو الأمراء.

ثم جاء ابن مشرّف فتوسع في الأغراض أيما توسع:

(أ) فنظم مسائل الدين وخاصة العقيدة في منظومات مستقلة مثل: (الشهب المرمية على المعطلة والجهمية).

(ب) نظم في المسائل التاريخية كمولد النبي ﷺ، ووفاته، ومولد ووفيات الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس.

---

(١) الأدب الحديث تاريخ ودراسات، ص١٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٠.

(ج) وتوسع في أغراض المدح، فمدح النبي ﷺ بحائية جميلة كما أكثر من مدح الإمام فيصل بن تركي ومدح واليه أحمد السديري إلى ما مدح به الدعوة وعلماءها، كما فعل أسلافه مثل الشيخ حسين بن غنام.

(د) ونظم في المواعظ والإرشاد والحث على الصفات الحميدة كالصدق والأمانة والإخلاص، وذم أضدادها، كالكذب والخيانة وعدم الوفاء، ونحو ذلك.

ولم يغفل الرثاء والدفاع عن أئمة الدعوة، وهجاء أعدائهم، وجدّ شعراء الأحساء في نظم الإخوانيات»[(١)].

وعند الحديث عن الاتجاه الإسلامي في الشعر، يقول: «ولقد كان الاتجاه إلى الموضوعات الإسلامية من أسبق الاتجاهات بروزاً في شعر هذه البلاد في شعر أحمد الحفظي وحسين بن غنام، ومن زامنهما، ومن أتى بعدهما، مثل أحمد بن مشرّف الذي نظم كثيراً في مسائل الدين، وفي التاريخ الإسلامي، وفي الإشادة بالدعوة السلفية، والدعوة إليها، والدفاع عنها، وله في مدح النبي ﷺ [حائية] جميلة، زاد في جمالها أنه فيها اجتنب التوسل والغلو، على أنه قد افتتحها بمقدمة غزلية كان في غنى عنها وإن تأسى في ذلك بصنيع كعب بن زهير في اعتذاريته [بانت سعاد]، ومنها[(٢)].

طفلة جملها حسن البها ... لا مقاليد وأقراط ووشح
بل بها الحلية قد زانت كما ... زين الشعر لخير الخلق مدح
أحمد الهادي إلى سبل الهدى ... كم بدا منه لأهل الأرض نصح
هاشمي قرشي طاهر ... حسن الأخلاق زاكي الأصل سمح
جاء بالدين الحنيفي وقد ... طبق الأرض من الإشراك جنح
فأرى الناس الهدى بعد الردى ... فإذا الحق تجلى منه صبح»[(٢)].

---

(١) الأدب الحديث تاريخ ودراسات، ص٨٣.

(٢) الديوان، ص٤٩.

وعند حديثه عن الاتجاه الاجتماعي في الشعر، يقول: «والحديث عن المجتمع وأخلاقه ذماً أو مدحاً لم يكن بالجديد في شعرنا العربي، ثم إنه كان قوي الصلة بأشعار الدعوة مذ قام الإمام محمد بن عبدالوهاب إلى يومنا هذا، فابن مشرّف والأسكوبي وابن عثيمين ومحمد الحفظي وعبدالعزيز المبارك، وغيرهم كثيرون كانوا يمجدون الفضيلة ويذمون الرذيلة»(٢).

ج - الدكتور بكري شيخ أمين:

يتعرض د. بكري شيخ أمين لابن مشرّف في كتابه «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية»، فعند حديثه عن الدعوة في الأدب يقول: «بدأت بواكير هذا الشعر تظهر في حياة محمد بن عبدالوهاب، وكان مصدرها اليمن، على لسان أمير يدعى محمد الصنعاني، مدح شيخ نجد، وأثنى على دعوته وذم خصومه، وبخاصة من كان يقول بوحدة الوجود، ثم توالت القصائد من شتى أرجاء الجزيرة، تختلف في ألفاظها، وتتفق في مضامينها، مديحاً، أو رثاء، أو هجاء.

وحين مات «الشيخ» نزل إلى ميدان هذا الأدب شاعر أحسائي، يدعى «ابن مشرّف» فتسلم راية الدفاع عن الدعوة، في وقت سكت فيه الشعراء كافة؛ لأن صليل سيوف المصريين، ودوي مدافعهم أخرسا الألسنة الداعية، بل قطعاها. وإذا كان لابن مشرّف فضل، فهو يتجلى في رسمه الصورة كاملة لمجتمع دبت فيه الفوضى، وساد الذعر، وأريقت فيه الدماء غزيرة، وتولى حكمه رجال اتسموا بالضعف، وآثروا السلامة، ورضوا بالواقع المر، وعملوا على ضياع ملكهم بأيديهم، ومثل هذه الصورة لا تعكسها دقيقة كتب التاريخ، ولا ترويها مؤلفات الأنصار والخصوم لدعوة ابن عبدالوهاب. وحين أسلم

(١) الأدب الحديث تاريخ ودراسات، ص٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص٨٧.

هذا الشاعر الروح إلى بارئها، تسلم الراية شاعران هما: سليمان بن سحمان، وابن عثيمين [(١)].

ويضيف: زادت أبيات هذا الثالوث من الشعراء على ثلاثة عشر ألف بيت ألفان وخمسمائة بيت قالها ابن مشرّف...» [(٢)].

ويذكر د. بكري: «يقف ابن عثيمين في الصف الأول بين المداحين، ويليه ابن مشرّف، ثم ابن سحمان، ومضمون المديح عندهم ينقسم إلى قسمين: تقليدي لا يختلف عن مدائح الشعراء القدامى لأمراء زمانهم، وعظماء بلادهم. وخلاصة ما دار فيه على ألسنة شعراء الدعوة أن الإمام أو الملك سار إلى العلياء، وبلغ ذراها، له قلب لا يعرف الخوف، يخوض غمرات الموت الزؤام، وساحات الحرب الضروس دون أن يبالي، يهزم الأعداء، ويجرعهم كأس الذل والعلقم، ويشرب هو كأس العز والنصر، وينتعل تيجان الملوك، ورث المجد والفضائل كابراً عن كابر» [(٣)]. ثم يمثل د. بكري بقول ابن مشرّف في القصيدة السابعة عشرة يمدح فيصلاً [(٤)]:

فأكرم به فرعاً سلالة مقرن	وآباؤه الغرّ الكرام أولو الهدى
لقد نصروا دين الإله وقوّموا	من السنة الغراء ما قد تأودا

والثاني ديني سياسي: فيه إلحاح كبير على تلقيب الممدوح بالإمام أكثر من كل لقب آخر، كالأمير أو الملك أو السلطان. وهذا لقب ينسجم وتعاليم «الدعوة». ولقد وردت كلمة «الإمام «في المرتبة الرابعة في ديوان ابن عثيمين من حيث تكرارها بعد لفظة الجلالة «الله»، ثم «الإسلام»، ثم «المسلمين» وهذا اللقب ورد بأشكال عدة: أولها: «إمام الهدى ثم» الإمام مجرداً من الإضافة،

---

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص٦١.

(٢) المرجع السابق، ص٦٢.

(٣) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص٨٥.

(٤) الديوان، ص٥٣.

وورد مضافاً إلى «المؤمنين»، وكثيراً ما كانت تأتي التسمية «إمام المسلمين» أو «الإمام على المسلمين» ومرة واحدة ناداه ابن مشرّف «يا حسام الدين».

أما صفات هذا الإمام فهي الكرم والشجاعة، ورفعة المزايا، وعلو الشيم، والبر، والرحمة، ووفرة العقل[١]. ويمثل بقول ابن مشرّف في القصيدة الحادية والعشرين[٢]:

إمام الهدى جالي الصدى منهل الندى
ومُردي العدا بالمشرّفي المهند

ويذكر د. بكري رأياً حول مديح ابن مشرّف فيقول تعليقاً على ما سبق: «تلك الفكرة الرئيسة في مدح شعراء الدعوة للأسرة السعودية. وقد يظن بعض الناس، أن من عادة المادحين إضفاء أروع الألقاب، وأحسن الصفات على ممدوحيهم ؛ لأنهم اعتادوا قراءة ذلك في شعر المديح عبر أدوار التاريخ الأدبي العربي. وهذا الظن فيه شيء من التجني على هذه الفئة الداعية من الشعراء - يقصد ابن مشرّف، وابن عثيمين، وابن سحمان - فلقد مدح ابن مشرّف فيصل بن تركي وأبناءه، ومدح ابن سحمان، وابن عثيمين الملك عبدالعزيز، وكانوا صادقين فيما يقولون،؛ لأنهم كانوا يصدرون في مدائحهم عن عقيدة آمنوا بها، ثم حققوها في أقوالهم، كما حققوها في أفعالهم. وما كان يضرهم أن يجاهروا بكلمة الحق أمام ممدوحهم..»[٣].

أما عن الوضع الاجتماعي والسياسي، فيقول د. بكري: «وفي الحقيقة لم يكن شعراء الدعوة يقصدون إبراز صورة هذه الجوانب معتمدين، بل قصدوا مدح أميرهم، أو حثه على تطهير الأرض مما علق بها، وتخليص العباد من الأذى الذي ينالهم في حياتهم. وكان ابن مشرّف الأول في هذا

---

(١) الحركة الأدبية، ص٨٥.

(٢) الديوان، ص٣٦.

(٣) الحركة الأدبية، ص٨٨.

التصوير، ثم ابن عثيمين. أما ابن سحمان فليس له دور ولا قول، وقد سبق أن وصف البادية وأهلها بأطيب الأوصاف، وخلع على «الأئمة» أبهى الحلل.

والقصائد التي تطرقت إلى هذا الوضع قليلة، بل نادرة، والعجيب أننا لا نجد شاعراً وصف نجداً وما آل إليه أمره بعد معاركه مع المصريين. وكان المأمول من الشعراء أن يستفيضوا في الحديث، وقد عودوناعلى ذلك في جميع الأزمنة والأمكنة. ويراودنا الشك في أمر سكوتهم، ثم يغلب على ظننا آخر المطاف في التفكير أنهم نظموا وتحدثوا،لكن يد الإهمال والضياع أتت على ما قالوه. والذي تبقى لدينا قصيدة لابن مشرّف رد بها على شاعر بصري مخاصم يسمى عثمان بن سند البصري، شتم فيها نجداً وأهله وشيخه، فانبرى له الشاعر، وحمل عليه، وفي خلال هذه القصيدة تراءت حالة نجد، ووضع حكامها وأعرابها عرضاً...»[1].

ويختم د. بكري حديثه: «الخلاصة، حصر شعراء الدعوة «الإسلام» في دائرة السلف الصالح، ومن سار سيرتهم، وانكبوا عليهم مدحاً وتمجيداً. فنال محمد بن عبدالوهاب النصيب الوافر، ونال أبناؤه والأسرة السعودية وأهل نجد ما تبقى من مدح.

وتميز هذا الشعر بصدق العاطفة، وحرارة المشاعر، ولا سيما فيما قيل في الأسرة الدينية. ولئن كان المادحون في العصور السالفة يأملون عطاء الممدوحين وخيرهم، إن هؤلاء الشعراء لم يهتموا بذلك، ولم يسعوا سعي أسلافهم، كانوا يمدحون عن إيمان واعتقاد بصدق ما يقولون. ويلفت نظر المدقق في سيرتهم الخاصة أنهم عاشوا - جميعاً - فقراء، لم يشهدهم أحد معاصريهم مدوا أيديهم لتناول أجر المديح وقبض ثمنه من أئمتهم أو شيوخهم، كأنهم كانوا يقولون: إن من مدح في سبيل الله فلينتظر منه أجره»[2].

---

(١) المرجع السابق، ص٩٠.

(٢) الحركة الأدبية، ص٩٤.

ثم يذكر الدكتور بكري عدة أسئلة ثم يجيب عن نفسه بقوله: «لم يبق في المملكة كلها شاعر واحد يقف إنتاجه كله على نظم مبادئ الدعوة، ويجابه آراء الخصوم فيرد عليها، وبعد بيان رأي العقيدة فيها، ثم ينعت قائليها بالكفر والإلحاد والردة، وما أشبه ذلك كما نظم ابن مشرّف تلك المبادئ[1].

د- محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر الأنصاري الأحسائي:

يتعرض محمد بن عبدالله لابن مشرّف في كتابه «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد»، يقول: «هو العلامة الفقيه، المحدث المتقن، الشيخ أحمد بن علي بن حسين بن مشرّف، التميمي المالكي الأثري السلفي. ولد بالأحساء، وأخذ العلم عن جماعة من علمائها، منهم: الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام، ونظم رسالة ابن أبي زيد القيراني في فقه مالك»[2].

وفي حاشية الكتاب تعليقاً على ما سبق يقول: «وقد شرح نظمه لرسالة أبي زيد القيرواني أحد علماء البحرين، وهذا الشرح مقبول عندهم، وقد أطلعني عليه مؤلفه، رحمه الله، وللشيخ أحمد بن مشرّف منظومة في مسألة الطلاق نذكر منها ما يلي، قال رحمه الله:

يا سائلي عن رجل قد طلقا	زوجته وبالثلاث نطقا
بلفظة واحدة قد جمعا	مرتكباً محرماً مبتدعاً
ثم أتى مستفتياً ليرجعا	فالحكم أن يضرب ضرباً موجعاً
لأن ذا الطلاق منه بدعي	وبائن في الشرع غير رجعي
فمن أباحه له ومن أحل	أفتى بلا علم فضل وأضل
فاصدع بأمر الحق واترك الجدل	فما على فتوى الجهول من عمل[1].

---

(١) المرجع السابق، ص٩٥.

(٢) محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم ولاجديد، كتبة المعارف، الرياض، مكتبة الأحساء الأهلية، الأحساء، ص٤٠١.

(٣) تحفة المستفيد، ص٤٠١.

له (ابن مشرّف) ديوان شعر مطبوع متداول يشتمل على منظومة سماها (جوهرة التوحيد)، وفيه نظمه لعقيدة ابن أبي زيد القيرواني (والشهب المرميـة في **الرد على المعطلة والجهمية**)، ومدائح في الإمام فيصل بن تركي ابن عبدالله آل سعود وابنه عبدالله وقد مر في القسم الأول من هذا الكتاب كثير منها، ومنه قصيدة مدح بها النبي ﷺ، ثم ذكر قصيدة ابن مشرّف في مدح الرسول ﷺ»[1].

هـ - عثمان الصالح العلي الصوينع:

تحدث عن ابن مشرّف فقال: وكان شعره تأريخياً لغزوات الإمام فيصل وحروبه، وأوائل شعره نظمه في كارثة الدرعية سنة ١٢٣٣هـ (١٨١٨م)، وهذا من التجديد الموضوعي[2].

ويقول د. عثمان في حاشية الكتاب عن ابن مشرّف نقلاً عن د. عبدالله الحامد في كتابه الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين: «تولى القضاء فيها آخر أيام فيصل وأول أيام ابنه عبدالله، ومع أنه في عداد العلماء الأفذاذ فإنه شاعر جريء، وسياسي محنك، له مكانة اجتماعية ووجاهة لدى الحكام والمسؤولين، وصف في شعره الفتوحات والمعارك الضارية، وسجل غزوات وحروب الإمام فيصل.أكثر في شعره من المدح مضمناً ذلك الحث على نصرة الإسلام والمسلمين، وهاجم بقوة وقسوة أعداء الدعوة ورثى مدينة الدرعية، وله غزل تقليدي، وديوانه يغص بالقصائد الطويلة المتضمنة النصح والإرشاد والمواعظ، وله من المنظومات في أصول الدين «الشهب المرمية في الرد على المعطلة والجهمية..» لا يهتم في شعره بالزخرف اللفظي والمحسنات البلاغية، ومنزلته الشعرية وسط

---

(١) المرجع السابق، ص٤٠١.

(٢) حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر، مرجع سابق، ص١٦٦.

بين ابن عثيمين وابن سحمان، لم يبلغ درجة ابن عثيمين، وإن فاق ابن سحمان»[١].

و- الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو:

يتعرض د. عبدالفتاح لابن مشرّف في كتابه «شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر «بقوله: «كان سلفي العقيدة، مالكي المذهب، وقد عاش في الأحساء، وتوفي فيها.

وقد طبع ديوان ابن مشرّف بمطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٠هـ، ويشتمل الديوان على قصائد كثيرة، قُسمت الأقسام الآتية:

١- جوهرة التوحيد.

٢- العقيدة التي هي أصل التوحيد، وهي تتضمن عقيدة ابن أبي زيد في رسالته.

٣- الشهب المرمية، على المعطلة والجهمية.

٤- مدائح، للإمام فيصل بن تركي.

وأكثر الإنتاج الشعري للشيخ ابن مشرّف علمي يصطبغ بصبغة الدعوة والإرشاد»[٢].

ولا يستشهد د. عبدالفتاح بشيء من شعر ابن مشرّف في كتابه ويعلل ذلك بقوله: «وقد آثرنا ألّا ننقل شعره هنا لئلا يتضخم الكتاب، ولأن ديوانه مطبوع متداول»[٣].

---

(١) حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر مرجع سابق، ص١٦٦.

(٢) عبدالفتاح محمد الحلو، شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر، الطبعة الثانية، دار العلوم ١٤٠١هـ(١٩٨١م)، ص٩٩.

(٣) المرجع السابق، ص٩١.

٣- مكانته بين شعراء عصره:

التمهيد:

كانت بداية العصر الحديث امتداداً لعصور الانحطاط،حيث فقد الشعر معالم الحياة، فغلبت عليه تفاهة في الأغراض، وركام في التشطير والتاريخ والترصيع والبلاغة اللفظية في صورها الجامدة المتحجرة، وكان كساد الشعر في هذه الحقبة نتيجة حتمية للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية المتأخرة، وقد انحصروا في تلك الحقبة في دائرة ضيقة يدور فيها الشاعر حول نفسه.

ولقد كان الشعر في الجزيرة العربية قبل عهد الملك عبدالعزيز جامداً ضعيفاً كثير التكلف، ركيك الأسلوب، مهلهل الصياغة، يسير في التقليد والاحتذاء، والمعارضة للقدماء، وكان لا يمثل شخصية الشاعر، ولا يصور وجدانه وأعماق مشاعره، ولا يتحدث عن هموم الشعراء وذواتهم، إنما جل هم الشاعر الانصراف إلى الزينة، والبعد عن روح الطبع والفطرة الشعرية، والعناية بالمحسنات البديعية، والإغراق في الصورة الخيالية، وفي التشبيهات الفارغة، والاستغراق في المبالغة الكاذبة، والخيال التافه، والصور الشعرية الباهتة، وكان الشعراء يمثلون عصرهم، عصر انحطاط اللغة والأدب وبخاصة الشعر، تمثيلاً تماماً[(١)].

وفي المقابل نجد الدكتور محمد بن سعد بن حسين في كتابه «الأدب الحديث في نجد» والذي حققه الدكتور عبدالسلام سرحان يذكر: «أن النهضة النجدية الإسلامية كانت حدثاً لا كالأحداث، وشأناً لا كالشؤون وأمراً خطيراً.. لا يكاد يشبهه من المألوف أمر خطير» ويستمر في حديثه

(١) عثمان الصالح العلي الصوينع، حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ص١٦٥.

إلى أن يقول: «من المسلم به أن الدعوة «الدعوة الوهابية» إنما استهدفت في قيامها تصحيح الأوضاع الدينية، وتنقية العقيدة الإسلامية... مما اعتراها من شوائب، وما شوه صفاءها ونقاءها من خرافات وشعوذات وأباطيل.. تراكمت عليها منذُ بدء الخوض في مسائلها، من أخريات القرن الأول الهجري إلى أن قام الإمام محمد بن عبدالوهاب - في منتصف القرن الثاني عشر - بدعوته المباركة التي غير بها وجه التاريخ في العالمين العربي والإسلامي.

ومن هنا كان تأثيرها واضحاً في سيطرة الموضوعات والأغراض الدينية على الأدب لا سيما في المدة [التي] بين قيامها في منتصف القرن الثاني عشر و[بين] مطلع النصف الثاني من هذا القرن، حيث بدأ الاتصال بالعالم - خارج الجزيرة العربية - يأخذ شكلاً أوسع وأعم.. وهذا الأمر دفع أدباء الجزيرة إلى أن ينهجوا نهج أدباء العرب في مصر والشام والمهجر مثلاً.

غير أن ذلك التأثير إنما كان في الموضوع والأسلوب دون الألفاظ وبعض الأفكار الممقوتة، وذلك جانب من جوانب أثر الدعوة [1].

ويذكر الدكتور بكري شيخ أمين أن بواكير الشعر في هذه المدة بدأت تظهر في حياة محمد بن عبدالوهاب، وكان مصدرها اليمن، على لسان أمير يدعى محمد الصنعاني، مدح شيخ نجد، وأثنى على دعوته، وذم خصومه، وبخاصة من كان يقول بوحدة الوجود.

ثم توالت القصائد من شتى أرجاء الجزيرة، تختلف في ألفاظها، وتتفق في مضامينها، مديحاً، أو رثاءً، أو هجاءً.

وحين مات «الشيخ» نزل إلى ميدان هذا الأدب شاعر أحسائي، يدعى «ابن مشرّف» فتسلم راية الدفاع عن الدعوة، في وقت سكت فيه الشعراء كافة؛

---

(١) محمد بن سعد بن حسين، الأدب الحديث في نجد، ص٢٣٩.

لأن صليل سيوف المصريين، ودوي مدافعهم أخرسا الألسنة الداعية، بل قطعاها»[(١)].

ابن مشرّف وشعراء عصره:

عاصر شاعرنا الشيخ أحمد بن مشرّف عدداً من الشعراء نستعرض بعض أسمائهم:

عثمان بن سند ١١٨٠هـ(١٧٦٦م) - ١٢٤٢هـ(١٨٢٦م)، وعبدالعزيز بن معمر توفي ١٢٤٤هـ(١٨٢٩م)، وعبداللطيف عبدالرحمن الشيخ ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) - ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م)، وعبدالعزيز بن طوق، وعثمان بن منصور (معاصران لعبداللطيف الشيخ)، وأحمد الحفظي الثاني ١٢٥٠هـ(١٨٣٤م) - ١٣١٧هـ (١٨٩٩م)، وعبدالله علوي الحداد، وأحمد بن مهدي توفي ١٣٠٩هـ (١٨٨٩م)، وأبو بكر الملا ١١٩٨هـ (١٧٨٤م) - ١٢٧٠هـ (١٨٥٤م)، والأشرم ١٢٧٨هـ (١٨٦١م) - ١٣١١هـ (١٨٩٣م)، وعبدالرحمن البهكلي (ولد سنة ١١٨٠ هـ).

ومن الشعراء الذين أدركوا شيئاً أو أشياء من القرن الثالث عشر: ابن عثيمين ١٢٦٠ - ١٣٦٣هـ، وابن سحمان ١٢٦٧-١٣٤٩هـ، وابن النفيس توفي سنة ١٣٧٥هـ.

ويذكر الدكتور عبدالله الحامد: أن بعض هذه الطبقة قد أدركت أوائل القرن الثالث عشر وعاش أكثرهم في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وفيها من أدرك أوائل القرن الرابع عشر.

كما تحدث د. عبدالله الحامد في مؤلفه «الشعر في ظلال دعوة الإمام بن عبدالوهاب» عن شعر أحمد بن مشرّف بصفة مستقلة، وتحدث عنه ضمن

(١) د. بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص٦١.

الخصائص والسمات المشتركة مع معاصريه وسابقيه وهم ابن عثيمين، وابن بليهد، وابن سحمان.

ويذكر د. الحامد أن الشاعر فيما يبدو يجيد من أغراض الشعر ما يتصل بالقوة، ولذلك يجيد في المديح، ووصف الفتوح والمعارك، ويحسن التحريض، لكن زنده يكل في الرثاء. مات فيصل بن تركي، الذي مدحه الشاعر بأكثر من ثلاثين قصيدة، فلم يستطع أن يقول فيه شيئاً في الرثاء غير أحد عشر بيتاً، ليس فيها روح الحزن أو البكاء على طراز قوله[١]:

وأخلى القرى من كل شرك وبدعة ... وما زال ينهى عن ركوب المحارمِ
ويعطي جزيل المال محتقراً له ... سماحاً ويعفو عن كثير الجرائمَ

أسلوب ابن مشرّف:

ويتحدث د. الحامد عن أسلوب ابن مشرّف، فيقول: وأسلوب الشاعر، ومنزلته الشعرية، وسط بين ابن سحمان، وابن عثيمين، لم يبلغ شأن ابن عثيمين، وإن شاركه في تدفق الطبع، وجريان الكلمات تنثال وتنهال، وشعره، أسلم من شعر ابن غنام من حيث الحرص على ترك التأنق، ويمتاز شعره عن كل شعراء عصره ما عدا ابن عثيمين، سواء منهم شعراء الدعوة أم غيرهم، بقلة الاهتمام بالزخرف اللفظي والمحسنات، ولا تجد له تاريخاً أو تطريزاً أو تشجيراً أو تعجيزاً، وسبب ذلك الوعي الديني، وجدية الرجل التي نراها في شعراء الدعوة، وهو ابن الدعوة، في شعره نسماتها تهب، وعبيرها يروق. وهو متأثر بالشعراء القدامى، وشعر أبي الطيب المتنبي خاصة واضح الأثر في شعره».

والصلاة على النبي ﷺ ظاهرة في شعره، لا يكاد يتركها في سائر أغراض شعره، حتى ليتمكن من الحكم على قصائده بالتمام أو البتر، نتيجة

---

(١) الديوان، ص١٠٠.

وجود الصلاة أو عدم وجودها، وهي أثر من الروح الديني الذي تشبعت به نفسه وارتوت منه.

وإدلال الشاعر بشعره ومديحه له، نغمة لزمها الشاعر، في أواخر قصائده، يهدي القصيدة العصماء إلى الإمام، وكأنها الغادة الحسناء يوم جلوتها[١]، حيث يقول [٢]:

ودونك من در القريض قصيدة	تكاد لها الحذاق بالتبر تكتب
أتتك من الأحساء ترفل بالحلى	وتختال في برد الشباب وتعجب
بها ينشط الساري إذا جد في السرى	ويصبو لها الصب المعنى ويطرب
بدت من بصير بالقوافي يصوغها	وينظم منها درها حين يثقب

ابن سحمان:

ولد ابن سحمان سنة ١٢٦٧هـ (١٨٥١م) في السقا قرب أبها عاصمة عسير ونشأ بها، وانتقل مع والده الذي هاجر إلى الرياض سنة ١٢٧٨هـ (١٨٦١م)، في إثر استيلاء القوات المصرية عليها، واشتغل في الرياض معلماً لصغار آل الشيخ، وقيماً على معاشات الإخوان، فنشأ سليمان فيها، وأخذ العلم عن كبارها، كعبدالرحمن بن حسن، وحمد بن عتيق، ولازم عبداللطيف بن عبدالرحمن عشر سنوات يكتب له، وكان معروفاً بجودة الخط.

وهاجر مع أبيه إلى الأفلاج أيام الخلاف بين أولاد فيصل، وفيها مات أبوه، وعاد إلى الرياض بعد وفاة سعود بن فيصل، فعينه عبدالله بن فيصل كاتباً عنده، ولكن الأمر لم يستقر لعبدالله، وفرضت على الشاعر الإقامة في

(١) الشعر في ظلال دعوة الإمام، مرجع سابق، ص١٠٦، والشعر في الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص١٤٩.

(٢) الديوان، ص٣٤.

حائل، ولنشاطه العلمي، كرهه القوم، فسمحوا له بالعودة إلى الرياض حيث انطلق لسانه في الدفاع والهجاء، حتى شكاه عاملها لابن رشيد[١].

أسلوب ابن سحمان:

يعدّ ابن سحمان أكثر الشعراء حرصاً على حذف المطالع الطللية والغزلية من القصيدة، هو أكثرهم في ذلك لاتستثني منهم أحداً سواء في نجد أم في غيرها.

وهو دون ابن عثيمين، بل ودون ابن مشرّف في صفاء الأسلوب، ولو توافر له الطبع المصقول، لكان مع ما له من غزارة شعر، وتنوع موضوع، وحرارة عاطفة، وشدة حماسة شاعراً كبيراً، كما أنه أكثر منهما وقوعاً في زلق الضرائر الشعرية والأخطاء اللغوية، والألفاظ العامية؛ وذلك يعود إلى أن الشاعر لا يملك الطبع المواتي، الذي امتاز به ابن عثيمين، وعلى الرغم من ضعف الفطرة الشعرية فقد زج نفسه في الشعر الجدلي العقيدي، على ما يتطلبه ذلك الغرض من فطرة صافية، لكنه، وإن فقد كل هذا، هو أقوى الشعراء قدرة على التأثير، وأحرهم عاطفة، وأشدهم حماسةً واندفاعاً[٢].
وترد الصنعة اللفظية في شعره قليلة مفطورة كقوله:

فيا محنة الإسلام من كل جاهل
ويا قلة الأنصار من كل عالم

وهذا بالنسبة إلى الطابع العام في شعره، وله أيضاً شيء من العبث اللفظي.

ويمتاز ابن سحمان بأنه الشاعر الذي لا يبدو منه أي أثر لتذويق أو تحسين المدائح يشم منه رائحة طلب الجائزة، أو استعجالها، وهذا شيء

(١) الشعر في ظلال دعوة الإمام، مرجع سابق، ص١٠٨.
(٢) المرجع السابق، ص١٥٩.

يخالف ما يوجد في شعر سلفه ابن مشرّف، وخلفه ابن عثيمين [١].

ابن عثيمين:

ولد محمد بن عبدالله بن عثيمين سنة ١٢٦٠هـ(١٨٤٤م) في قرية السلمية (وهي من قرى الخرج) بنجد. نشأ بها، وتعلم على يدي الخرجي[٢]، علوم الدين، وما يتصل بها من لغة وأدب، ولما شب عن الطوق آثر التطواف والتجوال في ساحل الجزيرة الشرقي، مشتغلاً بتجارة اللؤلؤ، متصلاً بأمرائها وبخاصة آل ثاني، فقد توثقت صلته بالشيخ علي بن قاسم طوال حياته، واتصل من بعده بعبدالله بن قاسم، وكان مخلصاً لهم يعتمدون عيله ويحضر مجالسهم، ويحارب معهم، وقد حمل رايتهم في حربهم بني إياس، الذين قتلوا علي بن قاسم صديقه الحميم، وكان شجاعاً ؛لأن أقدم قصائده في مديح آل خليفة، وربما كان أدبه ومعرفته بالأخبار والأشعار مما قربه إلى هؤلاء الحكام، واتصل بالملك عبدالعزيز منذ ضم الأحساء، وترك التنقل في البلاد بعد ذلك، وآثر المقام بنجد، يفد على الملك عبدالعزيز كل عام..ويذكرون أنه عاش زمن الشيخوخة في فقر مدقع، وبؤس وحرمان في السنين العشرين الأخيرة من حياته بعد أن ترك التجارة لكبر سنه، وتوفى سنة ١٣٦٣هـ(١٩٤٤م) بعد عمر تجاوز القرن بثلاث سنين. وهو قوي الإدراك، صحيح الحواس لم يخرف ولم يهن عقله [٣].

---

(١) المرجع السابق، ص١٦٠.

(٢) هو الشيخ عبدالله محمد الخرجي، كان قاضياً ومعلماً في بلدة السلمية بالخرج واليمامة، تولى القضاء سنة ١٢٧٠هـ، وتعلم على يديه كثيرون من أبناء المنطقة.

(٣) الشعر في ظلال دعوة الإمام، ص١٦٠.

منزلة ابن عثيمين:

يقول د. الحامد: «أما منزلة الشاعر بين شعراء عصره، فكما يقول الغزاوي الذي عاصره، واستلم شعر المديح من بعده: إنه شاعر الجزيرة العربية في زمانه دون منازع، وهو حري بذلك، فهذا المستوى الشعري، والثقافة العريضة، التي هذبها الطبع والموهبة، يجعله فوق مستوى عصره المتخبط في التقليد.

ولابن عثيمين ميزتان في الشعر: أولاهما أنه أول من نقل زيادة الشعر في نجد من الشعر العامي إلى الشعر العربي الفصيح، وكانت زيادة الشعر من قبل بأيدي شعراء النبط، حتى جاء ابن عثيمين فكان له من الثقافة والموهبة والأصالة ما أعاد به هيبة الشعر الفصيح.

والثانية أن شعره شعر الفحولة والسليقة، والشاعر حين استطاع تخطي عصور الانحطاط من آل البهاء زهير، وآل التخميس والتشطير والبديع، إلى الشعر القديم جاهلية وإسلامية وعباسية يعدّ رائداً في هذا المجال، وهو أول من تخلص من العبث اللفظي في شعراء البلاد كلها، من خليجها إلى أحمرها.

سقط بظهوره أسلوب النظامين عند القوم، وسقط أسلوب أهل البديع، وعادت إلى الشعر ديباجته القوية، وطلعته الصافية، وهو كما يقول ابن إدريس: بارودي الشعر في المملكة، ووجوه الشبه بين الشاعرين واضحة، فكلاهما حمل لواء التجديد في الأسلوب، وأعاد إليه الرونق والرواء، وإن كانت الظروف السياسية والاجتماعية أتاحت للبارودي مجالاً أوسع من مجال ابن عثيمين؛ لأنه شاعر فارس يهاجم الاستعمار، ويدافع عن الحمى، وكان يقول الشعر السياسي والوطني ؛ لأجل ما عاش فيه من جو ثقافي، ووعي سياسي كانت من أظهر أحداثه ثورة عرابي.

أما ابن عثيمين فلم يستطع في جو ملبد بالجهل والخرافة والأمية أن يفعل أكثر من إعادة الديباجة العباسية.[١].

والنقطة الجديرة بالذكر أننا لم نجد رأياً لأحد الشعراء في شعر ابن عثيمين، وما حصلنا عليه هو رأي النقاد حول شعر ابن مشرّف.

رأي الباحث:

وبعد فإن ابن مشرّف شاعر متميز، وعالم جليل، حري بكل تقدير وثناء، وجدير بكل كلمة حق ووفاء من قبل النقاد والباحثين الذين يجب أن ينزلوا الناس منازلهم، ويعرفوا لكل صاحب فضل فضله، وأن ينال الجانب الموضوعي في النقد الأهمية نفسها التي ينالها الجانب الفني، وما ناله ابن مشرّف من تقدير وثناء هو جزء بسيط من حقه المفترض إعطاؤه إياه والاعتراف به، إذ ينبغي الإشادة بدوره الجليل، وهدفه النبيل من وراء شعره الذي كان له الأثر الطيب في نفوس الجميع، فابن مشرّف شاعر أصيل، وعالم جليل جمع الله له العلم والشعر، وزوده من الحقيقة والخيال بأوفر زاد، فنفع الله به الأمة، وحمى به وبأمثاله الملة، فكان عوناً للمؤمنين الصابرين، وشجاً في حلوق الملحدين المعاندين.

فشعر ابن مشرّف أوسع سجل شعري لغزوات الإمام فيصل وحروبه، فقد واكبه منذ البداية إلى الانتهاء، كما أن ابن مشرّف قد تسلم راية الدفاع عن الدعوة بعد موت الشيخ في وقت سكت فيه الشعراء كافة، وفضل ابن مشرّف يتجلى في رسمه الصورة كاملة لمجتمع دبت فيه الفوضى، وساد الذعر، وأريقت فيه الدماء غزيرة.

ولابن مشرّف أثر بارز في مواكبة قضايا الأمة، فقد واكب فتوح الدعوة الإصلاحية، ونقد بعض القضايا السياسية، والأمنية.

---

(١) الشعر في ظلال دعوة الإمام، ص١٧٧.

ولعل ما تميز به ابن مشرّف أنه شاعر وناظم مع أنه ظهر في عصر لم يكن فيه للأدب دولة، ولا للشعر سلطان، ويمكن القول: إن ابن مشرّف شاعر كلاسيكي، فهو يتمتع بشاعرية متدفقة، وشعره يدل على ملكة أصيلة، فهو يحاكي الأقدمين، ويترسم خطاهم، وشأنه في ذلك شأن شعراء عصره في البلاد العربية الأخرى.

استطاع شاعرنا العملاق أن ينزع بالشعر إلى عهد فحول القرن السابع الهجري، كعلي بن المقرب العيوني، وهو بذلك قد خلص الشعر من سيطرة المحسنات البديعة، ومن الركاكة والضعف في اللغة والأسلوب، وأن ينحو به نحواً فيه يسر وسهولة إلى ما فيه من فصاحة وأصالة.

وقد بنى ابن مشرّف شهرته عند الناس على الشعر، وإن كان قد قضى وأفتى، فقيمته التي بنى عليها شهرته أولاً قيمة رجل شاعر، وهذا نوع من الانفراج أتاح للشاعر نوعاً من الاستقلال عن أربطة العلم التي تشده إلى أرض الواقع، وهو طير بطبعه ميال إلى الانطلاق والتحليق.

ولعلنا نختم هذا الرأي حول شاعرنا بما نراه عند كثير من النقاد، فمنزلة ابن مشرّف الشعرية وسط بين ابن سحمان، وابن عثيمين، فلم يبلغ شأن، ابن عثيمين، وإن شاركه في تدفق الطبع، وجريان الكلمات تنثال وتنهال، وشعره أقل من شعر ابن غنام حرصاً على حلى البديع، وطلب التأنق، ويمتاز شعره على كل شعراء عصره ما عدا ابن عثيمين، سواء منهم شعراء الدعوة أم غيرهم، بقلة الاهتمام بالزخرف اللفظي والمحسنات، ولا تجد له تاريخاً أو تطريزاً أو تشجيراً أو تعجيزاً، وسبب ذلك الوعي الديني، وجدية الرجل التي نراها في شعراء الدعوة، وهو ابن الدعوة في شعره، نسماتها تهب، وعبيرها يروق. وهو متأثر بالشعراء القدامى، وشعر أبي الطيب المتنبي واضح الأثر في شعره.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

بالوصول إلى خاتمة هذه الرحلة الشاقة والشائقة لا إلى خاتمة الطريق الذي لا ولن ينتهي ما دام الإنسان يسعى إلى الوصول إلى الحقيقة، فإننا خلال هذه المسيرة تعرفنا دروباً كثيرة للمعرفة لم نعلمها من قبل، وعندما بلغنا هذه الصفحة، تراكمت في الذاكرة وعلى الورق العشرات من تداعيات الأفكار التي تنير معرفتنا بجوانب كثيرة من حياة الشاعر أحمد بن مشرّف وعصره وشعره.

فأقول: إنها أول دراسة مستقلة تفرد له على هذا النحو، تتبع اتجاهاته وتتقصاها، كشفاً وتحليلاً، وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول.

ففي المقدمة تحدثت عن أهمية الموضوع وأسبابه ودواعيه، وتكلمت على الدراسات السابقة، ثم المنهج الذي سار عليه البحث مسيرته الطويلة هذه، ثم نوهت بعدد من المصادر والمراجع التي أفدت منها كثيراً.

أما التمهيد، فهو وصف عام للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية في الأحساء، وقد آثرت فيه الإيجاز لكثرة ما كتب في هذه النواحي؛ وقد أشرت في بدايته بسرعة إلى الناحية السياسية.. وقد لاحظنا أن الإمام فيصلاً كان مهتماً بتوطيد الأمن في بلاده، وبالقضاء على الفتن والثورات

والإغارات التي تقوم بها بعض القبائل، وتأديب قطاع الطرق، فقد استطاع الإمام - بفضل من الله أولاً، ثم بما لديه من حنكة وخبرة سياسية - إعادة الوحدة والتمكين لهذا الكيان الكبير، ساعده على ذلك الظروف المحيطة به، فكان لسياسته الأثر الفعال في تحقيق ما كان يصبو إليه من أمن ورقي واستقرار سياسي في المناطق كافة الخاضعة لحكمه، فقد كان رجل دولة قوي الشكيمة لا يتهاون مع خصومه.

ثم عرجت على الحياة الاجتماعية، وتناولت السكان من حيث انقسامهم إلى حضر وبدو والأنشطة التي يزاولها كلٌّ منهم، ففي البداية كان الرعي والزراعة، وقد اشتهرت المنطقة بكثير من المحاصيل الزراعية التي من أهمها: التمر بأنواعه، أما أهل المدينة، وهم الحضر، فكانوا يزاولون التجارة والصناعة.

وليس بفائتي أن أشير إلى حجاب المرأة الشرعي في منطقة الأحساء، فقد كانت المرأة تلتزم الحجاب الشرعي الكامل ومازالت، فهي متمسكة بدينها وعقيدتها.

ثم انتقلت إلى الحديث عن الحياة الثقافية والأدبية التي انتعشت وازدهرت في تلك الحقبة الزمنية، وأخذت الأحساء مكانة بارزة بين البلاد الإسلامية جمعيها حيث انتشر علماؤها ووعاظها للتدريس والإرشاد في عدة مجالات، منها العلوم الدينية والآداب واللغة والنحو والتاريخ؛ مما ساعد على ازدهار الحركة العلمية.

ثم تناولت بيئة الشاعر بمختلف نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية والجمالية، حيث كانت المدينة أرضاً خصبة خضراء ذات بساتين تغص بالعيون وتكثر بها القلاع والقصور.. قد أثرت هذه البيئة الجميلة في نفسية الشاعر واتجاهاته.

وحاولت في الفصل الأول أن أرسم صورة طيبة جلية لحياة الشاعر، فتتبعت حياته، مولداً ونشأة وناقشت الآراء المختلفة حول وفاته، وخرجت برأي رجحت فيه تاريخ وفاته مستندة إلى الحجج والبراهين، وطرحت على بساط البحث ثقافته وشخصيته العلمية والأدبية، وعلاقاته ومن يحيطون به من أمراء وأدباء وعلماء.

ودرست في الفصل الثاني أصول ديوانه، إذ إني لم أعثر له على الديوان المخطوط بالكامل ووفقني الله إلى أن عثرت على خمسين صفحة وبقية هذه الأصول متناثرة بين يدي أهل العلم، فعددنا الطبعة الأولى، وهي الطبعة الهندية هي الأصل الأول.

ثم وقفت على طبعات الديوان، فقد طبع سبع مرات، ولكنني من خلال بحثي هذا اعتمدت على الطبعة الخامسة في نقل النصوص وهي طبعة مكتبة الفلاح بالأحساء؛ لأنها كانت هي أول طبعة حصلت عليها.

وننطلق إلى فائت الديوان فقد قمت بالموازنة بين المخطوطات التي حصلت عليها والطبعة الهندية، وتتبعت باستقصاء سقوط بعض الأبيات من المخطوطة، والاختلاف في ترتيب الأبيات، والاختلاف في بعض الألفاظ والعبارات.

وفي الفصل الثالث فرغت إلى دراسة موضوعات شعر ابن مشرّف ولم تخرج عن أغراض الشعر المألوفة، فقد احتل المديح الصدارة لدى شاعرنا من حيث الكم، وتنوع إلى مدح النبي ﷺ، ومدح الأمراء بالمجد والكرم والعز والسلطان والتقوى، والإمامة الدينية، وانتقلت إلى الرافد الثاني من روافد شعر ابن مشرّف ألا وهو الشعر الديني الذي احتل مكانة كبيرة عند شاعرنا كالدفاع عن العقيدة والتوحيد والدعوة السلفية بكل ما أوتي من قوة، وانعطفت بعد ذلك إلى الأغراض الأخرى التي تصادف هوى في نفس الشاعر، كالشعر السياسي، والرثاء والهجاء والغزل، والشعر التعليمي، وغيرها، وقد تم ترتيبها بحسب الكم الشعري في الديوان.

أما الفصل الرابع فجعلته لدراسة الخصائص الفنية العامة التي طبعت شعره، وقد قسمته قسمين: الأول خصائص المضمون التي ناقشت فيها تجربته الشعرية التي عاشها الشاعر، وغاص في أعماقها، فسجل مشاعره من خلالها حتى جاءت صوراً نفسية عميقة ما بين إسلامه وأصالة شعرية وتاريخية بعد ذلك العاطفة، فقد كانت قوية ومؤثرة وصادقة؛ لأن تجارب شاعرنا من واقع حياته، فاستخدم ألفاظاً وعبارات دينية قوية جياشة.

أما من ناحية الأفكار فقد قسمتها ثلاثة مباحث: الأول مصادر أفكاره، فقد استنبط شاعرنا أفكاره من المصدرين الشرعيين الأساسيين: الكتاب، والسنة النبوية المطهرة، ومن ناحية الأصالة المعاصرة فقد مزج شاعرنا بين أفكاره الأصلية والأفكار المعاصرة، أما أفكاره الأصلية فقد استمدها من الكتاب والسنة والتاريخ الإسلامي، وأفكاره المعاصرة تتمثل في مدائحه الإمام فيصل ابن تركي، ومدح الأمير أحمد السديري ومدح ابن الإمام فيصل «عبدالله».

وإذا ما تحدثنا عن الوضوح والغموض في هذه الأفكار فإن أسلوب ابن مشرّف يمتاز بالسهولة والبساطة، فعندما نستقرئ الديوان، فإننا نجد أشعاره واضحة المعاني سلسلة رقيقة.. وهذا مطلب مهم في الشعر الجيد الذي يقرب الحقائق، وإن كان هناك بعض الغموض في بعض الكلمات والتراكيب، ولكنه قليل لا يؤثر في شاعرية ابن مشرّف.

أما القسم الثاني فقد عالجت فيه قضايا الشكل من بناء للقصيدة، فشاعرنا يتخذ مسارب مختلفة فيه حيث يبدأ قصائده بتناول موضوعه مباشرة، أو يبدأ بالتحميد والشكر أو يبدؤها بمقدمات غزلية لينتقل بعدها إلى الغرض الأساسي على عادة الشعراء القدامى، أو يستفتح بعض القصائد (بألا) الاستفتاحية، وفي ختام جميع القصائد يصلي ويسلم على الرسول وآله وصحبه رضي الله عنهم.

ثم درست الألفاظ والتراكيب، فوجدتها سهلة واضحة مفهومة لدى القارئ، كما نلاحظ أن الاقتباس من القرآن الكريم كثير فيها لدى الشاعر، كما استخدم بعض الأساليب البلاغية من بينها التضمين والتوكيد والتشبيهات والتعريض والتقسيم، وغيرها.

وإذا نظرنا إلى الطبع والصنعة فنجد ابن مشرّف في أبياته عفوي الأسلوب سلس العبارة بعيد عن التكلف ولعل سبب ذلك يعود إلى صميم التجربة الشعرية الصادقة.

وإذا أشرنا إلى الصورة الشعرية لدى ابن مشرّف فنلاحظ أنه ذاتي في أغراضه يعبر في قصائده عن خواطره وإحساسه، وألمه.. وهذه الظاهرة عامل مهم في مساعدة الشاعر ودفعه إلى الإبداع في رسم الصورة الشعرية، فالشعر العربي عامة يقوم على كاهل بعض الفنون البلاغية، وفي مقدمتها الاستعارة والتشبيه بأقسامها المختلفة، وهذا ما نجده عند شاعرنا، فقد استخدم شاعرنا طاقاته اللغوية وإمكاناته عن طريق التشبيه والترادف والتضاد والتجانس، وغيره من وسائل التعبير. كما تناولت الأوزان بوصفها ركناً من أركان الشعر المهمة، فاستخدم شاعرنا البحر الطويل في اثنين وثلاثين قصيدة، والبحر البسيط في ثماني عشرة قصيدة، والرجز في ثلاث قصائد، والرمل في قصيدة واحدة، ووضعت جدولاً إحصائياً بهذه البحور.

أما القافية فلم تسلم عند ابن مشرّف، فمن العيوب الإيطاء، كما لجأ إلى بعض الضرورات الشعرية.

وفي نهاية المطاف عقدت موازنة بين شعر أحمد بن مشرّف، وشعر سليمان بن سحمان، ثم عرضت موضوع مكانة شاعرنا الشعرية عند المتصلين به من شعراء ونقاد ومؤلفين، ووقفت على هذا الشتات من آراء النقاد والأدباء ودراساتهم وبحوثهم ومقالاتهم؛ لنطلع على أحكامهم ونتائجهم التي توصلوا

إليها عن حياة ابن مشرّف وشعره، فإن هذا الشاعر الكبير جدير بدراسة مستقلة وافية ومفصلة، وإني لأرجو أن تكون هذه الدراسة التي قدمتها قد أعانت على توضيح حياة الرجل، وأردت من ذلك أن أحل هذا الشاعر المكانة التي يستحقها بين الشعراء عصره، وفي ميدان الشعر العربي عامة.

ولعل كثيراً من دارسي الأدب العربي قد غفلوا عن دراسة الشاعر ومنحه حقه، ولم يعطوه المكانة التي يستحقها، لعل ذلك كان بسبب ضياع معظم شعره، وتشتت ما تبقى في بطون المصادر وبين يدي أهل العلم، فلم نستطع الإحاطة بكل جوانب شخصيته وفنه، فبقي هذا الشاعر مهملاً مغموراً، ولم يأخذ مكانته في صدر الدراسات الأدبية.

وإني لأرجو أن تضيف هذه الدراسة إلى التراث العربي قيماً فنية تمد الحياة الإنسانية بتجارب شعورية جديدة.

بهذا أكون قد أتيت إلى نهاية هذا العرض الكامل الموجز لفصول هذه الدراسة ونتائجها، فإن حققت بعض أهدافها فهو ماقصدت إليه وعملت من أجله، وإلا فعذري أنني طالبة علم تخطئ وتصيب، وما الكمال إلا لله وحده «وفوق كل ذي علم عليم».

والحمد لله رب العالمين،،،

المصادر والمراجع

- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، محمد مصطفى هداره. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية. ١٤٠١هـ (١٩٨١م).
- اتجاهات الشعر المعاصر في نجد. حسن الهويمل، مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
- اتجاهات الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية. د.عبدالله الحامد. مطابع الجزيرة، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري. يوسف حسين بكار، دار الأندلس، بيروت.
- أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية. د. مسعد عيد العطوي. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ (١٩٨٦م).
- أخبار القرامطة في الأحساء والشام واليمن والعراق: جمع وتحقيق ودراسة: د. سهيل زكّار. دار حسان للطباعة والنشر، دمشق ١٤٠٢هـ.
- الأدب الإسلامي قضية وبناء. د. سعد ابو الرضا، عالم المعرفة. جدة. الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).
- الأدب الحديث تاريخ نجد ودراسات. د. محمد بن سعد بن حسين، مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١١هـ (١٩٩٠م).
- الأدب الحديث في نجد. محمد بن سعد بن حسين. مطابع الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

- الأدب الجاهلي. غازي طليمات، عرفان الأشقر. حمص، دارالإرشاد الطبعة الأولى.
- الأدب القديم في الأحساء، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، مكتب الرئاسة بالأحساء، المحاضرة الثقافيه السادسة، حسن عبدالرحمن الحليبي.
- أدب النثر المعاصر في شرقي الجزيرة العربية، تأليف: د. عبدالله آل مبارك. الطبعة الأولى ١٩٧٠م.
- أساس البلاغة. الزمخشري. دار صادر بيروت، ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م).
- استئناس الخطيب والواعظ بالخطب والمواعظ. محمد بن علي بن سليمان السعوي. الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٧ هـ.
- أسرار البلاغة: عبدالقاهر الجرجاني. تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي. مكتبة القاهرة، ط ١٢٩٦هـ.
- أسس النقد الأدبي عند العرب. د. أحمد أحمد بدوي. دار نهضة المصر، القاهرة ١٩٧٩م.
- الأسلوب: أحمد الشايب. النهضة المصرية، ط السادسة ١٩٦٦م.
- الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز: د. عبدالفتاح حسن أبو عليه. مطبوعات دار الملك عبدالعزيز ١٣٩٦هـ.
- الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز. عبدالفتاح أبو عليه، المطابع الأهلية، الرياض ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م).
- الأصول الفنية للشعر الجاهلي. سعد إسماعيل شلبي، مكتبة غريب، ١٩٧٧م.
- أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب. النهضة مصر. الطبعة التاسعة ١٩٨٥م.
- أضواء حول الإستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه. محمد إبراهيم حمو. مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض. الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ (١٩٨١م).

- الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة. أحمد بن الحسين البيهقي، حديث أكادمي.
- الأعلام. خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩م.
- أعلام من الأحساء. عبدالرزاق البابطين. الدار الوطنية، الخبر.
- إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة د. إبراهيم بن فوزان الفوزان، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠١هـ (١٩٨١م).
- أهدى سبيل إلى علمي الخليل. مصطفى السقا، ميدان الأزهر، ١٣٩٤هـ (١٩٧٣م).
- الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني. تحقيق: د. محمدعبدالمنعم خفاجي. دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).
- الإيمان بالقضاء والقدر. تقديم الشيخ: عبدالعزيز بن باز. تأليف: محمد ابن ابراهيم الحمد. دار ابن خزيمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ (١٩٩٨م).
- البداية والنهاية، أبو الفداء بن كثير، دار الفكر، بيروت ١٤٠٢هـ.
- تاريخ الإحساء السياسي ١٨١٨ - ١٩١٣م، د. محمد عرابي نخلة. نشر ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٠هـ.
- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد. إبراهيم بن عيسى. دار اليمامة، الرياض. الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م).
- تاريخ البلاد العربية السعودية. منير العجلاني. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ (١٩٩٣م).
- تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، تأليف: د. مصطفى عبدالقادر النجار، كلية الآداب، جامعة البصرة، د. خليل علي مراد، كلية التربية،

جامعة البصرة، د. علا موسى كاظم نورس، كلية الآداب، جامعة بغداد، د. صالح محمد العابد، كلية الآداب، جامعة بغداد،١٩٨٤م.
- تاريخ الدولة السعودية الثانية، ١٢٥٦هـ ـ ١٣٠٩هـ (١٨٤٠ ـ ١٨٩١م).
- تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين. د. مديحة أحمد درويش، دار الشروق، جدة، الطبعة السابعة، ١٤١٣هـ (١٩٩٣م).
- تاريخ المملكة العربية السعودية. د. عبدالله العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).
- تاريخ ملوك آل سعود. الأمير سعود بن هذلول. مطابع الرياض، ١٣٨٠هـ (١٩٦١م).
- تاريخ نجد، تأليف: السيد محمود شكري الآلوسي، المكتبة العربية، القاهرة، ١٣٤٧هـ، المكتبة السلفية بمصر.
- تاريخ نجد الحديث وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، دار الجيل، بيروت، أمين الريحاني.
- تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام، حسين بن غنام. تحقيق: ناصر الدين الأسد. الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).
- تحفة الألباء في تاريخ الإحسان: سليمان الدخيل، مطبعة الرياض، بغداد. ١٣٣١هـ.
- تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والحديث. محمد بن عبدالله آل عبدالقادر. مكتبة المعارف بالرياض، مكتبة الأحساء، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).
- تذكرة أولى النهى والعرفان، الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن. مطبعة النور، الرياض، الطبعة الأولى، د.ت.

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).
- التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية. محاضرات: عبدالله عبدالجبار. نشر معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية. مصر، ١٩٥٩م.
- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي الأولى. د. بدوي طبانة. مكتبة الأنجلوالمصرية، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبدالله آل الشيخ. نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاءوالدعوة والإرشاد في المملكة.
- الجارم الشاعر عصره، حياته، شعره، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.
- جزيرة العرب في القرن العشرين: حافظ وهبة. مطبعة نخبة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤هـ.
- جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد. حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر، د. عثمان الصوينع. مطابع الفرزدق، الرياض ١٤٠٨هـ.
- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٦م.
- حياة الشيخ الشاعر ابن مشرّف. أحمد العصور. بحث لمحات أدبية

لشباب الأحساء، الموسم الثقافي للمكتب الرئيس لرعاية الشباب بالأحساء، للعام ١٣٩٧هـ ـ ١٣٨٩م. مطابع النصر، الرياض.

- الحياة العلمية والثقافية والعسكرية في المنطقة الشرقية ١٣٥٠ـ ١٣٨٠هـ د. عبدالله السبيعي. ١٤٠٧هـ.
- الخليج العربي رؤية في الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. جان جاك بيريبي.، تعريب: نجدة هاجر، سعيد الغز، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.
- دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديثة والمعاصر، تأليف: أ.د. عبدالفتاح حسن أبو علية.
- ديوان الإمام الشافعي. جمع وتعليق: محمد عفيف الزعبي، مؤسسة الزعبي، دار الجيل، بيروت. ط.: ٣، ١٣٩٢هـ.
- ديوان ابن الرومي. عبدالأمير مهنا، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٤١١هـ (١٩٩١م).
- ديوان ابن سحمان عقود الجواهر المنضدة الحسان الطبعة الأولى، بالمطبعة المصطفوية بمبي. الهند، ١٣٧٧هـ، الطبعة الثانية بمطابع الأهرام. القاهرة، ١٩٧٧م ديوان ابن مشرّف. محمد بن إبراهيم المطرودي. الطبعة الخامسة، مكتبة الفلاح بالأحساء، الهفوف، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م).
- ديوان البارودي. علي الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، ١٩٩٨م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي. بشرح أبي االبقاء العكبري. عني به: مصطفى السقا، وآخرون. دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٧هـ.
- ديوان حسان بن ثابت، د. وليد عرفات. دار صادر، بيروت ١٩٧٤م.

- ديوان عمرو بن قميئة، خليل إبراهيم العطية. دار صادر، بيروت ١٩٩٤م.
- ديوان أحمد بن علي بن مشرّف. مطابع العروبة، الدوحة، قطر.
- ديوان أحمد بن علي بن مشرّف مكتبة الفلاح، الأحساء، ط:٤.
- ديوان أحمد بن علي بن مشرّف. عني بالطبعة، عبدالله بن إبراهيم الأنصاري.
- دلائل التوحيد. محمد جمال الدين القاسمي. دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ (١٩٩١م).
- الرسائل المفيدة. سليمان بن سحمان. مؤسسة الجزيرة، الرياض.
- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين. محمد بن عثمان القاضي. مطبعة الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
- سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).
- سليمان بن سحمان حياته وشعره: ناصر بن سليمان بن عبدالكريم الصنعاني. رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).
- سنن أبي داود، دار الحديث، حمص، سورية، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.
- سنن الترمذي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، مطبعة الفجالة، القاهرة. د. ت. والسنن بتحقيق: إبراهيم عطوة، مطبعة الحلبي، القاهرة،الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م).
- السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. مكتبة الرياض، ١٣٥٦هـ (١٩٧٣م).
- شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، تأليف: خير الدين الزركلي، الجزء الأول، دار العلم للملايين، بيروت.

- شرح ديوان أبي تمام، شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م).
- شرح ديوان المتنبي. عبدالرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٩م.
- شرح القصائد العشر. يحيي بن علي التبريزي. دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).
- الشريف الرضي «حياته وشعره»: د.محمد إبراهيم المطرودي. الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ (١٩٩٧م).
- شعر الأسر والسجن في الأندلس. جمع وتوثيق ودراسة، د.بسيم عبدالعظيم عبدالقادر إبراهيم. الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٧هـ (١٩٩٦م).
- الشعر الإسلامي في صدر الإسلام. عبدالله الحامد، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ (١٩٨١م).
- الشعر الحديث في الحجاز، ١٩١٦ـ ١٩٤٨م: عبدالرحمن أبو بكر. الطبعة الثانية، القاهرة.
- الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن، ١٣٤٥-١٣٩٥هـ: د. عبدالله الحامد. مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠٨هـ.
- الشعر العباسي. محمد أبو الأنوار، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.
- الشعر في الأحساء في القرن الرابع عشر الهجري، خالد بن سعود الحليبي. رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م).
- الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين. د. عبدالله حامد الحامد. دار الكتاب السعودي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م).

- الشعر في ظلال دعوة الإمام محمد بن عبالوهاب، د. عبدالله الحامد. دار الكتاب السعودي. الرياض، ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م).
- الشعر والشعراء لابن قتيبة. تحقيق: مفيد قميحة. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).
- شعراء العصر الحديث، عبدالكريم الحقيل. مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ (١٩٩٧م).
- شعراء نجد المعاصرون، عبدالله بن إدريس. مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٨٠هـ.
- شعراء هجر، د.عبدالفتاح الحلو. دار العلوم، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ (١٩٨١م).
- صحيح ابن خزيمة. لإمام الأئمة ابن خزيمة. تحقيق: مصطفى الأعظمي. طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م).
- صحيح البخاري، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي. دار القلم ن بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).
- صحيح مسلم، عني به: محمد فؤاد عبدالباقي. مطبعة دار إحياء الكتاب العربية.
- صفحات من تاريخ الأحساء، عبدالله الشباط. مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- صفة جزيرة العرب، الهمداني. تحقيق: محمدالأكوع. دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م).
- الصناعتين، أبو هلال العسكري. تحقيق: أبوالفضل إبراهيم. المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- عصر الدول والإمارات في الجزيرة العربية، العراق، إيران: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.

- عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر. إبراهيم بن عيسى، تحقيق: عبدالرحمن آل الشيخ. المطابع الوطنية، الرياض، د.ت.
- عقيدة المؤمن. أبوبكرالجزائري، دارالفكرالعربي، دارنهر النيل، القاهرة.
- علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج خلال الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي، ١٢٥٩ ـ ١٢٨٢هـ (١٨٤٣ـ١٨٦٥م) رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث. إعداد: دلال محمد سليمان السعيد. إشراف: د. عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).
- علماء نجد خلال ستة قرون، الشيخ عبدالله البسام، مطبعة النهضة بمكة، ١٣٩٨هـ.
- علم البديع، د. بسيوني قيود. طبعة دار المعالم.
- على مائدة الأدب. عبدالله بن حمد الحقيل. الديرية العامة للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).
- علي بن المقرب العيوني «حياته وشعره»، علي الخضيري، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- العمدة لابن رشيق، تحقيق: محمد قرقزان. دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م).
- عنوان المجد في تاريخ نجد. عثمان بن بشر. تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ. الطبعة الثالثة، ١٣٩٤م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. أحمد بن حجر العسقلاني، مكتبة القاهرة، ١٣٩٨هـ.
- الفكرة والصورة في شعر زهير بن أبي سلمى. فتحية محمود فرج العقدة. دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

- فن التقطيع الصوتي والقافية. د. صفا خلوصي. الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.
- في النقد الأدبي، عبدالعزيزعتيق. دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.
- القاموس المحيط، الفيروز ابادي، المؤسسة العربية للطباعة، بيروت، د.ت.
- القافية، أحمد كشك. المكتبة الفيصلية، مكة، ١٤٠٥هـ.
- قضايا النقد الأدبي، د. بدوي طبانه. دار المريخ، الرياض، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- قطر الندى وبل الصدى، لأبن هشام. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية.
- قلائد الجمان في سيرة آل سحمان. عمر بن غرامة العمروي. مطابع نجد، الرياض،الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩م.
- الكافي في علم القوافي، محمد الشنتريني، تحقيق: محمد رضوان الداية، ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م).
- كنز الأنساب ومجمع الأداب. حمد بن إبراهيم الحقيل. ط١٣، ١٤١٨هـ (١٩٩٧م).
- الكواكب النيرات المنجيات المهلكات. عبدالله جار الله الجارالله. المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- لسان العرب. جمال الدين بن محمد بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ (١٩٩٤م).

- مباحث في الثقافة الإسلامية. تحقيق: نعمان عبدالرزاق السامرائي. الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة. الطبعة الثانية. دار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).
- مجموع النفايس الشعرية والغرائب الشهية، صالح بن الشيخ سليمان بن سحمان وعبدالرحمن بن عبدالعزيز بن الشيخ سليمان بن سحمان، مطبعة دار البيان.
- مختصر العلق، الذهبي، اختصره وحققه: الشيخ ناصر الدين الألباني. طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ (١٩٨١م).
- مرآة جزيرة العرب، أيوب صبري باشا، دار الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر. علي بن الحسين بن علي المسعودي. القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤هـ).
- المستطرف في كل فن مستظرف، بهاء الدين محمد بن أحمد الأبشيهي. دار الفكر العربي، بيروت. الطبعة العاشرة، ٢٠٠٤م.
- المسند، الإمام احمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، ط: ٤، ١٤٠٣هـ.
- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي التميمي. تحقيق: حسن سليم أسد. دار الأمون، دمشق.
- مشاهداتي في جزيرة العرب، أحمد حسين، القاهرة: مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، ١٩٥٠م.
- مطلع البدرين في تراجم علماء وآدباء الأحساء والقطيف والبحرين. جمع:جواد ابن الحاج حسين الرمضان.

- معارج القبول، حافظ بن أحمد الحكمي. القاهرة، المطبعة السلفية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ (١٩٨٣م).
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض.د.ت.
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية، البحرين قديما، حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م).
- معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية، د. علي فؤاد الطاهر. المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٥م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبدالباقي. نشر مؤسسة جمال، بيروت.
- المعجم الوسيط. د. إبراهيم أنيس وآخرون. القاهرة، الطبعة الثانية. د.ت.
- مقدمة رسالة أبي زيد القيرواني، سنة ٣١٠ ـ ٣٨٦هـ ونظمها للشيخ أحمد بن مشرّف المالكي الأحسائي، طبع في مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.
- الملك عبدالعزيز والتعليم، د. عبدالله سعيد أبوراس بدر الدين الدّيب. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ملوك العرب ورحلة في البلاد العربية مزينة برسوم وخرائط وفهرس أعلام الحجاز، اليمن، عسير، نجد والنواحي المحمية، دار الجيل، بيروت، أمين الريحاني.
- من شعراء الإسلام.د. محمد بن سعد بن حسين. الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م).
- منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ. خالد الغريب. مطابع الفرزدق، الرياض ١٤٠٧هـ.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء. أبو الحسن حازم القرطاجي. تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن خوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.
- الموازنة بين الشعراء. د. زكي المبارك. المكتبة المصرية، بيروت، الطبعة الثانية. د.ت.
- الموسوعة الأدبية. عبدالسلام الساسي. دائرة معارف لأبرز أدباء المملكة،دار قرشي مكة، ١٣٨٨هـ.
- موسيقا الشعر، د. إبراهيم أنيس، دار القلم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٧٢هـ.
- النابغة الجعدي: حياته وشعره، خليل أبو ذياب، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).
- النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر. حسب بن فهد الهويمل. إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).
- نزهة الأبصار في طرائف الأخبار والأشعار، عبدالرحمن بن درهم، دار العباد، بيروت.
- نظريات الشعر عند العرب في الجاهلية والعصور الإسلامية. مصطفى الجوزو، دار الطبعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ (٢٠٠٢م).
- نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية وأثره في قيام مدينة سمراء. عبدالعزيز اللميلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ (١٩٩٧م).
- النقد الأدبي، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م.
- النقد الأدبي، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.

- النقد الأدبي الحديث. محمد غنيم هلال.نهضة مصر، القاهرة.
- النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب للمقري، هدى شوكة بهنام،دار العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- نقد الشعر عند العرب. قدامة بن جعفر. تحقيق: عبدالمنعم خفاجي. دار الكتب العلمية، بيروت.
- الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية. سليمان بن سحمان، مطبعة النهضة، مكة،١٣٨٩هـ (١٩٦٨م).
- واحة الأحساء. ف.ش. فيدال. ترجمة: عبدالله بن ناصر السبيعي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ (١٩٩٠م).
- الوضوح والغموض في الشعر العربي القديم. عبدالرحمن بن محمد القعود. مطابع الفرزدق، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- وقفات على اتجاه الإسلامي في الشعر العربي. عبدالعزيز الفيصل، الرياض، ١٤١٤هـ (١٩٩٤م).

فهرس القوافي

القافية	البحر	الصفحات
تضربُ	الطويل	٢٥١، ٣٤١
تهربُ	الطويل	٨٨، ٢٦٩، ٣٤٥، ٥٣٦، ٥٤٢
خِصْبُ	الطويل	٥١
نذهبُ	الطويل	٢١٩، ٣٩٣، ٤٨٧، ٥٤٢
زينبُ	الطويل	٢٧٨، ٣٤٣
الصلبُ	الطويل	٥١
غيهبُ	الطويل	٨٨، ٢٦٩، ٣٤٥، ٥٣٦
مُركَّبُ	الطويل	٢٠٣
معذبُ	الطويل	٢٧٨، ٣٤٣
نطلبُ	الطويل	٩٣، ٥٤٢
وهيدبُ	الطويل	٢٧٧
يتحلَّبُ	الطويل	٢٧٧، ٣٤٣
يثوبُ	الطويل	٤٨٧
ويحجبُ	الطويل	٥٤٣
يسكبُ	الطويل	٢٧٧، ٣٤٣
يصحبُ	الطويل	٤٨٧، ٥٤٢
ويعجبُ	الطويل	٥٤٢
يصوبُ	الطويل	٥٤٢، ٥٤٣
يضربُ	الطويل	٢٧٨، ٣٤٣، ٥٤٢، ٥٤٣

القافية	البحر	الصفحات
السلاهبِ	الطويل	١٥٨، ٢٠٥، ٢٣٠، ٥٢٨
السواكبِ	الطويل	٤٤١، ٥٢٧، ٥٩١
شاحبِ	الطويل	١٧٠أ٤٤١، ٥٢٧، ٥٩٠
شاربِ	الطويل	٢٩١، ٤٤١، ٥٢٧، ٥٩١
لضاربِ	الطويل	١٧٠، ٢٢٩، ٤٨٣، ٥٢٨
طالبِ	الطويل	٩١، ١٦٥، ١٧٠، ٢٢٩، ٣٦٠، ٤٠٩، ٤٨٢
بعائبِ	الطويل	١٦٥، ٣٥٩، ٤٤٠
بالعجائبِ	الطويل	٨٥، ١٦٥، ٣٥٩، ٤٤٠
العواقبِ	الطويل	٢٠٥
غالبِ	الطويل	٤٤٠، ٤٤١
الغياهبِ	الطويل	٢٠٥، ٢٨٥، ٣٨٢، ٤٤١، ٥٩٠
القواضبِ	الطويل	١٥٨، ١٧٠، ٢٠٤، ٢٣٠، ٤٩١، ٥٢٨
الكتائبِ	الطويل	١٧١، ٢٣١، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٩٣، ٥٣٣
الكواعبِ	الطويل	٤٤١، ٥٩٠
الكواكبِ	الطويل	١٧٠، ٤٤١، ٥٢٧، ٥٩٠
الكواذبِ	الطويل	١٦٥، ٢٢٩، ٤٨٩
لاعبِ	الطويل	١٧٠، ٢٢٩، ٤٨٩
مأربِ	الطويل	١٦٥، ١٧٠، ٢٣٠، ٣٤٩، ٣٦٠
المجانبِ	الطويل	٢٠٥

القافية	البحر	الصفحات
للخطبِ	البسيط	٥٦١
بصيِّبِه	البسيط	٢٥٢، ٤٤٠
الطلبِ	البسيط	٥٦١
العطبِ	البسيط	٥٦١
الغضبِ	البسيط	٥٦٩
الكتبِ	البسيط	٥٦١
مخربِهِ	البسيط	٢٥١، ٣٥٩، ٣٨٢، ٤٣٩، ٤٧٩، ٥٢٤
مكذبِهِ	البسيط	٨٤، ٢٠٠، ٢٥١، ٣٥٩، ٣٨٢، ٤٣٩، ٤٧١، ٤٧٩، ٥٢٤، ٥٤٤، ٥٧٦، ٥٨٣
مذهبِهِ	البسيط	٦٨، ٢٥٢
مشربِهِ	البسيط	٢٠٢
مضطربِ	البسيط	٥٦١
مغربِهِ	البسيط	٨٤، ٢٠٠، ٢٥١، ٣٥٩، ٣٢٨، ٤٣٩، ٤٧٩، ٥٢٤، ٥٤٤
منقلبِ	البسيط	٥٦١
الإيجابِ	الرجز	٣١٠
السحابِ	الرجز	٤٣٤
الصوابِ	الرجز	٣٩٤، ٤٢٢
الطيبِ	الرجز	٣٩٢
العربِ	الخفيف	٣٣٤
حَسَبِ	الخفيف	٣٣٤

القافية	البحر	الصفحات
عبدالمطلبِ	الخفيف	٣٣٤
نفحُ	الخفيف	٥٣، ٨٦، ٣٦١، ٥٥٢
متضحةْ	الرجز	١٩٩
نزحُ	الرمل	١٦١، ٣٦١
تلَحُّ	الرمل	١٦١
جرحُ	الرمل	١٦٠، ١٦٢، ٢٩٤
جمحُ	الرمل	١٦٢، ٣٦١، ٥٥٣
جنحُ	الرمل	١٠٣، ١٦٢، ١٩٧، ٢٧٧، ٣٦٠، ٣٦١، ٤٨٠، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٨٩، ٥٩٣
ذبحُ	الرمل	١٦٠، ٢٧٧، ٢٩٣
ربحُ	الرمل	١٥٩
رمحُ	الرمل	١٦١، ١٦٢
سبحُ	الرمل	١٦٠، ١٦٣، ٢٧٧
سرحُ	الرمل	١٦٢
سفحُ	الرمل	١٠٤، ١٥٩، ١٦٢، ١٩٧، ٢٧٦، ٣٦١، ٥٠٢، ٥٥٣
سمحُ	الرمل	١٩٧، ٢٧٧، ٣٦٠، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٨٩، ٥٩٣
شحُ	الرمل	١٦٣، ٣٦١
شرحُ	الرمل	١٦٠
شطحُ	الرمل	١٦٢
صبحُ	الرمل	١٦٠، ١٩٧، ٢٧٧، ٢٨٥، ٣٦٠، ٥٥٢، ٥٩٣

القافية	البحر	الصفحات
صدحُ	الرمل	١٦٣
صرحُ	الرمل	١٦١، ١٦٢، ٣٦١، ٥٥٣
صفحُ	الرمل	١٦١، ٣٦١، ٥٥٣
صلحُ	الرمل	١٦٢
طرحُ	الرمل	١٦١
ضبحُ	الرمل	١٦١
فتحُ	الرمل	٥٣، ٨٦، ١٦١، ١٦٢، ٣٦١، ٥٥٢، ٥٥٣
فسحُ	الرمل	١٦٢
قبحُ	الرمل	١٦٠، ٢٧٧
قدحُ	الرمل	١٦١، ١٦٢
قرحُ	الرمل	٣٦١، ٥٥٣
كدحُ	الرمل	١٦٢، ٣٦١، ٤٨١، ٥٥٣
لفحُ	الرمل	١٥٩، ١٩٧
مدحُ	الرمل	١٦٠، ١٦٣، ١٩٧، ٢٧٧، ٢٩٢، ٥٨٩، ٥٩٣
منحُ	الرمل	١٦٣
نزحُ	الرمل	٥٥٣
نصحُ	الرمل	١٩٧، ٢٢٤، ٢٧٧، ٥٥٢، ٥٨٩، ٥٩٣
نضحُ	الرمل	١٦١
وشحُ	الرمل	١٦٠، ٢٧٧، ٢٩٢، ٥٨٩، ٥٩٣

القافية	البحر	الصفحات
تأودا	الطويل	٣٦٣، ٤٠٩
تجددا	الطويل	٢٧٤
تربدا	الطويل	١٨٤، ٣٦٣، ٥٣٩
تمردا	الطويل	١٧٧، ٢٦٩، ٣٦٦، ٤٣١، ٥٧٦، ٥٨٢
توددا	الطويل	٢٧٤، ٢٩٣
جاهدا	الطويل	١٨٥، ١٩٣، ٣٦٣، ٥٣٤
الجدا	الطويل	١٧٦، ٤٤١، ٥٦٨
الحَمْدُ	الطويل	٢٢٧، ٥٣١، ٥٣٥
رُشْدا	الطويل	٥٣٥
رقدا	الطويل	٥٣٥
سؤددا	الطويل	١٧٧، ٢٧٤، ٣٦٣
شُرَّدا	الطويل	٢٦٩
العدا	الطويل	٨٨، ١٧٦، ٢٦٩، ٢٧٥، ٣٤٠، ٣٦٣، ٣٦٤
عسجدا	الطويل	٥٨٢
غدا	الطويل	٤٧٣، ٥٧٦، ٥٨٢
غردا	الطويل	١٤٧، ٤٤٢
مؤبدا	الطويل	١٤٧، ٤٤٢
مؤيدا	الطويل	٣٦٣، ٥٣٤
مبددا	الطويل	١٨٧، ٢٣٥، ٣٤٤

القافية	البحر	الصفحات
المجدُ	الطويل	٤٧٢، ٥٦٠
منهدُّ	الطويل	٢٢٦، ٢٥٤، ٣٦٢، ٤٧٢، ٥٣٤
نجدُ	الطويل	٢٥٤، ٣٦٢، ٤٧٢، ٥٥٧
واحدُ	الطويل	٢٨١
الوغدُ	الطويل	٩٧، ٢٦٥، ٣٦٢، ٤٢٩، ٥٦٤
يغدو	الطويل	٢٥٥، ٣٦٢
تشهدُ	الرجز	٢٠٩، ٣٨٨، ٤٧٢
التوحيدُ	الرجز	٦٨
أجودِ	الطويل	٥٧٥
أمردِ	الطويل	١٦٨، ٣٦٤
تبعدِ	الطويل	٤٣٠
التهجدِ	الطويل	١٦٨، ٢٠١، ٣٦٥، ٥٢٩
التهددِ	الطويل	١٦٩
تهمدِ	الطويل	٢٩٦
توددِ	الطويل	٢٩٤، ٥٢٠
التوعدِ	الطويل	١٦٧
الجحدِ	الطويل	٥٤٩
الحُسَّدِ	الطويل	٥٢٠
الحسدِ	الرجز	٣٧٧

القافية	البحر	الصفحات
مشهدِ	الطويل	٢٠٢
مشيدِ	الطويل	١٦٦، ٥٧٥، ٥٨٢
مصفدِ	الطويل	٥٧٠
مطردِ	الطويل	٢٠٦
معتدِ	الطويل	١٦٩، ٤١٩، ٥٨١
معددِ	الطويل	٢٩٣، ٤٧٣، ٥٢١
مفسدِ	الطويل	٣٦٤
مفندِ	الطويل	٢٩٥، ٤٧٣
مقصدِ	الطويل	١٦٦، ١٦٨، ٣٦٥، ٥٢٩، ٥٧٥
ملحدِ	الطويل	١٦٩، ٢٠٦، ٣٦٥، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٤٨، ٥٦٥، ٥٨١
منضدِ	الطويل	٢٨٦، ٤٧٣، ٥٢١
منكدِ	الطويل	١٦٩، ٣٦٥، ٥٨١
المهندِ	الطويل	١٦٦، ١٦٨، ٣٦٥، ٣٦٦، ٤١٩، ٥٢٩
مهندِهْ	الرجز	٦٨
موحدِ	الطويل	١٦٩، ٥٣٢، ٥٧٥، ٥٨١
موردِ	الطويل	١٦٨، ٣٦٤، ٣٦٥، ٥٢٩
موعدِ	الطويل	١٦٨، ٢٩٤، ٥٢٠
النَّدِّ	الطويل	٥٥١، ٥٥٩
ندي	الطويل	

القافية	البحر	الصفحات
الهدِّ	الطويل	٥٥٩، ٥٦٠
وغدِ	الطويل	٥٥٩
اليدِ	الطويل	٥٠، ٣٦٥، ٥٣٢، ٥٣٥، ٥٤٨، ٥٨١
متعبدِ	البسيط	٤٥٨
محمدِ	البسيط	٤٥٨
مسجدِ	البسيط	٤٥٨
التأبيدِ	الرجز	٣١٢
الترددِ	الرجز	٢٦٨، ٣٦٥، ٥٣٢، ٥٤١، ٥٤٨
ضدِّهِ	الرجز	٣٠٩، ٣٩٠
محمدِ	الرجز	٤٩٤
المعادِ	الرجز	٢١٩
العبودِ	الرجز	٣١٤، ٣٩٦
المعتقدِ	الرجز	٣٩٧
مفيدِ	الرجز	٤٩٤
والدِ	الرجز	٨٣، ٣٥٤، ٤١٣، ٤٣٤
خذِ	الرجز	٣٨٧
جهبذي	الرجز	٢٦٨
انتشرْ	الطويل	٥٢٣
البشرْ	الطويل	٥٤

القافية	البحر	الصفحات
شكرا	البسيط	٢٢١، ٢٢٣، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٤٠١
صغرا	البسيط	٣٢٠، ٤٠٠، ٤٤٨
الصورا	البسيط	١٠٤، ٣٢٠، ٤٠٠
ظفرا	البسيط	٣٢١
ظهرا	البسيط	٣٥٤، ٣٧٨، ٤٣٥، ٤٦١
عبرا	البسيط	٣١٦، ٣٩٩، ٤١٤، ٤٤٧
العمرا	البسيط	٣١٨، ٣٩٩
الغررا	البسيط	٢٢٢، ٤٠٢، ٤٥٤
الفجرا	البسيط	٣٢١، ٤٠١
فطرا	البسيط	٣٩٨، ٤٤٦، ٤٧٥
قبرا	البسيط	١٠٤، ٣٢٠، ٤٤٧
القدرا	البسيط	٣١٧، ٣١٨، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٤٦
القمرا	البسيط	٢٢١، ٣٢١، ٤٠١، ٤٤٩
قهرا	البسيط	١٠٤، ٣٢٠، ٤٠٠، ٤٤٨
الكبرا	البسيط	٢٢١، ٣٢١، ٤٠١، ٤٤٦
كثرا	البسيط	٣٢٠، ٣٢٢، ٤٠٠
كفرا	البسيط	٣١٨، ٣٢١، ٤٠١
مختصرا	البسيط	٣٢٢
مطرا	البسيط	٣٥٤، ٣٧٨، ٤٣٥، ٤٦١

القافية	البحر	الصفحات
الدهرُ	الطويل	٢٣٤
زأرُ	الطويل	١٧٤، ٢٣٤، ٣٦٦
زجرُ	الطويل	٢٠١
الزهرُ	الطويل	١٩٠، ٣٦٧، ٤٣٦
السحرُ	الطويل	١٩٠
السدرُ	الطويل	١٩٠، ٣٦٧، ٤١٠، ٤٢٠
السمرُ	الطويل	٢٣٤، ٣٦٦
الشحرُ	الطويل	١٩٠
الشكرُ	الطويل	٢١٤، ٤٠١
العبرُ	الطويل	٥٧٧
الصدرُ	الطويل	١٧٤، ٣٦٦
الغدرُ	الطويل	٢٣٤، ٣٦٦
الفجرُ	الطويل	١٧٤، ١٩٠، ١٩٤، ٣٦٧، ٤٤٢، ٥٤٤
فخرُ	الطويل	١٩٠، ٢٣٤
كدرُ	الطويل	١٩٠
الكفرُ	الطويل	١٩٠، ٣٨٣، ٤٢٠
النصرُ	الطويل	١٧٤، ١٩٠، ٣٦٦، ٣٦٧
النضرُ	الطويل	٢٣٤
النمرُ	الطويل	٢٣٤

القافية	البحر	الصفحات
الفواقرِ	الطويل	٢١٢
قبرِ	الطويل	٢٠١، ٢٦٣، ٥٦٣
القطرِ	الطويل	٢٦٣، ٤٤٢
القعرِ	الطويل	٦٧، ٤١٥، ٤٢٤، ٤٦٤، ٤٧٦، ٤٨٦
قفرِ	الطويل	١٨٠، ٤٨٥
الكبائرِ	الطويل	٢١٢، ٢٦٧
الكسرِ	الطويل	٢٦٢، ٣٥٥، ٤٢٤، ٤٣٦، ٤٦٤، ٤٧٦
الكفرِ	الطويل	١٨٠، ٢٦٣، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٨٧
مأسورِ	الطويل	٤٩٥
المحابرِ	الطويل	٣٦٨
المطرِ	الطويل	٥٢٣
المفاخرِ	الطويل	١٧٥
المنابرِ	الطويل	٣٨٣، ٤٣٢
ناصرِ	الطويل	٥٦٢
ناظرِ	الطويل	٥٢٢، ٥٦٢
النثرِ	الطويل	٩٧، ٢٣٤، ٤١٥
النذرِ	الطويل	٢٠١، ٢٦٣، ٣٨٠، ٤٠٥، ٥٦٣
النكرِ	الطويل	٩٧، ٤١٥
النوادرِ	الطويل	٣٨٣

القافية	البحر	الصفحات
النواظرِ	الطويل	٥٢٢
النوافرِ	الطويل	٥٦٩
هجرِ	الطويل	١٨٠، ١٩١
وقرِ	الطويل	٢٦٤
وكرِ	الطويل	٥٧٩
أظفارِ	البسيط	١٨٥
أقطارِ	البسيط	١٨٦
أنهارِ	البسيط	٩٤، ٥٣١
أنوارِ	البسيط	٩٤، ٥٣١
بتّارِ	البسيط	٥٣٠
تصبري	الكامل	٢٨٢، ٢٩٠
جبارِ	البسيط	١٨٦
جرارِ	البسيط	١٨٦، ٥٣٠
الحورِ	البسيط	٢٩٢، ٣٥٥، ٤٦٦، ٤٧٧، ٤٨٦، ٤٨٧، ٥٧٩
الداري	البسيط	٥٣١
الدنانيرِ	البسيط	٤١٥
الدورِ	البسيط	٢٦٤، ٤١٥، ٤٧٧
ديجورِ	البسيط	٢٨٤، ٣٥٥، ٤٧٧
الزورِ	البسيط	٢٩٣، ٢٩٤، ٤٨١

القافية	البحر	الصفحات
تصبري	الكامل	٤٤٣
الثمرِ	الرجز	٣٩٣
جؤذرِ	الكامل	١٧٩، ٢٨٢، ٤٤٣
السُّوَرِ	الرجز	٣٩٢
العنبرِ	الكامل	٤٤٣
الغافرِ	الرجز	٣١٠
القبورِ	الرجز	٢١٩
قسورِ	الكامل	١٧٩، ٤٤٣
الكبائر	الرجز	٢١٢، ٣٠٩، ٣٥٤
الكوثرِ	الكامل	٢٨٧، ٢٩١، ٤٤٣
المأثورِ	الرجز	٣٩٣
المسطورِ	الرجز	٣٠٨، ٣٨٧
المقفرِ	الرجز	٢٠٢
المنكرِ	الرجز	٢٠٢
النذرِ	الرجز	٣١٤
أسفا	البسيط	٣٢٩، ٣٣٥، ٣٧٣، ٥٥٤
انتصفا	البسيط	٣٣١
انعطفا	البسيط	٥٢٣
التحفا	البسيط	٣٣٣، ٣٧٢، ٤١٣

القافية	البحر	الصفحات
كشفا	البسيط	٣٣١، ٣٣٣، ٤١٢
كفا	البسيط	٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٧٠، ٣٨٥، ٤١٨
لطفا	الطويل	٥٢٢
متصفا	البسيط	٨٦، ٣٣٢، ٣٧١، ٤١٢
منتصفا	البسيط	٤١٣
منحرفا	البسيط	٢١٠، ٣٣٠، ٣٧١، ٣٨٥، ٥٥٥
منكشفا	البسيط	٤١٣
انتصفا	البسيط	٣٣١
وفا	البسيط	٨٦، ٣٢٩، ٣٣٣، ٤١٢، ٥٠٦، ٥٥٤
وقفا	البسيط	٣٢٩، ٣٣١، ٣٧٠، ٥٢٣
يعرفا	الرجز	٤٣٤
أسرفوا	الطويل	١٧١، ٢٣١، ٣٧٢، ٤٢٠
أهيفُ	الطويل	٢٨١، ٢٩٠
تذرفُ	الطويل	٢٨١
ترعفُ	الطويل	١٧٢، ٣٤٥
تعصفُ	الطويل	١٧٢، ٢٣٢، ٥٨٢
توصفُ	الطويل	١٤٩
خوفوا	الطويل	١٤٩، ٢٣١، ٤٢٠، ٥٨٢
الشرفُ	الطويل	٣٧٣

القافية	البحر	الصفحات
يقطفُ	الطويل	١٤٩
يكسفُ	الطويل	٢٨٥، ٢٩٨، ٥٧٨
ينصفُ	الطويل	٣٧٢
يَنْظُفُ	الطويل	٢٨١
يهتفُ	الطويل	١٤٩
يوصفُ	الطويل	١٧٢
جرفِ	الطويل	١٧٢، ٣٧٣
الحجفِ	الطويل	١٧٢، ٣٤٥، ٣٧٣
تخفِ	البسيط	٢١١
التلفِ	البسيط	٢١١، ٢٢٤، ٤٥٦
دلفِ	البسيط	١٧٢
الشرفِ	البسيط	١٧٢
العنفِ	البسيط	١٧٢
مختلفِ	البسيط	٢١١، ٢٢٤
مغترفِ	البسيط	١٧٢
المخالفِ	الرجز	٢٢٠، ٣٨٧
يوسفِ	الرجز	٢٦٨، ٣٧٧، ٥٤١
اقتفِ	الرجز	٣٠٤، ٣٨٧، ٥٥٨
عتيقْ	الرجز	١٩٩

القافية	البحر	الصفحات
مضللُ	الطويل	١٣٦، ٤٠٥، ٤١٤، ٤٦٢
معدلُ	الطويل	٣٢٨
المعطلُ	الطويل	٣٢٣، ٣٢٥، ٣٥٥، ٣٧٨، ٤٠٣، ٤٧٥، ٤٩٤، ٥٠٠، ٥٧٨، ٥٨٠، ٥٨٧
مفصلُ	الطويل	٨٤، ٣٧٣، ٤٥٠، ٤٧٦، ٤٩٤، ٥٨٧
ممحلُ	الطويل	١٣٤، ١٣٥، ٤٣٥، ٤٦٣
منازلُهْ	الطويل	٧٣، ٢٤٥
منزلُ	الطويل	١٣٢، ١٣٤، ٢٢٠، ٣٢٧، ٣٢٨
منهلُ	الطويل	٢١٦
مهلهلُ	الطويل	١٣٢، ١٣٥، ٣٢٨
موكلُ	الطويل	١٣١، ٢١٦
نائلُهْ	الطويل	٣٦، ٧٣، ١٠٢، ١٨٩
نتأولُ	الطويل	٣٢٦
نجهلُ	الطويل	١٣٦، ٣٢٦، ٤٦٢
نسألُ	الطويل	١٣١، ٢١٧، ٣٧٩
نعولُ	الطويل	٣٢٦، ٤٦٢
مبدلُ	الطويل	١٣٣
هازلُهْ	الطويل	٢٨٣
يبدلُ	الطويل	٣٢٧
يثقلُ	الطويل	٣٢٧

القافية	البحر	الصفحات
نسيمُ	الطويل	٢٧٩، ٢٩٠
النظمُ	الطويل	١٤٠، ٥٠٥
هشيمُ	الطويل	١٧٨
هضمُ	الطويل	١٤١، ٢٥٠، ٢٨٧، ٣٥٩، ٤٩٧
هظيمُ	الطويل	٢٧٩
الهمُ	الطويل	٢٤٨، ٣٥٨، ٣٨١، ٤٩٧
وخمُ	الطويل	١٤٠، ٤٧٠، ٤٧٨
وصمُ	الطويل	١٤١
وهمُ	الطويل	٨٩، ١٤١، ٤٥٦
اليتمُ	الطويل	٢٨٧، ٤٧٨
يتيمُ	الطويل	١٠٠، ١٧٨، ٢٣٥، ٥٨٣
يديمُ	الطويل	٣٧٥
يسالمُهْ	الطويل	١٨٤
يلائمُهْ	الطويل	١٨٣
يهيمُ	الطويل	٢٧٩
مرجومُ	البسيط	٥٢٠
مزمومُ	البسيط	٥٢٠
مسجومُ	البسيط	٥٢٠
مهمومُ	البسيط	٥٢٠

القافية	البحر	الصفحات
العينِ	البسيط	٦١، ٨٩، ٩٠، ٢٥٢، ٢٥٤، ٣٥٦، ٤٣٧، ٤٨٣، ٤٨٨، ٥٠٠
غرارينِ	البسيط	١٧٦، ٢٥٣، ٣٨٠
الفريقينِ	البسيط	١٧٦، ٢٥٣، ٣٨٠
الفعالينِ	البسيط	٢٥٣، ٣٨٠، ٤١٦
كفلينِ	البسيط	١٧٦، ٢٥٣، ٤٣٧
المينِ	البسيط	١٧٦، ٢٥٣، ٣٨٠، ٤١٦
تمكينِ	الكامل	٣٩
الدينِ	الكامل	٣٩، ٤٥٣
ظنونِ	الكامل	٣٩
قرينِ	الكامل	٣٩
الميمونِ	الكامل	٣٩
الأركانِ	الرجز	٣٠٢، ٤٩٣
الأمانِ	الرجز	٣١٤، ٣٧٨، ٣٩٦
الايمانِ	الرجز	٣٩٦
الدينِ	الرجز	٣٩٣
الرحمنِ	الرجز	٣٠٨، ٣٨٧
سيانِ	الرجز	٣٠٨، ٣٨٨
العصيانِ	الرجز	٤٧٥، ٤٩٣، ٥٠٢
العهنِ	الرجز	٢١٨، ٣٩٤، ٤٥٩، ٤٨٤

القافية	البحر	الصفحات
الندى	الطويل	١٤٧، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٤، ٢٣٦، ٢٧٤
الهدى	الطويل	٨١، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٤، ١٩٢
يرى	الرجز	٤٥٣

الكشاف العام

(د)

(ر - ز)

(س - ش)

إصـدارات دارة الملك عبـدالعـزيـز

١- فهارس كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد، السيد أحمد مرسي عباس، ١٣٩٥هـ.

٢- لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ١٣٩٥هـ.

٣- سلسلة قادة الجزيرة - قال الجد لأحفاده، عبدالوهاب فتال. (د. ت).

٤- سعود الكبير - الإمام سعود بن عبدالعزيز، عبدالوهاب فتال. (د. ت).

٥- عثمان بن عبدالرحمن المضايفي - عهد سعود الكبير، عبدالوهاب فتال. (د. ت).

٦- الإمام القائد عبدالعزيز بن محمد بن سعود، عبدالوهاب فتال. (د. ت).

٧- هذا هو كتاب سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أمين سعيد، ١٣٩٥هـ.

٨- المرأة: كيف عاملها الإسلام، الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ. (د. ت).

٩- الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، د. عبدالفتاح أبو علية، ١٣٩٦هـ.

١٠- العرب بين الإرهاص والمعجزة، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.

١١- بنو هلال بين الأسطورة والحقيقة، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.

١٢- رحلات الأوروبيين إلى نجد وشبه الجزيرة العربية، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.

١٣- الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز ودعوة التضامن الإسلامي، مناع القطان، ١٣٩٦هـ.

١٤- انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة، ١٣٩٧هـ.

١٥- أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه، محمد إبراهيم رحمو، ط٢، ١٣٩٨هـ.

١٦- تاريخ الدولة السعودية، أمين سعيد، ١٤٠١هـ.

١٧- مكة في عصر ما قبل الإسلام، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ١٤٠١هـ.

١٨- الأطلس التاريخي للدولة السعودية، إبراهيم جمعة، ١٣٩٩هـ.

١٩- أمجاد الرياض في حياة المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز، شعر محمد العيد الخطراوي، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٢٠- محمد بن عثيمين شاعر الملك عبدالعزيز، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ١٣٩٩هـ.

٢١- مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، تأليف راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب، ١٣٩٩هـ.

٢٢- دليل الدوريات بالمكتبة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٣- دليل الوثائق العربية بدارة الملك عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٤- دليل الوثائق التركية الخاصة بالجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٥- قائمة ببليوجرافية مختارة من مكتبة دارة الملك عبدالعزيز عن الجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٦- دليل دارة الملك عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٩هـ.

٢٧- أعمال الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلميّة المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٨- دراسات في الجغرافية الاقتصادية «المملكة العربية السعودية والبحرين»، د. أحمد رمضان شقلية، ١٤٠٢هـ.

٢٩- الكتاب السنوي الأول للأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٣٠- الأمثال العامية في نجد «٥ أجزاء»، محمد بن ناصر العبودي «أسهمت الدارة في طباعته»، ١٣٩٩هـ.

٣١- حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، رابح لطفي جمعة، ١٤٠٢هـ.

٣٢- الملك فيصل والقضية الفلسطينية، د. السيد عليوة، ١٤٠٢هـ.

٣٣- علاقة ساحل عمان ببريطانيا «دراسة وثائقية»، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، ١٤٠٢هـ.

٣٤- سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، ١٤٠٢هـ.

٣٥- عنوان المجد في تاريخ نجد (جزءان)، تأليف عثمان بن بشر، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ١٤٠٢هـ.

٣٦- المرافئ الطبيعيَّة على الساحل السعودي الغربي «دراسة مقارنة تطبيقية»، د. محمد أحمد الرويثي، ١٤٠٣هـ.

٣٧- السكان وتنمية الموانئ السعودية على البحر الأحمر، د. محمد أحمد الرويثي، ١٤٠٢هـ.

٣٨- كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، لمؤلف مجهول، تحقيق: أ.د. عبدالله العثيمين، ١٤٠٣هـ.

٣٩- النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، نوال حمزة الصيرفي (سلسلة الرسائل الجامعية - ١)، ١٤٠٣هـ.

٤٠- بلاد الحجاز منذ عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢)، ١٤٠٣هـ.

٤١- العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩ - ١٣٤١هـ، خالد حمود السعدون (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣)، ١٤٠٣هـ.

٤٢- السمات الحضارية في شعر الأعشى: دراسة لغوية وحضارية، زينب عبدالعزيز العمري (سلسلة الرسائل الجامعية - ٤)، ١٤٠٣هـ.

٤٣- الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر، عبدالقدوس الأنصاري، ١٤٠٣هـ.

٤٤- انتشار دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة، ط٢، ١٤٠١هـ.

٤٥- الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي، د. عاصم الدسوقي، ١٤٠٣هـ.

٤٦- مكة في عصر ما قبل الإسلام، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ط٢، ١٤٠١هـ.

٤٧- أضواء حول الإستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه، محمد إبراهيم رحمو، ط٣، ١٤٠٢هـ.

٤٨- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، تأليف: عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، تحقيق: محمد بن أحمد العقيلي، ١٤٠٢هـ.

٤٩- فهرس مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤١٢هـ.

٥٠- دارة الملك عبدالعزيز: الكتيب الإعلامي الأول للدارة، ١٣٩٨هـ.

٥١- مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية -٥)، ١٤٠٨هـ.

٥٢- النشر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠- ١٩٤٥م، د. محمد عبدالرحمن الشامخ (أسهمت الدارة في طباعته)، ١٣٩٥هـ.

٥٣- مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن، د. عبدالرحمن صادق الشريف، ١٣٩٩هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٥٤- المنهج المثالي لكتابة تاريخنا، محمد حسين زيدان، ١٣٩٨هـ.

٥٥- الدولة السعودية الثانية من ١٢٥٦-١٣٠٩هـ د. عبدالفتاح أبو علية، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٥٦- لوحة نسب آل سعود، تصميم الدكتور إبراهيم جمعة. (د.ت).

٥٧- جداول تحويل السنين الهجرية إلى ما يقابلها من التواريخ الميلادية، رتبها د. إبراهيم جمعة. (د. ت).

٥٨- الكشاف التحليلي لمجلة الدارة ١٣٩٥- ١٤١٥هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٦هـ.

٥٩- الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمة سارة تاكا هاشي، ط١، ١٤١٦هـ.

٦٠- الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣- ١٣٤٦هـ، يوسف ياسين، ١٤١٦هـ.

٦١- الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى، د. مي بنت عبدالعزيز العيسى (سلسلة الرسائل الجامعية - ٦)، ١٤١٧هـ.

٦٢- مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤١٧هـ.

٦٣- يوميات رحلة في الحجاز، تأليف: غلام رسول مهر، ترجمة: د. سمير عبدالحميد إبراهيم، ١٤١٧هـ.

٦٤- معجم التراث (السلاح)، سعد بن عبدالله الجنيدل، ١٤١٧هـ.

٦٥- جدة خلال الفترة ١٢٨٦- ١٣٢٦هـ: دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، صابرة مؤمن إسماعيل (سلسلة الرسائل الجامعية - ٧)، ١٤١٨هـ.

٦٦- بحوث ندوة الوثائق التاريخية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ١٣- ١٥ رجب ١٤١٧، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ.

٦٧- حوليات سوق حباشة، أ.د. عبدالله بن محمد أبو داهش، ١٤١٨هـ.

٦٨- مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية المرحلة الأولى ١٤١٦-١٤١٧هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٦٩- الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى (جزءان)، إسماعيل حسين أبو زعنونة، ١٤١٩هـ.

٧٠- رحلة الربيع، فؤاد شاكر، ١٤١٩هـ.

٧١- فجر الرياض، عبدالواحد محمد راغب، ١٤١٩هـ.

٧٢- معجم مدينة الرياض، خالد بن أحمد السليمان، ١٤١٩هـ.

٧٣- الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمة: سارة تاكاهاشي، ط٢، ١٤١٩هـ.

٧٤- رحلة داخل الجزيرة العربية، يوليوس أويتنج، ١٤١٩هـ.

٧٥- الملك عبدالعزيز في مجلة الفتح (قائمة ببليوجرافية)، د. فهد بن عبدالله السماري، و د.محمد بن عبدالرحمن الربيع، ١٤١٩هـ.

٧٦- الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة، د. فان درمولين، ١٤١٩هـ.

٧٧- الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣- ١٣٤٦هـ، يوسف ياسين. ط٢، ١٤١٩هـ.

٧٨- خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد)، د. محمد بن عبدالله النويصر، ١٤١٩هـ.

٧٩- مختارات من الخطب الملكية (جزءان)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٠- نساء شهيرات من نجد، د. دلال بنت مخلد الحربي، ١٤١٩هـ.

٨١- مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، تأليف راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب. ط٢، ١٤١٩هـ.

٨٢- إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر، للمفترى عليه شعيب بن عبدالحميد الدوسري، تحقيق عبدالرحمن بن سليمان الرويشد، محمد بن عبدالله الحميد، ١٤١٩هـ.

٨٣- صفحات من تاريخ مكة المكرمة (جزءان)، تأليف ك. سنوك هورخرونيه، نقله إلى العربية د. علي عودة الشيوخ، ١٤١٩هـ.

٨٤- لماذا أحببت ابن سعود، محمد أمين التميمي، ١٤١٩هـ.

٨٥- ديوان الملاحم العربية، محمد شوقي الأيوبي، تعليق د. محمد بن عبدالرحمن الربيع، ١٤١٩هـ.

٨٦- أصدقاء وذكريات. انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م - ١٩٩٨م، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. روبيرج، ط١، ١٤١٩هـ.

٨٧- الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض ١٣١٩هـ/ ١٩٠١- ١٩٠٢م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٨- الرواد: الملك عبدالعزيز ورجاله الأوفياء الذين دخلوا الرياض في الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٩- الزيارة الملكية: زيارة الملك عبدالعزيز التفقدية لشركة أرامكو، شركة أرامكو - لجنة المؤرخين، ترجمه وعلق عليه د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤١٩هـ.

٩٠- يوميات الرياض: من مذكرات أحمد بن علي الكاظمي، أحمد بن علي الكاظمي، ١٤١٩هـ.

٩١- الملك عبدالعزيز في الصحافة العربية، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ١٤١٩هـ.

٩٢- رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية، فيليب ليبنز، ترجمة محمد محمد الحناش، ١٤١٩هـ.

٩٣- جوانب من سياسة الملك عبدالعزيز تجاه القضايا العربية: دراسة تحليلية من خلال أوراق نبيه العظمة، د. خيرية قاسمية، ١٤١٩هـ.

٩٤- معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، سعد بن جنيدل، ١٤١٩هـ.

٩٥- الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤١٩هـ.

٩٦- المملكة العربية السعودية في مئة عام: معلومات موجزة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٩٧- عبدالعزيز (الكتاب المصور)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٩٨- أصدقاء وذكريات، انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م - ١٩٩٨م، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. روبيرج، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٩٩- الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى: القسم الأول ١٣٤٣هـ - ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤م - ١٩٥٣م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٠هـ.

١٠٠- الجزيرة العربية في الخرائط الأوروبية القديمة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ.

١٠١- بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (٢٩ بحثاً) ط١، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ.

١٠٢- الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٠٣- سلسلة وثائق المملكة العربية السعودية التاريخية - القضية الفلسطينية - ١٣٤٨-١٣٧٣هـ دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ.

١٠٤- الملك عبدالعزيز في الإنتاج الفكري العربي المنشور في عام ١٤١٩هـ عبدالرحمن أحمد فراج، ١٤٢١هـ.

١٠٥- مؤتمر فلسطين العربي البريطاني - المنعقد في مدينة لندن في ١٨ ذي الحجة ١٣٥٧هـ الموافق ٧ فبراير ١٩٣٩م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ.

١٠٦- رحلة إلى بلاد العرب، تأليف أحمد مبروك، تعليق د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤٢١هـ.

١٠٧- محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي، د. نادية بنت وليد الدوسري (سلسلة الرسائل الجامعية - ٨). ١٤٢٢هـ.

١٠٨- مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، الشيخ حمد الجاسر، ١٤٢٢هـ.

١٠٩- الجيش السعودي في فلسطين، صالح جمال الحريري، ١٤٢٢هـ.

١١٠- تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج، ج.ج. لوريمر، جمع وتعليق الدكتور محمد بن سليمان الخضيري، ١٤٢٢هـ.

١١١- اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في المملكة العربية السعودية، عبدالرحيم محمود جاموس، ١٤٢٢هـ.

١١٢- الدولة العيونية في البحرين ٤٦٩-٦٣٦هـ/ ١٠٧٦-١٢٣٨م، د. عبدالرحمن بن مديرس المديرس (سلسلة الرسائل الجامعية - ٩)، ١٤٢٢هـ.

١١٣- المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود/ دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف، ط١، د. فهد بن عبدالله السماري، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ١٤٢٢هـ.

١١٤- Najd Before The Salafi Reform Movement، «نجد قبل الدعوة الإصلاحية السلفية» د. عويضة بن متيريك الجهني، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية).

١١٥- Al-Yamama in the Early Islamic Era. «اليمامة في صدر الإسلام» د. عبدالله بن إبراهيم العسكر، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية).

١١٦- التحليق إلى البيت العتيق، د. عبدالهادي التازي. (سلسلة كتاب الدارة -١)، ١٤٢٢هـ.

١١٧- الوثائق التاريخية لوزارة المعارف في عهد وزيرها الأول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ١٣٧٣-١٣٨٠هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١١٨- الإقناع لطالب الانتفاع (أربعة أجزاء)، أبو النجا الحجاوي المقدسي، ١٤٢٣هـ.

١١٩- جامع العلوم والحكم (جزءان)، ابن رجب، ١٤٢٣هـ.

١٢٠- خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١٢١- معجم ما ألف عن الحج، د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي، ١٤٢٣هـ.

١٢٢- برنامج المحافظة على المواد التاريخية، دارة الملك عبدالعزيز، مكتبة الكونغرس، ١٤٢٣هـ.

١٢٣- مبادئ العناية بمواد المكتبة والتعامل معها، جمع وتحرير إدوارد. ب. أدكوك، ترجمة د. عبدالعزيز بن محمد المسفر، د. فؤاد حمد فرسوني، ١٤٢٣هـ.

١٢٤- العلاقات السعودية المصرية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات ألقيت في الندوة التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز بالتعاون مع مؤسسة الأهرام، القاهرة (١/ ١٢/ ١٤٢٢هـ)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١٢٥- علم القراءات: نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٢٦- المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود/ دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف، د. فهد بن عبدالله السماري، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٢٧- مستخلصات بحوث مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز (جزءان)، ١٤٢٣هـ.

١٢٨- الزيارات الخارجية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، نايف بن علي السنيد الشراري، ١٤٢٣هـ.

١٢٩- موقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسطينية (١٩٢٦-١٩٤٨م)، د. حسان حلاق (سلسلة كتاب الدارة - ٢) ١٤٢٣هـ.

١٣٠- مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود تجاه قضية فلسطين، د. عبدالفتاح حسن أبو علية، ١٤٢٣هـ.

١٣١- العلاقات السعودية اللبنانية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، دارة الملك عبدالعزيز، الجامعة اللبنانية، ١٤٢٣هـ.

١٣٢- كلمات قضت -معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت، محمد بن ناصر العبودي (جزءان)، ١٤٢٤هـ.

١٣٣- الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية: بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤٢٤هـ.

١٣٤- موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، إعداد: دارة الملك عبدالعزيز وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ١٤٢٤هـ.

١٣٥- التاريخ الشفهي، حديث عن الماضي، تأليف: د. روبرت بيركس، ترجمة د. عبدالله بن إبراهيم العسكر، ١٤٢٤هـ.

١٣٦- الأساليب التربوية المستمدة من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، د. عبدالرحمن بن علي العريني، (سلسلة كتاب الدارة - ٣) ١٤٢٤هـ.

١٣٧- طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز، عبدالرحمن بن عبدالله الشقير، ١٤٢٤هـ.

١٣٨- مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود لترميم وتجليد مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.

١٣٩- المملكة العربية السعودية وحقوق الإنسان في السلم والحرب: إشارات موجزة، د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤٢٤هـ.

١٤٠- الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة، د. معراج بن نواب مرزا، د. عبدالله بن صالح شاووش، ١٤٢٤هـ.

١٤١- مختصر الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.

١٤٢- المملكة العربية السعودية في مئة عام (معلومات موجزة)، إصدار خاص للمكفوفين بخط برايل، طبع الكتاب بالتعاون مع وزارة المعارف، ١٤١٩هـ.

١٤٣- تغير الأنماط السكنية في مدينة الدرعية، د. بدر بن عادل الفقير، ١٤٢٦هـ.

١٤٤- رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام، تأليف: سعد بن أحمد الربيعة أعده للنشر: سعود ابن عبدالعزيز الربيعة، (سلسلة كتاب الدارة - ٤).(ط١) ١٤٢٤هـ، (ط٢) ١٤٢٩هـ.

١٤٥- الصلات الحضارية بين تونس والحجاز: دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية (١٢٥٦-١٣٢٦هـ)، أ. نورة بنت معجب الحامد (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٠)، ١٤٢٦هـ.

١٤٦- تجارة السلاح في الخليج العربي (١٢٩٧- ١٣٣٣هـ)، أ. فاطمة بنت محمد الفريحي (سلسلة الرسائل الجامعية - ١١)، ١٤٢٥هـ.

١٤٧- تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، التاسع والعاشر للميلاد، د. سعيد بن عبدالله القحطاني (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٢)، ١٤٢٥هـ.

١٤٨- الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيها، د. أحمد بن عبدالعزيز البسام (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٣)، ١٤٢٦هـ.

١٤٩- موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية، د. خليفة بن عبدالرحمن المسعود (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٤)، ١٤٢٦هـ.

١٥٠- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية (١٢٣٨-١٣٠٩هـ)، حصة بنت جمعان الزهراني (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٥)، ١٤٢٥هـ.

١٥١- المجلات العلمية المحكمة في المملكة العربية السعودية (دراسة تقويمية للوضع الراهن)، أ.د. سالم بن محمد السالم، ١٤٢٥هـ.

١٥٢- منطقة سدير في عهد الدولة السعودية الأولى، د. عبدالله بن إبراهيم التركي، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٦)، ١٤٢٦هـ.

١٥٣- تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية، تأليف فيلكس مانجان، ترجمة د. محمد خير البقاعي، ١٤٢٦هـ.

١٥٤- لمحات من الماضي (مذكرات الشيخ عبدالله خياط)، عبدالله عبدالغني خياط، ١٤٢٥هـ.

١٥٥- موجز لتاريخ الوهابي، تأليف هارفرد جونز بريدجز، ترجمة د. عويضة بن متيريك الجهني، ١٤٢٥هـ.

١٥٦- التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم، تأليف جان ريمون، ترجمة د. محمد خير البقاعي (سلسلة كتاب الدارة - ٥)، ١٤٢٦هـ.

١٥٧- تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م، تأليف لويس ألكسندر أوليفيه دوكورانسيه، ترجمة د. إبراهيم البلوي، د. محمد خير البقاعي، ١٤٢٦هـ.

١٥٨- الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني، تأليف الحسن بن أحمد الضمدي، تحقيق أ.د. إسماعيل بن محمد البشري، ١٤٢٥هـ.

١٥٩- دليل المجلات السعودية المحكمة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٠- الرعاية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية (النشأة - الواقع)، د. عبدالله بن ناصر السدحان، ١٤٢٥هـ.

١٦١- رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية (الجزء الأول)، تأليف أنطونان جوسن - رفائيل سافينياك، ترجمة د. صبا عبدالوهاب الفارس، ١٤٢٥هـ.

١٦٢- الملك فهد قائد حركة الإسلام والعروبة في القرن الخامس عشر الهجري، أحمد بن عبدالغفور عطار، ١٤٢٥هـ.

١٦٣- الوثائق العثمانية في الأرشيفات العربية والتركية: بحوث ندوة الأرشيف العثماني المنعقدة في الرياض في المدة من ١٩-٢٢ صفر ١٤٢٢هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٤- أطباء من أجل المملكة، عمل مستشفيات الإرسالية الأمريكية في المملكة العربية السعودية ١٩١٣- ١٩٥٥م، تأليف د. بول أرميردينغ، ترجمة د. عبدالله بن ناصر السبيعي (سلسلة كتاب الدارة - ٦)، ١٤٢٦هـ.

١٦٥- العلاقات بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي -الواقع والمستقبل، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول المنعقد في تونس في المدة من ٢- ٤ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ/ ٢-٤ يونيو ٢٠٠٣م بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٦- الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار، تأليف/ أبي الفتح نصر بن عبدالرحمن الأسكندري، ت ٥٦١هـ أعده للنشر/ حمد الجاسر، ١٤٢٥هـ.

١٦٧- مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية المرحلة الأولى ١٤١٦- ١٤١٧هـ (ط٢)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٦٨- دبلوماسية الصداقة، إيطاليا والمملكة العربية السعودية ١٩٣٢- ١٩٤٢م، تأليف ماتّيو بيتسيغالّو، ترجمة محمد عشماوي عثمان، ١٤٢٥هـ.

١٦٩- ديوان كوكبة السعودية من شعر زين العابدين الكويتي (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة - ٦)، تعليق د. يعقوب يوسف الغنيم، ١٤٢٥هـ.

١٧٠- في أرض البخور واللبان، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٢٦هـ.

١٧١- الجهود التربوية للجمعيات الخيرية النسائية السعودية، أ. حصة بنت محمد المنيف، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٧) ١٤٢٦هـ.

١٧٢- الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء (١٢٨٨- ١٣٣١هـ/ ١٨٧١ -١٩١٣م)، د. محمد بن موسى القريني، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٨)، ١٤٢٦هـ.

١٧٣- سياسة الملك عبدالعزيز تجاه فلسطين في حرب ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، د. عبداللطيف بن محمد الحميد، (سلسلة كتاب الدارة - ٧)، ١٤٢٦هـ.

١٧٤- كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٤٣- ١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤-١٩٥٣م)، أ.د. ناصر بن علي الحارثي، ١٤٢٦هـ.

١٧٥- معجم التراث (الكتاب الثاني - الخيل والإبل)، سعد بن عبدالله بن جنيدل، ١٤٢٦هـ.

١٧٦- المقامات (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة -٥)، تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، دراسة وتحقيق د. عبدالله بن محمد المطوع، ١٤٢٦هـ.

١٧٧- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة- ٤) تأليف حسن بن جمال بن أحمد الريكي، درسه وحققه وعلق عليه أ.د عبدالله الصالح العثيمين، ١٤٢٦هـ.

١٧٨- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة- ٧) تأليف.

١٧٩- السجل العلمي للقاء العلمي لمسؤولي التحرير في المجلات العلمية المحكمة في المملكة العربية السعودية (١٩/ ٣/ ١٤٢٥هـ الموافق ٨/ ٥/ ٢٠٠٤م)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٨٠- أسماء الأوعية الجلدية من خلال معجم لسان العرب لابن منظور (دراسة دلالية تأصيلية)، د. محمد بن عبدالرحمن الثنيان، (سلسلة كتاب الدارة - ٨)، ١٤٢٦هـ.

١٨١- المختارات من صحيفة أم القرى (١٣٤٣- ١٣٧٣هـ)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٨٢- دُومة الجندل منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية - دراسة تاريخية حضارية، نايف بن علي السنيد الشراري (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٩)، ١٤٢٦هـ.

١٨٣- رحلة الحج من صنعاء إلى مكة المكرمة للعلامة إسماعيل جغمان، تحقيق د. محمد بن عبدالرحمن الثنيان، (سلسلة كتاب الدارة - ٩)، ١٤٢٦هـ.

١٨٤- صحيفة أم القرى - نبذة تاريخية موجزة، أ. محمد بن عبدالرزاق القشعمي، ١٤٢٦هـ.

١٨٥- وثائق عصر الملك عبدالعزيز المتعلقة بالأمور الداخلية المحفوظة في دارة الملك عبدالعزيز ١٣١٩-١٣٧٣هـ د. خولة بنت محمد الشويعر (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢٠)، ١٤٢٦هـ.

١٨٦- الكشاف التحليلي لصحيفة صوت الحجاز، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٨٧- أعمال الملك عبدالعزيز المعمارية في منطقة مكة المكرمة (١٣٤٣-١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤-١٩٥٣م)، أ.د. ناصر بن علي الحارثي، ١٤٢٧هـ.

١٨٨- LORD OF ARABIA IBN SAUD (ابن سعود سيد الجزيرة العربية)، ARMSTRONG (تأليف أرمسترنج)، ١٤٢٦هـ (باللغة الإنجليزية).

١٨٩- إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر (القسم الثاني من الجزء الأول)، للمفترى عليه شعيب بن عبدالحميد الدوسري، تعليق عبدالرحمن بن سليمان الرويشد ومحمد بن عبدالله الحميِّد وفائز بن موسى البدراني الحربي، ١٤٢٧هـ.

١٩٠- الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ)، محمد محمود خلف العناقرة (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢١)، ١٤٢٧هـ.

١٩١- التنظيمات الداخلية في مكة المكرمة بعد دخول الملك عبدالعزيز آل سعود (١٣٤٣-١٣٥١هـ)، منى بنت قائد آل ثابتة القحطاني (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢٢)، ١٤٢٧هـ.

١٩٢- المملكة العربية السعودية وفلسطين، بحوث ودراسات، بحوث ندوة المملكة العربية السعودية وفلسطين التي نظمتها دارة الملك عبدالعزيز ٢٧-٢٩ محرم ١٤٢٢هـ/ ٢١-٢٣ إبريل ٢٠٠١م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٧هـ.

١٩٣- النشاط العلمي في مكة والمدينة خلال مواسم الحج في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)، د. إبراهيم بن عبدالعزيز الجميح، (سلسلة كتاب الدارة - ١٠)، ١٤٢٧هـ.

١٩٤- قراءة في بعض المذكرات والرسائل الشخصية للشيخ المؤرخ والنسابة إبراهيم بن عيسى، د. أحمد بن عبدالعزيز البسام، ١٤٢٧هـ.

١٩٥- التطور التاريخي للأسرة في الحجاز في القرنين الأول والثاني الهجريين، هدى بنت فهد بن محمد الزويد (سلسلة الرسائل الجامعية -٢٣)، ١٤٢٧هـ.

١٩٦- مملكة كندة في وسط شبه الجزيرة العربية: دراسة تاريخية آثارية، د. عبدالعزيز بن سعود الغزي، (سلسلة كتاب الدارة - ١١)، ١٤٢٧هـ.

١٩٧- النشاط الزراعي في الجزيرة العربية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. عبدالله بن محمد السيف، (سلسلة كتاب الدارة - ١٢)، ١٤٢٧هـ.

١٩٨- زيارة جلالة الملك سعود ابن عبدالعزيز آل فيصل آل سعود للولايات المتحدة بدعوة من الرئيس دوايت د. إيزنهاور ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م (أعادت الدارة طباعته بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م).

١٩٩- مجموعة رسوم تذكارية لزيارة صاحب السمو الملكي الأمير سعود آل سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية إلى الظهران خلال شهر يناير ١٩٥٠م (أعادت الدارة

طباعته بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م).

٢٠٠- الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود «دراسة تاريخية حضارية معمارية»، محمد بن حسين الموجان، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود ابن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م).

٢٠١- التعليم في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود (١٣٧٣-١٣٨٤هـ/ ١٩٥٣- ١٩٦٤م) دراسة تاريخية وثائقية، د. حصة بنت جمعان الهلالي الزهراني (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢٤)، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م).

٢٠٢- مكتبة الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود الخاصة، د. فهد بن عبدالله السماري، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م)، ١٤٢٧هـ.

٢٠٣- معجم التراث (الكتاب الثالث - بيت السكن)، سعد بن عبدالله بن جنيدل، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٠٤- منطقة الوشم في عهد الدولة السعودية الأولى، د. خليفة بن عبدالرحمن المسعود (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢٥)، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٠٥- بحوث ندوة أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة العربية السعودية: بحوث الندوة التي عقدتها الدارة في المدة من ١٠- ١١/ ٣/ ١٤٢٤هـ الموافق ١١- ١٢/ ٥/ ٢٠٠٣م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٠٦- دراسة تحليلية مقارنة لنقوش ثمودية من منطقة «رم» بين ثليثوات وقيعان الصنيع جنوب غرب تيماء، د. خالد بن محمد أسكوبي (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢٦)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٠٧- موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك، د. خالد محمد سالم العمايرة (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢٧)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٠٨- العلاقات السعودية الأمريكية: نشأتها وتطورها، د. سميرة أحمد سنبل (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢٨)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٠٩- عشرة آلاف ميل عبر الجزيرة العربية، تأليف: أرنست وايز، ترجمة: أ. د عمر بن عبدالله باقبص (سلسلة كتاب الدارة - ١٣)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٠- كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين: دراسة تحليلية نقدية مقارنة، د. عواطف بنت محمد يوسف نواب (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢٩)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١١- البحث عن الحصان العربي، مأمورية إلى الشرق: تركيا - سوريا - العراق - فلسطين، تأليف ل. أثبيتيا دي مورس، ترجمة د. عبدالله بن إبراهيم العمير، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٢- معجم التراث (الكتاب الرابع - الأطعمة وآنيتها)، سعد بن عبدالله بن جنيدل، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٣- الترويح في المجتمع السعودي في عهد الملك عبدالعزيز ١٣١٩- ١٣٧٣هـ/ ١٩٠٢- ١٩٥٣م، د. عبدالله بن ناصر السدحان (سلسلة كتاب الدارة - ١٤)، ١٤٢٨هـ.

٢١٤- خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٥- مدينتنا الجزيرة العربية المقدستان، تأليف إلدون رتر، ترجمة د. عبدالله نصيف، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. (طبع ضمن إصدارات مركز تاريخ مكة المكرمة).

٢١٦- العلاقات السعودية البحرينية في عهد الملك عبدالعزيز ١٣١٩- ١٣٧٣هـ/ ١٩٠٣- ١٩٥٣م، أ. طلال بن خالد الطريفي (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٠)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٧- رحالة إسباني في الجزيرة العربية: رحلة (علي باي العباسي) إلى مكة المكرمة سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، تأليف دومنجو باديا، ترجمة د. صالح بن محمد السنيدي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٨- معجم ما ألف عن مكة المكرمة عبر العصور، د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٩- التواصل التاريخي والعلمي بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثاني المنعقد في الرياض في المدة من ٢٦- ٢٧ محرم ١٤٢٧هـ/ ٢٥-٢٦ فبراير ٢٠٠٦م بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٢٠- المملكة العربية السعودية في مائة عام: بحوث ودراسات، بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام المنعقد في الرياض خلال المدة ٧-١١ شوال ١٤١٩هـ الموافق ٢٤-٢٨ يناير ١٩٩٩م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٢١- Prominent Women From Central Arabia «نساء شهيرات من نجد»، تأليف د. دلال بنت مخلد الحربي، ترجمة د. محمد أباحسين، د. محمد الفريح، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م. (باللغة الإنجليزية).

٢٢٢- مكتبة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود الخاصة، د. فهد بن عبدالله السماري، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ مايو ٢٠٠٨م).

٢٢٣- تاريخ التعليم في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، د. بصيرة بنت إبراهيم الداود (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣١)، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ مايو ٢٠٠٨م).

٢٢٤- سياسة الملك فيصل الدعوية، د. ابراهيم بن عبدالله السماري (سلسلة الرسائل الجامعية-٣٢)، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ مايو ٢٠٠٨م).

٢٢٥- الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود: رؤى وذكريات، د. فهد بن عبدالله السماري، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ مايو ٢٠٠٨م).

٢٢٦- الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات، بحوث الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز في المدة ٥-٧ ذو القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ٢٦-٢٨ نوفمبر ٢٠٠٦م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٢٧- كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود: دراسة تاريخية حضارية، أ. محمد بن حسين الموجان، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ مايو ٢٠٠٨م).

٢٢٨- Kings and camels: an american in saudi arabia «ملوك وجمال: أمريكي في المملكة العربية السعودية»، تأليف: Grant C. Butler، ٢٠٠٨م. (باللغة الإنجليزية).

٢٢٩- المجامر القديمة في تيماء: دراسة آثارية مقارنة، أ.محمد بن معاضة بن معيوف، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٣) ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٠- التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية، في القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي، أ.د. أحمد حسين العقبي، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٤) ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣١- مكتبات الدولة السعودية الأولى المخطوطة ـ دراسة تحليلية لعوامل انتقالها واندثارها بعد سقوط الدرعية، أ. حمد بن عبدالله العنقري، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٢- يوميات حسين عبدالله باسلامه ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، إعداد: أ.د. عبدالله بن حسين باسلامه، (سلسلة كتاب الدارة-١٦)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٣- دول الخليج والمغرب العربيين والمتغيرات الدولية: الواقع والآفاق، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثالث المنعقد في مدينة فاس بالمملكة المغربية خلال المدة من ١٧-١٩ شوال ١٤٢٨هـ الموافق ٢٩-٣١ أكتوبر ٢٠٠٧م، بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وجامعة سيدي محمد بن عبدالله، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٤- في أرض الشحر والأحقاف، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٥- مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، تأليف: أغسطس رالي، تحقيق: د.معراج نواب مرزا، أ.د محمد محمود السرياني، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٦- الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات، بحوث الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل ابن عبدالعزيز آل سعود التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز في المدة ١-٣ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ الموافق ٦-٨ مايو ٢٠٠٨م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٧- نهضة الجزيرة العربية، تأليف: د. جورج خير الله، ترجمة: أ. وديع فلسطين، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٨- أمثال شعبية من الجزيرة العربية مقتبسة من نصوص شرعية، د. عبدالعزيز بن محمد السدحان، (سلسلة كتاب الدارة - ١٧)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٩- أطلس الشواهد الأثرية على مسارات طرق القوافل القديمة في شبه الجزيرة العربية، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٤٠- مآل مكتبات علماء المملكة العربية السعودية، أ. أحمد العلاونه، (سلسلة كتاب الدارة -١٨)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٤١- Muhammad ibn Abd al-Wahhab "The Man and his Works"

محمد بن عبدالوهاب وأعماله، تأليف: د. عبدالله بن صالح العثيمين، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. (باللغة الإنجليزية).

٢٤٢- المعسكر الكشفي الأول (الجامبوري) المنعقد بجدة في شعبان ١٣٧٨هـ اختيار وإعداد للنشر: د. فهد بن عبدالله السماري، (سلسلة الإصدارات التوثيقية -١)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٤٣- ملامح إنسانية من سيرة الملك عبدالعزيز، صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٤٤- حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها ١٢٣١-١٢٣٣هـ/ ١٨١٦-١٨١٨م، أ. فاطمة بنت حسين القحطاني، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٥)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٤٥- A History Of The Arabian Peninsula «تاريخ شبه الجزيرة العربية»، تحرير: د. فهد بن عبدالله السماري، ترجمة: د. سلمى الخضراء الجيوسي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. (باللغة الإنجليزية).

٢٤٦- المقنع، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن محمد بن قدامة (٥٤١-٦٢٠هـ)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٤٧- مرشد الخصائص ومبدي النقائص في الثقلاء والحمقى وغير ذلك، لعثمان بن عبدالله بن عثمان الحنبلي، تحقيق وتعليق: أ.د حمد بن ناصر الدخيل. (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة - ٨) ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٤٨- مكتبة الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود الخاصة، د. فهد بن عبدالله السماري، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٣١هـ، مايو ٢٠١٠م).

٢٤٩- صدى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في البلاد التونسية في عهد الامام سعود بن عبدالعزيز ١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣-١٨١٤م، د. التليلي العجيلي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥٠- الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود «دراسة تاريخية، حضارية»، محمد بن حسين الموجان، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٣١هـ، مايو ٢٠١٠م).

٢٥١- الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبدالعزيز، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٣١هـ، مايو ٢٠١٠م).

٢٥٢- ذكريات وانطباعات عن المملكة العربية السعودية وأرامكو من ثلاثينيات القرن العشرين الميلادي إلى ثمانينياته، إعداد: كارول هيك، ترجمة: د. عبدالله بن ناصر السبيعي، (سلسلة توثيق تاريخ الزيت في المملكة العربية السعودية -١)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥٣- مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية (جزأين)، أ.د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥٤- نماذج من الإنجازات التنموية في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٣١هـ، مايو ٢٠١٠م).

٢٥٥- مذكرات ناصر بن عبدالعزيز بن فهد الحميدي، دراسة وتعليق:د. ناصر بن محمد الجهيمي، (سلسلة كتاب الدارة -١٥)، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٢٥٦- فهارس المخطوطات الأصلية في مدينة حائل، أ. حسان بن إبراهيم الرديعان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥٧- العلاقات بين مصر والحجاز ٩٢٣-١٠٠٣هـ/ ١٥١٧-١٥٩٤م. أ. حمساء بنت حبيش الدوسري، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٦)، (ط١) ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، (ط٢) ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٥٨- أهل العوجا. د. فهد بن عبدالله السماري، (سلسلة مركز توثيق تاريخ الأسرة المالكة-١)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥٩- الأبواب والنقوش الخشبية التقليدية في عمارة المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية. أ.سعيد بن عبدالله الوايل، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٦٠- مشروع مسح وتوثيق المنشآت الحجرية في محيط عيني فرزان (جزأين). د. عبدالعزيز بن سعود الغزي، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦١- دراسة لآثار موقع عكاظ. د. خليل بن إبراهيم المعيقل، (سلسلة كتاب الدارة -١٩)، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

٢٦٢- نوادر المخطوطات السعودية - نماذج لمجموعة نوادر المخطوطات المحفوظة بدارة الملك عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٣- الرسوم الصخرية في سلسلة جبال ثهلان بمحافظة الدوادمي، أ. نايف بن علي القنور، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٤- رثاء الملك عبدالعزيز في الشعر السعودي-دراسة موضوعية فنية، أ. متعب بن عوض الغامدي (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٧)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٥- الوراقة في منطقة نجد، د. الوليد بن عبدالرحمن آل فريان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٦- رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية (ثلاثة أجزاء)، تأليف أنطونان جوسن - رفائيل سافينياك، ترجمة د. صبا عبدالوهاب الفارس، مراجعة أ.د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب، أ.د. سعيد بن فايز السعيد، (ط٢)، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٧- المرأة في نجد: وضعها ودورها ١٢٠٠-١٣٥١هـ/ ١٧٨٦-١٩٣٢م، د. دلال بنت مخلد الحربي، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٨- حركة الإنسان والأعمال بين دول الخليج والمغرب العربي، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الرابع المنعقد في الكويت في المدة من ٥- ٧ ربيع الأول ١٤٣٠هـ/ ٢-٤ مارس ٢٠٠٩م بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومركز دراسات الخليج والجزيرة العربية ومركز الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية بجامعة الكويت، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٩- نسب آل سعود، أ. فائز بن موسى البدراني، أ. راشد بن محمد بن عساكر، (سلسلة مركز توثيق تاريخ الأسرة المالكة - ٢) ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٠- إمارة الأشراف الخواجيين في المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري ١٠٠٦-١٠٥٣هـ/ ١٥٩٧-١٦٤٣م : دراسة سياسية، د. علي بن حسين الصميلي، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧١- طريق الأخرجة: من فيد إلى المدينة المنورة، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٢- العلاقة بين الملك عبدالعزيز والملك الحسين بن علي وضم الحجاز ١٣٢٨-١٣٤٤هـ / ١٩١٠-١٩٢٥م، د. أحمد بن يحيى آل فائع، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٨)، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

٢٧٣- الجوانب الصحية في المملكة العربية السعودية من الأربعينيات إلى تسعينيات القرن العشرين الميلادي، (جزأين)، (سلسلة توثيق تاريخ الزيت في المملكة العربية السعودية -٢)، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

٢٧٤- يوميات رحلة من القاهرة إلى الرياض، تأليف : جورج بيلينكن، ترجمة د. محمد منصور أباحسين، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٥- الأسس التاريخية والفكرية للدولة السعودية، صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٦- دراسة جيولوجية لمنطقة الرياض: طبقات الأرض والمياه (تقرير)، ترجمة أ. المنذر عبداللطيف سوقير، (سلسلة الإصدارات التوثيقية -٢)، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٧- ملوك وجمال: أمريكي في المملكة العربية السعودية، تأليف: غرانت سي بتلر، ترجمة: د. عاطف بن فالح يوسف، (سلسلة توثيق تاريخ الزيت في المملكة العربية السعودية -٣)، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٨- سهيل فيما جاء في ذكر الخيل، تأليف: الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر، تحقيق: أ.د. عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة - ٩) ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٩- موقع العيينة الأثري: دراسة للعصر الحجري في شمال غرب المملكة العربية السعودية، أ. خالد بن فايز الأسمري، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٩)، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

٢٨٠- العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز، د. فاطمة بنت محمد الفريحي، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٤٠)، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٨١- دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي، تأليف: د. ناتانا دي لونج باس، ترجمة: د. عبدالله بن إبراهيم العسكر، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٨٢- العرب في ديارهم، تأليف: الطبيب بول و .هاريسون، ترجمة: د. محمد منير الأصبحي، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٨٣- الملك فهد في مرآة الشعر العربي، أ. قماشة بنت إبراهيم الحبيّب، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٨٤- خير الدين الزركلي: دراسة وتوثيق، أ. أحمد ابراهيم العلاونة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٨٥- صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبدالعزيز ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٨٦- نفح العود في أيام الشريف حمود، تأليف عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، تكملة: الحسن بن أحمد عاكش، دراسة وتحقيق د. علي بن حسين الصميلي، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة - ١٠) ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٨٧- منهج عاكش الضمدي في التدوين التاريخي ١٢٢١ - ١٢٩٠هـ (سلسلة الرسائل الجامعية - ٤١)، أ. خالد بن عبدالله الكريري، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٨٨- التبر المسبوك في تأريخ معرفة الملوك، تأليف: عمر بن أحمد الهاشمي، تحقيق وتعليق: أ.عبدالرحمن محمد يحيى الرفاعي، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة - ١١) ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٨٩- الرسائل الدعوية للأئمة من آل سعود في الدولة السعودية الأولى والدولة السعودية الثانية: دراسة تحليلية، أ. بشير بن عبدالله الفريح، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٤٢)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٠- إنسانية ملك، تأليف: د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثنيان، (سلسلة كتاب الدارة -٢٠)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩١- جهود الليث بن سعد في التدوين التاريخي، تأليف: د. خالد بن عبدالكريم البكر، (سلسلة كتاب الدارة -٢١)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٢- تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، النسخة المصورة، تأليف: عبدالله بن محمد البسام، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٣- رحلة إلى مدائن صالح، تأليف: بيتر كرو، ترجمة: د. محمد زياد كبة، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٤- مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية المرحلة الثانية ١٤٢٦-١٤٢٩هـ دارة الملك عبدالعزيز ،١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٥- عبدالله بن خميس في مجمع الخالدين: دراسة وجمع لبحوث ابن خميس المقدمة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، جمع: د. محمد بن عبدالرحمن الربيّع، (طبع بمناسبة انعقاد اللقاء العلمي عن الأديب عبدالله بن محمد بن خميس، ربيع الآخرة ١٤٣٤هـ - فبراير ٢٠١٣م).

٢٩٦- الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين، تأليف: حسن بن أحمد اليمني، تحقيق: عبدالله بن علي بن حميد، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة - ١٢)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٧- إعمار الهجر، آليات إنتاج العمران: تثليث - عسير، د. هند بنت حسن القحطاني، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٤٣)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٨- المملكة العربية السعودية في القرن التاسع عشر الميلادي، تأليف: ريتشارد بايلي وايندر، مراجعة وتعليق: د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٩- غالية البقمية: حياتها ودورها في مقاومة حملة محمد علي باشا على تربة، أ.د. دلال بنت مخلد الحربي، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠٠- الدرعية نشأةً وتطوراً في عهد الدولة السعودية الأولى، أ.د. عبدالله الصالح العثيمين، (سلسلة كتاب الدارة -٢٢)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠١- تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية، تأليف: آندرو كرايتون، ترجمة: أ.د. عبدالله

الصالح العثيمين، (سلسلة كتاب الدارة -٢٣)، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

٣٠٢- مقالات علمية في نظم المعلومات الجغرافية التاريخية، لمجموعة من المؤلفين، ترجمة: د. حسن عبدالعزيز أحمد، المركز السعودي لنظم المعلومات الجغرافية التاريخية بدارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠٣- دليل الكتابة التاريخية، تأليف: ماري لين رامبولا، ترجمة د. تركي بن فهد آل سعود، د. محمد بن عبدالله الفريح، (سلسلة كتاب الدارة -٢٤)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠٤- ملاحظات عن البدو والوهابيين، تأليف: جون لويس بوركهارت، ترجمة وتعليق: أ.د. عبدالله الصالح العثيمين، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م.

٣٠٥- لقاء رضوى وأثره على الأوضاع السياسية في العالم العربي ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م: دراسة تاريخية وثائقية، أ.د. خليفة بن عبدالرحمن المسعود، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠٦- حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة، جابي زادة علي فهمي، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠٧- أحمد بن مشرف : حياته وشعره، ليلى بنت سعد المغنم، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٤٤)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

دارة الملك عبد العزيز

ص. ب: ٢٩٤٥ ـ الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية ـ هاتف ٤٠١١٩٩٩ فاكس ٤٠١٣٥٩٧
P.O. Box: 2945 - Riyadh 11461 - K.S.A - Tel: 4011999 Fax: 4013597
البريد الإلكتروني: E-Mail: info@darah.org.sa ـ موقع الإنترنت www.darah.org.sa

هذا الكتاب

يعرض حياة الشاعر أحمد بن مشرف الذي ولد في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، ويدرس أصول ديوانه الذي طبع سبع مرات، ويتتبع الأبيات التي سقطت منه، ويذكر الاختلاف بين المطبوع والمخطوط من ديوانه، كما يشير إلى موضوعات شعره التي دافع فيها عن العقيدة الإسلامية والدعوة الإصلاحية.

كما يتحدث هذا الكتاب عن مصادر أفكار الشاعر في شعره التي استُمدت من الكتاب والسنة، ويعدِّد ما امتاز به شعره من السهولة ووضوح المعاني، ويختم الكتاب بعقد موازنة بين ابن مشرف والشاعر سليمان بن سحمان.

صدر هذا الكتاب بالتزامن مع مناسبة اختيار المدينة المنورة عاصمة للثقافة الإسلامية
١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

دارة الملك عبدالعزيز

ISBN 978-603-8128-27-5
9 786038 128275
ردمك: ٥-٢٧-٨١٢٨-٦٠٣-٩٧٨